



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



عليه
صباح
الرمضان

www.ghaemiyeh.com
www.ghaemiyeh.org
www.ghaemiyeh.net
www.ghaemiyeh.ir

الرسائل العلمية

اللواء الركن

حمود شيت خطاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرسول القائد

كاتب:

محمود شيت خطاب

نشرت في الطباعة:

دار الفكر

رقم الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٢٥	الرسول القائد
٢٥	اشاره
٢٥	المقدمه
٣٢	مقدمه الطبعه الثانيه
٣٤	مقدمه الطبعه الثالثه
٣٨	مقدمه الطبعه الرابعه إرادته القتال فى الجهاد الإسلامى ١
٤٧	الحرب العادله
٤٧	اشاره
٤٨	القتال فى الاسلام
٤٨	معنى القتال فى الإسلام
٤٨	متى شرع القتال فى الإسلام
٤٩	أهداف القتال فى الإسلام
٤٩	١- حمايه حريه نشر الدعوه:
٤٩	٢- توطيد أركان السلام:
٥٠	أنواع القتال فى الإسلام
٥١	١- قتال المسلمين للمسلمين:
٥١	٢- قتال المسلمين لغير المسلمين:
٥٣	تنظيم القتال فى الإسلام
٥٣	١- تقويه المعنويات:
٥٤	٢- إعداد القوه الماديه:
٥٥	٣- التنظيم العملى للقتال:
٥٩	شروط القبول للجنديه
٦٠	النفير

- ٦٠ اشاره
- ٦١ ١- النفيير العام:
- ٦١ ٢- النفيير الخاص:
- ٦١ - الخلاصه
- ٦٢ قبل نشوب القتال
- ٦٢ اشاره
- ٦٢ الموقف العسكري العام
- ٦٢ المسلمون
- ٦٢ ١- في مكة المكرمه (الوحده و التوحيد من أجل الجهاد):
- ٦٢ أ- الدعوه سرا:
- ٦٣ ب- الدعوه علنا:
- ٦٤ ج- بيعه العقبه الأولى:
- ٦٥ د- بيعه العقبه الثانيه:
- ٦٧ ه- الحشد في المدينه المنوره:
- ٦٧ ٢- في المدينه المنوره: (الجهاد من أجل الوحده و التوحيد).
- ٦٧ أ- بناء المسجد:
- ٦٨ ب- الاخوه:
- ٦٩ ج- المعاهدات:
- ٧١ ٣- النتائج:
- ٧١ العرب و الروم و الفرس
- ٧١ ١- العرب:
- ٧٣ ٢- الروم:
- ٧٣ ٣- الفرس:
- ٧٤ ٤- النتائج:
- ٧٤ مناقشه الموقف العسكري للطرفين
- ٧٥ الدفاع عن العقيدته

٧٥	اشاره
٧٥	دوريات القتال و الاستطلاع الاولى
٧٥	اشاره
٧٥	الموقف العام
٧٥	١- المسلمون:
٧٦	٢- المشركون و يهود:
٧٦	أ- المشركون:
٧٦	ب- يهود:
٧٦	الهدف الحيوى للدوريات
٧٦	سير الحوادث (راجع الملحق أ)
٧٧	سريه حمزه
٧٧	سريه عبيده بن الحارث
٧٨	سريه سعد بن أبى وقاص
٧٩	غزوه ودان (و هى غزوه الأبواء)
٧٩	غزوه بواط
٨٠	غزوه ذى العشيره
٨١	غزوه بدر الأولى
٨٢	سريه عبد الله بن جحش الأسدى
٨٣	دروس من الدوريات
٨٣	١- الاستطلاع:
٨٣	٢- القتال:
٨٤	٣- الكتمان:
٨٤	٤- الحصار الاقتصادى:
٨٤	الصراع الحاسم بين عقيدتين
٨٤	اشاره
٨٥	غزوه بدر الكبرى المعركه الحاسمه الأولى للإسلام

الموقف العام	٨٥
١- المسلمون:	٨٥
٢- المشركون و يهود:	٨٥
قوات الطرفين	٨٥
١- المسلمون:	٨٦
٢- المشركون:	٨٦
أهداف الطرفين	٨٦
١- المسلمون:	٨٦
٢- المشركون:	٨٦
قبل المعركة	٨٦
١- المسلمون:	٨٦
٢- المشركون:	٩٠
سير القتال	٩٢
خسائر الطرفين	٩٤
أسباب انتصار المسلمين	٩٤
١- قياده موحده:	٩٤
٢- تعبئه جديده:	٩٦
٣- عقيدته راسخه:	٩٧
٤- معنويات عاليه:	٩٨
دروس من بدر	٩٩
١- الاستطلاع:	١٠٠
٢- القيادة:	١٠٠
٣- الضبط و المعنويات و العقيدته:	١٠٠
٤- القضايا التعبويه:	١٠٠
٥- القضايا الاداريه:	١٠١
الملحق (ب): شهداء المسلمين في بدر رضى الله عنهم	١٠٣

- الملحق (ج): البديون رضى الله عنهم ١٠٤
- القاعده الامينه ١٢٥
- اشاره ١٢٥
- المدينه قاعده الإسلام الأمينه تطهير المدينه المنوره و فرض الحصار الاقتصادى على قريش ١٢٥
- الموقف العام ١٢٥
- ١- المسلمون: ١٢٥
- ٢- المشركون و يهود: ١٢٦
- الهدف الحيوى ١٢٦
- حصار بنى قينقاع ١٢٧
- اشاره ١٢٧
- ١- أسباب الحصار: ١٢٧
- ٢- قوات الطرفين: ١٢٧
- ٣- الهدف: ١٢٨
- ٤- الحوادث: ١٢٨
- فرض الحصار الاقتصادى على قريش ١٢٨
- اشاره ١٢٩
- ١- غزوه بنى سليم: ١٢٩
- ٢- غزوه السويق: ١٢٩
- ٣- غزوه ذى أمّ: ١٣١
- ٤- غزوه بحران: ١٣٢
- ٥- سريه زيد بن حارثه: ١٣٢
- دروس من حركات التطهير ١٣٣
- ١- القاعده الامينه: ١٣٣
- ٢- الحصار الاقتصادى: ١٣٤
- النصر للمغلوب ١٣٥
- اشاره ١٣٥

١٣٦	غزوه أحد
١٣٦	اشاره
١٣٦	الموقف العام
١٣٦	١- المسلمون:
١٣٦	٢- المشركون و يهود
١٣٧	قوات الطرفين
١٣٧	١- المسلمون:
١٣٧	٢- المشركون:
١٣٧	أهداف الطرفين
١٣٧	١- المشركون:
١٣٧	٢- المسلمون:
١٣٧	قبل المعركه
١٣٨	١- المشركون:
١٣٨	٢- المسلمون:
١٤١	سير القتال
١٤١	١- بدء المناوشات:
١٤٢	٢- إشتداد القتال (الصفحه الاولى):
١٤٣	٣- هجوم المشركين المقابل (الصفحه الثانيه):
١٤٥	عوده المتحاربين
١٤٥	١- المشركون:
١٤٦	٢- المسلمون:
١٤٦	خسائر الطرفين
١٤٧	أسباب النكبه
١٤٧	١- نصر أم اندحار:
١٤٨	٢- أسباب خسائر المسلمين:
١٤٩	دروس من أحد

- ١- الحصول على المعلومات: ١٤٩
- ٢- القيادة: ١٤٩
- ٣- القضايا التعبويه: ١٥٠
- ٤- القضايا الاداريه: ١٥١
- أحد فى التاريخ ١٥١
- الملحق (٥): شهداء المسلمين فى أحد رضى الله عنهم ١٥٢
- إعاده النظام ١٥٨
- اشاره ١٥٨
- التطهير بعد أحد ١٥٨
- الموقف العام ١٥٨
- ١- المسلمون: ١٥٨
- ٢- المشركون: ١٥٩
- ٣- يهود: ١٥٩
- أهداف الطرفين ١٥٩
- ١- المسلمون: ١٥٩
- ٢- المشركون و يهود: ١٥٩
- سير الحوادث ١٥٩
- اشاره ١٥٩
- ١- سريه أبى سلمه: ١٥٩
- ٢- دوريه عبد الله بن أنيس: ١٦٠
- ٣- غزوه بنى النضير: ١٦١
- ٤- غزوات ذات الرقاع: ١٦٤
- ٥- غزوه بدر الآخره: ١٦٥
- ٦- غزوه دومه الجندل: ١٦٦
- ٧- غزوه بنى المصطلق: ١٦٧
- دروس من غزوات التطهير ١٦٩

١٦٩ ١- المسير الليلي:

١٦٩ ٢- الهجوم فجرا:

١٧٠ ٣- قتال المدن و الشوارع:

١٧٠ ٤- الابداع:

١٧١ ٥- المعنويات:

١٧٢ هازم الاحزاب

١٧٢ اشاره

١٧٢ غزوه الخندق

١٧٣ الموقف العام

١٧٣ ١- المسلمون:

١٧٣ ٢- المشركون و يهود:

١٧٣ قوات الطرفين

١٧٣ ١- المسلمون:

١٧٣ ٢- المشركون:

١٧٤ أهداف الطرفين

١٧٤ ١- المسلمون:

١٧٤ ٢- المشركون و اليهود:

١٧٤ التوقيت

١٧٤ قبل المعركة

١٧٤ ١- المسلمون:

١٧٥ ٢- المشركون و يهود:

١٧٦ سير القتال

١٧٩ خسائر الطرفين

١٧٩ أسباب فشل الأحزاب

١٧٩ ١- قياده غير موحده:

١٧٩ ٢- المباغته بالخندق:

- ١٨٠ ٣- الطقس:
- ١٨٠ ٤- انعدام الثقة:
- ١٨٠ ٥- الصبر على الحصار:
- ١٨٠ دروس من غزوه الخندق
- ١٨٠ ١- القيادة:
- ١٨١ ٢- تعبته جديده:
- ١٨١ ٣- الحرب خدعه:
- ١٨٢ ٤- المبدأه:
- ١٨٣ القصص العادل
- ١٨٣ اشاره
- ١٨٣ محاسبه الغادرين
- ١٨٣ الموقف العام
- ١٨٣ ١- المسلمون:
- ١٨٣ ٢- المشركون:
- ١٨٤ ٣- يهود:
- ١٨٤ الهدف الحيوى
- ١٨٤ غزوه بنى قريظه
- ١٨٤ ١- أسباب الغزوه:
- ١٨٤ ٢- قوات الطرفين:
- ١٨٤ ٣- الهدف:
- ١٨٥ ٤- الحوادث:
- ١٨٦ سريه عبد الله بن عتيك
- ١٨٦ ١- الهدف:
- ١٨٦ ٢- الحوادث:
- ١٨٧ غزوه بنى لحيان
- ١٨٧ ١- الهدف:

- ١٨٧ ٢- الحوادث:
- ١٨٨ غزوه ذى قرد
- ١٨٨ ١- الهدف:
- ١٨٨ ٢- الحوادث:
- ١٨٨ سرايا توطيد الأمن و تشديد الحصار الاقتصادى
- ١٨٩ اشاره
- ١٨٩ ١- الهدف:
- ١٨٩ ٢- الحوادث:
- ١٩٣ دروس من غزوات محاسبه الغادرين و السرايا
- ١٩٣ ١- الوقت:
- ١٩٤ ٢- المباغته:
- ١٩٥ ٣- القصاص:
- ١٩٦ ٤- العقيده:
- ١٩٨ ٥- القضايا الاداريه:
- ١٩٨ الفتح القريب
- ١٩٨ اشاره
- ١٩٩ غزوه الحديبيه
- ١٩٩ اشاره
- ١٩٩ الموقف العام
- ١٩٩ ١- المسلمون:
- ٢٠٠ ٢- المشركون و يهود:
- ٢٠٠ قوات الطرفين
- ٢٠٠ ١- المسلمون:
- ٢٠٠ ٢- المشركون:
- ٢٠٠ أهداف الطرفين
- ٢٠٠ ١- المسلمون:

- ٢- قريش: ٢٠١
- الأعمال التمهيدية ٢٠١
- ١- الحصول على المعلومات: ٢٠١
- ٢- المناوشات: ٢٠٢
- ٣- المفاوضات الابتدائية: ٢٠٢
- ٤- المفاوضات النهائية: ٢٠٤
- الهدنه ٢٠٥
- ١- نص وثيقه الهدنه: ٢٠٥
- ٢- أهم بنود الهدنه: ٢٠٦
- دروس من الحديبيه ٢٠٦
- ١- توخى الهدف: ٢٠٦
- ٢- الضبط: ٢٠٨
- ٣- الحياد المسلح: ٢٠٩
- ٤- حرب الدعايه: ٢١١
- نتائج الحديبيه ٢١٢
- فتره الهدنه ٢١٣
- اشاره ٢١٣
- ثمرات الحديبيه ٢١٣
- الموقف العام ٢١٣
- ١- المسلمون: ٢١٣
- ٢- المشركون: ٢١٤
- ٣- يهود: ٢١٤
- الهدف الحيوى للمسلمين ٢١٤
- غزوه خيبر ٢١٤
- ١- أسباب الغزوه: ٢١٤
- ٢- قوات الطرفين: ٢١٥

- ٢١٥ ٣- الهدف:
- ٢١٥ ٤- سير الحوادث:
- ٢١٨ ٥- خسائر الطرفين:
- ٢١٨ نهاية يهود في شبه الجزيرة العربية
- ٢١٨ ١- يهود فدك:
- ٢١٨ ٢- يهود وادي القرى:
- ٢١٨ ٣- يهود تيماء:
- ٢١٩ ٤- النتائج:
- ٢١٩ سرايا تأديب الأعراب
- ٢١٩ ١- الهدف:
- ٢١٩ ٢- الحوادث:
- ٢١٩ اشاره
- ٢١٩ أ- سرية عمر بن الخطاب الى تربه:
- ٢١٩ ب- سرية أبي بكر الصديق الى بنى كلاب بنجد:
- ٢٢٠ ج- سرية بشير بن سعد الأنصاري الى فدك:
- ٢٢٠ د- سرية غالب بن عبد الله الليثي الى الميفعه:
- ٢٢٠ ه- سرية بشير بن سعد الأنصاري الى اليمن و جبار:
- ٢٢١ و- سرية ابن أبي العوجاء التلمي الى بنى سليم:
- ٢٢١ ز- سرية غالب بن عبد الله الليثي الى بنى الملوّح بالكديد:
- ٢٢٢ ح- سرية غالب بن عبد الله الليثي الى فدك:
- ٢٢٢ ط- سرية شجاع بن وهب الأسدي الى بنى عامر بالشح:
- ٢٢٢ ي- سرية كعب بن عمير الغفاري الى ذات أطلاق:
- ٢٢٣ ٣- النتائج:
- ٢٢٣ غزوه مؤته
- ٢٢٣ ١- أسباب الغزوه:
- ٢٢٣ ٢- قوات الطرفين:

- ٢٢٤ ٣- الهدف:
- ٢٢٤ ٤- سير الحوادث:
- ٢٢٤ ٥- خسائر الطرفين:
- ٢٢٤ ٦- النتيجة:
- ٢٢٤ غزوه ذات السلاسل
- ٢٢٤ ١- أسباب الغزوه:
- ٢٢٧ ٢- سير الحوادث:
- ٢٢٧ اشاره
- ٢٢٨ سرية الخبط
- ٢٢٨ سرية أبي قتاده الأنصاري إلى خضره
- ٢٢٨ سرية أبي قتاده الأنصاري إلى بطن إضم
- ٢٢٩ دروس من ثمرات الهدنه
- ٢٢٩ ١- القضايا التعبويه:
- ٢٣٠ ٢- المعنويات:
- ٢٣١ ٣- الامانه:
- ٢٣١ ٤- إكمال الحشد:
- ٢٣٢ ٥- نشر الاسلام:
- ٢٣٢ ٦- القضايا الاداريه:
- ٢٣٣ ٧- النتائج:
- ٢٣٤ الملحق (ح): شهداء المسلمين في غزوه خيبر
- ٢٣٤ الملحق (ي): شهداء المسلمين في غزوه مؤته
- ٢٣٧ عوده المستضعفين
- ٢٣٧ اشاره
- ٢٣٧ فتح مكة
- ٢٣٧ الموقف العام
- ٢٣٧ ١- المسلمون:

- ٢٣٧ ٢- المشركون:
- ٢٣٨ إعلان الحرب
- ٢٣٨ ١- المسلمون:
- ٢٣٨ ٢- قريش:
- ٢٣٩ الاستعدادات
- ٢٤٠ قوات الطرفين
- ٢٤٠ ١- المسلمون:
- ٢٤٠ ٢- المشركون:
- ٢٤٠ في الطريق الى مكة
- ٢٤٢ قبل دخول مكة
- ٢٤٣ خطه الفتح
- ٢٤٣ الفتح
- ٢٤٣ في مكة المكرمه
- ٢٤٤ خسائر الطرفين
- ٢٤٥ سرايا الدعوه الى التوحيد
- ٢٤٥ اشاره
- ٢٤٥ سريه خالد بن الوليد الى العزى
- ٢٤٦ سريه عمرو بن العاص الى سواع
- ٢٤٦ سريه سعد بن زيد الأشهلى الى مناه
- ٢٤٧ سريه خالد بن الوليد الى جذيمه من كنانه
- ٢٤٨ دروس من الفتح
- ٢٤٨ ١- المباغته:
- ٢٤٩ ٢- المعلومات:
- ٢٥٠ ٣- بعد النظر:
- ٢٥٠ ٤- التنظيم:
- ٢٥١ ٥- المعنويات:

- ٢٥٢ ٦- السلم:
- ٢٥٤ ٧- الوفاء:
- ٢٥٥ ٨- التواضع:
- ٢٥٥ ٩- العقيدة:
- ٢٥٦ ١٠- تحطيم الاصنام:
- ٢٥٦ ١١- القضايا الاداريه:
- ٢٥٦ استثمار الفوز
- ٢٥٦ اشاره
- ٢٥٧ غزوه حنين و حصار الطائف
- ٢٥٧ اشاره
- ٢٥٧ الموقف العام
- ٢٥٧ ١- المسلمون:
- ٢٥٧ ٢- المشركون:
- ٢٥٨ قوات الطرفين
- ٢٥٨ ١- المسلمون:
- ٢٥٨ ٢- المشركون:
- ٢٥٨ أهداف الطرفين
- ٢٥٨ ١- المسلمون:
- ٢٥٨ ٢- المشركون:
- ٢٥٨ قبل المعركة
- ٢٥٨ ١- المسلمون:
- ٢٥٩ ٢- المشركون:
- ٢٥٩ القتال
- ٢٥٩ ١- هجوم المشركين:
- ٢٦٠ ٢- هجوم المسلمين المضاد:
- ٢٦١ ٣- المطاردة:

- ٢٦١ -..... حصار الطائف
- ٢٦٢ -..... خسائر الطرفين
- ٢٦٢ -..... ١- المسلمون:
- ٢٦٢ -..... ٢- المشركون:
- ٢٦٢ -..... أسباب التخلي عن محاصره الطائف
- ٢٦٣ -..... الغنائم
- ٢٦٣ -..... ١- التكديس:
- ٢٦٣ -..... ٢- التوزيع:
- ٢٦٤ -..... ٣- إعادة السبي:
- ٢٦٤ -..... سرايا الدعوه
- ٢٦٤ -..... سرية الطفيل بن عمرو الدوسى الى ذى الكفّين
- ٢٦٥ -..... سرية عيينه بن حصن الفزارى الى بنى تميم
- ٢٦٥ -..... سرية خالد الى بنى المصطلق
- ٢٦٦ -..... سرية قطبه بن عامر بن حديده الى خثعم
- ٢٦٦ -..... سرية الضّحّاک بن سفيان الكلابى الى بنى كلاب
- ٢٦٦ -..... سرية علقمه بن محرز المدلجى الى الحبشه
- ٢٦٧ -..... سرية على بن أبى طالب الى الفليس صنم طتىء
- ٢٦٧ -..... دروس من حنين و الطائف و سرايا الدعوه
- ٢٦٧ -..... ١- المباغته:
- ٢٦٨ -..... ٢- القيادة:
- ٢٦٩ -..... ٣- المطارده:
- ٢٧٠ -..... ٤- المعلومات:
- ٢٧٠ -..... ٥- المعنويات:
- ٢٧١ -..... ٦- العقيدة:
- ٢٧٢ -..... ٧- حرب الفروسيه:
- ٢٧٣ -..... ٨- القضايا الاداريه:

أ- توزيع الغنائم: ٢٧٣

ب- الخسائر: ٢٧٥

ج- الإعاشه: ٢٧٥

د- النقيه: ٢٧٦

ه- التسليح: ٢٧٦

الملحق (م) شهداء حنين و الطائف ٢٧٦

شهداء حنين ٢٧٦

شهداء غزوه الطائف ٢٧٦

دوله الاسلام ٢٧٧

اشاره ٢٧٧

غزوه تبوك ٢٧٧

اشاره ٢٧٧

الموقف العام ٢٧٨

١- المسلمون: ٢٧٨

٢- المنافقون: ٢٧٨

٣- المشركون: ٢٧٨

٤- الروم: ٢٧٨

اسباب غزوه تبوك ٢٧٩

١- اسباب مباشره: ٢٧٩

٢- اسباب غير مباشره: ٢٧٩

أهداف الطرفين ٢٧٩

١- المسلمون: ٢٧٩

٢- الروم: ٢٨٠

قوات الطرفين ٢٨٠

١- المسلمون: ٢٨٠

٢- الروم: ٢٨٠

٢٨٠	الاستعدادات
٢٨٠	١- المسلمون:
٢٨١	٢- الروم:
٢٨١	الحركة
٢٨١	١- المسلمون:
٢٨٢	٢- الروم:
٢٨٢	السيطره على المنطقه
٢٨٢	١- مصالحه صاحب أيله:
٢٨٢	٢- مصالحه أهل الجرباء و أذرح:
٢٨٣	٣- مصالحه أهل دومه الجندل:
٢٨٣	عوده المسلمين
٢٨٣	سرايا الدعوه و بعث أسامه
٢٨٤	سريه خالد بن الوليد الى نجران
٢٨٤	سريه خالد بن الوليد الى اليمن
٢٨٥	سريه على بن أبي طالب الى اليمن
٢٨٥	سريه أسامه بن زيد بن حارثه
٢٨٦	دروس من تيوك و سرايا الدعوه
٢٨٦	١- الحرب الاجماعيه:
٢٨٨	٢- عقاب المتخلفين:
٢٩١	٣- التدريب العنيف:
٢٩١	٤- المسير الليلي (السرى):
٢٩١	٥- المعنويات:
٢٩٢	٦- المعلومات:
٢٩٢	٧- الضبط:
٢٩٣	النتائج
٢٩٤	التطبيق العملى

٢٩٤	اشاره
٢٩٤	الخاتمه
٢٩٤	بحث مقارن
٢٩٤	مجمل أسباب النصر
٢٩٤	اشاره
٢٩٧	السبب الأول قياده عبقرية هي قياده النبي صلى الله عليه و سلم
٢٩٧	١- مجمل صفات القائد:
٢٩٨	٢- تفصيل الصفات:
٣١٨	٣- مزايا اخرى اضافيه:
٣٢٠	٤- قياده مثاليه:
٣٢٠	السبب الثاني جنود متميزون
٣٢٠	١- مزايا الجند المتميز:
٣٢١	٢- تفصيل المزايا:
٣٢٥	السبب الثالث حرب عادله
٣٢٥	١- معنى الحرب العادله:
٣٢٤	٢- تفصيل معنى الحرب العادله:
٣٢٩	٣- حرب عقيدته:
٣٣٢	٤- حرب مثاليه:
٣٣٣	السبب الرابع ضعف الاعداء
٣٣٤	الأرض للصالحين
٣٣٥	الفهارس العامه
٣٣٥	اشاره
٣٣٥	فهرس الاعلام
٣٤٥	فهرس الاماكن
٣٧٥	المصادر
٣٧٨	المراجع العربيه

٣٨٣ ----- المراجع الاجنبيه

٣٨٤ ----- محتويات الكتاب

٣٩١ ----- تعريف مركز

عنوان و نام پديدآور: الرسول القائد / تاليف محمود شيت خطاب.

وضعيت ويرااست: ويرااست؟

مشخصات نشر: بيروت: دارالفكر (لبنان)، ۱۴۰۹ق. = ۱۹۸۹م. = ۱۳۶۸.

مشخصات ظاهري: ۵۴۲ص.: جدول، نقشه.

وضعيت فهرست نويسي: برون سپاري.

يادداشت: عربي.

يادداشت: چاپ پنجم.

يادداشت: کتابنامه: ص. ۵۲۵ - ۵۳۴؛ همچنين به صورت زير نويس.

موضوع: محمد (ص)، پيامبر اسلام، ۵۳ قبل از هجرت - ۱۱ق.

موضوع: غزوات

موضوع: اسلام -- تاريخ

رده بندي كنگره: ۴/۲۴BP / خ ۵۶ ۱۳۶۸

رده بندي ديويي: ۲۹۷/۹۳۷

شماره كتابشناسي ملي: ۲۹۷۳۷۹۳

ص: ۱

المقدمه

ص: ۲

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

الطبعة السادسة ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م

ص: ٣

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا، وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (١).

(القرآن الكريم)

فكرت في وضع هذا الكتاب، بعد أن قرأت كثيرا من المؤلفات العسكريه الباحثه في تاريخ حروب القاده العظام، الذين لمعت أسماءهم قديما و حديثا.

لقد أبرزت تلك المؤلفات بكل وصوح أعمال أولئك القاده، و وصفت معاركهم بتسلسل منطقي سهل، و وضحت تلك المعارك بالخرائط و المخططات و الأشكال، و أظهرت الدروس المفيده منها، فأضفت بذلك كله الخلود على حياه أولئك الرجال.

وعدت لأقارن بين هذا الأسلوب في البحث، و بين أسلوب المؤرخين عندنا

١- الآيه الكريمة من سوره النور ٢٤: ٥٥.

ص: ٤

في الحديث عن معارك قاده المسلمين، فعرفت كيف أضاء الأسلوب الأول معالم الطريق للباحثين، و حقق قيمه جديده لأعمال بعض القاده، بينما طمس الأسلوب الثاني أعمالا خالده تستحق أعظم التقدير و الإعجاب.

لقد قرأت أكثر كتب السيره في تدبر و إمعان، و حاولت أن أستشف منها كل نواحي العظمه التي تتسم بها شخصيه الرسول صلى الله عليه و سلم، و لكنني وجدت أن عبقريته العسكريه التي لا تتناول إليها أيه عبقرية أخرى لأى قائد في القديم أو الحديث تكاد تكون متواريه محجوبه لم يتح لها من يكشف أسرارها و يجلى عظمتها بأسلوب حديث يجنح الى الكشف و التحليل و إبراز المواهب النادره خاصه من عسكري يستطيع أن يلم بنواحي العظمه العسكريه التي تكمن فيها و يظهرها جليه للعيان، و من هنا بقى الجانب العسكري من حياه الرسول صلى الله عليه و سلم يشوبه الغموض حتى اليوم.

لقد تحدت مؤرخو السيره عن معارك الرسول صلى الله عليه و سلم بإسهاب أو باقتضاب، و مع ذلك يخرج الباحث من دراسته كل معركة دون أن يلم بكل تفاصيلها و وقائعها و دوافعها، و يعود ليسأل نفسه: ما هو موقف الطرفين قبل المعركة؟

كيف جرى القتال؟ ما هي الدروس التي نستفيدها من المعركة؟ إلى غير ذلك من الأسئلة الحيويه الملحه.

إن وصف معارك القواد المسلمين و على رأسهم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا الأسلوب الذى لا يقنع باحثا و لا يشفى غله دارس، جعل تاريخ الحرب الحديث يورد أمثله من أعمال القواد غير المسلمين، كهنبال و قيصر و نابليون و مولتكه ... الخ.

و لا يورد أمثله من أعمال القواد المسلمين كالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و خالد و سعد بن أبى وقاص رضى الله عنهم ... الخ، بينما يدرّس هذا التاريخ للمسلمين و فى بلاد المسلمين!! إن سبب ذلك هو (جنايه) الأسلوب، هذه الجنايه التى جعلتني أفكر فى تأليف هذا الكتاب عن أعمال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العسكريه، متوخيا تنسيق

ص: ٥

المعلومات التى جاءت فى كتب السيره بأسلوب علمى بسيط، تطرقت فيه الى الموقف العام للطرفين قبل المعركة، و أهداف المعركة، و قوات الطرفين، و سير الحوادث قبل القتال و أثناءه و بعده، و نتائج المعركة، و دروسها المفيده، تلك الدروس التى لم تقتصر على أعمال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل أظهرت أعمال المشركين أيضا؛ و حاولت إيضاح كل ذلك بالخرائط و المخططات و الأشكال، لمعرفة مواقع المعركة و أسلوبها و أسلحتها الغريبه عنا الآن، و بهذا الإيضاح أمكن أن يعيش القارىء فى جو المعركة الأصيل، و يطّلع على تفاصيلها، ليحصل من ذلك على معلومات وافية عن المعركة من كل الوجوه.

و لكنى أغفلت بعض الظواهر الخارقه التى لا يمكن أن تحدث فى الحروب العاديه بين المتطاحنين من البشر، و التى يرجع بعض المؤرخين إليها وحدها السر الأكبر فى انتصار الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على خصومه و أعدائه.

لقد أيد الله نبيه و ثبت قدمه و نصره على أعدائه بالملائكه المنزله: (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَيْدَرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ، إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ: أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلاَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ، بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلاَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ، وَ مَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَ لِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَ مَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) (١).

و وعده بالنصر حين أذن له فى القتال دفاعا عن النفس وردا لعاديه المعتدين:

(أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) (٢).

و لكن الخوارق لم تكن وحدها أداء النصر و العامل الذى غلب به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، و الذين يذهبون إلى هذا يسلبونه قوته قائدا. ثم كيف يحتذى

١- آل عمران الآيات ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦.

٢- الحج الآيه ٣٩.

ص: ٦

المسلمون سيرته، و يتبعون في الحروب نهجه و سنته، إذا لم يكن لفنه الحربى الأصيل و مواهبه العسكريه النادره، الأثر العظيم فى ظفره و نصره؟ إن الخوارق كانت إيذانا للنبي صلى الله عليه و سلم بأن الله معه لا- يتخلى عنه، حتى يشحذ همته و يثير عزيمته، و ينبهه بكل ما فيه من حواس اليقظه و الحذر إلى أعدائه المحاربين.

و لست أحاول فى هذا الكتاب أن أعرض لهذه الخوارق و المعجزات التى أيد الله بها نبيه و ثبت رسوله عليه أفضل الصلاه و السلام، فذلك أمر يؤمن به كل مسلم، و قد أثبتته القرآن الكريم بما لا يدع فيه مجالاً لشك أو ريبه، و إنما أريد أن أبرز للعيان سمات قياده الرسول صلى الله عليه و سلم التى يمكن أن تكون أسوه حسنه فى الحروب لأتباعه.

لقد عمل الرسول صلى الله عليه و سلم بكل مبادئ الحرب المعروفه، بالإضافة الى مزاياه الشخصيه الأخرى فى القياده، لهذا انتصر على أعدائه، و لو أغفل شيئاً من الحذر و الحيطه و الاستعداد، لتبدل الحال غير الحال، و لكن الله سلم.

لما ذا كان إذا أراد غزوه و رى بغيرها؟ و لما ذا كان يأخذ بمبدأ: «الحرب خدعه»؟

ماذا كان يحدث لو تردّد قبل معركة (بدر)، عندما رأى المشركين متفوّقين على أصحابه بالعدد و العدد؟

ماذا كان يحدث لو استسلم لليأس فى معركة (أحد) بعد أن طوّقت قوات المشركين المتفوّقه من كل جانب؟

ماذا كان يحدث لو ضعفت مقاومته للأحزاب فى غزوه الخندق، و بخاصه بعد خيانه يهود، حين أصبح مهدداً من خارج المدينه المنوره و من داخلها؟

ماذا كان يحدث لو لم يثبت الرسول صلى الله عليه و سلم مع عشره فقط من آل بيته و المهاجرين بعد فرار المسلمين فى غزوه (حنين)؟

ص: ٧

كيف نفسّر إصابه الرسول صلى الله عليه و سلم بجروح خطره فى معركة (أحد)، فقد كسرت رباعيته (١) و شجّ فى جبهته حتى سال الدم على وجهه الكريم، عندما خالف الرماه أمره و تركوا مواضعهم لجمع الغنائم، فخسر سبعين من أبطال المسلمين فى هذه المعركة؟

و أى استعدادات بلغت من الإحكام و الدقه فى التفاصيل، ما بلغت استعدادات الرسول صلى الله عليه و سلم لتجهيز جيش العسره (٢)؟

و لماذا تصلى طائفه من المسلمين فى ساعات القتال، و تأخذ طائفه أخرى أسلحتها حذراً من مباغته العدو؟

لماذا كل هذا الحذر الشديد و الاستعدادات الدقيقه، إذا كان انتصار الرسول صلى الله عليه و سلم بالخوارق غير العاديه لا بالأعمال العسكريه و المواهب الحربيه؟

إن النصر من عند الله، ما فى ذلك شك، و لكنّ الله لا يهب نصره لمن لا يعدّ كل متطلبات القتال.

إنّ المسلم حقًا، هو الذى يقدر الرسول صلّى الله عليه و سلم حق قدره، فيعترف بأن كفايه الرسول صلّى الله عليه و سلم قائدا متميزا، و كفايه أصحابه جنودا متميزين، هى التى أمنت لهم النصر العظيم.

أما أن نستند على الخوارق وحدها فى الحرب، و نجعلها السبب المباشر لانتصار المسلمين، فذلك يجعل هذا النصر لا قيمه له من الناحية العسكريه،

١- الرباعيه: السن بين الثنيه و الناب، و هى أربع: رباعيتان فى الفك الأعلى، و رباعيتان فى الفك الأسفل.

٢- جيش العسره هو الذى خاص غزوه تبوك كما سيرد ذلك فى محله.

ص: ٨

بالإضافه الى أن ذلك غير منطقي و غير معقول: (وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ مِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ) (١).

إن أعمال الرسول صلّى الله عليه و سلم- و منها العسكريه- سنّه متبعه فى كل زمان و مكان، فهل يبقى أتباعه ينتظرون الخوارق لينتصروا على أعدائهم، أم يعدّون ما استطاعوا من قوه، كما قرر القرآن الكريم، لينالوا هذا النصر؟

إن سيره الرسول صلّى الله عليه و سلم العسكريه، تثبت بشكل جازم لا يتطرّق إليه الشك، أن انتصاره كان لشجاعته الشخصيه و سيطرته على أعصابه فى أحلك المواقف، و لقراراته السريعه الجازمه فى أخطر الظروف، و لعزمه الأكيد فى التشبث بأسباب النصر، و لتطبيقه كل مبادئ الحرب المعروفه فى كل معاركه، تلك العوامل الشخصيه التى جعلته يتفوق على أعدائه فى الميدان، و لو لم تكن تلك الصفات الشخصيه المدعومه بقوه الإيمان بالله، لما كتب له النصر.

يمتاز الرسول صلّى الله عليه و سلم عن غيره من القاده فى كل زمان و مكان بميزتين مهمتين:

الأولى، أنه كان قائدا عصاميا. و الثانيه، أن معاركه كانت للدفاع عن الدعوه و لحمايه حريه نشر الإسلام و لتوطيد- أركان السلام لا للعدوان و الاغتصاب و الاستغلال.

إن غيره من القاده العظام وجدوا أمما تؤيدهم و قوات جاهزه تساندهم؛ و لكن الرسول صلّى الله عليه و سلم لم تكن له أمه تؤيده، و لا قوات تسانده، فعمل على نشر دعوته، و تحمّل أعنف المشقات و الصعاب، حتى كوّن له قوه بالتدرج ذات عقيدته واحده و هدف واحد، هو التوحيد و إعلاء كلمه الله.

١- الآيه الكريمه من سوره الأنفال ٨: ٦٠.

ص: ٩

و على ذلك يمكن تقسيم حياه الرسول صَلَّى الله عليه و سلم من الناحيه العسكريه الى أربعة أدوار: دور الحشد، و دور الدفاع عن العقيدته، و دور الهجوم، و دور التكامل.

أما دور الحشد: فمن بعثته الى هجرته الى المدينه المنوره و استقراره هناك، و فى هذا الدور اقتصر الرسول صَلَّى الله عليه و سلم على الحرب الكلاميه: يبشّر و ينذر و يحاول جاهدا نشر الإسلام، و بذلك كوّن النواه الأولى لقوات المسلمين، و حشدهم فى المدينه المنوره (بالهجره) إليها، و عاهد بعض يهود ليأمن جانبهم عند بدء الصراع.

أما دور الدفاع عن العقيدته: فمن بدء الرسول صَلَّى الله عليه و سلم بإرسال سراياه و قواته للقتال، الى انسحاب الأحزاب عن المدينه المنوره بعد غزوه الخندق، و بهذا الدور ازداد عدد المسلمين، فاستطاعوا الدفاع عن عقيدتهم ضد أعدائهم الأقوياء.

أما دور الهجوم: فهو من بعد غزوه (الخندق) الى بعد غزوه (حنين)، و بهذا الدور انتشر الإسلام فى الجزيره العربيه كلها، و أصبح المسلمون قوه ذات اعتبار و أثر فى بلاد العرب، فاستطاعوا سحق كل قوه تعرّضت للإسلام.

و الدور الرابع هو دور التكامل: و هو من بعد غزوه (حنين) الى أن التحق الرسول صَلَّى الله عليه و سلم بالرفيق الأعلى؛ فقد تكاملت قوات المسلمين بهذا الدور، فشملت شبه الجزيره العربيه كلها، و أخذت تحاول أن تجد لها متنفسا خارج شبه الجزيره العربيه، فكانت غزوه (تبوك) إيذانا بمولد الإمبراطوريه الإسلاميه.

بهذا التطور المنطقى، تدرّج هذا القائد العصامى بقواته من الضعف الى القوه، و من الدفاع الى الهجوم، و من الهجوم الى التعرّض، و بذلك بزّ كل

ص: ١٠

قائد فى كل أدوار التاريخ، لأنه أوجد قوه كبيره ذات عقيدته واحده و هدف واحد من لا شىء ...

تلك هى الميزه الأولى للرسول القائد عليه أفضل الصلاه و السلام.

و الميزه الثانيه لقيادته: هى أن معاركه كانت حرب فروسية بكل معنى الكلمه، الغرض منها حمايه حريه نشر الإسلام و توطيد أركان السلام؛ فلم ينقض عهدا، و لم يمتلّ بعدو، و لم يقتل ضعيفا، و لم يقاتل غير المحاربين. لذلك فإن إطلاق تعبير: (الفتح الإسلامى على عهد الرسول) ليس صحيحا، و إنما الصحيح أن يقال: (انتشار الإسلام على عهد الرسول)، لأنه لم يفتح بلدا لغايه الفتح، بل لغرض حمايه حرّيه نشر الإسلام فيه و توطيد أركان السلام فى أرجائه.

و لا عجب فى ذلك، فقد كان محمد صَلَّى الله عليه و سلم قائدا و رسولا، و مبشرا و نذيرا، (و داعيا الى الله بإذنه و سراجا منيرا).

و ربما يتبادر الى الأذهان، أن القياده فى العصور الغابره كانت سهله التكاليف بالنسبه للقياده فى الحرب الحديثه لقلة عدد القوات حينذاك بالنسبه الى ضخامه عددها و كثرة أسلحتها و وسائلها فى الجيوش الحديثه، و لكن العكس هو الصحيح.

إن مهمه القائد في العصور الغابرة كانت أصعب من مهمته في العصر الحديث، لأن سيطره القائد و مزاياه الشخصية، كانت العامل الحاسم في الحروب القديمه؛ بينما يسيطر القائد في الحرب الحديثه على قواته الكبيره بمعاونه عدد ضخم من ضباط الركن الذين يعاونونه في مهمته و يراقبون تنفيذ أوامره في الوقت و المكان المطلوبين، كما يسيطر القائد على قواته بوسائط المواصلات الداخليه الدقيقه من

ص: ١١

أجهزه لا سلكيه و سلكيه و رادار و طائرات و أقمار إصطناعيه و وسائط آليه ... الخ.

بل إن هيئات الركن مسؤوله حتى عن تهيئه خطط القتال قبل الوقت المناسب، و لا يقوم القائد إلا بمهمه الإشراف على التنفيذ.

إن القائد في الحرب الحديثه يحتاج الى العقل وحده، و القائد في الحرب القديمه يحتاج الى العقل و الشجاعه.

بقي علينا أن نلفت النظر في هذا المكان الى إنتقاد قسم من المستشرقين لقسم من أعمال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ العسكريه، لأننا لا نعود الى الكلام على هذا النقد مره أخرى في غير هذا المكان.

إن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ عند قسم من المستشرقين صاحب رقه تحرمه القدره على القتال، و دليلهم على ذلك أنه اشترك في حرب الفجار بتجهيز السهام فقط و لم يشترك في الطعان. و هو عند قسم من المستشرقين صاحب قسوه تغريه بالقتل و إهدار الدماء من غير جريره، و حجّتهم على ذلك قتل أسيرين بعد(بدر) و قتل قسم من يهود بعد غزوه الأحزاب.

و لو لم يكن الهوى وحده هو الذى يثير هذا النقد المغرض، لما حدث مثل هذا التناقض بين أقوال المستشرقين.

إنّ المستشرقين لا يريدون وجه الحق فى نقدهم، و لو أرادوا الحق لوجدوا أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ لم يقاتل أبدا إلا مضطرا، و لم يأمر أبدا بقتل أحد إلا عقابا له على جريمه نكراء أضرت أشد الضرر بمصالح المسلمين.

و من العجيب أن ينتقده هؤلاء لقتله بضعه أشخاص؛ لأنهم حالوا بطرق

ص: ١٢

غير شريفه دون حريه انتشار الإسلام، و عملوا بطرق غير شريفه لإثاره الحرب، و خانوا عهودهم بعد توكيدها فى مواقف حرجه كادت تقضى على المسلمين، بينما لا ينتقدون قومهم فى القرن العشرين على إفناء شعوب كامله لأنهم قاوموا الظلم و العدوان.

و لهم أن يدرسوا قوانين الحرب و الحياد فى القرن العشرين، ليروا بأنفسهم أين تكون هذه القوانين الدوليه بالنسبه الى ما طبقه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ عمليا فى القتال قبل أربعه عشر قرنا! ...

لقد درست حياه الرسول العسكريه بروح علميه محايدته، توخيت منها إظهار الواقع العملى من قياده النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، ذلك الواقع الذى يستحق التقدير كلّ التقدير.

و لم أنس المواقف التي تستحق التقدير من أعمال المشركين، لأن قيادتهم وقواتهم قامت بأعمال ذات قيمه عسكريه فى قتالها المسلمين، مما يجعلنا نلمس ما لاقاه الرسول صلى الله عليه و سلم من مصاعب فى القضاء على اعتداءات المشركين.

إن دراستى لحياه الرسول صلى الله عليه و سلم العسكريه بهذا الأسلوب، مجهود متواضع، لعلّ فيه فائده للمسلمين فى مشارق الأرض و مغاربها، ليأخذوا عبره من حياه قائدهم الأول فى إعداد القوه و حمايه الإسلام، لأن العزه لله و لرسوله و للمؤمنين.

فأن استطعت بهذا المجهود أن أضيف صفحه تيره الى صفحات التاريخ العسكري الاسلامى، أستشير بها نفوس العرب و المسلمين، فقد بلغت غايه أمنيته؛ و إلا فإنما الأعمال بالنيات ...

و لله كل الفضل فيما فعلت، و له كل الشكر على ما أنتجت، و ما توفيقى إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب.

ص: ١٣

مقدمه الطبعه الثانيه

لم تسمح ظروف خاصه بانتشار الطبعه الأولى من هذا الكتاب فى البلدان العربيه و الإسلاميه، بل لم تسمح تلك الظروف بانتشاره حتى فى معظم المدن العراقيه نفسها إلا فى نطاق ضيق جدا للقراء و إلا ما وصل منه هدايا لبعض القاده و المفكرين و الصحف فى العراق و فى خارجه.

و ما كنت أتوقع أن يقابل هذا الجهد المتواضع، بمثل ما قوبل به من تشجيع لا أملك أن أقبله الآن بغير الشكر الجزيل، ذلك لأننى أعلم ما تستحقه مثل هذه الدراسه عن رسول الانسانيه صلى الله عليه و سلم من جهد و علم و إيمان لا تيسر فى أمثالى؛ و من أكون حتى أو فى حقّ دراسه حياه الرسول صلى الله عليه و سلم العسكريه، و قد عجز من قبلى عن إيفاء حقها أكابر العلماء و المفكرين!؟

و لكن الله يعلم أننى لم أرد بهذا الكتاب إلا وجهه الكريم، و أن أفضى واجبا كنت و لا أزال أشعر بثقل مسؤوليته الجسميه على كاهلى الضعيف خدمه للرسول القائد عليه أفضل الصلاه و السلام باظهار ناحيه الجهاد فى الاسلام مبسطه فى جهاد النبى العربى العظيم، لهذا وافقت على إعاده طبعه ليتيسر اقتناؤه فى أوسع نطاق من بلاد المسلمين.

و سيجد القراء الكرام، أن الحرب فى الاسلام حرب دفاعيه بكل ما فى الكلمه من معنى، لا يبدأ المسلمون فيها بالإعتداء على أحد، و لا يريدون من ورائها إلا حمايه حريه نشر الدعوه و توطيد أركان السلام فى العالم؛ لأنّ الاسلام جاء للناس كافه لا لأمه من الأمم و لا- لشعب من الشعوب، و لكنه جاء للعالم كله أملا فى تحقيق فكره ساميه، هى فكره وحده الانسانيه جمعا؛ لهذا شجّع

ص: ١٤

الإسلام كل طلب للصلح يعرضه العدو: (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا) (١) ...

وقد يكون هذا العدو غير مخلص في طلبه هذا أو يقصد به كسب الوقت استعدادا لحرب أخرى، أو يكون يريد أن يخدع المسلمين ميّتا الغدر بهم أو إلحاق الأضرار بمصالحهم العليا، ومع كل ذلك يحتم الاسلام النزول عند رغبات العدو السلميه:(وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ، فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ) (٢) ...

ولست أعلم مبدءا ساميا غير الإسلام يجيز الموافقه على إقرار السلام فورا دون قيد أو شرط بمجرد إقدام العدو على طلب إقراره مهما تكن الظروف والأحوال، ولكن السلام في الإسلام ماده و روح فهو لخير البشر على اختلاف أقطارهم و ألوانهم و مللهم و نحلهم، بينما السلام عند أدياء السلام ماده، لذلك فالسلام في غير الاسلام عرقله لتسليح غيرهم و زياده لتسليحهم من جهه، و قتل و سحل و تشريد و تعذيب و فتك بأعدائهم من جهه أخرى.

بل إنّ السلام في الإسلام نور يضيء للناس كافه، و السلام عند أدياء السلام لا يراد منه إلا نار تحرق و تدمر غيرهم من الناس... (يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ مَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَ مَا يَشْعُرُونَ) (٣).

و متى انتشرت فكره السلام الإسلامى فى العالم، ساد السلام الحقيقى و انتشرت فى ربوعه السعاده و الاطمئنان؛ و إلا فسيقى فى حرب بارده تاره و فى حرب داميه تاره أخرى، و ستبقى البشريه فى هلع دائم من ويلات الفتن و الحروب.

لقد كانت خسائر الشعوب فى الحرب العالميه الأولى أقل من عشره ملايين

١- الآيه الكريمه من سوره الأنفال ٨: ٦١.

٢- الآيه الكريمه من سوره الأنفال ٨: ٦٢.

٣- الآيه الكريمه من سوره البقره ٢: ٩.

ص: ١٥

نسمه فضلا عن الخراب و الدمار الذى لحق بالملكات، و لكن خسائر الشعوب فى الحرب العالميه الثانيه بلغت أكثر من ستين مليوناً من القتلى المدنيين و العسكريين كما قتل سبعة عشر مليون طفل بالغازات الجويه و دمر ثلاثون مليوناً من الأبنيه و اثان و عشرون مليوناً من المساكن عدا المآسى المرّوعه التى صاحبت الحرب. فكم ستكون خسائر الإنسانيه فى حرب عالميه ثالثه، و قد أصبحت الأسلحه التى استخدمت فى الحرب العالميه الثانيه قديمه جدا و كأنها لعب أطفال بالنسبه للأسلحه النوويه و الصواريخ عابره القارات ... و نحوها مما سيستخدم إذا نشبت حرب جديده (١)؟

إن الإسلام وحده هو الذى يستطيع نشر السلام فى ربوع العالم و يشيع فيه الثقه و الاطمئنان، أما دعاه السلام الذين هم فى الحقيقه أعداء السلام، فقد عرف الناس ماذا يعنى سلامهم من فتك و تدمير يشمل الأبرياء و غير الأبرياء على حد سواء ... هؤلاء الأدياء يجب أن يتواروا الى الأبد خجلا- من الكرامه الإنسانيه التى عفروها بالتراب و يفتشوا عن أحبوله أخرى لا يعرفها الناس غير الادعاء بأنهم أنصار السلام (٢)!!!

و الله أسأل أن يهدى الإنسانيه الى طريق الإسلام: طريق المحبه و الخير و السلام.

١- يقدر خبراء العسكريين المعتمدين، أن خسائر الحرب النوويه ستكون ثلثي العالم قتلى و مشوهين و عاجزين. أما الثلث الباقي فسيبقى يعانى من آثار الاشعاع الذرى. و سيكون من نتائج الحرب النوويه القضاء على الحضاره العالميه و العوده الى حضارات العهود السحيقه فى التاريخ.

٢- كتبت هذه المقدمه فى عهد قاسم العراق، و نشرت فى ذلك العهد، يوم كانت أعمال أدياء السلام المزيفين مائله للعيان فى الموصل و فى كركوك.

ص: ١٦

مقدمه الطبعه الثالثه

مقدمه الطبعه الثالثه (١)

الحمد لله و الصلاه و السلام على سيد القادات و قائد السادات.

رجل الرجال و بطل الأبطال.

إمام المجاهدين الصادقين.

و قدوه الموحدين الوجدويين.

و على آله و صحبه و قاداته الفاتحين.

ما أعظم حياه النبى الكريم صلوات الله و تسليمه عليه، و ما أكثر ما توحى به من عبر و دروس!

فماذا توحى للعرب فى هذه الأيام(بخاصه) من عبر، و ماذا ترجيه لهم- و هم على ما هم عليه الآن- من دروس؟

حياته الغالبه فى جوهرها، توحيد و جهاد: توحيد الله و توحيد الناس، و جهاد لتوحيد الله و توحيد الناس.

بدأ حياته العمليه بالدعوه سرا منذ نزول الوحي عليه: يدعو الناس الى توحيد الله، و تزكيه نفوسهم و تطهيرها، و يدعوهم الى توحيد الصفوف و نكران مصلحه الفرد فى حدود مصلحه الجماعه.

١- خطاب ألقى بمناسبة المولد النبوى الشريف فى قاعه الشعب ببغداد عام ١٩٦٣، يوم كنت فى الوزاره، و قد شهد الاحتفال رئيس الجمهوريه و أعضاء الحكومه العراقيه.

ص: ١٧

و استمرت دعوته سرا ثلاث سنين، حتى نزل قوله تعالى: (وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) (١)، فأعلن دعوته.

و ابتدأت قريش تظهر خصومتها لدعوته السّـمحه، و أخذت هذه الخصومه تشتد و تعنف، فاستباحوا فى الحرم الآمن دماء و أموال المسلمين، و حرّضوا القبائل على الدعوه و صاحبها، و قاطعوا المسلمين و من يعطف عليهم: لا يبيعونهم و لا يتعاونون منهم شيئا، و لا يزوجونهم أو يتزوجون منهم.

و لكن الرسول صلّى الله عليه و سلم صمد صمود الرواسى: لا يلين و لا يتردد، و لا يخشى أحدا إلا الله، و تحمل التكذيب و التعذيب و الأذى و الجوع و الحرمان، مصرا إصرارا عنيدا على تحقيق أهدافه كامله.

كان يذهب الى الحجيج فى مجامعهم، و يطلب منهم النصرة على مسمع و مرأى من جبابره قريش و أحلافهم.

و تكلمت إحدى محاولاته البطوليّه بالنجاح، و ذلك بانثاق بيعه (العقبه الأولى)، ثم تلتها بيعه (العقبه الثانيه)، فكانت البيعه الأولى أول انتصار عسكري له خارج مكة المكرمه، و كانت البيعه الثانيه انتصارا عسكريا آخر له، و أدى كل ذلك الى انتشار الإسلام فى المدينه المنوره، و أصبح له فيها جنود يعتمد عليهم فى الملمات.

إن حياته المباركه فى مكة المكرمه، كانت مكرّسه للتوحيد من أجل الجهاد.

و أمر النبي صلّى الله عليه و سلم مسلمى مكة و من حولها بالهجره الى المدينه المنوره للانضمام الى إخوانهم هناك، فهاجر المسلمون تباعا تاركين أموالهم و أهليهم،

١- الآيه الكريمة من سوره الشعراء ٢٦: ٢١٤.

ص: ١٨

فكانت هجره الرسول القائد عليه أفضل الصلاه و السلام الى المدينه المنوره معناها: اجتماع القائد بجنوده فى قاعدتهم الأمينه.

و فى دار الهجره، أنجز النبي الكريم صلّى الله عليه و سلم حشد قواته: بنى المسجد و هو الثكنه الأولى للإسلام، و آخى بين المهاجرين و الأنصار حتى يتعاونوا على أسباب العيش و ليكونوا جبهه واحده لتحقيق هدف واحد، و عقد المعاهدات بين المسلمين و خصومهم فى المدينه المنوره ليطمئن الى سلامه جبهته الداخليه، فلما نزلت أول آيه من آيات الجهاد: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتُلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا: رَبُّنَا اللَّهُ) (١)، كان الرسول القائد عليه أفضل الصلاه و السلام قد أكمل حشد جيش يؤمن بعقيده واحده، و له هدف واحد، و قائد واحد، يستند الى قاعده أمنيّه واحده.

و نشب القتال بين المسلمين و بين قريش بعد إنجاز دور الحشد، فبدأ دور الدفاع عن العقيد، و هو من إرسال السرايا الأولى للقتال الى انسحاب (الأحزاب) عن المدينه المنوره بعد غزوه (الخدق)؛ و فى هذا الدور ازداد عدد المسلمين، فصمدوا دفاعا عن عقيدتهم ضد أعدائهم الأقوياء.

و بعد غزوه (الخدق) بدأ دور (الهجوم) و انتهى هذا الدور بعد غزوه (حنين)، و بهذا الدور انتشر المسلمون فى أرجاء الجزيره

العربيه كلها، و أصبحوا قوه ذات مكانه و كيان.

و كان الدور الأخير من أدوار جهاد الرسول القائد عليه أفضل الصلاه و السلام فى سبيل التوحيد، هو دور (التكامل)، و هو من بعد غزوه (حنين) إلى أن التحق النبى صلى الله عليه و سلم بالرفيق الأعلى، فتكاملت قوات المسلمين بهذا الدور،

١- الآيتان الكريمتان من سوره الحج ٢٢: ٣٩- ٤٠.

ص: ١٩

و استطاعت إن توحيد شبه الجزيره العربيه كلها؛ فكانت غزوه (تبوك) نهايه جهاد النبى صلى الله عليه و سلم فى توحيد شبه الجزيره العربيه، تحت رايه الإسلام.

إن حياه النبى الكريم صلى الله عليه و سلم فى المدينه المنوره كانت مكرسه للجهاد من أجل التوحيد.

و كانت حياه خلفائه الراشدين رضى الله عنهم من بعده تطبيقا عمليا لأهداف النبى صلى الله عليه و سلم التى نذر لها حياته الكريمة: جهاد من أجل التوحيد، و توحيد من أجل الجهاد.

كانت حروب الردّه فى أيام الصديق أبى بكر رضى الله عنه حروبا لإعاده وحده شبه الجزيره العربيه تحت لواء الإسلام، و حين عادت وحده العرب بعد انتصار المسلمين على المرتدين أصبحوا قوه هائله، وجدت لها (متنفسا) فى الفتح، فخفقت رايات العرب المسلمين من الصين شرقا الى حدود سيبيريا شمالا، الى فرنسا غربا، الى المحيط الهندى جنوبا.

و كان من فضل الإسلام على العرب، أنه وُحد صفوفهم، و جمع كلمتهم، و وجههم للفتح، فكان الإسلام بحق عقيدته منشئه بناءه زاد عنها حماه قادرون، هم العرب الموحدون الذين أصبحوا بفضل وحدتهم و توحيدهم قوه جباره، و لن يعيدوا سيرتهم الأولى بغير الوحده و التوحيد.

و اليوم فإن الوحده العربيه هدف حتمى، يستمد مقوماته من وحده (اللغه) التى هى قوام الثقافه و الفكر، و وحده (التاريخ) التى تصنع الوجدان و الضمير و وحده (الجهاد) الشعبى الذى يقرر و يحدد المصير، و وحده (القيم) الروحيه النابعه من رسالات السماء! فلمصلحه من تبقى السدود و القيود بين البلاد العربيه؟ ألمصلحه الشعب العربى، و هو شعب واحد فى تفرقه الوهن و فى اتحاده القوه؟ أم لمصلحه المسلمين بكل مكان، و العرب إذا اتحدوا يعيدون لهم سابق عزهم

ص: ٢٠

و مجدهم؟ أم لمصلحه الحضاره العالميه، و هذه الحضاره تحقق كسبا عظيما فى رجوع الحضاره العربيه الى سابق عزها؟

إن حياه رسول التوحيد و الجهاد عليه أفضل الصلاه و السلام هى أسوه حسنه للعرب و المسلمين فى كل مكان و كل زمان.

إنها تناديهم من وراء الغيب عبر القرون: وحدوا صفوفكم وجاهدوا أعداءكم.

صمموا على تحقيق أهدافكم كامله.

ضحوا من أجل مثلكم العليا بكل ما تملكون.

تخطوا العقبات والصعاب من أجل تحقيق وحدتكم وتوحيدكم.

لتكن مصالحكم الشخصية تحت أقدامكم في سبيل المصالح العامه.

أقولها كلمه صريحه حاسمه موجهه لقاده العرب خاصه و لقاده المسلمين عامه.

إن التاريخ لم يخلد غير الذين وحّدوا وجاهدوا: وحدوا الصفوف، و لموا الشعب، و كونوا قوه موحده من قوى متفرقه و جاهدوا

في سبيل مثل عليا لمصلحه أمتهم، و لمصلحه عقيدتهم، فالحياء تافهه إذا خلت من مثل عليا.

و هذه البلاد العرييه متفرقه، فيها ميدان واسع لمن يريد العمل حقا لتوحيدها.

و هذه فلسطين و عمان و المحميات، فيها ميدان واسع لمن يجاهد لإنقاذها.

و هذا التاريخ يفتح أنصع صفحاته لتخليد من يوحد و يجاهد.

إن القائد الذي يقدم على توحيد العرب و جهاد أعدائهم، سيجد القلوب

ص: ٢١

في الوطن العربي تهوى إليه، و سيجد النفوس في دار الإسلام تبارك خطواته، و سيجد الذين يقاومون جهوده يتهاوون تحت

أقدامه كما تتهاوى أوراق الشجر في الخريف.

و أخيرا سيجد أن الضعف أصبح قوه، و أن الفقر أصبح غنى، و أن الجهل أصبح علما، و أن المرض أصبح صحه، و حينذاك

سيكون للعرب قوه لها شأن في العالم كله، تعيد للمسلمين عزهم و مجدهم.

إن النبي العربي صلوات الله عليه و تسليمه عليه يطالبكم اليوم جميعا، أن تجاهدوا من أجل الوحدة، و توحدوا من أجل الجهاد.

و صدق الله العظيم: (وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ، وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) (١).

١- الآية الكريمة من سوره البقره ٢: ١٤٣.

مقدمه الطبعه الرابعه إرادته القتال فى الجهاد الإسلامى ١

أ- بعث النبى صلى الله عليه و سلم من (الحديبيه) عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه إلى مكه المكرمه، ليبلغ أشراف قريش: أن المسلمين لم يأتوا للحرب، و إنما جاءوا زائرين للبيت الحرام و معظمين لحرمة.

و بلغ عثمان أبا سفيان بن حرب و عظماء قريش عن رسول الله صلى الله عليه و سلم ما أرسله به. فقالوا لعثمان حين فرغ من تبليغ رسالته الى قريش: (إن شئت أن تطوف بالبيت فطف)، فقال عثمان: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه و سلم.

و احتبست قريش عثمان عندها، فبلغ رسول الله صلى الله عليه و سلم و المسلمين، أن عثمان ابن عفان قد قتل، فقال الرسول القائد عليه أفضل الصلاه و السلام: (لا نبرح حتى نناجز القوم).

و دعا النبى صلى الله عليه و سلم الناس الى البيعه، فكانت بيعه الرضوان تحت الشجره، و كانت هذه البيعه على الموت.

قال الصحابه الذين شهدوا بيعه الرضوان: (كنا نباع يومئذ على الموت).

ب- و استشهد فى معركه (اليرموك) الحاسمه عكرمه بن أبى جهل و سهل ابن عمرو و الحارث بن هشام، فأتوا بماء و هم صرعى فى النزاع الأخير، و لكنهم تدافعوا، كلما دفع الى رجل منهم قال: اسق فلانا، حتى ماتوا و لم يشربوه! فقد طلب عكرمه الماء، فرأى سهيلاً ينظر إليه، فقال: (ادفعوا الى سهيل).

ص: ٢٣

و رأى سهيل الحارث ينظر إليه، فقال: (ادفعوه الى الحارث)، فلم يصل إليه حتى ماتوا.

ج- و كان خالد بن الوليد رضى الله عنه قائدا عاما على المسلمين فى أرض الشام فقاد المسلمين فى معركه (اليرموك) الفاصله الى النصر، تلك المعركه التى فتحت أبواب فلسطين و الأردن و سوريه و لبنان للمسلمين.

و عزله عمر بن الخطاب رضى الله عنه و هو فى أوج انتصاراته، و لكن خالد لم يأنف بهذا العزل، و قال قولته المشهوره: (لا أقاتل من أجل عمر، بل أقاتل من أجل إعلاء كلمه الله).

د- و شهدت الخنساء الشاعره المشهوره معركه القادسيه الحاسمه، و معها بنوها أربعه رجال، فحرضتهم على القتال.

و باشر أولاد الخنساء القتال، و قتلوا واحدا بعد واحد، فلما علمت باستشهادهم قالت: (الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم، و أرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته).

لم تجزع الخنساء على استشهاد أولادها الأربعه تحت لواء الإسلام، و هى التى جزعت أشد الجزع و أعظمه على أخيها صخر بن عمرو السلمى الذى قتل تحت لواء الجاهليه، و بكته أحر البكاء و أغزره، و لا يزال شعرها فى (صخر) مضرب الأمثال فى العاطفه

المتأججه و صدق الرثاء.

٢ أ- تلك أمثله نابضه بالحياه من تاريخنا المجيد، و هي غيض من فيض ...

و لكنها تعطى الجواب العملى الواضح لمعنى:(إرادته القتال)، كما فهمها و تشرب بها و طبقها السلف الصالح من أجدادنا العرب المسلمين.

ص: ٢٤

فقد رفض عثمان بن عفان رضى الله عنه، أن يطوف بالبيت العتيق وحده دون المسلمين، و هو الذى كان فى شوق غامر لهذا الذى دعتة إليه قريش طائعه مبادره، مما يدل على تشبعه بالضبط المتين، فلا يفعل شيئاً حتى إذا صادف ذلك الشىء هوى فى نفسه، إلا إذا تلقى أوامر قائده صريحه واضحه.

و هو- فوق ذلك- يدل على تشبعه بروح الجماعه و خضوعه لمصالحها العليا، و نبذ مصالحه الذاتيه وراءه ظهرياً.

و تدافع عكرمه و صحبه الماء و هم فى الرمق الأخير، يدل على الإيثار بأروع صورته فى أخرج الظروف و الأحوال.

و موقف الخنساء عند علمها باستشهاد أولادها الأربعة و هى شيخ رهمه يدل على التضحيه بأغلى و أعز شىء فى الحياه من أجل المبدأ و العقيدته.

و قوله خالد بن الوليد بعد عزله، تدل على أنه لم يكن يجاهد فى سبيل أمجاد شخصيه و لا مصالح ذاتيه، بل كان يجاهد فى سبيل إعلاء كلمه الله.

و كل تلك المواقف، تدل بوضوح، على الإصرار الفذ و العزم الأكيد، على التضحيه بكل غال و رخيص، و بكل ما فى الدنيا من متاع، من أجل مجد الإسلام.

ب- فما معنى إرادته القتال إذن؟

هى الرغبه الأكيدته فى الصمود و الثبات فى ميدان القتال من أجل مثل عليا و أهداف ساميه، و إيمان لا يتزعزع بهذه المثل و الأهداف. و ثقته بأنها أحب و أعز و أغلى من كل شىء فى الحياه، و تحمل أعباء الحرب بذلاً للأموال و الأنفس و استهانته بالأضرار و الشدائد و صبراً فى البأساء و الضراء و حين البأس، حتى يتم تحقيق تلك المثل العليا و الأهداف الساميه، مهما طال الأمد و بعد الشوط و كثر العناء و ازدادت المصاعب و تضاعفت التضحيات.

ص: ٢٥

ذلك هو مفهوم:(إرادته القتال فى الجهاد الإسلامى)، و هو مفهوم لا تطمح فى إدراك شأوه مفاهيم: إرادته القتال فى العقيدتين العسكريتين الشرقيه أو الغريبه على حد سواء.

مفهوم: إرادته القتال في الجهاد الإسلامي، ماله و روح، فيه الدعوه الى الخير و السلام، و فيه الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و فيه الإعراض عن الاستغلال و الاستعباد.

و مفهوم: إرادته القتال في الشرق و الغرب ماله فقط. فيه الدعوه الى التسلط و الاستعمار و فيه إشاعه المنكر و الفساد، و فيه حب الحرب و كراهيه السلام.

٣ أ- فكيف غرس الإسلام مفاهيم إرادته القتال في نفوس المسلمين و عقولهم معاً؟

حث الإسلام على (الطاعة). و الطاعة هي الضبط و النظام: (و قالوا:

سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَ إِلَيْكَ الْمَصِيرُ) (١).

و أشاع الإسلام معاني الخلق الكريم، و منه الصبر الجميل: (ثُمَّ جَاهِدُوا وَ صَبِرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) (٢)، و قال تعالى: (اصْبِرُوا وَ صَابِرُوا

١- الآية الكريمة من سورة البقره ٢: ٢٨٥. و قد وردت (طاع) و مشتقاتها في تسع و عشرين و مائه من آيات الذكر الحكيم، أنظر

التفاصيل في المعجم المفهرس ٤٢٦- ٤٣١.

٢- الآية الكريمة من سورة النحل ١٦: ١١٠.

ص: ٢٦

وَ رَابِطُوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ) (١)، و قال تعالى: (وَ الصَّابِرِينَ فِي الْبُؤْسِ وَ الضَّرَّاءِ وَ حِينَ الْبَأْسِ) (٢).

و غرس الإسلام روح الشجاعه و الإقدام: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْأُدْبَارَ. وَ مَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ، وَ مَا وَاهُ جَهَنَّمَ وَ بئْسَ الْمَصِيرُ) (٣).

و التولى يوم الزحف من الكبراء، كما نص على ذلك حديث رسول الله عليه أفضل الصلاه و السلام.

و أمر الإسلام بالثبات في ميدان القتال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِتْنَةً فَاجْتَبُوا) (٤).

و دعا الإسلام الى الجهاد بالأموال و الأنفس لإعلاء كلمه الله: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَزِنُوا وَ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) (٥)، و قال تعالى: (انْفِرُوا خِفَافًا وَ ثِقَالًا، وَ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) (٦).

١- الآية الكريمة من آل عمران ٣: ٢٠٠.

٢- الآية الكريمة من سورة البقره ٣: ١٧٧. و قد وردت (صبر) و مشتقاتها في ثلاث آيات و مائه آيه من آيات الذكر الحكيم،

أنظر التفاصيل في المعجم المفهرس ٣٩٩-٤٠١.

٣- الآيتان الكريمتان من سورة الأنفال ٨: ١٥-١٦.

٤- الآية الكريمة من سورة الأنفال ٨: ٤٥.

٥- الآية الكريمة من سورة الحجرات ٤٩: ٥١.

٦- الآية الكريمة من سورة التوبة ٩: ٤١، أنظر تفسير هذه الآية في (الكشاف) للإمام الزمخشري، لتجد أن المسلمين سبقوا العالم الى مفهوم الحرب الشاملة التي تنص على: (إعداد الأمة بكل طاقاتها المادية و المعنوية للحرب)، و التي زعم المشير لو دندروف بعد الحرب العالمية الأولى في كتابه: (الأمة في الحرب)، بأنه أول من فكر في الحرب الشاملة، بينما أرسى الإسلام أسسها قبل أربعة عشر قرنا.

ص: ٢٧

و بين الإسلام أن المثل العليا لا بد أن تكون لها الأسبقية على كل شىء في الدنيا:

(قُلْ: إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) (١).

و جعل الإسلام مقام الشهداء من أعظم المقامات: (فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ) (٢)، و قال تعالى:

(وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ) (٣)، و قال تعالى: (وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) (٤).

ب- فاذا تذكرنا أن الجهاد في الإسلام، يهدف الى حمايه حريه نشر الدعوه الإسلاميه و الى نشر السلام، و الى الدفاع عن دار الإسلام.

و إذا تذكرنا أن تعاليم القتال في الإسلام، تنص على الوفاء بالعهود، و احترام المواثيق، و الترفع عن الظلم و العدوان، و إقرار السلام.

و إذا تذكرنا أهداف القتال في الاسلام و تعاليمه، علمنا بأن: إرادته القتال، التي تتغلغل في أعماق المسلم الحق، مبنية على أسس سليمة رصينه، لأن هذا المسلم يؤمن إيمانا عميقا بأنه يخوض (حربا عادله)، و هذه الحرب هي (حافز) جديد تجعل من المؤمن مقاتلا رهيبا، كما عبر ذلك العسكريون المحدثون.

١- الآية الكريمة من سورة التوبة ٩: ٢٤.

٢- الآية الكريمة من سورة النساء ٤: ٦٩.

٣- الآية الكريمة من سورة البقره ٢: ١٥٤.

ص: ٢٨

و لكن (إرادته القتال في الجهاد الإسلامي)، تسيطر على المسلم في ميدان القتال أيام الحرب، كما تسيطر عليه في أيام السلام.
و إن الهدف الحيوى من الحرب هو تحطيم الطاقات الماديه و المعنويه للعدو فإذا انتصر عليه في ميدان الحرب، و استطاع أن يحطم طاقاته الماديه، فلا بد من جهود أخرى لتحطيم طاقاته المعنويه، ليكون النصر كاملا يؤدي الى الاستسلام.

و هنا تبدأ الحرب النفسيه، التي تستهدف الطاقات المعنويه بالدرجه الأولى.

و في تاريخ الحروب أمثله لا تعد و لا تحصى، عن انتصارات استطاعت القضاء على الطاقات الماديه، و لكنها لم تستطع القضاء على المعنويه، فكانت انتصارات ناقصه استمرت فتره من الزمن ثم أصبح المهزوم منتصرا و أصبح لمنتصر مهزوما.

فكيف يصول الاسلام الحرب النفسيه، ليصون معنويات المسلمين من الانهيار؟

كيف يحافظ الإسلام على إرادته القتال، في أيام السلام؟

لعل أهم أهداف الحرب النفسيه هي التخويف من الموت و الفقر و من القوه الضاربه للمنتصر، و مجاوله جعل النصر حاسما و الدعوه الى الاستسلام، و بث الاشاعات و الأراجيف، و إشاعه الاستعمار الفكرى بالغزو الحضارى، و إشاعه اليأس و القنوط.

المؤمن حقا لا يخشى الموت: (إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَ لَا

ص: ٢٩

يَسْتَقْدِمُونَ) (١). و قال تعالى: (فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَ لَا يَسْتَقْدِمُونَ) (٢)، و قال تعالى: (وَ مَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) (٣)، و قال تعالى: (أَيُّنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ) (٤)، و قال تعالى: (قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ) (٥).

إن المؤمن حقا يعتقد اعتقادا راسخا، بأن الآجال بيد الله سبحانه و تعالى، و ما أصدق قوله خالد بن الوليد رضى الله عنه: (ما فى جسمى شبر إلا و فيه طعنه رمح أو سيف، و ها أنا أموت على فراشى كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء).

و المؤمن حقا لا يخاف الفقر، لأنه يعتقد اعتقادا راسخا، بأن الأرزاق بيد الله سبحانه و تعالى: (وَ اللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (٦)، و قال تعالى:

(وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) (٧)، و قال تعالى:

(فَأَوَّاكُمْ وَ أَيَّدَكُمْ بِنَضْرِهِ وَ زَقَّكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (٨).

و المؤمن حقا لا يخشى قوات العدو الضاربه، فما انتصر المسلمون فى أيام الرسول القائد عليه أفضل الصلاه و السلام و فى أيام الفتح الإسلامى العظيم، لعدد أو عدد، بل كان انتصارهم انتصار عقيدته لامراء. قال تعالى: (قَالَ الَّذِينَ

١- الآيه الكريمه من سوره يونس ١٠: ٤٩.

٢- الآيه الكريمه من سوره الأعراف ٧: ٣٤، و من سوره النحل ١٦: ٦١.

٣- الآيه الكريمه من سوره آل عمران ٣: ١٤٥.

٤- الآيه الكريمه من سوره النساء ٤: ٧٨.

٥- الآيه الكريمه من سوره آل عمران ٣: ١٥٤.

٦- الآيه الكريمه من سوره البقره ٢: ٢١٢.

٧- الآيه الكريمه من سوره الطلاق ١٥: ٢٠.

٨- الآيه الكريمه من سوره الأنفال ٨: ٢٦.

ص: ٣٠

يُظَنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَهُ كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ، وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (١)، و قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ، إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ) (٢).

و المؤمن حقا لا يقر بانتصار أحد عليه ما دام فى حمايه عقيدته، لذلك فهو يعرف أن الانتصار فى معركة قد يدوم ساعه و لكنه لا يدوم الى قيام الساعه:

(إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ، وَ تِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ) (٣).

و المؤمن حقا لا يستسلم بعد هزيمته، لأنه يعلم بأن بعد العسر يسرا: (وَ لِلَّهِ الْعِزَّةُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَ لَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ) (٤)، و قال تعالى: (وَ لَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (٥).

و المؤمن حقا لا- يصدق الإشاعات و الأراجيف: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا) (٦)، و قال تعالى: (لَكِنَّ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ) (٧)، و قال تعالى: (وَ إِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ، لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) (٨).

١- الآيه الكريمه من سوره البقره ٢: ٢٤٩.

٢- الآيه الكريمه من سوره الأنفال ٨: ٦٥.

٣- الآيه الكريمه من سوره آل عمران ٣: ١٤٠.

٤- الآيه الكريمه من سوره المنافقين ٦٣: ٨٠.

٥- الآيه الكريمة من سوره يونس ١٠: ٦٥.

٦- الآيه الكريمة من سوره الحجرات ٤٩: ٦٠.

٧- الآيه الكريمة من سوره الأحزاب ٣٢: ٦٠.

٨- الآيه الكريمة من سوره النساء ٤: ٨٣.

ص: ٣١

و المؤمن حقا يقاوم الاستعمار الفكرى و يصول الغزو الحضارى لأن له من مقومات دينه و تراث حضارته، ما يصونه من تيارات المبادئ الوافده التى تذيب شخصيته و تمحو آثاره من الوجود.

و المؤمن حقا لا- يقنط أبدا و لا ييأس من نصر الله و رحمته:(لا تَقْنُطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا) (١)، و قال تعالى:(وَمَنْ يَقْنُطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ) (٢)، و قال تعالى:(وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيْئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنُطُونَ) (٣)، و قال تعالى:(وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيُوسِسْ قَنُوطًا) (٤).

٥ و لكن القول بأن الحوافر الروحيه وحدها هى التى توجج إرادته القتال فى المؤمن الحق، لا يغنى عن كل قول.

و الواقع أن فى الاسلام حوافر(ماديه) لا- تقل أهميه عن الحوافر(الروحيه) تعمل جنبا لجنب لترصين اراده القتال، فى نفوس المسلمين و عقولهم معا.

و من أهم الحوافر الماديه: عدم الاستهان بالعدو أولا، و الإعداد الحربى تدريبا و تسليحا و تنظيميا و تجهيزا و قياده ثانيا.

لقد استهان المسلمون بعدوهم يوم(حنين). فغلبوا على أمرهم فى الصفحه الأولى من صفحات ذلك اليوم العصيب:(وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ، فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا، وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ) (٥).

١- الآيه الكريمة من سوره الزمر ٣٩: ٥٣.

٢- الآيه الكريمة من سوره الحجر ٤٥: ٥٦.

٣- الآيه الكريمة من سوره الروم ٣٠: ٣٦.

٤- الآيه الكريمة من سوره فصلت ٤١: ٤٩.

٥- الآيه الكريمة من سوره التوبه ٩: ٢٥.

ص: ٣٢

و الحذر و اليقظه من مظاهر عدم الاستهان بالعدو:(وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) (١)، و قال تعالى:(يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعِيدُ فَاخْذِرْهُمْ) (٢)، و قال تعالى:(وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ وَاخْذَرُوا) (٣)، و قال تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ) (٤)، و قال تعالى:(فَلْيَصَلُّوا مَعَكُمْ وَليَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَ أَسْلِحَتْهُمْ) (٥).

إن الاستهانه بالعدو، تؤدي حتما الى الاندحار، و ما أصدق المثل العربي القائل: (إذا كان عدوك نملة، فلا تنم له).

و الإعداد الحربى إعدادا متكاملًا يرفع المعنويات و يقوى الثقه بالنفس و يلهب مزيه إرادته القتال، قال تعالى: (وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسِيَّطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ مِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُزْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَ عِدُوَّكُمْ، وَ آخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَ أَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) (٤٤)، و قال تعالى: (وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَ مَنَافِعٌ لِلنَّاسِ) (٧).

تلك هى معالم: (إرادته القتال فى الجهاد الإسلامى)، و تلك هى الحوافز الماديه و المعنويه التى جاء بها الاسلام، ليجعل من الأمه المسلمه التى تعمل بتعاليمه أمه لا تقهر أبدا.

١- الآيه الكريمة من سوره التوبه ٩: ٥٣.

٢- الآيه الكريمة من سوره المنافقين ٦٣.

٣- الآيه الكريمة من سوره المائده ٥: ٩٢.

٤- الآيه الكريمة من سوره النساء ٤: ٧١.

٥- الآيه الكريمة من سوره النساء ٤: ١٠٢.

٦- الآيه الكريمة من سوره الأنفال ٨: ٦٠.

٧- الآيه الكريمة من سوره الحديد ٥٧.

ص: ٣٣

ذلك لأن الاسلام بتعاليمه السمحه الرضيه، جعل من المسلم الحق مطيعا لا يعصى، صابرا لا يتخاذل، شجاعا لا يجبن، مقداما لا يتردد، مقبلا لا يفر، صامدا لا يتزعزع، مجاهدا لا يتخلف، مؤمنا بمثل عليا، مضحيا من أجلها بالمال و الروح، يخوض حربا عادله لإحقاق الحق و إزهاق الباطل.

لا يخاف الموت، و لا يخشى الفقر، و لا يهاب قوه فى الأرض، يسالم و لا يستسلم، و لا تضعف عزيمته الأراجيف و الإشاعات، لا يستكين للاستعمار الفكرى، و يقاوم الغزو الحضارى، و لا يقنط أبدا و لا ييأس من رحمه الله.

هذا المسلم الحق يقظ أشد ما تكون اليقظه، حذر أعظم ما يكون الحذر، يتأهب لعدوه و يعد العده للقائه، و لا يستهين به فى السلم أو الحرب.

فلا عجب أن يكون هذا المسلم الحق، متحليا بمزيه: إرادته القتال، بل العجب كل العجب فى ألا يكون.

و هذا ما يفسر لنا سر الفتح الإسلامى العظيم الذى امتد خلال ثمانين عاما (١) من الصين شرقا الى فرنسا غربا، و من سيبيريا شمالا الى المحيط جنوبا.

ذلك لأن شعار المسلمين كان: (قُلْ: هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ) (٢)، النصر أو الشهاده.

ولأن المسلمين كانوا يحرصون على الموت حرص غيرهم على الحياة: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ، فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا

١- من عام أحد عشر للهجرة الى عام اثنين و تسعين للهجرة.

٢- الآية الكريمة من سورة التوبة ٩: ٥٢.

ص: ٣٤

اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ. فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مَنِ اللَّهُ وَ فَضْلٍ، لَمْ يَمَسُّهُمْ سُوءٌ، وَ اتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ، وَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ) (١).

و أشهد أنني لم أقرأ، حتى فى كتب التعبيه (٢) و سوق الجيش الفنيه (٣) الصادره فى النصف الثانى من القرن العشرين، أوضح تعبيراً و أدق تعريفاً و أكثر شمولاً و أوجز عباره، مما جاء فى القرآن الكريم فى هذه الآية الكريمة تعريفاً لإرادته القتال.

بل لا يقتصر معناها على إرادته القتال وحدها، بل يشمل تعريف: المعنويات العاليه أيضاً.

تلك هى عظمه القرآن الكريم، حتى المجالات العسكريه، و لكن يا ليت قومى يعلمون.

٦ و السؤال الذى يتردد اليوم هو: ألسنا مسلمين؟ و إذا كنا مسلمين، فلماذا لا ينصرنا الله على أعدائنا؟

و الجواب على هذا السؤال، يورده القرآن الكريم بصراحه و وضوح.

قال تعالى: كَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ

(٤)، فهل نحن مؤمنون حقاً؟

و قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، إِنَّ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَ يُبَيِّتْ أَعْدَاءَكُمْ) (٥)، فهل نصرنا الله حقاً حتى ينصرنا و يثبت أقدامنا؟

١- الآية الكريمة من سورة آل عمران ٣: ١٧٣.

٢- التعبيه: التاكتيك.

٣- الشوق الاستراتيجى.

٤- الآية الكريمة من سورة الروم ٣٠: ٤٧.

٥- الآية الكريمة من سورة محمد ٤٧: ٧٠.

ص: ٣٥

و قال تعالى: (وَ لِيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ، إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ. الَّذِينَ إِِنْ مَكَنَّاهُمْ فِي الْمَأْرُضِ أَفَامُوا الصَّلَاةَ وَ آتَوْا الزَّكَاةَ وَ أَمَرُوا

بِالْمَعْرُوفِ، وَ نَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَ لِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (١) فهل أقمنا الصلاه و آتينا الزكاه حقا و أمرنا بالمعروف و نهينا عن المنكر حقا؟

و قال تعالى: (انْفِرُوا خِفَافًا وَ ثِقَالًا، وَ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) (٢)، فهل نفرنا خفافا و ثقالا، و هل جاهدنا بأموالنا و أنفسنا في سبيل الله؟

و لكن، ما مصير الذين لا ينفرون؟ قال تعالى: (إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) (٣).

كيف ينصرنا الله، و نحن لا نطبق تعاليمه، و هل ورد في القرآن ما يشير الى أن الله ينصر المسلمين الذين يتقبلون الاسلام بدون تكاليفه في الجهاد و العمل الصالح؟

إن هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله: العوده الى الاسلام و حينذاك سيقول يهود، كما قالوا من قبل: (إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ) (٤). و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

و الحمد لله كثيرا، و صلى الله على سيدى و مولاي رسول الله، و على آله و أصحابه أجمعين.

محمود شيت خطاب

١- الآيتان الكريمتان من سورة الحج ٩: ٤١.

٢- الآيه الكريمة من سورة التوبه ٩: ٤١.

٣- الآيه الكريمة من سورة التوبه ٩: ٣٩.

٤- الآيه الكريمة من سورة المائده ٥: ٢٢.

ص: ٣٦

ص: ٣٧

الحرب العادله

إشارة

الحرب العادله (١)

(وَ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ) (٢).

(القرآن الكريم)

١- معنى الحرب: يقصد بالحرب كل كفاح يقوم بين القوات المسلحة لدولتين أو أكثر إذا توفرت لدى إحداها أو لديها جميعاً إرادته إنهاء ما يقوم بينها من علاقات سلمية. والحرب إما عادله أو غير عادله. أ- الحرب العادلة: الحرب العادلة: هي التي توجه ضد شعب ارتكب ظلماً نحو شعب آخر ولم يشأ رفعه، ويشترط فيها أن تكون مطابقه للقواعد الإنسانية، وتكون لغرض تحقيق سلم دائم، كما يشترط فيها وجوب احترام حياه و أملاك الأبرياء و حسن معامله الأسرى و الرهائن. ب- الحرب غير العادلة: هي التي لم يكن لها سبب عادل يبررها، كأن تدخل دوله فى حرب لتغتصب بعض إقليم دوله أخرى أو لتخضعها لحكمها.

٢- الآية الكريمة من سورة البقره ٢: ١٩٠.

ص: ٣٨

ص: ٣٩

القتال فى الاسلام

معنى القتال فى الإسلام

هو قتال العدو، لتأمين حريه نشر الدعوه و توطيد أركان السلام، مع مراعاة حرب الفروسية الشريفة فى القتال (١).

متى شرع القتال فى الإسلام

لم يؤذن للمسلمين فى القتال قبل الهجره من مكة المكرمة الى المدينة المنوره رغم ما ذاقوا من المر و كابدوا من فنون الأسي و الضر، فلم يكن من همهم إلا أن ينشروا(دعوه)، و يثبتوا(عقيده) و يقولوا فى حراره و صدق: ربنا الله ... فلما اشتد عداء قريش و صمموا على القضاء على الدعوه الاسلاميه، و أجمعوا أمرهم على قتل النبي صلى الله عليه و سلم، هاجر هو و أصحابه الى المدينة المنوره.

فهل وقف البغى، و خفت حدّه العدوان؟ كلا، ظلت قريش تحارب المسلمين، و تخرجهم من ديارهم و أموالهم حتى أذن الله للمسلمين فى القتال فنزلت فيه أول آيه:(أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا: رَبُّنَا اللَّهُ) (٢).

١- حرب الفروسية: كفاح شرف لا يجوز أن يلجأ المحاربون فيه الى عمل أو إجراء يتنافى مع الشرف. فالشرف العسكرى يستلزم احترام العهد المقطوع و يحرم استعمال السلاح الذى لا- يتفق استعماله مع الشرف، أو القيام بعمل من أعمال الخيانه. و يجب مواساة الجرحى و المرضى و العناية بهم و عدم الإجهاز عليهم و عدم التعرض لغير المقاتلين و للآمنين من السكان.

٢- الآيتان الكريمتان من سورة الحج ٢٢: ٣٩- ٤٠.

ص: ٤٠

لقد خرج الرسول صلى الله عليه و سلم غازيا فى صفر على رأس اثنى عشر شهرا من مقدمه الى المدينة المنوره، و بذلك بدأ

القتال (فعلا) فى الإسلام.

أهداف القتال فى الإسلام

١- حمايه حريه نشر الدعوه:

ليس من أهداف الحرب فى الإسلام (نشر) الدعوه، بل (حمايه حريه) نشرها، لأن نشر الإسلام بالقوه معناه الإكراه، والله تعالى يقول: (لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ، قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) (١). و لو كان الفضل فى انتشار الإسلام لسيوف أهله و رماحهم، لزال سلطانه من القلوب بزوال سلطان دولته حين ضعف أهله و غلبوا على أمرهم.

و لكنّ هدف الحرب فى الإسلام هو حمايه العقيدة و تأمين حريه انتشارها بين الناس، و صدّ الاعتداء الخارجى على بلاد المسلمين: (وَ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ، وَ لَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) (٢).

إن الحرب فى الإسلام حرب دفاعيه، لا يبدأ المسلمون فيها بالاعتداء على أحد، و لا يقاتلون إلا مكرهين على القتال، و يعتبرون الحرب كفاح شرف لا يجوز أن يلجأ المحاربون فيها الى عمل أو إجراء يتنافى مع الشرف، فهم مقيدون باحترام العهد، و الترفع عن الخيانه، و مواساه الجرحى و المرضى و الأسرى و العنايه بهم، و عدم التعرّض بسوء لغير المقاتلين و النساء و الأطفال

١- الآيه الكريمه من سوره البقره ٢: ٢٥٦.

٢- الآيه الكريمه من سوره البقره ٢: ١٩٠.

ص: ٤١

و الشيوخ و الرهبان و العبيد و الفلاحين ... الخ (١).

٢- توطيد أركان السلام:

تكون الأممه بغير جيش قوى عرضه للضياع، إذ يطمع فيها أعداؤها و لا- يهابون قوتها، فاذا كان لها جيش قوى احترم العدو إرادتها، فلا تحدّثه نفسه باعتداء عليها، فيسود عند ذاك السلام: (و أعدوا لهم ما استطعتم من قوه و من رباط الخيل، ترهبون به عدو الله و عدوكم و آخرين من دونهم لا- تعلمونهم الله يعلمهم، و ما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوفّ إليكم و أنتم لا تظلمون

١- لقد أخذ الإسلام بمبدأ التبادل و طبقه تطبيقا كاملا معطيا بذلك أحسن المثل للدول الحديثه. قال تعالى: (الشهر الحرام بالشهر الحرام، و الحرمات قصاص، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم و اتقوا الله و اعلموا أن الله مع المتقين). يقول الإمام محمد عبده فى تفسير المنار ٢/ ٢٥٨: (صرّح بالاعتداء على المعتدى مع مراعاة المماثله، و قد استدل الإمام الشافعى بالآيه على وجوب قتل القاتل بمثل ما قتل به ... و القصد أن يكون الجزاء على قدر الاعتداء بلا حيف و لا ظلم، و

لذلك قال تعالى بعد شرع القصاص و المماثلة: (و اتقوا الله) فلا تعتدوا على أحد و لا تبغوا و لا تظلموا فى القصاص، بأن تزيدوا فى الإيذاء، و أكد الأمر بالتقوى بما بين من مزيتها و فائدتها فقال: (و اعلموا أن الله مع المتقين) بالمعونه و التأيد، فإن المتقى هو صاحب الحق و بقاءه هو الاصلح و العاقبه له فى كل ما ينازعه به الباطل). و يقول الدكتور عبد الفتاح حسن فى مجله المكتب الفنى لمجلس الدوله الصادره سنه ١٩٦٠ ص ٢٧٩: (و أزيد على هذا ما هو أولى بالمقام و هو المماثله فى قتال الأعداء، كقتل المجرمين بلا ضعف و لا تقصير، فالمقاتل والمدافع و القذائف الناريه أو الغازيه السامه، يجب أن يقاتل بها، و هذه الشروط و الآداب لا توجد إلا فى الاسلام).

ص: ٤٢

و إن جنحوا (للسلم) فاجنح لها) ...: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً) (١).

إن السلام فى الاسلام (دين)، أما عند غيرهم؟! ...

إنّ الإسلام كما تدل عليه تسميته دين أمن و سلام، يقوم على أساس الود و التسامح، لا يجيز الحرب إلا فى حالات محدوده بحيث تعتبر فيما عداها جريمه.

١- الآيه الأولى من سوره الأنفال ٨: ٦٠ و الآيه الثانيه من سوره البقره ٢: ٢٠٨. انظر الدكتور مصطفى السباعى: نظام السلم و الحرب فى الاسلام ص ٧-٨: أول ما يلاحظ فى الاسلام اشتقاق اسمه من ماده (السلام): و الاسلام و السلام من ماده واحده، و ليس الاسلام إلا خضوع القلب و الروح و الجسم لنظام الحق و الخير ... و من أسماء الله فى القرآن (السلام): (هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس (السلام) المؤمن المهيمن ...). و تحيه المسلمين حين يلقى بعضهم بعضاً: (السلام عليكم و رحمه الله)، و هى تحيه المسلم لنبيه فى الصلاه: (السلام عليك ايها النبى و رحمه الله و بركاته) و تحيه المسلم لإخوانه فى عالم الخير و الحق فى الصلاه ايضاً: (السلام علينا و على عباد الله الصالحين)، و شعار المسلم حين ينتهى من صلاته عن يمينه و يساره: (السلام عليكم و رحمه الله)، و من الذكر الوارد بعد الصلاه: (اللهم أنت السلام و منك السلام). و أحد ابواب المسجد الحرام فى مكه و أحد ابواب المسجد النبوى فى المدينه يسمى: (باب السلام)، و الجنه و هى مثوى الطائعين فى الحياه الآخره تسمى: (دار السلام): (لهم دار السلام عند ربهم و هو وليهم بما كانوا يعملون)، و تحيه المؤمنين فى الآخره يوم لقاءهم لله هى السلام: (تحيتهم يوم يلقونه سلام). و من تتبع آيات القرآن، وجد ان لفظ (السلم) و ما اشتق منه ورد فيما يزيد على (١٣٣) آيه، بينما لم يرد لفظ (الحرب) فى القرآن كله إلا فى ست آيات فقط، و نستطيع ان نؤكد ان فكره (السلام) تحتل المقام الرئيسى بين اهداف الاسلام العامه، بل يصرح القرآن بأن الثمره المرجوه من اتباع الاسلام هى الاهتداء الى طرق (السلام) و النور: (قد جاءكم من الله نور و كتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبيل (السلام) و يخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه و يهديهم الى صراط مستقيم). أقول: هذا هو (السلام) فى الاسلام، فأين منه سلام العملاء أدياء السلام؟! ...

ص: ٤٣

١- قتال المسلمين للمسلمين:

هذا النوع من القتال، هو شأن من الشؤون الداخليه للمسلمين، فقد فرض القرآن الكريم حاله بغى و خروج على النظام العام تقع بين طوائف المسلمين بعضها مع بعض، أو بين الرعيه و راعيها، فوضع لها تشريعا من شأنه أن يحفظ على الأمه وحدتها و على الهيئه الحاكمه سلطانها و هيبتها، و يقى المجموع شرّ البغى و التعادى: (وَ إِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا، فَإِنْ بَغَتْ إِحِدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ، فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَ أَقْسَطُوا، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ). إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١).

هاتان الآيتان الكريمتان تفرضان حاله اختلاف يقع بين طائفتين من المؤمنين، و لا يستطيع حله بالوسائل السلميه، فتلجأ كل منهما الى القوه، فتوجب هاتان الآيتان على الأمه ممثله فى حكومتها أن تنظر فيما بين الطائفتين من أسباب الشقاق، و تحاول الإصلاح بينهما؛ فان وصلت الى ذلك عن طريق المفاوضات و أخذ كل ذى حق حقه، ورد البغى و استقر الأمن، فقد كفى الله المؤمنين شرّ القتال؛ و إن بغت إحداهما على الأخرى، و استمرت على العدوان، و أبت أن تخضع للحق و تنزل على حكم المؤمنين، كانت بذلك باغيه خارجه على سلطه القانون متمرده على التشريع الإلهى و النظام؛ فيجب على جماعه المسلمين قتالها، حتى تخضع و ترجع إلى الحق.

إن القصد من هذا التشريع، هو المحافظه على وحده الأمه، و عدم إفساح المجال لتفرقتها، لذلك فهذه الحرب طريق (للسلم) و قضاء على البغى و العدوان.

١- الآيتان الكريمتان من سوره الحجرات ٤٩: ٩- ١٠.

ص: ٤٤

٢- قتال المسلمين لغير المسلمين:

شرع قتال المسلمين لغير المسلمين لرد العدوان على بلاد المسلمين و حمايه الدعوه، و حمايه حريه انتشار الدين، و القرآن الكريم حينما شرع القتال نأى به عن جوانب الطمع و الاستثثار و إذلال الضعفاء، و توخى به أن يكون طريقا الى السلام و الاطمئنان و تركيز الحياه على موازين العدل و الإنصاف.

و ليست الجزيه عوضا ماليا عن دم أو عقيدته، و إنما هى لحمايه المغلوبين فى أموالهم و عقائدهم و أعراضهم و كرامتهم و تمكينهم من التمتع بحقوق الرعايه مع المسلمين سواء بسواء ... يدل على ذلك أن جميع المعاهدات التى تمت بين المسلمين و بين المغلوبين من سكان البلاد، كانت تنصّ على هذه الحمايه فى العقائد و الأموال. و قد جاء فى عهد خالد بن الوليد لصاحب (قسّ الناطف):

(إنى عاهدتكم على الجزيه و المنعه ... فإن منعناكم فلنا الجزيه، و إلا فلا حتى نمنعكم) (١).

لقد ردّ خالد بن الوليد على أهل (حمص) و أبو عبيده على أهل (دمشق)، و بقيه القواد المسلمين على أهل المدن الشاميه المفتوحه ما أخذوه منهم من الجزيه حين اضطر المسلمون الى مغادرتها في ظروف حربه صعبه، و كان مما قال القواد المسلمون لأهل تلك المدن: (إنا كنا قد أخذنا منكم الجزيه على المنعه و الحمايه، و نحن الآن عاجزون عن حمايتكم، فهذه هي أموالكم نردها إليكم).

لقد كان فرض الجزيه في الاسلام أبعد ما يكون عن الاستغلال و الطمع في أموال المغلوبين، إذ كانت تفرض بمقادير قليله على المحاربين و القادرين على العمل فحسب، و كانت على ثلاثه أقسام: أعلاها و هو (٤٨) درهما في السنه على

١- أنظر ايضا نص ما جاء عن الجزيه في وثيقه خالد بن الوليد التي صالح بموجبها أهل الحيره في الخراج لأبي يوسف ١٤٦، و الأم للإمام الشافعي ٩٧/٤ - ٩٨. و انظر التفاصيل عن الجزيه في خاتمه هذا الكتاب.

ص: ٤٥

الأغنياء (حوالي دينارين و نصف دينار عراقي أو عشرين ليره سوريه أو لبنانيه أو ٢٤٠ قرشا مصرياً).

و أوسطها و هو (٢٤) درهما في السنه على المتوسطين من تجار و زراع.

و أدناها و هو (١٢) درهما في السنه على العمال المحترفين الذين يجدون عملاً.

و هذا مبلغ لا يكاد يذكر بجانب ما يدفعه المسلم نفسه من زكاه ماله و هو بنسبه اثنين و نصف في المائه القدر الشرعي لفريضة الزكاه.

إن إسقاط الجزيه عن الفقير و الصبي و المرأه و الراهب و المنقطع للعباده و الأعمى و المقعد و ذوى العاهات أكبر دليل على أن الجزيه يراعى فيها قدره المكلفين على دفعها، كما أن تقسيمها الى ثلاث فئات دليل على مراعاة رفع الحرج و المشقه في تحصيلها، و قد جاء في عهد خالد لصاحب (قس الناطف):

(إني عاهدتكم على الجزيه و المنعه على كل ذى يد: القوى على قدر قوته، و المقل على قدر إقلاله).

ليس ذلك فحسب، بل أعفى الإسلام دافع الجزيه من خدمه في الجيش.

و الذمى الذى يقبل التطوع في الجيش الإسلامى تسقط عنه الجزيه، و هذا معناه أن الجزيه تشابه البدل النقدي للخدمه العسكريه في عصرنا الحاضر.

كما ضمن الإسلام إعاله البائسين و المحتاجين من الذميين. جاء بعهد خالد بن الوليد لأهل الحيره: (و أيما شخص ضعف عن العمل أو أصابته آفه من الآفات أو كان غنيا فافتقر و صار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحت جزيته و أعيل من بيت مال المسلمين و عياله).

إن فرض الجزية لا يحمل معنى الامتهان و الإذلال، و معنى (صاغرون) فى آيه الجزية: (حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) (١)، هو الخضوع، إذ من معانى الصغار فى اللغة الخضوع، و منه أطلق (الصغير) على الطفل لأنه

١- الآيه الكريمة من سوره التوبه ٩: ٢٩.

ص: ٤٦

يخضع لأبويه و لمن هو أكبر منه؛ و المراد بالخضوع حينئذ الخضوع لسلطان الدوله، بحيث يكون فى دفع الجزية معنى الالتزام من قبل أهل الذمه بالولاء للدوله، كما تلتزم الدوله لقاء ذلك بحمايتهم و رعايتهم و احترام عقائدهم.

و لا توجد آيه فى القرآن الكريم تدل أو تشير الى أن القتال فى الإسلام لحمل الناس على اعتناقه.

و قد نصّ القرآن الكريم بوضوح على طريقه معامله المسلمين لغير المسلمين:

(لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَ لَمْ يُخْرِجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَ تُقْسِمُوا لَهُمْ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِمِينَ. إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَ أَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَ ظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ، وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (١).

و اقرأ الآيه الكريمة، و هى من أواخر القرآن نزولاً، فهى تحدّد أيضا علاقه المسلمين بغيرهم: (اليَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ، وَ طَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ، وَ طَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ، وَ الْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَ الْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصَنِينَ غَيْرِ مُسَافِحِينَ وَ لَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ، وَ مَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَ هُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (٢).

من ذلك يفهم أن علاقه المسلمين بغير المسلمين هى: برّ، و قسط (٣)، و تعاون، و مصاهره.

١- الآيتان الكريمتان من سوره الممتحنه ٦٠: ٨-٩.

٢- الآيه الكريمة من سوره المائده ٥.

٣- القسط: العدل.

ص: ٤٧

تنظيم القتال فى الإسلام

١- تقويه المعنويات:

يعمل الاسلام على تقويه معنويات المقاتلين فى سبيل الله، فيعدهم بمضاعفه أجر العاملين و ثواب المجاهدين، لأنهم يقاتلون فى

سبيل إنقاذ الضعفاء و البر بالإنسان و مقاومه الجبروت و الطغيان، و لدحض عوامل الشر و الإفساد:

(فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ، وَ مَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلْ أَوْ يُغْلَبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا. وَ مَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ الْمَشْتَصِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَ النِّسَاءِ وَ الْوَالِدَانَ الَّذِينَ يَقُولُونَ: رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا، وَ اجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَ اجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا. الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَ الَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ، فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ، إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا) (١).

و استأصل الاسلام جميع النواحي التي ينبعث من قلبها الجبن و الخور، و حثّ المؤمنين على الجهاد فى سبيل الله و الحق، فى سبيل الخير و السعاده، فلا الآباء و لا الأبناء و لا الإخوان و لا الأزواج و لا العشيره و لا الأموال و لا التجاره التى يخشى كسادها و لا المساكن، لا شىء من ذلك كله يصح أن يحول بين المؤمنين و بين ما تقتضيه محبه الله و رسوله من تضحيه و جهاد: (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَ أبنَاؤُكُمْ وَ إِخْوَانُكُمْ وَ أَزْوَاجُكُمْ وَ عَشِيرَتُكُمْ وَ أَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَ تِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَ مَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا، أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَ رِسُولِهِ وَ جِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ، فَتَرْبِضُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ، وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) (٢).

١- الآيات الكريمات من سوره النساء ٤: ٧٤-٧٦.

٢- الآيه الكريمة من سوره التوبه ٩: ٢٤.

ص: ٤٨

بمثل هذا الأسلوب القوى، حارب الاسلام عوامل الضعف و نزعات الخوف، و غرس فى نفوس الأمه خلق الشجاعه و التضحيه و الاستهانته بزخرف الحياه فى سبيل الحق و نصرته: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رِسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَزْتَابُوا، وَ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) (١).

لقد توخى الاسلام تقويه الروح المعنويه، و قد كانت المعنويات العاليه و لا تزال، من أهم مزايا الجيوش ذات القيمه العسكريه الرفيعه، كما أنها من أهم مبادئ الحرب.

٢- إعداد القوه الماديه:

حثّ الإسلام على الاهتمام بناحيتين: القوه و الرباط.

فأما القوه فتتناول العدد و العده، و هذا يتسع لكل ما عرف و يعرف من حشد الرجال و إعداد آلات الحرب و وسائل القتال و مواد التموين و القضايا الإداريه الأخرى.

و أما الرباط فيتسع لكل ما عرف أيضا من تحصين الحدود و الثغور و الأماكن الواهنه تجاه العدو، و تهيئه القوه الكامله فيها لحمايتها.

يهدف الاسلام بالحثّ على إعداد هاتين الناحيتين الى تأمين السلم و الاستقرار، و ذلك لإرهاب العدو، حتى لا تحدّثه نفسه

باستغلال ناحيه من نواحى الضعف و التخاذل:(وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأُمَّتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَهُ وَاحِدَةً) (٢).

كما يحث الإسلام على إنشاء المعامل الحربيه لصنع الأسلحه، و يذكر بالحديد بصوره خاصه للاستفاده منه للأغراض العسكريه:
(وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ

١- الآية الكريمة من سوره الحجرات ٤٩: ١٥.

٢- الآية الكريمة من سوره النساء ٤: ١٠٢.

ص: ٤٩

فيه(بَأْسٌ) شَدِيدٌ وَ مَنَافِعٌ لِلنَّاسِ، وَ لِيُعَلِّمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَ رُسُلَهُ بِالْغَيْبِ، إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) (١).

إن الجهاد فى الاسلام إنما يتوخى الاستعداد الدائم للمنافحه عن الحق و حمايته، و لتكون لدى المسلمين قوه ضاربه يحسب لها ألف حساب قبل أن يقدم على الاضرار بمصالح المسلمين العليا.

٣- التنظيم العملى للقتال:

أ- الإعفاء من الجنديه:

أسباب الإعفاء من الجنديه فى الاسلام محصوره فى الضعف، و يشمل الضعف:

المرض و العجز و الشيخوخه و عدم القدره على الإنفاق:(لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَ لَا عَلَى الْمُرْضَى وَ لَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَ رَسُولِهِ) (٢).

لم يجعل الاسلام من أسباب الإعفاء من الجنديه حمل الشهادات العلميه، و لا الانتساب الى الجامعات، و لا حفظ القرآن الكريم، و لا دفع البدل النقدي، و لا النبوه لحاكم كبير مما عهدناه فى عصور الانحلال، بل كان العمل فى عصر النبى صلى الله عليه و سلم و العصور التاليه له على عكس ذلك؛ و ما كان التفكير فى جمع القرآن الكريم، إلا- خوفا من أن يذهب بذهاب القرآء الذين كانوا أكثر القوم إقداما و بساله فى حرب(اليمامه)، و كان إقدامهم و جرأتهم على اقتحام صفوف الأعداء سببا فى أن يستحر (٣) القتل فيهم.

ب- إعلان الحرب:

حذر القرآن الكريم من انتهاز غفله العدو و أخذه على غره غدرا:(وَإِمَّا

١- الآية الكريمة من سوره الحديد ٥٧: ٢٥.

٢- الآيه الكريمة من سوره التوبه ٩: ٩١.

٣- استحرّ القتل: صار حارا أو شديدا، أى كثر القتل.

ص: ٥٠

تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً، فَأَنْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (١).

فتطلب الآيه الكريمة طرح العهد عند توجّس الشر منهم، و تطلب أن يكون هذا النبذ صريحا.

إن المسلمين لا يخونون أحدا و لا يغدرون بأحد، و يعلنون الحرب صراحه على أعدائهم، ثم يشرعون بعد هذا الإعلان فى القتال.

ج- الدعوه للجهاد:

حذر الاسلام من التباطؤ فى تلبيه داعى الجهاد و التناقل عنه:(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَثَقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ؟

أَرْضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ، فَمَا مَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ.

إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَ لَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا، وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (٢).

د- عقاب المتخلفين:

عاقب الاسلام المتخلف عن الجهاد عقابا نفسيا، إذ يهجر المتخلف أهله حتى زوجه، كما يهجره المسلمون جميعا و يقاطعونه، و ينظر إليه المجتمع نظره احتقار و ازدراء:(وَ عَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَ ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ، وَ ظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ، ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا) (٣).

فقد تاب الله عليهم بعد كل هذا العقاب النفسى ليتوبوا و لا يعودوا الى التخلف مره أخرى.

١- الآيه الكريمة من سوره الأنفال ٨: ٥٨.

٢- الآيتان الكريمتان من سوره التوبه ٩: ٣٨- ٣٩.

٣- الآيه الكريمة من سوره التوبه ٩: ١١٨.

ص: ٥١

إن عقاب المتخلف يقتصر عليه فقط و لا يشمل أهله و عشيرته و لا سكان قريته، كما حدث فى القرن العشرين عند قسم من الدول الكبرى، إذ نزل العقاب الصارم بأهل المتخلف و عشيرته، و حتى بأهل قريته فى بعض الأحيان، بحجّه أن هؤلاء يجب أن

يسلموا المتخلف أو ينالهم العقاب.

ه- تطهير الجيش:

يأمر الاسلام بتطهير الجيش من عناصر الفتنة و الخذلان و من الذين يختلفون عن أفراده بالعقيدة، حتى يكون الجيش كله مؤمنا بعقيدته واحده يعمل لتحقيقها و يبذل كل ما يملكه فى سبيلها، و بذلك يستطيع الفوز فى الحرب:

(وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا) (١) ...

و- أساليب القتال:

ينظم الاسلام مواضعه الدفاعيه، و يوزع وحداته على تلك المواضع: (وَ إِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ) (٢).

و يتكر القتال بأسلوب الصف الذى لم تكن العرب تعرفه حينذاك، بل كانت تقاتل بأسلوب الكر و الفر: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) (٣).

إن أسلوب الصف يتفق مع أساليب القتال فى العصر الحاضر، فهو يؤمن العمق و الاحتياط، ليستطيع القائد معالجه المواقف التى ليست فى الحسبان.

ز- الضبط (٤):

يحث الاسلام على السمع و الطاعه للقياده العامه، و الثبات فى المواقف

١- الآيه الكريمه من سوره الأحزاب ٣٣: ٢٠.

٢- الآيه الكريمه من سوره آل عمران ٣: ١٢١.

٣- سيرد تفصيل ذلك فى غزوه بدر الكبرى. و الآيه الكريمه من سوره الصف ٦١: ٤.

٤- الضبط: إطاعه الأوامر و تنفيذها عن طيب خاطر و باخلاص نسا و روحا.

ص: ٥٢

و تجنب أسباب الفشل، و الاعتصام بالله و باليقين: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. و أَطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا رَسُولَهُ وَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَا تَذَهَبَ رِيحُكُمْ، وَا ضَبُرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (١)

كما حذر الاسلام من الفرار و بين سوء عاقبته: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْأُدْبَارَ، وَا مَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ، فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَا مَاوَاهُ جَهَنَّمَ وَا بئسَ المصيرُ) (٢).

ح- الكتمان:

حَدَّرَ الاسلام من إذاعه الأسرار العسكريه، و جعل إذاعتها من شأن المنافقين، و طلب الرجوع بها الى القيادة العامه، كما طلب من المسلمين أن يتثبتوا مما يصلهم من أنباء قبل الركون إليها و العمل بها: (لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ، لَنْغَرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا) (٣).

و يقول القرآن الكريم: (وَ إِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ، وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ، لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) (٤).

١- الآيتان الكريمتان من سورة الأنفال ٨: ٤٥-٤٦.

٢- الآيه الكريمه من سورة الأنفال ٨: ١٥.

٣- الآيه الكريمه من سورة الأحزاب ٣٢: ٦٠.

٤- الآيه الكريمه من سورة النساء ٤: ٨٣.

ص: ٥٣

ط- الهدنه (١) و الصلح:

أمر الاسلام بتلبيه دعوه السلم و وقف الحرب إذا جنح إليها الأعداء، و ظهرت منهم علامات الصدق و الوفاء: (وَ إِِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ) فَاجْتَنَحْ لَهَا وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. وَ إِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ، هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنُصْرِهِ وَ بِالْمُؤْمِنِينَ) (٢).

١- راجع قانون الحرب و الحياد. الهدنه: اتفاق يبرم بين الفريقين المتحاربين بوقف القتال مده يتفق عليها فيما بينهما، و الهدنه إما هدنه عامه أو محليه أو جزئيه. فالهدنه العامه يسرى وقف القتال فيها على جميع القوات المتحاربه، و يشمل جميع مناطق القتال؛ و الهدنه المحليه أو الجزئيه هي التي يقتصر وقف القتال فيها على بعض القوات المتحاربه دون بعضها الآخر. شروط الهدنه و آثارها: تعقد الهدنه في العاده كتابه، و لكن لا يوجد ما يمنع قانونا من عقدها شفها، و ينص عقد الهدنه على مبدأ قيامها و انتهائها، و يتوقف القتال حال إعلان الهدنه، كما ينص بعبارة واضحه على شروط الهدنه. نقض الهدنه أو انتهاؤها: اختلف الشراح فيما بينهم على الآثار المترتبة على حصول إخلال من أحد الطرفين يبيح للطرف الآخر نقض الهدنه لهذا السبب و العوده الى أعمال القتال مباشره. و كان من رأى فريق من الشراح: أن أى إخلال يقع من أحد الطرفين يبيح للطرف الآخر العوده الى أعمال القتال مباشره و دون سابق إنذار. أما الشراح المحدثون فيرون أن حصول إخلال يبيح للطرف الآخر أن يعلن الطرف المخل بنقض الهدنه و لا يبيح له العوده الى أعمال القتال مباشره. و تنتهى الهدنه بانتهاء المده المحدده لها، فاذا لم ينص في اتفقيه الهدنه على تاريخ معين لانتهائها، جاز لكل من الطرفين استئناف القتال بعد إعلان الطرف الآخر وفقا لما هو منصوص عليه في الاتفقيه من الشروط.

٢- الآيتان الكريمتان من سورة الإنفال ٨: ٦١-٦٢.

ص: ٥٤

خير الاسلام القائد بين أن يمنّ على الأسرى و يطلقهم من غير فديه أو مقابل، أو يأخذ منهم الفديه من مال و رجال، و ذلك على حسب ما يرى من المصلحه: (فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ، حَتَّى إِذَا أَثَخْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ، فَمَا مَنَّا بَعِيدٌ وَإِمَّا فِدَاءً) (١).

لقد حرّم الاسلام قتل الأسير، و من اسلم امتنع قتله ... و من أسلم قبل أسره و لو لخوف فهو كالمسلم الأصلي يحرم دمه أيضا.

ك- المحافظه على العهود:

حثّ الاسلام بصوره خاصه على حفظ العهود، و أوجب الوفاء بها، و حرّم الخيانه فيها و العمل على نقضها، و أرشد الى أن القصد منها إحلال الأمن و السلم محل الاضطراب و الحرب، و حذّر أن تكون وسيله للاحتيال على سلب الحقوق و الوقيعه بالضعفاء: (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ، وَ لَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَ قَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا، إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ. وَ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزْلَهُ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا، تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ) (٢).

شروط القبول للجندبه

لا يقبل في جيش المسلمين إلا من تتوفر فيه الشروط التاليه:

١- البلوغ:

اعتبر سنّ البلوغ السادسة عشره كما هو الحال في أكثر الدول في الوقت الحاضر.

١- الآيه الكريمه من سوره محمد ٤٧: ٤.

٢- الآيتان الكريمتان من سوره النحل ٤١- ٤٢.

ص: ٥٥

و لا يقتصر التجنيد على الرجال البالغين، بل يشمل النساء البالغات (١) أيضا، فقد استصحب الرسول صلى الله عليه و سلم النساء في غزواته، بل كان يصحب معه أزواجه بالاقتراع.

١- يكون واجبهن في القتال تموين المقاتلين و العناية بالمرضى و الجرحى و نقلهم من الميدان و الاشتراك في القتال إن حزب الأمر و أملت الضروره القصوى ذلك. انظر صحيح الإمام البخارى: (باب غزو المرأه في البحر)، و فيه: أن ابنه ملحان تزوجت عباده بن الصامت فركبت البحر مع بنت فرضه. و انظر: (باب حمل الرجل امرأته في الغزو دون بعض نسائه)، و فيه عن عائشه أم المؤمنين رضى الله عنها: أن النبي (ص) كان إذا اراد أن يخرج أقرع بين نسائه، فأيتهن يخرج سهمها خرج بها النبي (ص)، فأقرع بيننا في غزوه غزاهما، فخرج فيها سهمى، فخرجت مع النبي (ص) بعد ما أنزل الحجاب. و انظر باب: (غزو النساء و قتالهن مع

الرجال) وفيه عن أنس رضى الله عنه قال: (لما كان يوم (أحد) انهزم الناس عن النبي (ص)، ولقد رأيت عائشه بنت أبي بكر و أم سليم و إنهما لمشمرتان أرى خدام سوقهما تنقزان القرب، وقال غيره: تنقلان القرب على متونهما ثم تفرغانه فى أفواه القوم و ترجعان فتملآنها ثم تحيان فتفرغانه فى أفواه القوم). و انظر باب: (حمل النساء القرب الى الناس فى الغزو)، وفيه: أن عمر بن الخطاب قال عن أم سليط: (كانت تزفر لنا القرب يوم أحد). و تزفر: اى تحمل و بمعنى آخر تخطط. و انظر باب: (مداواه النساء الجرحى فى الغزو) و فيه عن الربيع بنت معوذ قالت: (كنا مع النبي (ص) نسقى و نداوى الجرحى و نرد القتلى). و انظر باب: (رد النساء الجرحى و القتلى) و فيه عن الربيع بنت معوذ قالت: (كنا نغزو مع النبي (ص) فنسقى القوم و نخدمهم و نرد القتلى و الجرحى الى المدينة). قال الفقهاء: إن الجهاد فرض كفايه و لا يجب على اصحاب الأعدار لأعدارهم و لا يجب على المرأة لأنها مشغوله بحق زوجها، و حق العبد مقدّم على حق الله. و يدل هذا على ان الزوج إذا أذن لامرأته أن تخرج مجاهده او اخذها معه فى الجهاد لا يكون عليه و لا عليها من بأس فى ذلك. و يدل ذلك ايضا على أن المرأة اذا لم تكن ذات زوج تشتغل بحقه فهى و الرجل فى وجوب الجهاد سواء ... هذا كله إذا لم يهجم العدو، فإذا هجم العدو و جب على جميع الناس ان يخرجوا للدفاع عن الحوزه. انظر بعض التفاصيل عن ذلك فى فتح البارى بشرح البخارى ٦/ ٥٧ - ٦٠، طبعه بولاق بمصر سنة ١٣٠٠ هـ.

ص: ٥٦

و لم يعترض أحد على اشتراك النساء فى الحرب على عهد الخلفاء الراشدين و الأمويين، فلما جاء العباسيون ظهر بعض الفقهاء فأضافوا الى شروط الخدمه العسكريه شرطاً خامساً و هو (الذكوره)، فحرموا الجيش من عنصر فعّال يزيد فى عدده و معنوياته، و هذا منهم انحراف لا يقوّه الإجماع.

٢- الاسلام:

ليدافع عن بلاد المسلمين عن عقيدته و إخلاص، و العقيدته من أهم أسباب النصر، لأن الانسان بدون عقيدته لا يمكن أن يقاتل قتالا مستميتا، و لا يمكن أن يصمد صموداً عنيداً، لذلك لا يمكن أن ينتصر أبداً.

٣- السلامه:

تمتّع الجندى بالصحه الكامله و العقل السليم، و من أسباب العجز عندهم المرض المزمن، و هو الذى طال عليه الأمد، و العمى.

٤- الاقدام:

و هو أن يكون قوى البنيه، عارفاً بالقتال، قادراً على استخدام سلاحه، متحملاً مشاق السفر، غير جبان.

النفي

اشاره

ينقسم النفي قسمين: لكل قسم موضعه الخاص به.

١- النفير العام:

و ذلك فى حاله الدفاع، أى عند اعتداء العدو على بلاد المسلمين، فعند ذاك يكون النفير عامًا، و لا يتخلف عن الجهاد مسلم إلا و يرمى بالنفاق، و يعاقب بأشدّ العقاب.

ص: ٥٧

ص: ٥٨

إن الجهاد فى هذه الحاله (فرض عين) (١) كما يعبر عنه الفقهاء. و النفير العام معناه دعوه جميع القادرين على حمل السلاح للاشتراك فى الحرب.

٢- النفير الخاص:

و ذلك فى حاله التعرض أى فى حاله مهاجمه العدو فى بلاده (٢) إذ يدعى نفر من الأمه للفتح، و عند ذاك يكون النفير خاصًا، و فى هذه الحاله يكون الجهاد (فرض كفايه) (٣)، كما يعبر عنه الفقهاء ... و النفير الخاص معناه دعوه بعض القادرين على حمل السلاح للاشتراك فى الحرب، أو دعوه القادرين على حمل السلاح فى قسم من البلاد.

- الخلاصه

لقد أوضحنا القتال فى الاسلام من الوجهه النظرية، و سنرى التطبيق العملى لكل ما أوضحناه فى جهاد الرسول صلى الله عليه و سلم.

و من ذلك يتضح أن الاسلام يدعو للقتال كضروره لحمايه حريه التوحيد:

توحيد الله و توحيد الناس.

إن الاسلام لا يؤمن بالحروب التى تثيرها العصبية العنصرية كما يستبعد الحروب التى تثيرها المطامع و المنافع: حروب الاستعمار و الاستغلال و البحث عن الأسواق و الخامات و استعباد المرافق و الرحال، كما يستبعد الاسلام تلك الحروب التى يثيرها حب الأمجاد الزائفه أو حب المغانم الشخصية.

١- فرض عين: هو النفير العام حسب المصطلحات العسكريه الحديثه.

٢- أى فى حاله مهاجمه المسلمين بلاد العدو للفتح أو لأغراض أخرى.

٣- فرض كفايه: هو النفير الخاص حسب المصطلحات العسكريه الحديثه.

ص: ٥٩

إن القتال في الإسلام ليس أساس العلاقة بين المسلمين و غير المسلمين، و هذا طبيعي في دين لا- ينشره أصحابه للتوسع الاقتصادي و للاستغلال، دين يحرم العدوان و يشرع التكافؤ و المساواه بين الناس و يجعل مقياس التفاضل بينهم التقوى و العمل الصالح.

إن السلم في الإسلام هو القاعده الثابته و الحرب هي الاستثناء (1) ...

١- أنظر ما قاله الأستاذ هاك في كتابه: مساهمه الإسلام في السلام العالمى، الذى نشره باللغه الإنكليزيه في لاهور عام ١٩٣٢: (إن الأمم تبذل الكثير من الجهود و تعقد المؤتمرات لمنع التسليح و منع الحرب، أو للتقليل من فرص إعلانها. و لكن جهودها باءت بالفشل، ذلك لأن الدول إذ تتعهد، لا تقيدها نفسها بالمعاهده إلا حين تنعدم عندها الوسيله لنقضها؛ حتى إذا ما توفرت عندها القوه الكافيه لذلك، أعلنت أن المعاهده التى أبرمتها و ارتبطت بنودها حبر على ورق. و يقدم لنا التاريخ كثيرا من الأمثله على ذلك و لو طبقت أحكام الإسلام فيما يتعلق بالحروب و الجهاد تطبيقا كاملا، لوجد العالم فيها جنته التى يبحث عنها بدلا من الجحيم الذى هو مسوق إليه، ليطيع كل منا دعوه الله تعالى التى يقول فيها: (كلوا و اشربوا من رزق الله و لا- تعثوا فى الأرض مفسدين)، و انظر أيضا مقال الدكتور عبد الفتاح حسن عن ميثاق الأمم و الشعوب فى الإسلام المنشور فى مجله مجلس الدوله للجمهوريه العربيه المتحده، السنه الثامنه و التاسعه و العاشره فى ٣٨١-٣٨٢.

ص: ٦٠

ص: ٦١

قبل نشوب القتال

اشاره

(كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ، وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ).

(القرآن الكريم)

ص: ٦٢

ص: ٦٣

الموقف العسكرى العام

المسلمون

١- فى مكه المكرمه (الوحده و التوحيد من أجل الجهاد):

بدأ العمل للحشد العسكري منذ نزل الوحي على الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأخذ يدعو الناس الى توحيد الله و تزكيه نفوسهم و تطهيرها، و توحيد الصفوف و فناء مصلحه الفرق في مصلحه الجماعه: (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ، وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) (١).

عرض الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الاسلام على آل بيته و أصدقائه الذين يعتمد عليهم، فأمن به الصفوه المختاره الذين كُونوا النواه الأولى لجيش المسلمين ...

و استمرت الدعوه سرا ثلاث سنين حتى نزل قول الله: (وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) (٢).

لقد جاهد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذه الفتره ليوحد الله و يوحد العقيدة و يوحد الصفوف و يوحد الهدف.

ب - الدعوه علنا:

أخذ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو قريشا الى الاسلام علنا، و ابتدأت قريش تظهر خصومتها للدعوه، و أخذت خصومتهم تشتد و تعنف كلما زاد عدد المسلمين.

١- الآيه الكريمة من سوره الحجر ١٥: ٩٤.

٢- الآيه الكريمة من سوره الشعراء ٢٦: ٢١٤.

ص: ٦٤

اعتبرت قريش المسلمين عصاه ثائرين، فاستباححت في الحرم الآمن الدماء و الأموال من المستضعفين المسلمين ممن لا أعوان لهم يدفعون عنهم الظلم و العدوان.

أسلم عمّار بن ياسر و أسلم أبوه و أمه، فكان المشركون يخرجونهم في الظهيره الى العراء فيعذبونهم بحرّها، فمات ياسر من العذاب، و أغلظت امرأته القول لأبي جهل، فطعنها بحربه فماتت هي أيضا.

و لاقى مثل هذا العذاب و مثل هذا المصير كثير من المستضعفين.

و لم تكتف قريش بذلك، بل شنت حربا من السخريه على الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و على أصحابه، فزعموا أن الرسول ساحر، و زعموا أنه كاهن أو شاعر أو مجنون.

و سيطرت قريش على القبائل الوافده الى مكه المكرمه للحج أو للزياره أو لأغراض أخرى، فخصصوا جماعه منهم لاستقبال الوافدين لينفروهم عن محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و دعوته.

و لكنَّ الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم كان يذهب الى الحجيج في مجامعهم، و يطلب منهم النصرة على مشهد من رجال قريش. و اشتدت مقاومه قريش للمسلمين، فأوعز الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم الى المستضعفين منهم و الى قسم من أصحابه أن يهاجروا الى الحبشه، و كان ذلك في السنه الخامسه من مبعثه.

و رأت قريش انتشار الاسلام، فعزمت على عقد معاهده تعتبر فيها المسلمين و من يرضى بدينهم أو يعطف عليهم أو يحمى أحدا منهم حزبا واحدا: لا يبيعونهم شيئا و لا يتاعون منهم شيئا، و لا يزوجونهم أو يتزوجون منهم؛ و كتبوا ذلك في صحيفه علَّقوها في جوف الكعبه توكيدا لنصوصها، فاضطر

ص: ٦٥

الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم و من معه أن يلتجئوا الى شعب بنى هاشم (١)، و انحاز إليهم بنو المطلب كافرهم و مؤمنهم عدا أبا لهب، فقد آزر قريشا في خصومتها لقومه.

و اشتد الحصار على المسلمين، فقلَّ غذاؤهم و كساؤهم، و بلغ بهم الجهد أقصاه، و مع ذلك لم تفتخر خصومه قريش في حملتها على الاسلام و أصحابه و تأليبها العرب عليهم في كل مكان.

و تحمّل المسلمون هذه المحنه ثلاث سنوات، حتى تيقظ ضمير بعض أفراد قريش، فنقضوا صحيفه القطيعه.

ج- بيعه العقبه الأولى:

قدم سويد بن الصامت (٢) من الأوس الى مكه حاجا، فتصدى له الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم و دعاه الى الاسلام، فقال سويد: (إن هذا القول حسن) ثم انصرف الى المدينه و أخبر قومه بما سمع، و لكنه قتل يوم (بعث) (٣) عند نشوب القتال بين قومه الأوس و أعدائهم الخزرج من أهل المدينه المنوره.

١- شعب بنى هاشم: و هو شعب أبى يوسف بالقرب من مكه المكرمه، آوى إليه رسول الله (ص) و بنو هاشم لما تحالفت قريش على بنى هاشم. أنظر التفاصيل في معجم البلدان ٥/ ٢٧٠.

٢- سويد بن الصامت بن خالد بن عقبه الأوسى: فى إسلامه شك، و قد قدم معتمرا فدعاه رسول الله (ص) الى الإسلام فلم يبعده، و قال: (إن هذا القول حسن) ثم انصرف فقتل، فكان رجال قومه يقولون: إنا لنراه مسلما. أنظر ترجمته فى التسلسل ٣٨١٢ من الإصابه ٣/ ١٨٩.

٣- بعث: موضع فى نواحي المدينه كانت به وقائع بين الأوس و الخزرج فى الجاهليه. أنظر التفاصيل فى معجم البلدان ٢/ ٢٢٣.

ص: ٦٦

و خرج الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم يعرض نفسه على القبائل فى موسم الحج، فرأى سبعة رجال من الخزرج عند (العقبه) (١)،

فعرض عليهم الاسلام، فأجابوه و صدّقوه.

فلما عاد هؤلاء الى المدينة المنوره، ذكروا إسلامهم لقومهم، و دعوهم الى الاسلام، فانتشر الاسلام فى المدينة المنوره.

و بعد عام واحد قدم الى مكه فى موسم الحج اثنا عشر رجلا، فلقوا الرسول صلّى الله عليه و سلم فى (العقبه)، فبايعوه على الايمان بالله وحده و الاستمساك بفضائل الأعمال و البعد عن الحميه الجاهليه.

و بعث النبى صلّى الله عليه و سلم مصعب بن عمير (٢) ليتعهّد انتشار الاسلام فى المدينة المنوره و يقرأ على أهلها القرآن و يفقههم فى الدين، فدخلت فى الاسلام جموع غفيره من أهل (يثرب) (٣).

إن بيعه (العقبه) أول نجاح عسكري للرسول صلّى الله عليه و سلم خارج مكه المكرمه،

- ١- العقبه: هو الجبل الطويل يعرض للطريق فيأخذ فيه و هو طويل صعب الى صعود الجبل، يقع بين منى و مكه، و بين العقبه و مكه نحو ميلين، و عندها اليوم مسجد، و منها ترمى جمرة العقبه. أنظر التفاصيل فى معجم البلدان ٧ / ١٩١ - ١٩٢.
- ٢- مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي بن كلاب العبدري أحد السابقين الى الإسلام، أسلم قديما و النبى (ص) فى دار الأرقم، و كتم إسلامه خوفا من أمه و قومه، فلما علموا بذلك أوثقوه فلم يزل محبوسا الى أن هرب مع من هاجر الى الحبشه، ثم رجع مع من رجع الى مكه. و لما انصرف الناس من العقبه بعثه النبى (ص) الى المدينة يفقههم. و فى صحيح البخارى: (أول من قدم علينا المدينة مصعب بن عمير و ابن أم مكتوم). شهد بدرًا ثم أحدا و كان معه اللواء فاستشهد. و كان أنعم غلام بمكه و أجوده حله مع أبويه، و قد رآه النبى (ص) مره فبكى للذى كان فيه من النعمه و لما صار إليه من الفقر. أنظر التفاصيل فى الاصابه التسلسل ٧٩٩٦ فى ٦ / ١٠١، و أسد الغابه ٤ / ٣٦٨.
- ٣- يثرب: مدينة رسول الله (ص) سماها طيبه و طابه كراهيه للتثريب، و سميت مدينة الرسول لتزوله بها. أنظر التفاصيل فى معجم البلدان ٨ / ٤٩٨.

ص: ٦٧

إذ انتشر الاسلام فى (يثرب)، فأصبح للنبى صلّى الله عليه و سلم فيها جنود يعتمد عليهم فى الملمات ...

د- بيعه العقبه الثانيه:

لما انتشر الاسلام فى المدينة المنوره، خرج منها سبعون رجلا من المسلمين مع قومهم المشركين يريدون لقاء الرسول صلّى الله عليه و سلم فى موسم الحج فى مكه؛ فلما وصلوا، و اعدوا الرسول أن يجتمعوا به ليلا فى (العقبه).

و مضى ثلث الليل فأخذوا يتسللون جماعات صغيره الى المثابه (١) فى (العقبه)، حتى اجتمع هناك سبعون رجلا من الأوس و الخزرج معهم امرأتان: نسيبه بنت كعب أم عماره (٢) و أسماء بنت عمرو بن عدى (٣).

و جاء النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم و معه عمّه العباس و هو حينذاك كافر، و لكنه أراد أن يطمئن الى مصير ابن أخيه.

١- المثابه: الملقباً. و المثابه: مجتمع الناس.

٢- نسيبه بنت كعب الخزرجيه الأنصاريه أم عماره: شهدت بيعه العقبه الثانيه و كان معها زوجها زيد بن عاصم و ابناها منه حبيب الذى قتله مسيلمه الكذاب بعد و عبد الله. شهدت (أحدا) مع زوجها زيد. قالت نسيبه: خرجت يوم (أحد) و معى سقاء فيه ماء، فانتهينا الى رسول الله (ص) و هو فى أصحابه و الدوله و الريح للمسلمين، فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله (ص) فكنت أباشر القتال و أذبّ عنه بالسيف و أرمى عن القوس حتى خلصت الجراح إلى. قال رسول الله (ص) عنها: (ما التفت يمينا و لا شمالا يوم (أحد) إلا و أنا أراها تقاتل دونى). شهدت اليمامه تحت رايه خالد بن الوليد و معها ابنها عبد الله و قطعت يدها فى الحرب و جرحت اثنى عشر جرحا. أنظر التفاصيل فى طبقات ابن سعد ٨ / ٤١٢، و الإصابه ٨ / ١٩٨، و الاستيعاب ٤ / ١٩٤٨ فى التسلسل ٤١٩٠، و فتح البارى بشرح البخارى ٦ / ٥٩.

٣- أسماء بنت عمرو بن عدى الأنصاريه السلميه أم معاذ بن جبل، كنيته أم منيع، كانت مع من شهد العقبه الثانيه مع السبعين. أنظر التفاصيل فى الإصابه ٨ / ٨، فى التسلسل ٤٧.

ص: ٦٨

و تكلم العباس و تكلم بعده الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم و تلا القرآن و رغب فى الاسلام، ثم قال: (أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم و أبناءكم) فبايعوه على ذلك و هم يقولون: (لنمنعك مما أزرنا (١))، فبايعنا يا رسول الله، فو الله نحن أبناء الحروب، و أهل الحلقة (٢) و رثناها كابرا عن كابر).

و أمرهم الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم أن يخرجوا اثنى عشر نقيبا (٣) يكونون على قومهم، فأخرجوا منهم تسعه من الخزرج و ثلاثه من الأوس ... و بذلك بدأ الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم بتنظيم أتباعه خارج مكه المكرمه.

و استمع أحد المشركين - و هو يتجوّل مصادفه بين مضارب الخيام و منازل الحجيج - ما دار فى هذا الاجتماع، فصرخ يندر أهل مكه: إن محمدا و الصبأ (٤) معه قد اجتمعوا على حربكم.

لم يكثرث المبايعون بانكشاف أمرهم، بل أرادوا مهاجمه قريش بأسيافهم، و لكنّ الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم أمرهم بالعوده الى رحالهم ... لأن الله سبحانه و تعالى لم يأذن لهم بالقتال بعد ...

فلما أصبحوا جاءهم رجالات قريش فقالوا: (يا معشر الخزرج! إنه قد بلغنا أنكم جئتم الى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا و تبايعونه على حربنا، و إنه و الله ما من حىّ من العرب أبغض إلينا من أن تنشب الحرب بيننا و بينهم منكم).

١- أزرنا: يعنى نساءنا، و المرأه يكنى عنها بالإزار.

٢- الحلقة: السلاح عامه، و الدروع خاصه.

٣- النقيب: كبير القوم المعنى بشؤونهم. و فى التنزيل العزيز: (و بعثنا منهم اثنى عشر نقيبا).

٤- الصبأء: من يتركون دينهم و يدينون بآخر.

ص: ٦٩

و لكن مشركى الخزرج الذين لم يكونوا يعلمون بتفاصيل بيعه(العقبه)، حلفوا لقريش:(إنه ما كان من هذا الشىء و ما علموه)، فصدقت قريش.

إن بيعه العقبه الثانيه نجاح عسكرى آخر للرسول صلّى الله عليه و سلم.

٥- الحشد فى المدينه المنوره:

أمر الرسول صلّى الله عليه و سلم مسلمى مكه المكرمه بالهجره الى إخوانهم فى المدينه المنوره، فهاجر المسلمون بالتعاقب تاركين أموالهم و أهليهم هناك.

و اجتمع رجالات قريش فى(دار الندوه)، و قرّروا أن يأخذوا من كل بطن من قريش شابا نسيبا وسطا فتيا، ثم يعطون كل فتى من هؤلاء سيفا صارما، و يرسلونهم لاغتيال الرسول صلّى الله عليه و سلم، حتى يتفرق دمه فى القبائل كلها، فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلها، فيرضون بالديّه.

و لكن الرسول صلّى الله عليه و سلم، علم بهذه المؤامره فهاجر مع أبى بكر الصديق رضى الله عنه الى المدينه المنوره ليله تنفيذها، و استطاع الوصول سالما الى المدينه، على الرغم من تشبّث قريش الشديد بالقبض عليه.

و ترامت أخبار المهاجر العظيم الى المدينه، فكان أهلها يخرجون كل صباح لاستقباله، فإذا اشتد الحرّ عادوا الى بيوتهم؛ فلما وصل قريبا من المدينه، خرج أهلها لاستقباله بالسلاح، و لبست المدينه حلّه العيد ...

إن هجره الرسول صلّى الله عليه و سلم الى المدينه المنوره معناها: اجتماع القائد بجنوده فى قاعدتهم الأمينه ... و بهجره رسول الله صلّى الله عليه و سلم الى المدينه المنوره نشأت الدوله الاسلاميه، فتاريخ هذه الدوله مقترن بالتاريخ الهجرى، و باستقراره عليه الصلاه و السلام فى المدينه ظهر عنصر(السلطه) متركزه فى شخصه الكريم باعتباره الرئيس الأعلى لجماعه المسلمين التى اتخذت المدينه المنوره مقرا لها و قاعده أمينه.

ص: ٧٠

٢- فى المدينه المنوره: (الجهاد من أجل الوحده و التوحيد).

أ- بناء المسجد:

انتخب الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موضعا لبناء مسجده في المدينة المنوره، و بدأ بناءه باللبن، و الحجاره و اشترك مع أصحابه في حمل اللبناات و الأحجار على كواهلهم، فتم بناء المسجد: فراشه الرمل و الحصى، و سقفه الجريد، و أعمدته الجذوع.

و تم ببناء هذا المسجد بناء(الثكنه) (١) الأولى في الاسلام ...

ب- الاخوه:

آخى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أصحابه من المهاجرين و الأنصار، حتى يتعاونوا على أسباب العيش و يكون الجميع يدا واحده تعمل لهدف واحد.

آخى بين عبد الرحمن بن عوف (٢) و سعد بن الربيع (٣)، فقال سعد لعبد الرحمن:

١- الثكنه: مجتمع الجند، جمع ثكن و ثكنات.

٢- عبد الرحمن بن عوف الزهري القرشي يكنى أبا محمد، كان اسمه في الجاهليه: عبد عمرو، و قيل: عبد الكعبه، فسماه رسول الله(ص): عبد الرحمن. ولد بعد الفيل بعشر سنين أى سنه أربع و أربعين قبل الهجره(٥٨٠ م)، و أسلم قبل أن يدخل رسول الله(ص)(دار الأرقم)، و كان من المهاجرين الأولين، جمع الهجرتين جميعا: هاجر الى الحبشه و هاجر الى المدينة. آخى الرسول(ص) بينه و بين سعد بن الربيع، و شهد بدرًا و المشاهد كلها مع رسول الله(ص)، و بعثه الرسول(ص) الى(دومه الجندل) الى بنى كلب و أوصاه بوصاياه لأمرء سراياه. كان أحد العشره المبشرين بالجنه و أحد الستة الذين جعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه الشورى فيهم. و صلى رسول الله(ص) خلفه في سفره و قال عنه:(عبد الرحمن بن عوف أمين في السماء و أمين في الأرض). و كان أمين رسول الله(ص) على نسائه. كان يحترف التجاره و البيع و الشراء فاجتمعت له ثروه كبيره: تصدق يوما بقافله فيها سبعمائاه راحله تحمل الحنظه و الدقيق و الطعام، و لما حضرته الوفاه أوصى بألف فرس و خمسين ألف دينار في سبيل الله، و له في الصحيحين خمس و ستون حديثا. و قد توفي بالمدينه المنوره سنه اثنتين و ثلاثين للهجره(٦٥٢ م). أنظر التفاصيل في طبقات ابن سعد ٣/١٢٤، و الإصابه ٤/١٧٦، تسلسل ٥١٧١، و أسد الغابه ٣/٣١٣، و الاستيعاب ٢/٨٤٤، التسلسل ١٤٤٧، و الأعلام ٤/٩٥.

٣- سعد بن الربيع الخزرجى الأنصارى: أحد النقباء، شهد بيعه العقبه الأولى و الثانيه و شهد(بدرًا) و قتل يوم(أحد). قال رسول الله(ص) يوم(أحد):(من يأتيني بخبر سعد بن الربيع)؟ فقال رجل: أنا. و ذهب الرجل يطوف بين القتلى، فقال له سعد:(ما شأنك)؟ قال: بعثنى رسول الله(ص) لآتيه بخبرك، فقال سعد:(فاذهب إليه فأقرئه منى السلام و أخبره أنى طعنت اثنتى عشره طعنه، و أنى قد أنفذت مقاتلى، و أخبر قومك أنهم لا عذر لهم عند الله إن قتل رسول الله(ص) و أحد منهم حيا)، فرجع الرجل الى النبى(ص) فأخبره، فقال:(رحمه الله! نصح لله و لرسوله حيا و ميتا). آخى رسول الله(ص) بينه و بين عبد الرحمن بن عوف فأراد أن يناصفه أهله و ماله، و كان له زوجتان، فقال له عبد الرحمن:(بارك الله لك فى أهلك و مالك! دلونى على السوق). أنظر التفاصيل فى طبقات ابن سعد ٧/٦١٢، و الإصابه ٣/٧٧، التسلسل ٣١٤٧، و أسد الغابه ٢/٢٧٧، و الاستيعاب ٢/٥٨٩، التسلسل ٩٣١.

(إنى أكثر الأنصار مالا، فاقسم مالى الى نصفين، و لى امرأتان، فانظر أعجبهما إليك فسمّها لى، أطلقها؛ فإذا انقضت عدّتها، فتزوجها) ...

هذا مثال من الإيثار الذى كان نتيجته لهذا التآخى.

و ظلت عقود الإخاء مقدّمة على حقوق القرابة فى توارث التركات الى موقعه (بدر)، حيث استقرّ أمر المسلمين؛ فألغى التوارث بعقد الأخوّه و رجع الى زوى الرحم ...

إن هذا التآخى جعل المسلمين كرجل واحد: يؤمن بعقيده واحده، و يعمل لهدف واحد، بامرّه قائد واحد.

ج- المعاهدات:

ج- المعاهدات (١):

عقد الرسول صلّى الله عليه و سلم معاهدة بين المسلمين من جهه و يهود و المشركين من أهل المدينة المنوره من جهه أخرى، و ادعهم فيها و أقرّهم على دينهم و أموالهم.

١- نص المعاهدة: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد النبى بين المؤمنين و المسلمين من قريش و يثرب و من تبعهم فلحق بهم و جاهد معهم ... إنهم أمه واحده من دون الناس. المهاجرون من قريش على ربعتهم (أى على أمرهم الذى كانوا عليه) يتعاقلون بينهم و هم يفدون عانيهم بالمعروف و القسط بين المؤمنين، (ثم ذكر كل بطن من بطون الأنصار و أهل كل دار الى أن قال) و أن المؤمنين لا- يتركون مفرحا (أى المثقل بالدين و العيال)، بينهم أن يعطوه بالمعروف و فى فداء أو عقل. و لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه، و أن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة ظلم (أى طبيعته) أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، و أن أيديهم عليه جميعا و لو كان ولد أحدهم. و لا يقتل مؤمن مؤمنا فى كافر، و لا ينصر كافرا على مؤمن. و إن ذمه الله واحده يجير عليهم أديانهم. و أن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس. و إن من تبعنا من اليهود فان له النصر و الأسوه (أى المساواه فى المعامله) غير مظلومين و لا متناصر عليهم، و إن سلم المؤمنين واحده لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله إلا على سواء بينهم، و إن كل غازيه غزت معنا يعقب بعضها بعضا. و أن المؤمنين يبيىء بعضهم عن بعض (أى أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض فيما ينال دماءهم) بما نال دماءهم فى سبيل الله. و أن المؤمنين المتقين على أحسن هدى و أقومه. و أنه لا- يجير مشرك مالا- لقريش و لا- نفسا و لا يحول دونه على مؤمن. و إنه من اعتبط (أى قتله بلا جنايه كانت منه أو جريه توجب قتله) مؤمنا قتلا عن بينه فانه قود به إلا أن يرضى ولى المقتول، و أن المؤمنين عليه كفه و لا يحلّ لهم إلا قيام عليه، و أنه لا يحلّ لمؤمن أقرّ بما فى هذه الصحيفة و آمن بالله و اليوم الآخر، أن ينصر محدثا (أى جانيا) و لا يؤويه، و إنه من نصره و آواه فان عليه لعنه الله و غضبه يوم القيامة و لا يؤخذ منه صرف و لا عدل، و أنكم مهما اختلفتم فيه من شىء فان مرده الى الله و الى

محمد عليه الصلاة والسلام، و أن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين. و أن يهود بنى عوف أمه مع المؤمنين، لليهود دينهم و للمسلمين دينهم مواليهم و أنفسهم إلا من ظلم أو أثم، فانه لا يوتغ (أى يهلك و يفسد) إلا نفسه و أهل بيته. و إن لليهود بنى النجار و يهود بنى الحارث و يهود بنى ساعده و يهود بنى چشم و يهود بنى الأوس، و يهود بنى ثعلبه و لجفنه و لبنى الشطيبة مثل ما لليهود بنى عوف. و إن موالي ثعلبه كأنفسهم. و إن بطانه يهود كأنفسهم. و أن لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد، و إنه لا- يتحجر (أى لا- يلتئم جرح) على ثأر جرح و إنه من فتك فبنفسه و أهله إلا- من ظلم. و إن الله على أبر هذا. و إن على اليهود نفقتهم و على المسلمين نفقتهم. و إن بينهم النصر على من حارب هذه الصحيفة. و إن بينهم النصح و النصيحة و البر دون الإثم، و إنه لم يأثم امرؤ بحليفه. و إن النصر للمظلوم. و إن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين. و إن (يثرب) حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة. و إن الجار كالنفس غير مضار و لا- آثم. و إنه لا تجار حرمه إلا بإذن أهلها. و إنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فان مرده الى الله و الى محمد رسول الله. و إن الله على أتقى ما فى هذه الصحيفة، و أبره، و انه لا- تجار قريش و لا- من نصرها، و إن بينهم النصر على من دهم (يثرب)، و إذا دعوا الى صلح يصلحونه و يلبسونه فإنهم يصلحونه و يلبسونه. و إنهم إذا دعوا الى مثل ذلك فان لهم على المؤمنين إلا- من حارب فى الدين، على كل أناس حصّيتهم من جانبهم الذى قبلهم. و إن يهود الأوس مواليهم و أنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة. و إن البر دون الاثم لا يكسب كاسب إلا على نفسه. و إن الله أصدق ما فى هذه الصحيفة و أبره، و إنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، و إن من خرج آمن و من قعد آمن بالمدينه إلا من ظلم أو أثم و إن الله جار لمن برّ و اتقى.

ص: ٧٢

و فى هذه المعاهده نظّم الرسول صلّى الله عليه و سلم الحياه الاجتماعيه و الاقتصاديه و العسكريه لسكان المدينه المنوره من المسلمين و المشركين و يهود.

ص: ٧٣

نظّم بها الحياه الاقتصاديه، فالفقير يجد معاونه من الغنى فى معيشته و فك ديونه و تحمّل فدائه و ديّته.

و نظّم بها الحياه الاجتماعيه، فالجار له حرمه من جاره، و سكان المدينه المنوره آمنون فيها من القتل و الاغتياال و الغدر، و لكل دينه الذى هو عليه، و المجرم ينال عقابه على جرمه دون أن يحول دون تنفيذ العقاب عليه حائل، و ليس هناك ما يفرّق بين الصفوف من دين أو أغراض أخرى.

هاتان الناحيتان: الاقتصاديه و الاجتماعيه، واضحتان و مفهوماتان فى هذه المعاهده، و إنما يهمننا الناحيه العسكريه فيها بالدرجه الأولى.

لقد نصّت المعاهده على قياده محمد صلّى الله عليه و سلم لسكان المدينه المنوره كافه: مسلمين و مشركين و يهود. فإليه يرجع الأمر كله، و له أن يحكم فى كل اختلاف يقع بين السكان، و بذلك أصبح النبى صلّى الله عليه و سلم (قائدا) فى المدينه المنوره.

كما نصّت المعاهده على تعاون أهل المدينه فى ردّ كل اعتداء يقع عليها من الخارج، و بذلك توحدت صفوف أهل المدينه و أصبح لهم هدف، هى الدفاع عن المدينه ضد كل اعتداء خارجى.

ص: ٧٤

كما أعلنت المعاهده بصراحه، أنه لا- يجوز لمشرك من أهل المدينه أن يجبر مالا- لقريش و لا- نفسا، و أن اليهود يعاونون المؤمنين فى النفقه عليهم ما داموا محاربين، و بذلك أو شك الكفاح بين المسلمين و قريش أن يبدأ.

بهذه المعاهده استطاع الرسول صلّى الله عليه و سلم أن يجعل أهل المدينه كلهم على اختلاف أديانهم و ميولهم و أهوائهم يدا واحده على أعدائهم.

لقد أنجز الرسول صلّى الله عليه و سلم بهذه المعاهده الاستعدادات كافه لحشد قواته فى مكان واحد تحت قياده واحده، فأصبحت مهيبه للدفاع عن الاسلام.

لقد عمل فى هذه الفتره على الاستعداد للجهاد، فلما أكمل توحيد رجاله بدأ الجهاد.

٣- النتائج:

لقد استطاع الرسول صلّى الله عليه و سلم أن يلجأ الى المدينه و يحشد قواته فيها، و يوحد صفوف سكانها على اختلاف ميولهم و أهوائهم و دياناتهم، و يجعلهم كتله متحده للدفاع عنها ضد الغارات الخارجيه، و كتله واحده للقضاء على الاختلافات الداخليه.

و على الرغم من أن المسلمين و حدهم- على قتلهم يومذاك- هم جيش الرسول صلّى الله عليه و سلم الذى يعتمد عليه فى كفاح أعدائه، إلا أن الرسول صلّى الله عليه و سلم استطاع أن يغرس فيهم عقيدته راسخه يؤمنون بها كل الإيمان، و أن يجعل لهم أهدافا واضحه كل الوضوح يبذلون فى سبيل تحقيقها أرواحهم و أموالهم.

لقد كانت أهدافهم الدفاع عن الإسلام و العمل على حمايه حريه انتشاره؛ و فى سبيل الدفاع عن الاسلام و فى سبيل حمايه حريه انتشاره بين الناس يبذلون كل غال و رخيص.

ص: ٧٥

لقد تهيأ الآن للرسول القائد عليه أفضل الصلاه و السلام جيش يجمعه هدف موحد، يأتمر بأمر قائد واحد، و يستند إلى قاعده أمينه، و بذلك تهيأت للمسلمين- رغم قله عددهم- كل أسباب النجاح عند نشوب القتال.

العرب و الروم و الفرس

١- العرب:

الشعب العربي يمثل أقدم الشعوب الساميّة و أكثرها نقاء، لانعزاله في الجزيرة العربية، و لم ينجح أحد من الغزاه في دخول هذه الجزيرة، و استمر بقاؤه فيها ردحا طويلا.

و العرب قسمان: عدنانيون، أى عرب الشمال. و قحطانيون، أى عرب الجنوب. و هذا التقسيم لا يستند الى أساس عنصري، بل الى ظروف زمانيه و مكانيه أدّت الى فروق في اللهجه و الثقافه.

و قد أيدت الكشوف الأثريه وجود أربع دول متحصّره على الأقل في الجنوب، و هي معين و سبأ و حضرموت و قتبان.

كما تكونت في المنطقه الشماليه كثير من الدول العربيه المتحصّره كدوله اللحيانيين في منطقه(الحجر) على خليج العقبه، و دوله الأنباط في جنوبي سوريه، و مملكه تدمر في باديه الشام، و دوله المناذره على حدود العراق، و مملكه الغساسنه في الشام، و مملكه كنده في نجد.

و كانت لهذه الممالك حضارات راقيه، و لكنّ حضاره العرب قبل الإسلام تدهورت، فانحطّ المستوى الديني، و تحكمت فيهم بعض العادات، كالعصبيه و الثأر ...

كانت أبرز القبائل العربيه و أقواها قبيل الإسلام هي قريش التي كانت

ص: ٧٤

تسكن مكه المكرمه، و كان الحكم بمكه بيد الأشراف و رؤساء الأسر و أهل القوه و أصحاب الأموال.

و قد أصبح لمكه بسبب موقعها على الطرق التجاريه و لسبب حرمتها الدينيه أهميه كبيره، كما أن الناس احترموا قريشا، لأنهم جيران بيت الله الحرام، فلا يجترىء عليهم أحد، و هذا حفظ تجارتهم من تحرّش كثير من البدو.

و لما كانت مكه بواد غير ذى زرع، كان عامه أهلها يشتغلون بالتجاره.

لم يكن عند العرب عقيدته دينيه تقوم على أساس صحيح، فقد كانت آراؤهم الدينيه ساذجه حينذاك، فاعتقد البدوي أن في الدنيا قوى خارقه تسيطر عليه بتسليطها الجن و الشياطين، و يرون أن الجن لهم اتصال بالكهّان و السحره؛ لذلك كان هؤلاء يتكهنون عن المستقبل، فاهتموا بالسحر و الكهان و استعمل الكهنه لغه مسجّعه مبهمه.

و اعتنق قليل من العرب المسيحيه و اليهوديه، و كان قليل منهم موحدين.

لقد كانت الجزيرة في فتره تدهور و انقسام سياسى، و فى فتره ركود حضارى، مرتبكه في سير حياتها الاجتماعيه، مضطربه في حالتها الاقتصاديه، منحطه في مستواها الديني.

في هذه الظروف ظهر الإسلام، فهاجم الرسول صلّى الله عليه و سلم النظام القبلي و الفرديه المتطرفه و إهمال الدين، و حمل على الاستغلال المادى و الظلم الاجتماعى، و بذلك كان ظهور الإسلام أكبر ثوره اجتماعيه و سياسيه و اقتصاديه و ثقافيه ظهرت

فى العالم عامه، إذ جاء الإسلام دوله و دينا للناس كافه.

٢- الروم:

كان الجيش الرومانى مرتكزا على الحكم الإقطاعى، و ذلك أن كل نبيل

ص: ٧٧

يعدّ قائدا لجماعته، و كان هؤلاء النبلاء يمنحون الأراضى و العقارات الشاسعه لإعاشه أتباعهم. و قد أدى ذلك إلى حدوث حروب داخلية، و بخاصه عندما تضعف الحكومه المركزيه فى القسطنطينيه، فقد كان كل نبيل يطمع فى توسيع ملكه و سلطته على حساب غيره من النبلاء، بل كان قسم من النبلاء ينتقصون حتى على الحكومه المركزيه فى بعض الأحيان.

و اعتمد الرومان على الغساسنه و القبائل العربيه الأخرى لحمايه حدودهم الجنوبيه التى تحده الجزيره العربيه و حدودهم الجنوبيه الشرقيه التى تحده فارس.

و قد اشتدت الاختلافات بين طوائف المسيحيين قبل الإسلام، حتى شملت العامه و الخاصه على حد سواء، و حتى اشتغل الناس بالجدل فيها أكثر من اشتغالهم بكل عمل آخر، و شمل هذا الجدل طبقات الناس كافه فى مختلف الأماكن و الأوقات.

إن المسيطر على الجيش الرومانى حينذاك هو الارتراق، و كثيرا ما كانت أعطيات الجند تتأخر عن مواعيدها لارتباك الحاله الماليه للدولة، فيتذمر الجنود، و لم يكن للجيش هدف معيّن يوحد صفوفه و يسعى لتحقيقه غير الارتراق.

و هكذا كان جيش الروم جيشا مرتزقا يقوده قاده من النبلاء يتولون مناصبهم غالبا بالوراثة لا بالكفايه و المقدره.

٣- الفرس:

٣- الفرس (١):

كانت القوات العسكريه للفرس مشابهه للقوات العسكريه عند الروم، فكان المرازبه و الدهاقين يتولون قياده الجيوش و يتحكمون فى الأراضى الشاسعه و العقارات الكبيره.

١- أنظر التفاصيل فى مقدمه كتابنا: قاده فتح بلاد فارس.

ص: ٧٨

كما اعتمدوا على المناذره لحمايه حدودهم الجنوبيه المتاخمه للجزيره العربيه و حدودهم الجنوبيه الغربيه المتاخمه للروم.

و كانت العقيدته المجوسيه مسيطره على الفرس و أكثر أتباعهم، و لم يكن للجيش هدف يوحد صفوفه و يسعى لتحقيقه غير الارتراق أيضا ... كما كانت قيادته غالبا وراثيه و قاداته يعتمدون على حسبهم و نسبهم و حظوتهم لدى الأكاسره لا على قابلياتهم

العسكريه و كفاياتهم فى القتال.

٤- النتائج:

على الرغم من كثره القبائل العربيه قبل الإسلام، فانها كانت متفرقه لا تخضع إلا لسيطره رؤسائها الذين تسيطر عليهم أهواؤهم و رغباتهم الشخصيه.

كما أن النظام العسكري فى كل من الامبراطوريتين الفارسيه و الروميه كان فاسدا.

و لم يكن لكل من هؤلاء العرب و الفرس و الروم أهداف يؤمنون بها و يضحون فى سبيل تحقيقها.

لقد كانوا أعدادا ضخمة و لكن بلا نظام، و كان المسلمون قليلين و لكنهم منظمون.

مناقشه الموقف العسكري للطرفين

أصبح واضحا من دراسه الموقف العسكري للطرفين، أن المسلمين- على قتلهم- كانوا أقوى من أعدائهم المشركين و الروم و الفرس- على كثرتهم- ذلك لأن المسلمين يتميزون على أعدائهم بعقيدتهم الراسخه و إيمانهم العميق بأهدافهم، و بذلهم عن طيبه خاطر كل ما يملكونه فى سبيل تحقيق تلك الأهداف.

ص: ٧٩

لقد رأينا فى الحرب العالميه الثانيه و فى كل الحروب القديمه و الحديثه، كيف أن المتحاربين يحاولون بشتى الطرق إقناع جيوشهم بعداله قضيتهم، ليدفعوا تلك الجيوش الى التضحيه فى سبيل تلك القضيه.

بذل كل من الحلفاء و دول المحور فى الحرب العالميه الثانيه أقصى جهودهم لإقناع أممهم و الشعوب الأخرى بسمو أهدافهم التى يحاربون من أجلها.

لقد فعل الحلفاء و المحور كل ذلك لغرض واحد: هو جعل جنودهم يقاتلون فى سبيل هدف معين، و جعل شعوبهم و الشعوب الأخرى تؤمن بهذا الهدف؛ و بهذا وحده يمكن أن يضحي الجندى بنفسه فى ساحات القتال مقبلا غير مدبر و تضحي الأمه بما تملكه ماديا و معنويا فى سبيل تحقيق تلك الأهداف.

إن كل جيش يحارب (بعقيد) لتحقيق هدف (معين) لا بد أن (يستقتل) فى سبيل عقيدته و هدفه، و بذلك يصعب قهره إذا لم يكن قهره مستحيلا. و قد يخفق فى معركه محدوده، و لكن النتيجة مضمونه له على كل حال.

أما الجيش الذى لا عقيدته له و لا هدف، فما أسهل أن تتحطم معنوياته عند الخطر ... إذا كانت لديه معنويات!!

و ما أصدق نابليون حين يقول:(إن العامل المعنوى فى الحرب أكثر أهميه من العامل المادى بنسبه ثلاثه الى واحد) ...

إنَّ الموقف العسكري كان بجانب المسلمين نتيجة للاستعدادات الدقيقه المتميزه التي أنجزها الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقد كان الوقت في صالح المسلمين أيضا، لأنه كلما مرّت الأيام ازداد المسلمون عددا وقوه وازداد إيمانهم بعقيدتهم و تفانيهم في سبيلها.

ص: ٨٠

إنَّ قضيه تغلب المسلمين القليلين على أعدائهم الكثيرين، كانت متوقعه النتائج من الوجهه العسكريه قبل نشوب القتال، نظرا لإعداد قوات المسلمين على نظام حصين مكين، و نظرا لأن نظام أعدائهم كان فاسدا من كل الوجوه.

و لعل في توضيح الموقف العسكري للطرفين ما يعطى بعض الجواب للمؤرخين و للمفكرين العسكريين عن تساؤلهم: كيف تم الفتح الاسلامى بمثل تلك السرعة، فاستطاع المسلمون في خلال ثلاثين سنه فقط من ظهور دعوتهم، أن يكونوا دوله تمتد من الصين شرقا الى حدود فرنسا غربا و الى سبريا شمالا و الى المحيط الهندي جنوبا؟ ...

ص: ٨١

الدفاع عن العقيدہ

اشاره

(الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ).

(القرآن الكريم)

ص: ٨٢

ص: ٨٣

دوريات القتال و الاستطلاع الاولى

اشاره

دوريات القتال و الاستطلاع الاولى (١)

الموقف العام

١- المسلمون:

استقرّ المهاجرون في المدينه المنوره، و آخى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينهم و بين الأنصار، فأصبحوا إخوانا في الله.

و معنى الإخاء أن تذوب العصبية الجاهلية، فلا حمية إلا للإسلام؛ و أن تذهب فوارق النسب و اللون و الوطن. و قد ظلت عقود الإخاء هذه مقدمه على حقوق القرابه حتى فى توارث التركات الى موقعه بدر، إذ بقى بعدها الإخاء المعنوى و انفصم الإخاء المادى فى الموارث.

٢- المشركون و يهود:

أ- المشركون:

يتربص الأعراب المجاورون للمدينه الدوائر بالمسلمين، و يحاولون انتهاز فرصه سانحه للإيقاع بهم.

١- الدوريات: هى مفارز واجبها جمع المعلومات عن قوه العدو و تسليحه و عن الأرض، و هى نوعان: أ- دوريات استطلاع: و هى المفارز التى تحصل المعلومات دون قتال، لذلك تكون صغيره العدد سريعه الحركه. ب- دوريات قتال: و هى المفارز التى تحصل المعلومات بالقتال، لذلك تكون قويه فى عددها و عددها.

ص: ٨٤

ص: ٨٥

و تحاول قريش جهدها القضاء على المسلمين فى موطنهم الجديد، بعد أن أحفقت فى القضاء عليهم بمكه، كما يتمنى مشركو المدينه و منافقوها أن يتخلصوا من المسلمين الدخلاء الذين استجابوا لله و للرسول صلى الله عليه و سلم.

ب- يهود:

طمع يهود أول وصول النبي صلى الله عليه و سلم الى المدينه المنوره أن يضمّوه إليهم، فوادعوه و عاهدوه على حريه نشر الدعوه للدين الجديد.

و لكنهم لم يلبثوا حين رأوا أمر المسلمين يستقر و يسمو و يشتد، أن بدأوا يقبلون للمسلمين ظهر المجن و يعملون للوقيع بينهم؛ فلم يتركوا وسيله للذس و إثارة البغضاء بين المهاجرين و الأنصار و لإيقاظ الأحقاد الماضيه بين الأوس و الخزرج بذكر يوم(بعث) و روايه ما قيل فيه من الشعر ... إلا استغلوها أشنع استغلال.

الهدف الحيوى للدوريات

إشعار المشركين و يهود و المنافقين بقوه المسلمين، لكى يتركوا أحرارا فى نشر دعوتهم و الدفاع عن عقيدتهم ضد المعتدين.

سير الحوادث (راجع الملحق أ)

١- قوات الطرفين:

أ- المسلمون:

دوريه قتال تتألف من ثلاثين راكبا من المهاجرين بقياده حمزه بن عبد المطلب بن هاشم عم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ.

ص: ٨٦

ب- المشركون:

قافله تجاريه لقريش يحميها ثلاثمائه راكب بقياده أبي جهل بن هشام.

٢- الهدف:

الوصول الى (العيص) (١) على ساحل البحر الأحمر، لتهديد طريق تجاره قريش بين مكه و الشام.

٣- النتائج:

وصلت قوات المسلمين الى ساحل البحر الأحمر ناحيه (العيص) على الطريق التجاريه الحيويه بين مكه و الشام، و هددت قافله قريش التجاريه فعلا، إلا أن (مجدى بن عمرو الجهني) حجز بين الطرفين، فعاد المسلمون دون قتال.

سريه عبيده بن الحارث

سريه عبيده بن الحارث (٢)

١- قوات الطرفين:

أ- المسلمون:

دوريه قتال بقوه ستين رجلا من المهاجرين بقياده عبيده بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف.

١- العيص: موضع فى بلاد بنى سليم به ماء يقال له: ذنبان العيص، و هو من ناحيه ذى المروه على ساحل البحر الأحمر بطريق قريش التى كانوا يأخذون منها الى الشام. أنظر التفاصيل فى معجم البلدان ٦ / ٢٤٨.

٢- عبيده بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشى: أسلم قديما و كان أسنّ بنى عبد مناف يومئذ، و كان أسنّ من رسول الله (ص) بعشر سنين. جرح يوم بدر و مات شهيدا من جرحه. أنظر طبقات ابن سعد ٣ / ٥٠، و الإصابه ٤ / ٣٩، و أسد الغابه ٣ / ٣٨٣، و الاستيعاب ٣ / ١٠٣٠.

ب- المشركون:

أكثر من مائتي راكب و راجل بقياده أبي سفيان بن حرب، و فى روايه أنه كان على القوم عكرمه بن أبي جهل.

٢- الهدف:

الوصول الى (وادي رابغ) (١) لتهديد تجاره قريش بين مكه و الشام.

٣- النتائج:

وصلت قوات المسلمين الى (وادي رابغ) على الطريق التجاريه لقريش بين الشام و مكه، و كان بين المسلمين و المشركين مناوشه، و رمى سعد بن أبي وقاص يومئذ بسهم، فكان أول سهم رمى به فى الإسلام.

و عاد الطرفان دون قتال، بعد أن أظهر المسلمون للمشركين قوتهم.

سريه سعد بن أبي وقاص

سريه سعد بن أبي وقاص (٢)

١- قوات الطرفين:

أ- المسلمون:

دوريه قتال تتألف من عشرين رجلا من المهاجرين بقياده سعد بن أبي وقاص.

ب- المشركون:

قافله تجاريه لقريش بحمايه عدد غير معروف من رجالهم.

١- وادي رابغ: واد يقطعه الحاج بين البزواء و الجحفه دون عزور. و هو بين الجحفه و ودان. أنظر التفاصيل فى معجم البلدان ١٤ / ٢٠٢.

٢- أنظر ترجمته فى كتابنا: قاده فتح العراق و الجزيره ٢٢١-٢٦٨.

٢- الهدف:

الوصول الى (الخزّار) (١) لتهديد طريق قريش التجاريه بين مكه و الشام.

٣- النتائج:

لم يستطع سعد بن أبى وقاص اللحاق بالقافله، ففاتته، لأن عيون قريش علمت بخروج المسلمين إليهم، فأسرعوا بالحركه قبل أن يداهمهم الخطر.

غزوه ودان (و هي غزوه الأبياء)

غزوه ودان (٢) (و هي غزوه الأبياء)

١- قوات الطرفين:

أ- المسلمون:

دوريه قتال تتكون من مائتى راكب و راجل بقيادة الرسول صلّى الله عليه و سلم.

ب- المشركون:

قوه من قريش و من بنى ضميره.

٢- الهدف:

الوصول الى (ودان) لتهديد طريق قريش التجاريه بين مكه و الشام و العمل على التحالف مع القبائل المسيطره على هذه الطريق.

١- الخرار: موضع بالحجاز قرب الجحفه. أنظر التفاصيل فى معجم البلدان ٣/ ٤٠٧.

٢- ودان: قريه قريبه من الجحفه، و هناك ودان بين الأبياء و الجحفه، و هي من الجحفه على مرحله. أنظر التفاصيل فى معجم البلدان ٨/ ٤٠٥.

ص: ٨٩

٣- النتائج:

وصلت قوات المسلمين الى (ودان) إلا أنها لم تصطدم بقريش، بل لاقت بنى ضميره و على رأسهم مخشى بن عمرو الضمرى و كان سيد بنى ضميره، فوادعه الرسول صلّى الله عليه و سلم على ألا يغزو بنى ضميره و لا يغزوه و لا يكثروا عليه جمعا و لا و لا يعينوا عدوا، و كتب بذلك بينه و بينهم كتابا.

غزوه بواط

غزوه بواط (١)

١- قوات الطرفين:

أ- المسلمون:

دوریه قتال من مائتی راكب و راجل بقيادة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلِمَ.

ب- المشركون:

قافله تجاريه لقریش بحمايه مائه راكب و راجل يقودهم أميه بن خلف الجمحي.

٢- الهدف:

الوصول الى (بواط) من ناحيه جبل (رضوى) على الطريق التجاريه لقریش بين مكه و الشام.

٣- النتائج:

وصلت قوات المسلمين الى (بواط)، و لكن عيون قریش علمت بخروج

١- بواط: جبل من جبال جهينه بناحيه رضوى. أنظر التفاصيل في معجم البلدان ٢ / ٢٩٧.

ص: ٩٠

تلك القوات، فأسّرت قافلتهم بحرکتها، و سلكت طريقا غير طريق القوافل المعبده، ففادت القافله على المسلمين، فرجع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلِمَ و لم يلق كيدا.

و قد بقى المسلمون في (بواط) ما يقارب الشهر الواحد.

غزوه ذى العشيره

غزوه ذى العشيره (١)

١- قوات الطرفين:

أ- المسلمون:

دوریه قتال من مائتی راجل و راكب بقيادة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلِمَ.

ب- المشركون:

بنو(مدلج) و أحلافهم من بنى ضميره و قافله تجاريه لقريش بقياده أبى سفيان ابن حرب.

٢- الهدف:

الوصول الى موضع(العشيره) فى منطقه(ينبع) (٢) على الطريق التجاريه لقريش بين مكه و الشام، للتفاهم مع القبائل و إظهار قوه المسلمين للمشركين.

٣- النتائج:

أقام المسلمون شهرا فى(العشيره)، فوادعوا بها بنى مدلج و حلفاءهم من بنى ضميره ... أما قافله قريش فتملّصت من المرور(بالعشيره).

و عاد المسلمون دون قتال.

١- ذو العشيره: موضع من ناحيه ينبع بين مكه و المدينه و هو حصن صغير بين ينبع و ذى المروه. أنظر التفاصيل فى معجم البلدان ١٨١ /٤.

٢- ينبع: قربه غناء فيها حصن و نخيل و ماء و زرع، و هى بين مكه و المدينه. أنظر التفاصيل فى معجم البلدان ٨ /٥٢٦.

ص: ٩١

غزوه بدر الأولى

١- قوات الطرفين:

أ- المسلمون:

دوريه قتال تتألف من حوالى مائتى راكب و راجل بقياده الرسول صَلَّى الله عليه و سلم.

ب- المشركون:

قوات خفيفه سريعه أغارت على مراعى ضواحي المدينه المنوره و استاقت قسما من إبل و أغنام المسلمين.

٢- الهدف:

مطارده قوات المشركين و استعاده الغنم و الإبل المنتهبه من المسلمين.

وصلت قوات المسلمين الى (وادي سفوان) (١) قريبا من (بدر) فلم تدر ك قوات المشركين، فعادت أدراجها بدون قتال.

سريه عبد الله بن جحش الأسدي

سريه عبد الله بن جحش الأسدي (٢)

١- قوات الطرفين:

أ- المسلمون:

دوريه استطلاعيه بقوه قوامها اثنا عشر رجلا من المهاجرين بقياده عبد الله

١- وادي سفوان: واد من ناحيه بدر. أنظر معجم البلدان ٥ / ٩٠.

٢- عبد الله بن جحش الأسدي القرشي، أبو محمد و أمه أميمه بنت عبد المطلب عمه رسول الله (ص). أسلم قبل دخول النبي (ص) دار الأرقم، و شهد بدرا و استشهد يوم (أحد). أنظر طبقات ابن سعد ٣ / ٨٩ و أسد الغابه ٣ / ١٣١، و الاصابه ٤ / ٤٦، و الاستيعاب ٣ / ٨٧٧.

ص: ٩٢

ابن جحش. تحركت الدوريه في شهر رجب على رأس سبعة عشر شهرا من مهاجره رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم (١)، و مع قائدها رساله (مكتومه) أمره الرسول صَلَّى الله عليه و سلم ألا يفتحها إلا بعد يومين من مسيره فإذا فتحها و فهم ما فيها، مضى في تنفيذها غير مستكره أحدا من أفراد قوته على مرافقته! ...

كان مضمون الرساله: (إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل (نخله) بين مكه و الطائف، (فترصد) بها قريشا و تعلم لنا من أخبارهم).

أطلع عبد الله رجاله على كتاب الرسول صَلَّى الله عليه و سلم، و أخبرهم أن الرسول صَلَّى الله عليه و سلم نهاه ألا يستكره أحدا منهم على مرافقته ... فلم يتخلف منهم واحد.

و مضى عبد الله بقوته هذه عدا سعد بن أبي وقاص و عتبه بن غزوان اللذين ذهبا يطلبان بعيرا لهما ضلّ، فأسرتهما قريش، حتى نزل أرض (نخله) فمّرت قافله قريش، فهاجمها المسلمون، فقتل في هذه المعركة من المشركين عمرو بن الحضرمي و أسر المسلمون رجلين (٢) من قريش و فرّ الرابع الى قريش.

و عاد عبد الله بالقافله و الأسيرين الى المدينه المنوره.

ب- المشركون:

قافله تجاريه بحمايه أربعه رجال من قريش بقياده عمرو بن الحضرمي.

٢- الهدف:

الوصول الي (نخله) و استطلاع أخبار قريش و الحصول على المعلومات عنها، كما نصّ ذلك كتاب الرسول صَلَّى الله عليه و سلم، و لم يكن الهدف قتال قريش.

٣- النتائج:

أ- أدى (اندفاع) عبد الله بن جحش الى القتال في الشهر الحرام، مما

١- أنظر طبقات ابن سعد ١٠ / ٢

٢- هما: عثمان بن عبد الله بن المغيرة و الحكم بن كيسان، و فر نوفل بن عبد الله.

ص: ٩٣

يخالف تقاليد العرب حينذاك، الى انتهاز قريش فرصه سانحه للدعايه ضد المسلمين.

و لم يكن الرسول صَلَّى الله عليه و سلم يريد (قتالا)، بل كان يريد (استطلاعاً).

ب- وقع في هذه الغزوه أول قتيل من المشركين و أول غنيمه و أول أسيرين، و قد فادى الرسول صَلَّى الله عليه و سلم هذين الأسيرين فأسلم أحدهما (١) و عاد الثاني أدراجه الى مكه المكرمه.

دروس من الدوريات

١- الاستطلاع:

استطاع المسلمون التعرف على الطرق المحطيه بالمدينه المنوره و المؤديه الى مكه المكرمه خاصه الطريق التجاريه الحيويه لقريش بين مكه و الشام، كما استطاعوا التعرف على قبائل المنطقه و مواده بعضها.

٢- القتال:

أثبت المسلمون أنهم أقوياء يستطيعون الدفاع عن أنفسهم تجاه المشركين من قريش و القبائل المجاوره و أهل المدينه غير الموالين للمسلمين، و تجاه يهود.

و أن بإمكانهم الدفاع عن عقيدتهم عند الحاجة.

و قد أراد المسلمون من ذلك أن تترك لهم الحرية الكاملة لنشر دعوتهم دون تدخل أعدائهم.

و قد تحالف المسلمون مع قسم من القبائل العربية المجاورة للمدينه المنوره و التي تقطن حول طريق مكه- الشام التجاريه.

١- أسلم الحكم بن كيسان و قتل بيثر معونه شهيدا.

ص: ٩٤

٣- الكتمان:

ابتكر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ أسلوب (الرسائل المكتومه) للمحافظه على الكتمان و حرمان العدو من الحصول على المعلومات التي تفيده عن حركات المسلمين، و الكتمان أهم عامل من عوامل مبدأ (المباغته) (١) و هي أهم مبدأ من مبادئ الحرب. و قد سبق المسلمون غيرهم في ابتكار هذا الأسلوب الدقيق (للكتمان) قبل أن يفتن إليه الألمان و يستعملوه في الحرب العالميه الثانيه (٢).

٤- الحصار الاقتصادي:

هدد المسلمون أهم طريق تجاريه بين مكه و الشام، فأصبحت قوافل قريش غير آمنه حين تسلك هذه الطريق، مما أثر أسوأ الأثر على تجاره قريش التي تعيش عليها، و هدّد مكه بالحصار الاقتصادي بمحاولة حرمانها من سلوك طريق مكه- الشام بأمان.

١- المباغته: هي إحداه موقوف لا- يكون العدو مستعدا له، و الكتمان من جمله الوسائل المهمه التي تؤدي الى المباغته. و المباغته أهم مبدأ من مبادئ الحرب.

٢- يدعى الألمان أنهم أول من ابتكر أسلوب الرسائل المكتومه، و لكن حقيقه ابتكار هذا الأسلوب أوضح من أن يمارى فيه، و هي أن النبي (ص) كان أول من ابتكر هذا الأسلوب قبل أربعه عشر قرنا!

ص: ٩٥

ص: ٩٦

ص: ٩٧

الصراع الحاسم بين عقيدتين

إشاره

(اللهم هذه قريش قد أتت بخيلائها تحاول أن تكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني).

(اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد).

(محمد رسول الله)

ص: ٩٨

ص: ٩٩

غزوه بدر الكبرى المعركة الحاسمه الأولى للإسلام

الموقف العام

١- المسلمون:

ازداد عدد المسلمين في المدينة المنوره و ازدادوا قوه و تماسكا، و لكنّ حالتهم الاقتصاديه كانت مترديه، لأن أكثر المهاجرين فرّوا بأنفسهم و عقيدتهم من مكه المكرمه، و تركوا أموالهم هناك، و لأنّ الأنصار شاركوا المهاجرين في أرزاقهم القليله، فلا عجب إذا رأينا المسلمين يفكرون جدّيا في استخلاص أموالهم من قريش.

٢- المشركون و يهود:

أصبح للمشركين ثأر عند المسلمين في قتل عمرو بن الحضرمي، فلا بدّ من الأخذ بهذا الثأر حتى تعود لقريش و حلفائها كرامتهم و هيبتهم عند العرب.

كما أن الطريق التجاريه الحيويه بين الشام و مكه أصبحت تحت رحمه المسلمين و حلفائهم، و معنى ذلك موت تجاره قريش و تردّي مركزها الاقتصادي؛ كما أن انتشار نفوذ المسلمين و ازدياد قوتهم يوما بعد يوم، لا يتفق مع احتكار قريش للسياده على العرب.

تلك هي العوامل المهمه التي جعلت قريشا تفكر جديا في انتهاز اول فرصه للقضاء على الدين الجديد، و كان يهود في المدينة يثيرون الحرب الباردة ضد المسلمين و يحاولون خلق المشاكل لهم و يقومون بواجب (الرتل الخامس) لقريش على المسلمين، و يحرضون أعداء المسلمين على المسلمين.

ص: ١٠٠

ص: ١٠١

قوات الطرفين

١- المسلمون:

بلغت قوه المسلمين (٣٠٥) رجلا- من المهاجرين و الأنصار (١) بقيادة الرسول صلى الله عليه و سلم- انظر الملحق بأسمائهم- و كان معهم فرسان فقط و سبعون بعيرا يتعاقب الرجلان و الثلاثه و الأربعة على البعير الواحد.

٢- المشركون:

بلغت قوه المشركين (٩٥٠) رجلا- أكثرهم من قريش، معهم مائتا فرس يقودونها و عدد كبير من الإبل لركوبهم و حمل أمتعتهم، و كانت هذه القوه بقيادة عدد من رجالات قريش.

أهداف الطرفين

١- المسلمون:

أ- الاستيلاء على القافله (٢) التجاريه لقريش بقيادة أبى سفيان بن حرب، التى كان يحميها حرس بين ثلاثين الى أربعين رجلا.

١- كان المهاجرون أربعة و سبعين رجلا- و سائرهم من الأنصار. أنظر طبقات ابن سعد ١٢ / ٢ مع اختلاف فى عددهم فى المصادر الأخرى. أنظر جوامع السيره لابن حزم ص ١١٤ - ١٤٦، و سيره ابن هشام ٢ / ٣٢٤ - ٣٥٤.

٢- راجع قانون الحرب و الحياد من القانون الدولى. وسائل العنف الموجهه ضد الأموال: يبيح قانون الحرب للدوله المحاربه الالتجاء الى أنواع معينه من وسائل العنف ضد الأموال، فهو يحيز لها فى حدود معينه إتلاف أموال الأعداء و مصادرتها ... الخ.

ص: ١٠٢

ب- البقاء فى (بدر) بعد إفلات القافله حتى يتسامع المشركون بقوه المسلمين فيها بوهم و يتركوا لهم حريه نشر الدعوه لدينهم.

٢- المشركون:

أ- حمايه القافله التجاريه القادمه من الشام.

ب- عند إفلات القافله تضاربت الآراء فى قتال المسلمين أو العوده، فتغلب رأى القائلين بالقتال، للأخذ بثأر عمرو بن الحضرمي، و للقضاء على قوات المسلمين، و لتعرف العرب قوه قريش و سطوتها، و لتضع حدا لتهديد المسلمين طريق الشام- مكه التجاريه.

قبل المعركه

١- المسلمون:

أ- خرج أبو سفيان بن حرب أوائل الخريف من السنه الثانيه الهجرية فى تجاره كبيره الى الشام، و قد أراد المسلمون اعتراضها

فى غزوه (العشيره) عند ذهابها الى الشام، و لكنها تملّصت منهم.

و تحيّن المسلمون عودتها من الشام، فبعث الرسول صلّى الله عليه و سلم طلحه بن عبيد الله و سعيد بن زيد ينتظرانها، حتى إذا وصلا (الحوراء) (1) على طريق الشام- مکه مكنّا هناك، فلما مرّت القافله بهم، أسرعوا الى المسلمين يخبر ان النبى صلّى الله عليه و سلم بأمرها.

ندب الرسول صلّى الله عليه و سلم المسلمين للخروج، و قال لهم: (هذه غير قريش فاخرجوا إليها لعلّ الله ينفلكموها).

١- الحوراء: كوره من كور مصر القبليه فى آخر حدودها من جهه الحجاز، و هى على البحر الأحمر، و هى مرفأ سفن مصر الى المدينه. أنظر التفاصيل فى معجم البلدان ٣/ ٣٥٩.

ص: ١٠٣

و خفّ قسم من الناس و ثقل قسم منهم، لأنهم لم يظنوا أن الرسول صلّى الله عليه و سلم سيخوض معركة حاسمه ضد المشركين، بل ظنوا أن الغزوه ستكون عباره عن مناوشات طفيفه، كما حدث فى السرايا و الغزوات السابقه. و أراد جماعه لم يسلموا أن يضموا الى المسلمين طمعا فى الغنيمه، فأبى النبى صلّى الله عليه و سلم عليهم الانضمام أو يؤمنوا بالله و رسوله.

ب- تحركت قوات المسلمين من المدينه المنوره لثمان خلون من شهر رمضان من السنه الثانيه الهجرية بالترتيبات التاليه:

أولاً: دوريه استطلاعيه أماميه للحصول على المعلومات عن اتجاهات القافله التجاريه و نيات قريش.

ثانياً: القسم الأكبر (1) مؤلف من كتيبتين: كتيبه المهاجرين و رايتها مع على بن أبى طالب و عمير بن هاشم، و كتيبه الأنصار و رايتها مع سعد بن معاذ، و هاتان الرايتان سوداوان.

ثالثاً: مؤخره بإمره قيس بن أبى صعصعه.

رابعاً: رايه المسلمين العامه بيضاء مع مصعب بن عمير بن هاشم.

ج- سلكت قوات المسلمين طريق القوافل بين المدينه و بدر البالغ طوله حوالى (١٦٠) كيلومترا، و قد قسم الرسول صلّى الله عليه و سلم الإبل المتيسره و عددها سبعون بعيرا على أصحابه، و كان من نصيبه مع على بن أبى طالب و مرثد ابن أبى مرثد الغنوى بعير واحد يتعاقبونه، تماما كما يفعل أى فرد من قواته.

قال شريكا الرسول صلّى الله عليه و سلم فى البعير: (نحن نمشى عنك). فقال: (ما أنتما

١- القسم الأكبر: تعبیر عسكري يقصد به القوه الرئيسه من القطعات المتحركه لأغراض القتال.

ص: ١٠٤

بأقوى مني، و لا أنا بأغنى عن الأجر منكما). و أراد بذلك المساواه مع أى فرد من قواته.

د- انطلق المسلمون مسرعين خوفا من إفلات قافله أبى سفيان بن حرب منهم، و بثوا عيونهم يتعرفون الأخبار، فلما وصلوا قريبا من (الصفراء) (١) بعث الرسول صلى الله عليه و سلم دوريه استطلاعيه قوتها رجلاذ الى (بدر) للحصول على المعلومات عن قريش و قافلتهما، فلما وصل المسلمون (وادي ذفران) (٢) جاءهم الخبر بخروج قريش من مكه لنجده قافلتهم.

ه- أخبر الرسول صلى الله عليه و سلم أصحابه بما بلغه من أمر قريش طالبا مشورتهم، فأدلى أبو بكر و عمرو برأييهما، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: (يا رسول الله! امض لما أمرك الله فنحن معك، و الله لا نقول كما قال بنو إسرائيل لموسى:

اذهب أنت و ربك فقاتلا إنها هنا قاعدون، و لكن اذهب أنت و ربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فو الذى بعثك بالحق لو سرت بنا الى (برك الغماد) (٣) لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه).

فسكت الناس فقال الرسول صلى الله عليه و سلم: (أشيروا على أيها الناس)، و كان يريد بكلمته هذه الأنصار الذين بايعوه يوم (العقبه) على أن يمنعه مما يمنعون منه أبناءهم و نساءهم و لم يبايعوه على صد اعتداء خارج مدينتهم، فكان الرسول صلى الله عليه و سلم يخشى ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا ممن يهاجمه فى المدينه المنوره.

١- الصفراء: واد من ناحيه المدينه كثير الخيرات. أنظر التفاصيل فى معجم البلدان ٥ / ٣٦٧.

٢- وادي ذفران: واد قرب وادي الصفراء. أنظر معجم البلدان ٤ / ١٩٥.

٣- برك الغماد: موضع فى اليمن. و يقال: هو أقصى حجر. أنظر التفاصيل فى معجم البلدان ٢ / ١٤٩.

ص: ١٠٥

فلما أحس الأنصار أن الرسول صلى الله عليه و سلم يريد سماع رأيهم، قام سعد بن معاذ و قال: (لكأنك تريدنا يا رسول الله؟) فقال: (أجل)!

قال سعد: (لقد آمنا بك و صدقتناك و شهدنا أن ما جئت به هو الحق، و أعطيناك على ذلك عهدنا و موثيقنا على السمع و الطاعه، فامض لما أردت فنحن معك. فو الذى بعثك لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، و ما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا: إنا لصبر فى الحرب صدق فى اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركه الله).

و ارتحلوا جميعا حتى إذا كانوا على مقربه من (بدر) انطلق الرسول صلى الله عليه و سلم أمام قواته و بصحبته أبو بكر، حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش و عن محمد و أصحابه و ما بلغه عنهم، قال الشيخ: (لا أخبر كما حتى تخبرانى: ممن أنتما؟)

قال النبى صلى الله عليه و سلم: (إذا أخبرتنا أخبرناك).

علم الرسول صلى الله عليه و سلم من شيخ العرب، أن غير قريش قريبه منه، فقال لشيخ العرب: (نحن من ماء). ثم انصرف و

صاحبه عنه و الشيخ يقول:(ما من ماء؟ أمن ماء العراق)؟ و هكذا لم يخبره الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم عن هويته حتى لا تعلم قريش بمواضع المسلمين.

و- أرسل الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم دوريتي استطلاع غرضهما الحصول على معلومات عن قوه قريش و مواضعها.

الدوريه الأولى مؤلفه من على بن أبي طالب و الزبير بن العوام و سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه، استطاعت الوصول الى ماء بدر، و عادت و معها

ص: ١٠٦

غلامان لقريش، فاستنطقهما الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم، و علم منهما أن قريشا وراء الكثيب (بالعدوه القصى) و لما أجابا: (بأنهما لا يعرفان عدد رجال قريش).

سألهما: (كم ينحرون يوميا)؟ فأجابا: (يوما تسعا و يوما عشرا)، فاستنبط الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم من ذلك أنهم بين التسعمائه و الألف، و عرف من الغلامين كذلك أن أشرف قريش جميعا خرجوا لمنعه.

و الدوريه الثانيه مؤلفه من رجلين من المسلمين وصلا ماء بدر، فسمع جاريه تطالب صاحبتهما بدين عليها و الثانيه تجيبها: (إنما تأتي العير غدا أو بعد غد، فأعمل لهم ثم أفضيك الذي لك)، فعاد الرجلان فأخبرا الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم بما سمعا.

ز- تأهب المسلمون لخوض المعركه و عسكروا في أدنى ماء من بدر فجاء الحباب بن المنذر (١) الى رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلم، فقال: (أرأيت هذا المنزل، أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه و لا نتأخر عنه، أم هو الرأى و الحرب و المكيد)؟

١- الحباب بن المنذر الأنصارى السلمى، يكنى أبا عمرو، شهد بدرا و هو ابن ثلاث و ثلاثين سنه، و شهد أحدا و الخندق و المشاهد كلها مع رسول الله (ص). يقال له ذو الرأى، سار رسول الله (ص) يبادر قريشا الى الماء، فلما جاء أدنى ماء من بدر نزل عليه، فقال الحباب بن المنذر: (يا رسول الله! أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتعداه و لا-نقصر عنه، أم هو الرأى و الحرب و الحرب و المكيد)؟! فقال رسول الله (ص): (بل هو الرأى و الحرب و المكيد). قال الحباب: (يا رسول الله، ليس هذا بمنزل، و لكن انهض حتى تجعل القلب كلها وراء ظهرك، ثم غور كل قلب بها إلا- قليبا واحدا، ثم احفر عليه حوضا، فنقاتل القوم و نشرب و لا يشربون، حتى يحكم الله بيننا و بينهم). فقال رسول الله (ص): (أشرت بالرأى)، و فعل ذلك. توفى الحباب في خلافه عمر بن الخطاب رضى الله عنهما. أنظر التفاصيل في طبقات ابن سعد ٣/ ٥٦٧، و الإصابه ١/ ٣١٦، التسلسل ١٥٤٧، و أسد الغابه ١/ ٣٦٤، و الاستيعاب ١/ ٣١٦، التسلسل ٤٥٨.

ص: ١٠٧

قال: (بل هو الحرب و الرأى و المكيد).

قال الحباب: (يا رسول الله. فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم، فنعسكر فيه، ثم نعور (١) ما وراءه

من الآبار ثم نبى عليه حوضاً فملاًه ماء، ثم نقاتل القوم، فنشرب و لا يشربون).

أنفذ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الرأي، فما حلَّ نصف الليل حتى تحول المسلمون الى معسكرهم الجديد، و امتلكوا مواقع الماء، و أعلن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه:

(أنه بشر مثلهم، و أن الرأي شورى بينهم، و أنه لا يقطع برأى دونهم، و أنه فى حاجه الى حسن مشوره صاحب المشوره الحسنه منهم) ...

و أنجزوا بناء الحوض و ملأوه ماء، ثم غوّروا المياه الأخرى، و تم كل ذلك ليلاً، ثم أخذوا قسطهم من الراحة بقيه الليل، ليكونوا أقوياء فى الصراع الوشيك.

٢- المشركون:

علم أبو سفيان بن حرب بخروج الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاعتراض قافلته حين رحلته الى الشام، فخاف أن يعترضه المسلمون حين عودته.

لقد كانت القافله حوالى ألف بعير موفره بالأموال، إذ لم يبق أحد من قريش رجالاً و نساء لم يساهم فيها بحظ حسب امكانياته الاقتصاديه، حتى قوّم ما تحمله القافله بخمسين ألفاً من الدنانير.

و لما تأكد أبو سفيان بن حرب من خروج الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و أصحابه للتعرض

١- نغور: تروى هذه الكلمه بالعين المهمله، و معناها على ذلك (نفسد) و ذلك بأن يقذفوا فى القلب أحجاراً و تراباً فيفسدوها على أعدائهم؛ و تروى بالعين المعجمه، و معناها حينئذ يجعله يغور فى الأرض، و هو قريب من سابقه.

ص: ١٠٨

لقافلته العزلاء إلا- من ثلاثين أو أربعين رجلاً، استأجر ضمضم بن عمرو الغفارى، فبعثه مسرعاً الى مكه ليستنفر قريشا الى أموالهم، و يخبرهم أن محمداً قد عرض لها فى أصحابه.

وصل ضمضم الى مكه، فقطع أذن بعيره، و جدع أنفه و حول رحله، و وقف هو عليه و قد شقَّ قميصه من قبل و من دبر، و جعل يصيح: (يا معشر قريش! اللطيمه اللطيمه (١)!) أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه ... لا أرى أن تدركرها. الغوث الغوث (...).

و لم تكن قريش فى حاجه الى من يستنفرها، فقد كان لكل فرد منها فى العير نصيب.

و لما فرغت قريش من جهازها و أجمعت المسير، ذكرت ما كان بينها و بين بنى (كنانه) من الحرب و الحزازات، فخشوا أن

تضربهم (كنانه) من الخلف، و كاد هذا المحذور يقعدهم عن الخروج لو لا- أن جاء مالك بن جشعم المدلجى، و كان من أشرف بنى كنانه، فقال: (أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانه من خلفكم بشىء تكرهونه) ...

إذ ذاك قررت قريش الخروج خاضعه لرأى دعاه الحرب و على رأسهم أبو جهل، أشد الناس عداوه للمسلمين، و عامر بن الحضرمى أخو عمرو بن الحضرمى الذى قتله المسلمون فى (نخله) و الذى يحرص على الأخذ بثأره.

و لم يتخلف من أشرف قريش غير أبى لهب الذى أرسل مكانه رجلا آخر، كما حشد هؤلاء كل القادرين على حمل السلاح من قريش و حلفائهم.

و سبق أبو سفيان بن حرب قافلته للحصول على المعلومات عن قوه المسلمين

١- اللطيمه: هى الإبل تحمل الطيب.

ص: ١٠٩

و مواضعهم فلما ورد ماء (بدر) وجد عليه مجدى بن عمرو، فسأله: (هل رأى أحدا من المسلمين)؟ فأجاب مجدى: (لم أر إلا راكبين أناخا الى هذا التل)، و أشار الى حيث أناخ الرجلان من المسلمين.

فحص أبو سفيان بن حرب مناخهما، فوجد فى روث بعيريهما نوى عرفه فى علائف يثرب، فأدرك أن الرجلين من أصحاب النبى صلى الله عليه و سلم، و أن جيشه منه قريب، فرجع الى القافله ليغير طريقها نحو الساحل، تاركا (بدر) الى يساره، و أسرع فى مسيره حتى بعدت المسافه بين القافله و بين قوات المسلمين، و أرسل أبو سفيان الى قريش يطلب منهم أن يعودوا أدراجهم الى مكه لنجاه قافلته من المسلمين.

و أرسلت قريش عمير بن وهب الجمحى ليستطلع لهم قوه المسلمين، فرجع إليهم ليخبرهم أنهم ثلاثمائة رجل يزيدون قليلا أو ينقصون، و لا- كمين لهم و لا مدد، و لكنهم قوم ليس لهم منعه و لا ملجأ إلا سيوفهم، فلا يموت منهم رجل قبل أن يقتل رجلا مثله.

و تضاربت آراء قريش، منهم من يريد الرجوع و من هؤلاء بنو زهره الذين رجعوا فعلا، و منهم من يريد البقاء، و معنى ذلك الاصطدام بالمسلمين.

قال أبو جهل زعيم الذين أرادوا البقاء لقتال المسلمين: (و الله لا نرجع حتى نرد (بدر)، فنقيم عليه ثلاثه ننحر الجزور و نطعم الطعام و نسقى الخمر و تعزف علينا القيان، و تسمع بنا العرب و بمسيرنا و جمعنا؛ فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها).

و قصد حكيم بن حزام عتبه بن ربيعه فقال: (يا أبا الوليد! إنك كبير قريش و سيدها و المطاع فيها. هل لك إلى أن لا تزال تذكر فيها بخير الى آخر الدهر)؟

قال عتبه: (و ماذا يا حكيم)؟

قال حكيم: (ترجع بالناس و تحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي).

قال عتبه: (قد فعلت. أنت عليّ بذلك، إنما هو حليفى فعلى عقله (١) و ما أصيب من ماله؛ فأت ابن الخنظليه - يقصد أبا جهل - فإني لا أخشى أن يشجر - أى يخالف بين الناس و يحملهم على عدم الوفاق - أمر الناس غيره).

قال حكيم: (فانطلقت حتى جئت أبا جهل، فوجدته نثل درعا - أى أخرج درعه - من جرابها، يهثها - أى يتفقدتها و يعدها للقتال - فقلت: يا أبا الحكم، إن عتبه أرسلنى إليك بكذا و كذا) ...

قال أبو جهل: (انتفخ و الله سحره (٢) - يقصد أن عتبه جبن - حين رأى محمدا صلى الله عليه و سلم و أصحابه - كلا و الله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا و بين محمد، و ما بعته ما قال، و لكنه قد رأى أن محمدا و أصحابه أكله جزور؛ و فيهم ابنه تخوفكم عليه) ...

و بعث أبو جهل الى عامر بن الحضرمي فقال: (هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس، و قد رأيت تأرك بعينيك، فقم فانشد خفرتك) (٣). فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف، ثم صرخ: (و اعمره!! و اعمره!!).

و لما علم عتبه بقول أبى جهل: (انتفخ و الله سحره) قال: (سيعلم مصفر أسته - أى الجبان - من انتفخ سحره، أنا أم هو)؟

و لم يبق مفر و لا مهرب من القتال.

١- عقله: ديته.

٢- سحر: الرثه و ما حولها.

٣- الخفر: بضم الخاء أو فتحها هو العهد، و أنشدها: أى أذكرها.

سير القتال

١- أنجز المسلمون قبل بدء القتال ما يلي:

أ- انتخب الرسول صلى الله عليه و سلم موضعا مشرفا على منطقة القتال فى (بدر) و بنى فيه مقرّه - العريش - و أمّن حراسه هذا المقر.

ب- جرى ترتيب المقاتلين فى صفوف، و ساوى الرسول صلى الله عليه و سلم بين الصفوف بعد أن شجع أصحابه و حرّضهم

على الصبر فى القتال.

و أمر الرسول صلى الله عليه و سلم أصحابه أن يصدّوا هجمات المشركين و هم مرابطون فى مواقعهم و قال لهم: (إذا اكتنفكم القوم، فانضحوهم بالنبل، و لا تحمّلوا عليهم حتى تؤذّنوا) ...

ج- كانت كلمه التعارف بين المسلمين و شعارهم فى القتال: أحد ... أحد.

٢- دخل المسلمون المعركه بالأسلوب الآنف الذكر: مقر قياده كامل، و سيطره لقائد واحد، و أسلوب جديد فى القتال لم تعرفه العرب من قبل، هو أسلوب الصف.

٣- أما المشركون فقد مارسوا أسلوب قتال (الكر و الفر) بدون قياده منظمه و لا سيطره، بحيث جرى قتالهم كأفراد لا كمجموعه موحد.

٤- بدأ المشركون الهجوم أولاً، إذ هجم الأسود بن عبد الأسد على الحوض الذى بناه المسلمون قائلاً: (أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمته أو لأموتنّ دونه)، فتصدى له حمزه بن عبد المطلب رضى الله عنه فضربه بالسيف ضربه أطارت نصف ساقه، و مع ذلك حبا الى الحوض لاقتحامه، و تبعه حمزه يقاتله حتى قتله فيه.

ص: ١١٢

٥- برز من المشركين عتبه و شيبه ابنا ربيعه و الوليد بن عتبه، فخرج إليهم فتيه من الأنصار، و لكنّ الرسول صلى الله عليه و سلم أعادهم و طلب خروج عبيده بن الحارث و حمزه بن عبد المطلب و على بن أبى طالب، لأنهم من أهله فهو يؤثرهم بالخطر على غيرهم، و لأن شجاعتهم و ممارستهم للقتال معروفه، لذلك فإن نجاحهم مضمون على رجالات قريش، مما يرفع معنويات المسلمين و يضع معنويات المشركين.

بارز عبيده عتبه، و بارز على الوليد، و بارز حمزه شيبه. فأما حمزه فلم يمهل شيبه أن قتله و كذلك فعل على، و أما عبيده و عتبه فقد جرح كلاهما الآخر، فكّر على و حمزه بأسيا فهما على عتبه، فأجهزا عليه و احتملا صاحبهما.

٦- استشاط المشركون غضبا لهذه البدايه السيئه، فأمطروا المسلمين وابلا من سهامهم و هاجمتهم فرسانهم، إلا أن صفوف المسلمين بقيت صامده فى مواضعها، تصوّب نبالها على المشركين متوخيه إصابه ساداتهم بالدرجه الأولى؛ و لم يفتن المشركون لأسلوب المسلمين الجديد فى القتال، مما جعل رجالات المشركين تتهاوى بوابل نبال المسلمين المصوّبه تصويبا دقيقا و المسيطر عليها.

٧- و نزل الرسول صلى الله عليه و سلم بنفسه يقود صفوف المسلمين، و أخذت هذه الصفوف تقترب رويدا رويدا من فلول المشركين التى فقدت قاداتها ... حتى تبعثرت قوات المشركين.

و حينذاك فقط أصدر الرسول صلى الله عليه و سلم أمره لقواته: (شدوا)، و معنى ذلك القيام بالمطارده.

و بدأت مطارده المسلمين لفلول المشركين، و أخذوا يجمعون الغنائم و الأسرى.

ص: ١١٣

٨- ابتدأت معركة(بدر) صباح يوم الجمعة ١٧ رمضان من السنه الثانيه الهجريه، و انتهت مساءه، و بقى المسلمون ثلاثه أيام فى(بدر) بعد المعركه ...

ثم غادروها عائدين الى المدينه المنوره.

خسائر الطرفين

١- المسلمون:

استشهد أربعة عشر مسلما: ستة من المهاجرين و ثمانية من الأنصار.

(انظر الملحق ج).

٢- المشركون:

قتل سبعون رجلا (١) و أسر سبعون أيضا (٢).

أسباب انتصار المسلمين

١- قياده موحده:

كان الرسول صلى الله عليه و سلم هو القائد العام للمسلمين فى معركة(بدر)، و كان

١- فيهم: شيبه و عتبه ابنا ربيعه و الوليد بن عتبه و العاص بن سعيد بن العاص و أبو جهل ابن هشام، و أبو البخترى و حنظله بن أبى سفيان بن حرب، و الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، و طعيمة بن عدى و زمعه بن الأسود بن المطلب، و نوفل بن خويلد و النضر بن الحارث و عقبه بن أبى معيط و العاص بن هشام بن المغيره خال عمر بن الخطاب، و أميه بن خلف و على بن أميه بن خلف و منبه بن الحجاج، و معبد بن وهب.

٢- كان فى الأسارى: نوفل بن الحارث بن عبد المطلب و عقيل بن أبى طالب و أبو العاص ابن الربيع و عدى بن الخيار و أبو عزيز بن عمير و الوليد بن الوليد بن المغيره و عبد الله بن أبى ابن خلف و أبو عزه عمرو بن عبد الله الجمحى الشاعر، و وهب بن عمير بن وهب الجمحى و أبو وداعه بن خبيره السهمى و سهيل بن عمرو العامرى.

ص: ١١٤

المسلمون يعملون يدا واحده تحت قيادته: يوجههم فى الوقت الحاسم للمحل الحاسم للقيام بعمل حاسم، و هذا هو واجب القائد الكفء.

و كان ضبط المسلمين فى تنفيذ أوامر قائدهم مثالا رائعا للضبط الحقيقى المتين، و إذا كان الضبط أساس الجنديه، و إذا كان الجيش المتميز هو الذى يتحلى بضبط متميز، فقد كان جيش المسلمين جيشا متميزا بكل ما تحمل هذه الكلمه من معان.

إن معنى الضبط، هو إطاعه الأوامر و تنفيذها بحرص و أمانه و إخلاص و عن طيبه خاطر.

و قد كان المسلمون ينفذون أوامر قائدهم بحرص شديد و أمانه نادره و إخلاص عجيب و بشوق و طيبه خاطر عظيمين، و من حقهم أن يفعلوا ذلك، لأن قائدهم يتحلى بصفات القائد المثالى.

صبر فى الشدائد، و شجاعه نادره فى المواقف الحرجه، و مساواه لنفسه بأصحابه، و استشارتهم فى كل عمل حاسم و أخذه بالمشوره و تطبيقها.

رأى الخطر محققا بأصحابه قبل المعركه، لأنهم قليلون و قريش تفوقهم عددا و عددا ... فقابل ذلك بالصبر و التوكل على الله و شجع أصحابه على الصبر فى القتال.

و عندما اشتدت المعركه نزل يخوضها بنفسه، و حسبك شهاده على بن أبى طالب سيد الشجعان حيث يقول: (إنا كنا إذا اشتد الخطب و احمرت الحدق، اتقينا برسول الله صلى الله عليه و سلم، فما يكون أحد أقرب الى العدو منه، و لقد رأيتنى يوم(بدر) و نحن نلوذ برسول الله صلى الله عليه و سلم و هو أقربنا الى العدو).

ص: ١١٥

و لم يؤثر نفسه بمال أو راحه على أصحابه، و قد رأيت كيف ساوى نفسه مع أصحابه حتى فى اعتقاب الإبل و المشى على الأقدام.

و شاور أصحابه حين بلغه خبر خروج قريش، و سمع رأى المهاجرين و الأنصار فى لقاء المشركين و قبل مشوره أحد أصحابه فى تبديل معسكره فى(بدر) حين نزل بأدنى ماء منها، فانتقل بالمسلمين الى حيث أشار الحباب، و غور القلب و بنى حوضا على القلب الذى أتاه؛ و استشار المسلمين فى أمر الأسرى بعد المعركه، و عمل بالرأى الذى أبداه أبو بكر الصديق رضى الله عنه و مشايحوه.

تلك مزايا القائد المثالى فى كل زمان و مكان.

و لا بد للقائد من مقرّ يسيطر منه على المعركه، فبنى العريش فوق رايه مشرفه على ساحه المعركه، و كان لمقره حرس يأمره أمر مسئول.

كل ذلك جعل المسلمين يقاتلون كرجل واحد، لغايه واحده، بقياده قائد واحد ... و هذا عامل مهم من عوامل النصر فى كل حرب: (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَ يُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) (١).

أما المشركون فلم يكن لهم قائد عام: كان أكثر سراه قريش مع قوات المشركين، و لكنّ البارزين من هؤلاء على ما يظهر هما رجلان: عتبه بن ربيعه و أبو جهل، و قد رأيت كيف أنهما لم يكونا على رأى واحد و لم يكن لهما هدف واحد، بل إنهما كانا أقرب الى العداوه منهما الى الإخاء.

لذلك فقد طغت الأثره الفرديه على المصلحه العامه أثناء القتال، و حاول كل رجل من رجالات قريش أن يظهر نفسه بطلا لتحدث العرب عنه، دون أن يكثرث بأثر ذلك على نتائج المعركه.

١- الآيه الكريمه من سوره محمد ٤٧: ٧.

ص: ١١٦

٢- تعبئه جديده:

طَبِيق الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلِمَ فِي (مَسِيرِ الاقتراب) (١) من المدينه المنوره الى (بدر) تشكيلا لا- يختلف بتاتا عن التعبئه الحديثه فى حرب الصحراء.

كانت له مقدمه و قسم أكبر و مؤخره، و استفاد من دوريات الاستطلاع للحصول على المعلومات، و تلك هي الأساليب الصححيه لتشكيلات مسير الاقتراب فى حرب الصحراء حتى فى العصر الحاضر.

أما فى المعركه، فقد قاتل المسلمون بأسلوب: (الصفوف)، بينما قاتل المشركون بأسلوب: (الكتر و الفر).

و لا بد لنا من بيان الفرق بين الأسلوبين، لمعرفة عامل من أهم عوامل انتصار المسلمين.

القتال بأسلوب: (الكتر و الفر)، هو أن يهجم المقاتلون بكل قوتهم على العدو: النشابه منهم و الذين يقاتلون بالسيوف و يطعنون بالرمح، مشاه و فرسانا، فإن صمد لهم العدو أو أحسوا بالضعف نكصوا، ثم أعادوا تنظيمهم و كزوا، و هكذا يكزون و يفرون حتى يكتب لهم النصر أو الفشل.

و القتال بأسلوب: (الصفوف)، يكون بترتيب المقاتلين صفين أو ثلاثه صفوف أو أكثر على حسب عددهم، و تكون الصفوف الأماميه من المسلحين بالرمح لصد هجمات الفرسان، و تكون الصفوف المتعاقبه الأخرى من المسلحين بالنبال لتسديدها على المهاجمين من الأعداء.

١- مسير الاقتراب: الحركه من القاعده الى الهدف. كانت قاعده المسلمين المدينه المنوره، و كان هدفهم موقع (بدر)، فالحركه من المدينه المنوره بالمراحل الى (بدر)، يطلق عليه: مسير الأقراب.

و تبقى الصفوف فى مواضعها بسيطره قائدها، الى أن يفقد زخم المهاجمين بالكتر و الفر شدته ... عند ذاك تتقدم الصفوف متعاقبه للزحف على العدو.

يظهر من ذلك أن أسلوب (الصفوف) يتميز على أسلوب (الكتر و الفر) بأنه يؤمن ترتيب القوات بالعمق، فتبقى دائما بيد القائد قوه احتياطيّه يعالج بها المواقف التي ليست بالحسبان، كأن يصد هجوما مضادا للعدو، أو يضرب كميناً لم يتوقعه، أو أن يحمى الأجنحة التي يهددها العدو بفرسانه أو بمشاته، ثم يستثمر الفوز بالاحتياط من الصفوف الخلفيه عند الحاجة.

إن أسلوب (الصفوف) يؤمن السيطرة على القوه بكاملها، و يؤمن احتياطا للطوارئ ء، و يصلح للدفاع و الهجوم فى وقت واحد؛ أما أسلوب (الكتر و الفر) فيجعل القائد يفقد السيطرة على قواته و لا يؤمن له أى احتياط للطوارئ ء.

إن تطبيق الرسول صلى الله عليه و سلم لأسلوب (الصفوف) فى معركة (بدر)، عامل مهم من عوامل انتصاره على المشركين؛ و التاريخ العسكرى يحدثنا بأن سر انتصار القاده العظام كالإسكندر و هنيبال قديما و نابليون و مولتكه و رومل و رونشتر حديثا، هو أنهم طبقوا أسلوبا جديدا فى القتال غير معروف أو قاتلوا بأسلحه جديده غير معروفه.

استعرض الرسول صلى الله عليه و سلم أصحابه قبل القتال، فعندما رآهم يتراحمون و يدنو بعضهم من بعض جعلهم صفوفاً و أخذ يعدل صفوفه.

و بعد ذلك خطبهم حاثا لهم على الجهاد، و أمرهم أن يصدوا هجوم العدو و هم مرابطون فى مواقعهم، و ذلك بتسديد النبال الى صدور العدو، كما أمرهم ألا يحملوا إلا بأمر منه.

فلما تهاوت رجال قريش و ضعف زخم هجومهم، أصدر الى المسلمين أمره بالهجوم؛ ثم بالمطارده بعد انهزام المشركين.

لقد سيطر الرسول صلى الله عليه و سلم على (الصفوف) فى دفاعها و هجومها و مطاردتها، حتى لم يتقدم أحد للمبارزه إلا بأمر منه، و لم يقيم المسلمون بأى عمل حربى إلا بأمر منه أيضا.

و بذلك أمن السيطرة على قواته و الاحتياط اللازم لها ... تماما كما فى الحرب الحديثه.

لقد طبق الرسول صلى الله عليه و سلم فى (بدر) أسلوبا جديدا فى القتال، فانتصر ...

٣- عقيدته راسخه:

رأيت كيف كان جواب المهاجرين و الأنصار للرسول صلى الله عليه و سلم حين استشارهم فى قتال قريش.

لقد علم المسلمون بأن قريشا تفوقهم فى العدد و العدد، و أن عدد قوات قريش ثلاثه أمثال عدد المسلمين، و مع ذلك عزموا على الصمود الى النهايه. كما علموا أن قافله قريش فاتتهم، فلم يبق هناك كسب مادي يرجونه، و مع ذلك صمّوا على القتال.

لقد كانت للمسلمين أهداف معينه يعرفونها و يؤمنون بها، هى أن تترك الحريه الكامله لهم لنشر دعوتهم و حمايتها، حتى تكون كلمه الله هى العليا.

فما هى أهداف قريش من حربها، إلا أن تنحر الجزور و تطعم الطعام و تشرب الخمر و تعزف القيان، فتسمع العرب بمسيرها، فيها بونها أبدا بعدها، كما قال أحد زعمائهم و هو أبو جهل!!

ص: ١١٩

و هل نستطيع تسميه ذلك أهدافا، أم ذلك طيش و غرور و عصبية جاهليه؟

فى هذه المعركه التقى الآباء بالأبناء، و الإخوه بالإخوه ...

خالفت بينهم المبادئ، ففصلت بينهم السيوف.

كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه مع المسلمين. و كان ابنه عبد الرحمن مع المشركين. و كان عتبه بن ربيعه مع قريش، و كان ولده أبو حذيفه مع المسلمين.

و عندما استشار الرسول صلّى الله عليه و سلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى مصير الأسرى، قال عمر: (أرى أن تمكّننى من فلان- قريب عمر- فأضرب عنقه، و تمكّن عليا من عقيل بن أبى طالب فيضرب عنقه، و تمكّن حمزه من فلان أخيه فيضرب عنقه، حتى يعلم الله أنه ليست فى قلوبنا هواده للمشركين، و هؤلاء صناديدهم و أئمتهم و قادتهم).

فما الذى يدفع لمثل هذا القول إلا عقيدته راسخه و إيمان عظيم، و هل يستطيع الذين لا عقيدته لهم، و لا تحمل صدورهم إلا أهواء الجاهليه، و عصبية الأنانيه، و حب الظهور، أن يقاتلوا ببساله و شجاعه كما يقاتل أمثال هؤلاء من أصحاب اليقين الثابت، و العقيدته الراسخه؟

٤- معنويات عاليه:

شجع الرسول صلّى الله عليه و سلم أصحابه قبل القتال و أثناءه، و قوى عزائمهم و معنوياتهم، حتى لا- يكثرثوا بتفوق قريش عليهم بالعدد و العدد؛ و لم تكن معنويات الكبار الذين مارسوا الحرب و عرفوها من المسلمين هى العاليه فحسب، إنما كانت معنويات الأحداث الصغار الذين لم يمارسوا حربا و لا قتالا عاليه أيضا.

ص: ١٢٠

قال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه: (إنى لفى الصف يوم بدر)، إذا التفت فإذا عن يمينى و عن يسارى فتبان حديثا السن،

فكأنى لم آمن بمكانهما، إذ قال لى أحدهما سرا من صاحبه: يا عم! أرنى أبا جهل. فقلت:

يا ابن أخى، ما تصنع به؟ قال: عاهدت الله إن رأيت أنه أقتله أو أموت دونه) ...

(و قال لى الآخر سرا من صاحبه مثله، فأشرت لهما إليه، فشدّا عليه مثل الصقرين: فضرباه حتى قتلاه)، و قد استشهد هذان البطلان فى (بدر)، و هما ابنا عفراء: عوف بن الحارث الخزرجى الأنصارى (١) و معوذ بن الحارث الخزرجى الأنصارى (٢).

فإذا كانت معنويات الفتیان الأحداث بهذا المستوى الرفيع، فكيف تكون معنويات الرجال؟

لقد أثبتت كل الحروب فى كل أدوار التاريخ، أن التسليح و التنظيم الجيدين و القوه العديديه غير كافيه لنيل النصر ما لم يتحلّ المقاتلون بالمعنويات العاليه.

١- عوف بن عفراء: و عفراء أمه من بنى النجار، و اسم أبيه الحارث بن رفاعه من بنى النجار أيضا، و كان فى الستة نفر الذين أسلموا أول من أسلم من الأنصار بمكه و شهد العقبتين. شهد عوف بدرا، فلما التقى الناس يوم بدر قال عوف بن عفراء: (يا رسول الله، ما يضحك الرب من عبده)؟ فقال: (أن يراه قد غمس يده فى القتال يقاتل حاسرا)، فنزع عوف درعه ثم تقدم فقاتل حتى قتل شهيدا، قتله أبو جهل بن هشام بعد أن ضربه عوف و أخوه معوذ فأثبتاه. أنظر التفاصيل فى طبقات ابن سعد ٧ / ٤٩٢، و الإصابه ٥ / ٤٢، التسلسل ٦٠٨٧، و أسد الغابه ٤ / ١٥٥، و الاستيعاب ٣ / ١٢٢٥، التسلسل ٢٠٠٢.

٢- معوذ بن عفراء: شقيق عوف، شهد العقبه الثانيه مع السبعين من الأنصار و شهد بدرا، و هو الذى ضرب أبا جهل بن هشام هو و أخوه عوف بن الحارث حتى اثبتاه، فعطف عليهما ابو جهل فقتلها. و وقع أبو جهل صريعا فقذف عليه عبد الله بن مسعود. و ليس لمعوذ عقب. أنظر التفاصيل فى طبقات ابن سعد ٧ / ٤٩٢، و الإصابه ٦ / ١٢٩، التسلسل ٨١٥٧، و أسد الغابه ٤ / ٤٠٢، و الاستيعاب ٤ / ١٤٤٢، التسلسل ٢٤٢٣.

ص: ١٢١

لقد كان تنظيم و تسليح الإيطاليين فى الحرب العالميه الثانيه متميزين، كما كان عددهم ضخما؛ فلم يغن عنهم كل ذلك، لأن معنوياتهم كانت منهاره!

لذلك كانوا عبئا ثقيلا على حلفائهم الألمان فى كل معركة اشتركوا فيها معهم.

بل كان الحلفاء يعتبرون المناطق التى تشغلها القوات الايطاليه فراغا عسكريا لا يكثر به!!

إن المعنويات العاليه التى كان يتحلّى بها المسلمون فى (بدر)، من أهم أسباب نصرهم فى تلك المعركة الحاسمه.

لقد كانت معركة بدر صراعا حاسما بين عقيدتين ... فانتصرت العقيدته التى تستحق البقاء على العقيدته التى تستحق الفناء ...

١- الاستطلاع:

استفاد الطرفان من دوريات الاستطلاع في الحصول على المعلومات، ليحولوا دون مباغتتهم، و كان حصول الطرفين على المعلومات عن القوات و مواقعها عن الأرض جيدا مفيدا.

و قد ظهرت لنا فائده استنطاق الأسرى الذى أجراه الرسول صَلَّى الله عليه و سلم مع غلامى قريش قبل المعركه فى معرفه عدد قوات قريش، كما كان استنتاج أبى سفيان بن حرب من فحصه روث ركائب المسلمين اللذين استطلعا موقع (بدر) و معرفته هويتها رائعا حقا.

إن تشبّت الطرفين بالحصول على المعلومات، حرم الطرفين من: (مبدأ المباغته) فى الزمان و المكان، فلم يستفد أحد الطرفين من هذا المبدأ الحيوى فى هاتين الناحيتين أو فى إحداهما على الأقل فى هذه المعركه.

ص: ١٢٢

٢- القيادة:

برزت مزايا الرسول صَلَّى الله عليه و سلم فى القيادة بمعركه (بدر): الشجاعه، و ضبط الأعصاب، و عقد المؤتمرات الحريه قبل و أثناء و بعد المعركه، و مساواه أصحابه مع نفسه بكل شىء، كما طبّق الرسول القائد عليه أفضل الصلاه و السلام لأول مره شروط انتخاب المقر الملائم للمعركه و أمّن حراسته.

٣- الضبط و المعنويات و العقيد:

ظهر بوضوح أثر الضبط المتين و المعنويات العاليه و العقيد الراسخه فى انتصار المسلمين على قريش، و ستبقى هذه المزايا حيويه لكل انتصار فى كل حرب.

٤- القضايا التعبويه:

أ- فى مسير الاقتراب:

كانت ترتيبات المسلمين فى مسير الاقتراب ملائمه جدا: مقدمه و قسم أكبر و مؤخره، و رايه لكل من المهاجرين و الأنصار، و رايه عامه للقوات كلها.

كما كانت دوريات الاستطلاع أمام رتل المسلمين تحول دون مباغتتهم و هى تزوّدهم بالمعلومات عن قريش.

إن ترتيبات المسلمين التعبويه فى مسير الاقتراب تشابه تماما ترتيبات القوات النظاميه الحديثه فى مسير الاقتراب فى حرب الصحراء.

ب- فى القتال:

استخدم المسلمون لأول مره (أسلوب الصف) فى قتالهم ضد قريش، بينما

ص: ١٢٣

جمدت قريش على أسلوب (الكر و الفر)، و بذلك استطاع الرسول صلى الله عليه و سلم السيطرة على قواته و الاحتفاظ باحتياط للطوارى ء.

لقد باغت الرسول صلى الله عليه و سلم قريشا (بالأسلوب) (١) فى قتاله بأسلوب (الصف)، و المباغته بالأسلوب من مزايا القائد العبرى!

لقد كان أسلوب (الصف) فى القتال أسلوبا جديدا على العرب، بينما كان أسلوب (الكر و الفر) أسلوبا باليا استعملته العرب فى حروبها منذ أقدم الأزمان.

ج- كلمه التعارف:

كانت كلمه التعارف فى القتال بين المسلمين: (أحد ... أحد)، و بذلك استطاعوا أن يتعارفوا فى المعركه ... و هذا الأسلوب متبع فى المعارك الحديثه.

إن ظروف المعركه ليست ظروفًا اعتياديه، و من الضرورى أن يكون هناك أسلوب واضح للتعارف بين المقاتلين، خاصه و أن المسلمين و المشركين حينذاك كانوا يتشابهون فى المظهر الخارجى: فى الأشكال و القيافه و فى التسليح و التنظيم، مما يزيد أهميه كلمه التعارف و يجعل لها قيمه أعظم مما لو كان الطرفان المتحاربين يختلفان فى أشكالهم و قيافتهم و تسليحهم و تنظيمهم.

٥- القضايا الاداريه:

أ- الارزاق:

كان المشركون ينحرون بين تسعه من الإبل و عشره من الإبل يوميا لتأمين

١- المباغته: تكون إما بالمكان او بالزمان او بالأسلوب. المباغته بالمكان: ضرب العدو من مكان لا يتوقعه. و المباغته بالزمان: ضرب العدو من مكان لا يتوقعه. و المباغته بالأسلوب: ضرب العدو بأسلوب حربى لا يتوقعه العدو سواء أكان ذلك بخطه جديده او سلاح جديد.

ص: ١٢٤

الطعام الحار للمقاتلين، و كانت هذه الإبل تقدّم من سراه قريش؛ أما المسلمون فقد كانوا يكتفون غالبا بالتمر و السويق، لأن حالتهم الاقتصادية كانت ضعيفه حينذاك.

ب- الماء:

بنى المسلمون حوضا للماء فى (بدر) و ملأوه بالماء و استفادوا منه يوم القتال، أما بقيه آبار بدر و مياهها فقد غوروا لثلا يستفيد منها المشركون.

أما المشركون فكانوا محرومين من الماء يوم القتال، مما جعل شجعانهم يحاولون اقتحام حوض المسلمين، فلا يستطيعون الى ذلك سيلا.

لقد كان لنقص الماء عند المشركين يوم القتال أثر كبير فى اندحارهم.

ج- الغنائم:

جمع الرسول صلى الله عليه و سلم غنائم المعركة و قسمها بالتساوى بين المسلمين من أهل (بدر) و من عاونهم على إحراز النصر: جعل للفارس سهمين يستعين بالسهم الزائد على إعاشه فرسه و إعدادها للحرب. و جعل للراجل سهما واحدا، و جعل للورثة حصه من استشهد ببدر، و جعل حصه لمن تخلف فى المدينة المنوره فلم يشهد (بدر) لأنه كان قائما بعمل للمسلمين، و بقى فى المدينة بأمر الرسول صلى الله عليه و سلم، و لمن حرّضه حين الخروج الى بدر و تخلف لعذر قبله الرسول صلى الله عليه و سلم.

إن النصر فى الحرب لا يحزره المقاتلون فقط، بل يتعاون على إحرازه المقاتلون فى الخطوط الأماميه و العاملون فى الخلف لتهيئه أسباب النصر للمقاتلين؛ لذلك لم ينس الرسول صلى الله عليه و سلم العاملين فى الخلف بأمره و بمشورته و بتوجيهه حين قسم الغنائم بين الناس.

ص: ١٢٥

د- الاسرى (١):

أولا- أمر الرسول صلى الله عليه و سلم بقتل أسيرين لشده عداوتهما للمسلمين، إذ اعتبرهما مجرمى حرب لا أسيرين اعتياديين.

لقد كانا عنيفين فى عداوتهما للمسلمين حريصين على التنكيل بهم، شديدين فى إيذاء المستضعفين منهم، و كانا من ألد خصوم الدعوه.

ثانيا- أما الأسرى الباقون و عددهم ثمانيه و ستون فقد و زعهم الرسول صلى الله عليه و سلم على صحابته قائلا: (استوصوا بالأسارى خيرا) ... ثم فادى أغنياء الأسرى بالمال، فكان الواحد منهم يدفع ما بين الألف درهم الى الأربعة آلاف.

أما فقراء الأسرى، فأطلق سراح بعضهم دون مقابل، كما كلف المتعلمين

١- راجع قانون الحرب و الحياد من القانون الدولي. الواجبات نحو الأسرى: (يجب معامله الأسير طبقا لمبادئ الانسانيه و حمايته من الاعتداء و الإهانه و حب الاستطلاع عند الجمهور. و يجوز تشغيل الأسرى بأعمال على ألا- يكون العمل خطيرا او ضارا بالسمعه أو متصلا اتصالا مباشرا بأعمال القتال). اما القواعد الخاصه بإطلاق سراح الأسرى، فتتضمن على ان الدوله لا تلزم بإطلاق سراح الأسرى بعد إعطاء كلمه الشرف، و لا هم يلزمون بقبوله، و إنما للأسير ان يقبله مختارا إذا سمحت له قوانين دولته به، و واجب على دوله الأسير ألا- تطلب اليه الإخلال بوعده او تقبله منه إذا هو عرض الالتحاق بخدمه جيشه من جديد، فاذا اخلّ بكلمه الشرف التي اعطاها و التحق بالجيش ثم اسرته الدوله التي اطلقت سراحه او دوله حليفه لها، جاز محاكمته على إخلاله، و العقوبه فى العاده هى الإعدام!... (إن كلمه الشرف التي يعطيها الأسير، هى الا يعود لحرب القوات التي اطلقته و لا يساعد فى اعمال العدوان ضدها من اى ناحيه و بأى وجه). (و تنتهى حاله الأسر بإطلاق سراح الأسير بلا قيد او شرط او بعد إعطائه كلمه الشرف، كما تنتهى بتبادل الأسير مع زميل له بجيش العدو او الافتداء بالمال).

ص: ١٢٦

منهم بتعليم أطفال المسلمين القراءه و الكتابه؛ ثم أطلق سراحهم بعد تعليم هؤلاء الأطفال.

ه- القتلى (١) و الجرحى (٢):

حفر المسلمون قليبا دفنوا فيه قتلى المشركين، و هذا ما يطابق تعاليم الحرب الحديثه فى وجوب دفن قتلى الأعداء.

كما عنى المسلمون بجرحى المشركين فضمّدا جراحاتهم أسوه بجرحى المسلمين.

و- التهذيب:

استفاد المسلمون من الأسرى المتعلمين لتعليم أطفالهم، فكان هؤلاء الأطفال النواه الأولى لكتّاب الوحي و لحمله الثقافه الإسلاميه فيما بعد.

١- راجع قانون الحرب و الحياد من القانون الدولي. الواجبات نحو القتلى: (يفرض على الفريقين المتحاربين معامله جثث القتلى بالاحترام اللازم و عدم تشويههما، و يجب دفنها بعد اخذ البيانات المساعده لتحقيق شخصيه صاحب الجثه). (و يجب على القائد الذى يسيطر على ميدان القتال، ان يأخذ الاحتياطات اللازمه بعد كل حركه، لحمايه القتلى من النهب و سوء المعامله).

٢- الواجبات نحو الجرحى: (يجب احترام و حمايه الجرحى و العنايه بهم كجرحى قواتنا و اعتبارهم اسرى حرب بعد شفائهم).

ص: ١٢٧

الملحق (ب): شهداء المسلمين فى بدر رضى الله عنهم

المهاجرون ١- عبيده بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف.

٢- عمير بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص، قتل يومئذ و له ستة عشر عاما.

٣- ذو الشمالين بن عبد عمرو بن نضله الخزاعي، حليف بني زهره.

٤- عاقل بن البكير اللثي، حليف بني عدى بن كعب.

٥- مهجع مولى عمر بن الخطاب.

٦- صفوان بن بيضاء، من بني الحارث بن فهر.

الأنصار أ- الأوس:

٧- سعد بن خيشمه بن عمرو بن عوف.

٨- مبشر بن عبد المنذر بن زبير.

ب- من الخزرج:

٩- يزيد بن الحارث بن فسحم بن الحارث بن الخزرج.

١٠- عمير بن الحمام (من بني سلمه).

١١- رافع بن المعلى (من بني حبيب بن عبد حارثه).

١٢- حارثه بن سراقه (من بني النجار).

١٣- عوف بن عفراء (من بني النجار).

١٤- معوذ بن عفراء (من بني النجار)

ص: ١٢٨

الملحق (ج): البديون رضى الله عنهم

هؤلاء الرجال هم الذين شهدوا معركة بدر الكبرى، فقال عنهم الرسول (ص) فى دعائه ربه يوم بدر: (اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد) ... ففى ذكر أسمائهم بركه، و فى تسميه أولادنا بأسمائهم بركه.

المهاجرون أ- من بني هاشم و المطلب ابني عبد مناف:

١- محمد رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم سيد القادات و قائد السادات.

٢- حمزه بن عبد المطلب أسد الله و أسد رسوله و عمه.

٣- علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم.

٤- زيد بن حارثه الكلبي مولى رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم.

٥- أبو مرثد الغنوي حليف حمزه.

٦- مرثد بن أبي مرثد الغنوي حليف حمزه.

٧- أنسه مولى رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم (حبشى).

٨- أبو كبشه مولى رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم (فارسي).

٩- عبيده بن الحارث بن عبد المطلب.

١٠- الطفيل بن الحارث بن عبد المطلب.

١١- الحصين بن الحارث بن عبد المطلب.

ص: ١٢٩

١٢- مسطح بن أثاثه بن عباد بن عبد المطلب.

ب- من بني عبد شمس بن عبد مناف:

١٣- عثمان بن عفان.

١٤- أبو حذيفه بن عتبة بن ربيعة.

١٥- سالم مولى أبي حذيفه.

١٦- صبيح مولى أبي العاصي بن أمية.

١٧- عبد الله بن جحش.

١٨- سنان بن محصن.

١٩- عكاشه بن محصن.

٢٠- أبو سنان بن محصن.

٢١- سنان بن أبي سنان.

٢٢- شجاع بن وهب.

٢٣- عقبه بن وهب.

٢٤- يزيد بن رقيش.

٢٥- محرز بن نضله.

٢٦- ربيعة بن أكتم.

٢٧- ثقف من بني سليم.

٢٨- مالك من بني سليم.

٢٩- مدلج من بني سليم.

٣٠- أبو مخشى سويد بن مخشى الطائي.

من بني كبير بن غنم حلفاء بني عبد شمس

حلفاء بني كبير بن غنم

ص: ١٣٠

ج- من بني نوفل بن عبد مناف بن قصي:

٣١- عتبه بن غزوان.

٣٢- خباب مولى عتبه بن غزوان.

د- من بني أسد بن عبد العزى بن قصي:

٣٣- الزبير بن العوام.

٣٤- حاطب من أبى بلتعنه اللّخمي (حليف).

٣٥- سعد الكلبي مولى حاطب.

ه- من بنى عبد الدار بن قصي بن كلاب:

٣٦- مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار.

٣٧- سويبط بن سعد بن حرمله.

و- من بنى زهره بن كلاب بن مرّ:

٣٨- عبد الرحمن بن عوف.

٣٩- سعد بن أبى وقاص.

٤٠- عمير بن أبى وقاص.

٤١- المقداد بن عمرو (حليف).

٤٢- عبد الله بن مسعود (حليف).

٤٣- مسعود بن ربيعه (حليف).

٤٤- ذو الشمالين عمير بن عمرو (حليف).

٤٥- خباب بن الأرت التميمي (حليف).

ز- من بنى تيم بن مرّه:

٤٦- أبو بكر الصديق.

ص: ١٣١

٤٧- طلحه بن عبيد الله.

٤٨- بلال بن رباح (مولى أبى بكر).

٤٩- عامر بن فهيره (مولى أبى بكر و هو أسود).

٥٠- صهيب بن سنان بن النمر بن قاسط (حليف بنى جدعان، و هو صهيب الرومى).

ح- من بنى مخزوم:

٥١- أبو سلمه بن عبد الأسد.

٥٢- شماس و اسمه عثمان بن عثمان الشريد.

٥٣- الأرقم بن أبى الأرقم.

٥٤- عمّار بن ياسر العنسى (مولى فهر).

٥٥- معتب بن عوف الخزاعى (مولى لهم).

ط- من بنى عدى بن كعب:

٥٦- عمر بن الخطاب.

٥٧- زيد بن الخطاب.

٥٨- عمرو بن سراقه.

٥٩- عبد الله بن سراقه.

٦٠- سعيد بن زيد بن عمرو.

٦١- مهجع مولى عمر بن الخطاب.

٦٢- واقد بن عبد الله التميمى (حليف).

٦٣- خولى بن أبى خولى العجلى (حليف).

٦٤- مالك بن أبى خولى العجلى (حليف).

ص: ١٣٢

٦٥- عامر بن ربيعه العنزى (حليف).

٦٦- عامر بن البكير (حليف).

٦٧- عاقل بن البكير (حليف).

٦٨- خالد بن البكير (حليف).

٦٩- إياس بن البكير (حليف).

ى- من بنى جمح:

٧٠- عثمان بن مظعون.

٧١- قدامه بن مظعون.

٧٢- عبد الله بن مظعون.

٧٣- السائب بن عثمان بن مظعون.

٧٤- معمر بن الحارث:

ك- من بنى سهم:

٧٥- خنيس بن حذافه.

ل- من بنى عامر بن لؤى بن غالب بن فهر:

٧٦- أبو سيره بن أبي رهم.

٧٧- عبد الله بن مخرمه.

٧٨- عبد الله بن سهيل بن عمرو.

٧٩- وهب بن سعد بن أبي سرح.

٨٠- حاطب بن عمرو.

٨١- عمير بن عوف مولى سهيل بن عمرو.

٨٢- سعد بن خوله (حليف).

م- من بنى الحارث بن فهر:

٨٣- أبو عبيده عامر بن الجراح.

٨٤- عمرو بن الحارث.

٨٥- سهيل بن وهب بن ربيعة (ابن بيضاء).

٨٦- صفوان بن وهب (ابن بيضاء).

٨٧- عمرو بن أبي سرح بن ربيعة.

الأنصار ١- الأوس:

أ- من بنى حارثه، ثم من بنى عمرو بن مالك بن الأوس، ثم من بنى عبد الأشهل من جشم:

٨٨- سعد بن معاذ.

٨٩- عمرو بن معاذ.

٩٠- الحارث بن أوس.

٩١- الحارث بن أنس.

٩٢- سعد بن زيد بن مالك.

٩٣- سلمه بن سلامه بن وقش.

٩٤- عبادة بن وقش.

٩٥- سلمه بن ثابت بن وقش.

٩٦- رافع بن يزيد بن كرز.

٩٧- الحارث بن خزيمة بن عدى (حليف).

ص: ١٣٤

٩٨- محمد بن مسلمة الخزرجي (حليف).

٩٩- سلمه بن أسلم بن حريش (حليف).

١٠٠- أبو الهيثم بن التيهان (حليف).

١٠١- عبيد بن التيهان (حليف).

١٠٢- عبد الله بن سهل (حليف).

ب- من بنى ظفر، و اسمه كعب بن الخزرج بن عمرو بن مالك ابن أوس:

١٠٣- قتاده بن النعمان بن زيد.

١٠٤- عبيد بن أوس.

١٠٥- نصر بن الحارث بن عبد.

١٠٦- معتب بن عبيد.

١٠٧- عبد الله بن طارق البلوي (حليف).

ج- من بنى حارثه بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس:

١٠٨- مسعود بن سعد.

١٠٩- أبو عيس جبر بن عمرو.

١١٠- أبو برده بن تيار، و اسمه هانيء البلوي (حليف).

د- من بنى عوف بن مالك بن الاوس، ثم من بنى ضبيعه بن زيد بن الاوس:

١١١- عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح.

١١٢- معتب بن قشير بن مليل.

١١٣- أبو مليل بن الأزعر بن زيد.

١١٤- عمير بن معبد بن الأزعر.

١١٥- سهل بن حنيف بن واهب.

ه- من بنى أميّه بن زيد بن عوف:

١١٦- أبو لبابه بشير بن عبد المنذر.

١١٧- مبشّر بن عبد المنذر.

١١٨- رفاعه بن عبد المنذر.

١١٩- سعد بن عبيد بن النعمان.

١٢٠- عويم بن سعد بن عائش.

١٢١- رافع بن عنجده، و هي أمه.

١٢٢- عبيده بن أبي عبيد.

١٢٣- ثعلبه بن حاطب.

و- من بنى عبيد بن زيد بن مالك بن عوف:

١٢٤- أنيس بن قتاده بن ربيعه.

١٢٥- معن بن عدى البلوى (حليف).

١٢٦- ثابت بن أكرم البلوى (حليف).

١٢٧- زيد بن أسلم بن ثعلبه البلوى (حليف).

١٢٨- ربعى بن رافع البلوى (حليف).

١٢٩- عاصم بن عدى البلوى (حليف).

ز- من بنى معاويه بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف:

١٣٠- جبر بن عتيك.

١٣١- مالك بن نميله المزنى (حليف).

ص: ١٣٦

١٣٢- النعمان بن عصر البلوى (حليف).

ح- من بنى ثعلبه بن عمرو بن عوف بن مالك:

١٣٣- عبد الله بن جبير.

١٣٤- عاصم بن قيس بن ثابت بن النعمان.

١٣٥- أبو ضيَّاح بن ثابت بن النعمان.

١٣٦- أبو حَيَّه بن ثابت بن النعمان.

١٣٧- سالم بن عمير بن ثابت.

١٣٨- الحارث بن النعمان بن أميه.

١٣٩- خَوَات بن جبير بن النعمان.

ط- من بنى جحجبي بن كلفه بن عوف بن مالك:

١٤٠- المنذر بن محمد بن عقبه.

١٤١- أبو عقيل بن عبد الله بن ثعلبه البلوى (حليف).

ي- من بنى أمرى ء القيس بن مالك بن الاوس؛ ثم من بنى غنم بن السلم بن أمرى ء القيس بن مالك بن الاوس:

١٤٢- سعد بن خيثمه.

١٤٣- منذر بن قدامه بن عرفجه.

١٤٤- الحارث بن عرفجه.

١٤٥- تميم مولى سعد بن خيثمه.

ص: ١٣٧

٢- الخزرج:

أ- من الخزرج بن حارثه، ثم من بنى الحارث، ثم من بنى أمرىء القيس ابن مالك بن ثعلبه بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج بن حارثه:

١٤٦- خارجه بن زيد بن أبى زهير.

١٤٧- سعد بن الربيع بن عمرو.

١٤٨- عبد الله بن رواحه.

١٤٩- خلاد بن سويد بن ثعلبه.

ب- من بنى زيد بن مالك أخى أمرىء القيس بن مالك بن ثعلبه:

١٥٠- بشير بن سعد بن ثعلبه.

١٥١- سماك بن سعد بن ثعلبه.

ج- من بنى عدى بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج.

١٥٢- سبيع بن قيس بن عيشه.

١٥٣- عباد بن قيس بن عيشه.

١٥٤- عبد الله بن عبس.

د- من بنى أحمد بن حارثه بن ثعلبه بن كعب بن الخزرج بن الحارث ابن الخزرج:

١٥٥- يزيد بن الحارث بن قيس (يقال له فسحم).

ه- من بنى جشم و زيد ابنى الحارث بن الخزرج، و هما التوأمان:

١٥٦- خبيب بن إساف بن عتبه.

ص: ١٣٨

١٥٧- عبد الله بن زيد بن ثعلبه.

١٥٨- حريث بن زيد بن ثعلبه.

١٥٩- سفيان بن بشر بن عمرو.

و- من بنى جداره بن عوف بن الحارث بن الخزرج:

١٦٠- تميم بن يعار بن قيس.

١٦١- عبد الله بن عمير.

١٦٢- زيد بن المرث بن قيس.

١٦٣- عبد الله بن عرفطه.

ز- من بنى الابدجر وهم بنو جدده بن عوف بن الحارث بن الخزرج:

١٦٤- عبد الله بن ربيع بن قيس.

ح- من بنى عوف بن الخزرج، ثم من بنى عبيد بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج:

١٦٥- عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول.

١٦٦- أوس بن خولى بن عبد الله.

ط- من بنى جزء بن عدى بن مالك بن سالم و بنى ثعلبه بن مالك:

١٦٧- زيد بن وديعه بن عمرو.

١٦٨- عقبه بن وهب بن كلده (حليف).

١٦٩- رفاعه بن عمرو بن عمرو بن زيد.

١٧٠- عامر بن سلمه (حليف من اليمن).

١٧١- أبو خميصه معبد بن عبّاد بن قشير.

ص: ١٣٩

١٧٢- عامر بن البكير (حليف).

ى- من بنى سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، ثم من بنى العجلان بن زيد بن غنم بن سالم:

١٧٣- نوفل بن عبد الله بن نضله بن مالك بن العجلان.

١٧٤- عتبان بن مالك بن عمرو بن العجلان.

ك- من بنى أصرم بن فهر بن ثعلبه بن غنم بن سالم بن عوف بن الخزرج:

١٧٥- عباده بن الصامت.

١٧٦- أوس بن الصامت.

ل- من بنى دعد بن فهر بن ثعلبه بن غنم:

١٧٧- النعمان بن مالك بن ثعلبه بن دعد.

م- من بنى قربوس بن غنم بن أميه بن لوذان بن سالم:

١٧٨- ثابت بن هزال بن عمرو بن قربوس.

ن- من بنى مرضخه و عمرو ابني غنم بن أميه بن لوذان:

١٧٩- مالك بن الدخشم بن مرضخه.

١٨٠- الربيع بن إياس بن عمرو بن غنم.

١٨١- ورقه بن إياس بن غنم.

١٨٢- عمرو بن إياس (حليف من اليمن).

١٨٣- المجذّر بن زياد بن عمرو البلوي (حليف).

١٨٤- عباده بن الخشخاش (حليف).

ص: ١٤٠

١٨٥- نحاب بن ثعلبه بن خزمه بن أصرم (حليف).

١٨٦- عبد الله بن ثعلبه بن خزمه بن أصرم (حليف).

١٨٧- عتبه بن ربيعه بن خالد بن معاوية البهراني (حليف).

س- من بنى كعب بن الخزرج ثم من بنى ساعده بن كعب بن الخزرج، ثم من بنى ثعلبه بن الخزرج بن ساعده:

١٨٨- أبو دجانة سماك بن خرشه.

١٨٩- المنذر بن عمرو بن خنيس.

ع- من بنى عمرو بن الخزرج بن ساعده:

١٩٠- أبو أسيد مالك بن ربيعه بن البدن.

١٩١- مالك بن مسعود بن البدن.

ف- من بنى طريف بن الخزرج بن ساعده:

١٩٢- عبد ربّه بن حقّ بن أوس.

١٩٣- كعب بن حمار الجهني (حليف).

١٩٤- ضميره بن عمرو (حليف).

١٩٥- زياد بن عمرو (حليف).

١٩٦- بسبس بن عمرو (حليف).

١٩٧- عبد الله بن عامر البلويّ (حليف).

ص- من بنى جشم بن الخزرج، ثم من بنى سلمه بن سعد بن علي ابن أسد بن سارده بن يزيد بن جشم:

١٩٨- خراش بن الصّمّه بن عمرو بن الجموح.

ص: ١٤١

١٩٩- الحباب بن المنذر بن الجموح.

٢٠٠- عمير بن الحمام بن الجموح.

٢٠١- تميم مولى خراش بن الصمه.

٢٠٢- عبد الله بن عمرو بن حرام.

- ٢٠٣- معاذ بن عمرو بن الجموح.
- ٢٠٤- معوذ بن عمرو بن الجموح.
- ٢٠٥- خلّاد بن عمرو بن الجموح.
- ٢٠٦- عقبه بن عامر بن نابی بن زید بن حرام.
- ٢٠٧- حبيب بن أسود (مولى لهم).
- ٢٠٨- ثابت بن الجذع.
- ٢٠٩- عمير بن الحارث بن لبده.
- ٢١٠- بشر بن البراء بن معرور.
- ٢١١- الطفيل بن النعمان بن خنساء.
- ٢١٢- سنان بن صيفى بن صخر بن خنساء.
- ٢١٣- عبد الله بن الجذّ بن قيس بن صخر بن خنساء.
- ٢١٤- عتبه بن عبد الله بن صخر بن خنساء.
- ٢١٥- جبار بن أميه بن صخر بن خنساء.
- ٢١٦- خارجه بن حمير الأشجعي (حليف).
- ٢١٧- عبد الله بن حمير الأشجعي (حليف).
- ص: ١٤٢
- ٢١٨- يزيد بن المنذر بن سرح بن خناس.
- ٢١٩- معقل بن المنذر بن سرح.
- ٢٢٠- عبد الله بن النعمان بن بلدومه.
- ٢٢١- الضحّاك بن حارثه بن زيد.

٢٢٢- سواد بن رزن بن زيد.

٢٢٣- معبد بن قيس بن صخر بن حرام.

٢٢٤- عبد الله بن قيس بن صخر بن حرام.

٢٢٥- عبد الله بن عبد مناف بن النعمان بن سنان.

٢٢٦- جابر بن عبد الله بن رثاب.

٢٢٧- خليده بن قيس بن النعمان.

٢٢٨- النعمان بن يسار (مولى لهم).

٢٢٩- أبو المنذر يزيد بن عامر بن حديده.

٢٣٠- قطبه بن عامر بن حديده.

٢٣١- سليم بن عمرو بن حديده.

٢٣٢- عنتره مولى قطبه بن عامر بن حديده و هو من بنى سليم ثم من بنى ذكوان.

٢٣٣- عبس بن عامر بن عدى.

٢٣٤- أبو اليسر كعب بن عمرو بن عبّاد.

٢٣٥- سهل بن قيس بن أبى كعب بن القين.

ص: ١٤٣

٢٣٦- عمرو بن طلق بن زيد بن أميه بن سنان.

ق- من بنى أدّى بن سعد أخى سلمه بن سعد:

٢٣٧- معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ.

ر- من بنى زريق بن حارثه بن غضب بن جشم بن الخزرج:

٢٣٨- قيس بن محصن بن خالد.

٢٣٩- أبو خالد الحارث بن قيس بن خالد.

٢٤٠- جبير بن إياس بن خالد.

٢٤١- أبو عباده سعد بن عثمان بن خلد.

٢٤٢- عقبه بن عثمان بن خلد.

٢٤٣- عباده بن قيس بن عامر بن خالد.

٢٤٤- أسعد بن يزيد بن الفاكه.

٢٤٥- الفاكه بن بشر بن الفاكه.

٢٤٦- ذكوان بن عبد قيس بن خلد.

٢٤٧- معاذ بن ماعص بن قيس بن خلد.

٢٤٨- عائذ بن ماعص بن قيس بن خلد.

٢٤٩- مسعود بن قيس بن خلد.

٢٥٠- رفاعه بن رافع بن العجلان.

٢٥١- خلّاد بن رافع بن العجلان.

ص: ١٤٤

٢٥٢- عبيد بن يزيد بن عامر بن العجلان.

٢٥٣- زياد بن لييد بن ثعلبه بن سنان.

٢٥٤- خالد بن قيس بن العجلان.

٢٥٥- رجيله بن ثعلبه بن خالد.

٢٥٦- عطيه بن نويره بن عامر.

٢٥٧- خليفه بن عدّي بن عمرو.

٢٥٨- رافع بن المعلّى بن لوذان.

ش- من بنى عمرو بن الخزرج بن النجار:

٢٥٩- أبو أيوب بن خالد بن زيد الأنصاري.

٢٦٠- ثابت بن خالد بن النعمان.

٢٦١- عماره بن حزم بن زيد.

٢٦٢- سراقه بن كعب بن عبد العزّي.

٢٦٣- سهيل بن رافع بن أبي عمرو.

٢٦٤- عدى بن أبي الزغباء الجهني (حليف).

٢٦٥- مسعود بن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد.

٢٦٦- أبو خزيمه بن أوس بن زيد.

٢٦٧- رافع بن الحارث بن سواد بن زيد.

ص: ١٤٥

ت- من بنى سواد بن مالك بن غنم:

٢٦٨- عوف بن الحارث بن رفاعه.

٢٦٩- معوذ بن الحارث بن رفاعه.

٢٧٠- معاذ بن الحارث بن رفاعه.

بنو عفراء

٢٧١- النعمان بن عمرو بن رفاعه.

٢٧٢- عبد الله بن قيس بن خالد بن خلد.

٢٧٣- عصمه الأشجعي (حليف).

٢٧٤- وديعه بن عمرو الجهني (حليف).

٢٧٥- ثابت بن عمرو بن زيد بن عدى.

٢٧٦- ثعلبه بن عمرو بن محصن.

٢٧٧- سهل بن عتيك بن النعمان.

٢٧٨- الحارث بن الصمّه بن عمرو بن عتيك.

ث- من بنى معاويه بن عمرو بن مالك بن النجار:

٢٧٩- أبى بن كعب بن قيس.

٢٨٠- أنس بن معاذ بن أنس بن قيس.

خ- من بنى عدى بن عمرو بن مالك بن النجار:

٢٨١- أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام.

٢٨٢- أبو شيخ بن أبى بن ثابت بن المنذر بن حرام.

٢٨٣- أبو طلحه زيد بن سهل بن الأسود بن حرام.

ص: ١٤٦

٢٨٤- أبو شيخ أبى بن ثابت أخو حسان.

ذ- من بنى عدى بن النجار:

٢٨٥- حارثه بن سراقه بن الحارث.

٢٨٦- عمرو بن ثعلبه بن وهب بن عدى.

٢٨٧- سليط بن قيس بن عمرو بن عتيك.

٢٨٨- أبو سليط أسيره بن عمرو وهو أبو خارجه.

٢٨٩- ثابت بن خنساء بن عمرو بن مالك.

٢٩٠- عامر بن أميه بن زيد بن الحسحاس.

٢٩١- محرز بن عامر بن مالك.

٢٩٢- سواد بن غزيه بن أهيب البلوي (حليف).

٢٩٣- أبو زيد قيس بن سكن.

٢٩٤- أبو الأعور بن الحارث بن ظالم.

٢٩٥- سليم بن ملحان.

٢٩٦- حرام بن ملحان و هو مالك بن خالد.

ذ- من بني مازن بن النجار:

٢٩٧- قيس بن أبي صعصعه.

٢٩٨- عبد الله بن كعب عمرو.

٢٩٩- عصمه الأسدي (حليف).

٣٠٠- أبو داود عمير بن عامر بن مالك.

ص: ١٤٧

٣٠١- سراقه بن عمرو بن عطيه.

٣٠٢- قيس بن مخلد بن ثعلبه بن صخر.

ض- من بني دينار بن النجار:

٣٠٣- النعمان بن عبد عمرو بن مسعود.

٣٠٤- الضحّاك بن عبد عمرو.

٣٠٥- سليم بن الحارث بن ثعلبه.

٣٠٦- جابر بن خالد بن مسعود.

٣٠٧- سعد بن سهيل بن عبد الأشهل بن دينار.

ظ- من بني قيس بن مالك بن كعب بن حارثه بن دينار بن النجار:

٣٠٨- كعب بن زيد بن قيس.

٣٠٩- بجير بن أبي بجير العبسي (حليف).

غ- ذكر فيمن شهد بدرا:

٣١٠- عتبان بن مالك بن عمرو العجلان بن زيد بن غنم من الخزرج.

٣١١- عصمه بن الحصين بن وبره ابن أخي عتبان من الخزرج.

٣١٢- هلال بن المعلّى الخزرجي.

٣١٣- صالح بن شقرات غلام رسول الله صلى الله عليه و سلم.

ملحوظات:

١- كان البديون (٣١٣) رجلا، شهد منهم المعركة فعلا (٣٠٥) رجال فقط، و ثمانيه تخلفوا لعله، فضرب لهم رسول الله صلى الله عليه و سلم بسهامهم و أجورهم و هم:

ص: ١٤٨

من المهاجرين ١- عثمان بن عفان خلفه رسول الله صلى الله عليه و سلم على امرأته رقيه بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم، و كانت مريضه فأقام عليها حتى ماتت.

٢- طلحه بن عبيد الله.

٣- سعيد بن زيد.

بعثهما يتجسسان خبر العير.

من الأنصار ٤- أبو لبابه بن عبد المنذر خلفه على المدينة.

٥- عاصم بن عدى العجلاني خلفه على أهل العالیه.

٦- الحارث بن حاطب العمري ردّه من الروحاء الى بني عمرو بن عوف لشيء بلغه عنهم.

٧- الحارث بن الصّمّه، كسر بالروحاء.

٨- خوّات بن جبير، كسر أيضا.

ص: ١٤٩

القاعده الامينه

اشاره

(وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ).

(القرآن الكريم)

ص: ١٥٠

ص: ١٥١

المدينه قاعده الإسلام الأمينه تطهير المدينه المنوره و فرض الحصار الاقتمادى على قريش

الموقف العام

١- المسلمون:

كان المسلمون قبل (بدر) يخشون مواطنيهم غير المسلمين من أهل المدينه المنوره، فلا تبلغ بهم الجراه الى حد أخذ الحق ممن يعتدى على مسلم منهم؛ فلما عادوا من (بدر) منتصرين انقلب الموقف تماما، فأصبح سلطانهم مهيبا فى المدينه المنوره و ما حولها.

لقد قضوا على أكثر أعدائهم (كأفراد) كأبى عفك اليهودى (١) الذى كان يهجو المسلمين و يحرض قومه على الخروج عليهم، و كعصماء بنت مروان (٢) التى كانت تعيب الاسلام و تؤذى النبى صلى الله عليه و سلم و تحرض عليه، و كعب بن الأشرف (٣) الذى قال حين علم بمقتل سادات مكه: (هؤلاء أشرف العرب و ملوك الناس).

و الله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها)، و هو الذى

-
- ١- قتله سالم بن عمير العمرى فى شوال على رأس عشرين شهرا من مهاجره رسول الله (ص). أنظر طبقات ابن سعد ٢/ ٢٨.
 - ٢- قتلها عمير بن عدى بن خرشه الخطمى لخمس ليال بقين من رمضان على رأس تسعه عشر شهرا من مهاجره رسول الله (ص)، فلما علم النبى (ص) بقتلها قال: (لا ينتطح فيها عنزان). أنظر طبقات أبى سعد ٢/ ٢٧.
 - ٣- قتله محمد بن مسلمه و نفر من الأوس منهم عبيد بن بشر و أبو نائله سلكان بن سلامه و الحارث بن أوس بن معاذ و أبو

قصد مكة لما تيقن الخبر يحرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم و ينشد الأشعار و يبكي أصحاب(القليب) (١)، فلما رجع الى المدينة المنوره جعل يشتب بنساء المسلمين.
و سترى كيف قضى المسلمون على أعدائهم(كجماعات) ...

٢- المشركون و يهود:

أ- عزمت قريش على أخذ ثأرها من المسلمين مهما يكلفها الأمر من جهود و خسائر فى الأَفس و المال، و فى سبيل ذلك أخذت تستعد لليوم الموعود.

ب- عقدت أكثر القبائل التى على طريق مكة- الشام التجاريه التى تتاخم الساحل معاهدات مع المسلمين، فسيطر المسلمون على هذه الطريق، فلا يمرّ أحد منها إلا بإذنتهم.

و مع ذلك فقد بدأ قسم من القبائل العربيه التى تسيطر على طريق الشام- مكة، و القاطنه بين مكة و المدينة ترى ما يهدّد مصيرها فى قوه المسلمين خاصه و أنها حرمت من فوائد اقتصاديه كانت تجنيها من مرور تجاره قريش فى رحله الصيف الى الشام، فأخذت تفكر فى التعرض للمسلمين.

ج- أما مشركو المدينة فقد أعلن أكثرهم إسلامهم، و بقى بين صفوفهم قسم من المنافقين.

د- و لكنّ يهود المدينة ازدادوا حقدًا على المسلمين، و أخذ قسم منهم يجاهرون بعدايتهم لهم و ينقل أخبارهم للمشركين و يؤوى أعداءهم و يدلهم على عورات المسلمين.

لذلك فقد أصبح بقاؤهم داخل المدينة خطرا محققا بالمسلمين ...

١- هم قتلى المشركين فى(بدر) و الذين دفنوا فى القليب.

الهدف الحيوى

١- تطهير المدينة المنوره من يهود، حتى تكون المدينة(قاعده أمينه) لحركات المسلمين القادمه، فلا تنكشف حركاتهم للأعداء كما انكشفت فى السابق، فيستطيعون بعد ذاك ترك المدينة المنوره بحراسه قليله دون أن يتعرضوا لخطر كبير.

٢- حرمان قريش من الاستفادة من الطرق التجاريه التي تربط العراق من جهة و الشام من جهة أخرى بمكة موطن قريش، لغرض القضاء على أهم مورد من موارد تجاره قريش بفرض هذا الحصار الاقتصادي على هذه الطرق.

حصار بنى قينقاع

إشاره

(راجع الملحق - د)

١- أسباب الحصار:

أ- الأسباب غير المباشره:

تجسس يهود على المسلمين لصالح المشركين، و نقلهم كل المعلومات عن نيات المسلمين و حركاتهم الى قريش، و إظهار عداوتهم بوضوح للمسلمين.

ب- نبذ يهود العهد الذى كانوا قطعوه على أنفسهم للمسلمين بعد هجره النبى صلى الله عليه و سلم الى المدينه المنوره و أظهروا البغى (١).

ج- الأسباب المباشره:

تعرض يهود لامرأه مسلمه تباع حليتها فى سوق بنى قينقاع، فاستغاثت المرأه، فوثب أحد المسلمين على الصائغ اليهودى فقتله، فشدت يهود على المسلم فقتلوه، ثم لجأ يهود الى حصونهم يحتمون بها.

١- أنظر طبقات ابن سعد ٢ / ٢٩.

ص: ١٥٤

٢- قوات الطرفين:

أ- المسلمون:

كل مسلمى المدينه المنوره القادرين على حمل السلاح بقياده الرسول صلى الله عليه و سلم.

ب- يهود:

كل بنى قينقاع الساكنين داخل المدينه المنوره.

٣- الهدف:

القضاء على بنى قينقاع فى المدينة المنوره ليستقرّ الأمر فيها للمسلمين و لتكون المدينة قاعده أمينه للمسلمين يرتكزون عليها فى العمليات العسكريه المقبله.

٤- الحوادث:

طلب الرسول صلّى الله عليه و سلم إلى بنى قينقاع أن يكفّوا أذاهم عن المسلمين و أن يحفظوا عهد المواعده لثلاثين يوماً، ما نزل بقريش، فاستخفّ بنو قينقاع بوعيده قائلين: (لا يغرّنك يا محمد أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصه! إننا و الله لئن حاربنا لتعلمنّ أننا نحن الناس).

لم يبق بعد هذا التحدى الصارخ أمام المسلمين إلا مقاتله بنى قينقاع، فحاصروهم فى قلاعهم خمس عشر يوماً، حتى اضطروهم على التسليم و رضوا بما يصنعه الرسول صلّى الله عليه و سلم فى رقابهم و نسائهم و ذريّتهم و أموالهم، فجاء عبد الله بن أبيّ (١) الى الرسول صلّى الله عليه و سلم و قال: (يا محمد! أحسن فى موالئى)، و كانوا حلفاء الخزرج، فأبطأ عليه الرسول صلّى الله عليه و سلم، فكرر ابن أبيّ مقالته، فأعرض

١- كان رأس المنافقين فى المدينة.

ص: ١٥٥

عنه الرسول صلّى الله عليه و سلم، فأدخل ابن أبيّ يده فى جيب درع الرسول صلّى الله عليه و سلم، فتغير لون النبي صلّى الله عليه و سلم و قال له: (أرسلنى!) و غضب حتى رأوا لوجهه ظللاً.

ألح ابن أبيّ فى رجائه قائلاً: (و الله لا أرسلك حتى تحسن فى موالئى:

أربعمائه حاسر (١) و ثلاثمائه دارع (٢) قد منعونى من الأحمر و الأسود، تحصدهم فى غداه واحده، إنى و الله امرؤ أخشى الدوائر) ...

فقال الرسول صلّى الله عليه و سلم: (هم لك على أن يخرجوا من المدينة و لا يجاورونا بها).

و سار بنو قينقاع تاركين وراءهم السلاح و أدوات الذهب الذى كانوا يصوغونه حتى بلغوا (وادي القرى) (٣)، و بقوا هناك زمناً ثم احتملوا ما معهم و ساروا صوب الشمال حتى بلغوا (أذريعات) (٤)، على حدود الشام و بها أقاموا و لم يبقوا فيها طويلاً حتى هلك أكثرهم، و بذلك تخلّص المسلمون من هذا (الرتل الخامس) الذى كان يعيش بين ظهرانيمهم، فينقل أخبارهم و يكشف أسرارهم لأعدائهم المشركين.

فرض الحصار الاقتصادى على قريش

(راجع الملحق - د)

١- غزوه بنى سليم:

أ- قوات الطرفين:

أولاً- المسلمون:

دوريه قتال بقوه مائتى راكب و راجل بقيادة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلِمَ.

١- الحاسر: الذى لا درع له.

٢- الدارع: لابس الدرع.

٣- وادى القرى: موضع جنوبى خيبر و بين المدينه المنوره و خيبر.

٤- أذريعات: موضع كائن فى منطقه شرقى الأردن حاليا بين أجنادين و الشام.

ص: ١٥٦

ثانيا- المشركون:

بنو سليم و غطفان.

ب- الهدف:

لقضاء على مقاومه سليم و غطفان فى عقر دارهم فى (قرقره الكدر) (١) الواقعه على الطريق التجاريه الحيويه بين مكه و الشام.

ج- الحوادث:

بلغ المسلمون أن جمعا من غطفان و بنى سليم اعترم الاعتداء عليهم، فخرج الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلِمَ و يامرته مائتا راكب و راجل من المسلمين الى (قرقره الكدر) ليأخذ عليهم الطريق. فلما وصل الى ذلك المكان رأى آثار النعم و لم يجد أحدا، إذ فرّت جموع بنى سليم و غطفان لما سمعت بقدوم المسلمين، فجمع المسلمون ما وجدوا من إبل، و قسّمها الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلِمَ عليهم بالتساوى، و بقى فى منازل القوم ثلاثه أيام لإظهار قوه المسلمين و عدم اكتراثهم بعدوّهم، ثم عادوا أدراجهم الى المدينه المنوره.

٢- غزوه السويق:

أ- قوات الطرفين:

أولاً- المسلمون:

قوه مطارده خفيفه بقياده الرسول صَلَّى الله عليه و سلم.

١- قرقه الكدر. القرقه: هى الأرض الملساء و ليست ببعيده. و هو موضع بناحيه المعدن قريبه من الأرحضيه بينها و بين المدينه ثمانيه برد، و هى ماء لبني سليم. أنظر التفاصيل فى معجم البلدان ٧ / ٥٦ و ٧ / ٢٢٤.

ص: ١٥٧

ص: ١٥٨

ثانيا- المشركون:

مائتا فارس من قريش بقياده أبى سفيان بن حرب.

ب- الهدف:

مطارده أبى سفيان بن حرب للقضاء على قوته.

ج- الحوادث:

خرج أبو سفيان بن حرب بمائتى فارس من مكه المكرمه، و قرّر أن يباغت المدينه المنوره بغاره خاطفه ليردّ لقريش بعض سمعتها التى خسرتها يوم(بدر)، و يلحق بالمسلمين ما يستطيع من الخسائر، و حتى يبرّ بنذره الذى قطعه على نفسه بعد(بدر)؛(ألاً يمسّ رأسه ماء من جنبه حتى يغزو محمدا).

وصل أبو سفيان بقوته مساكن بنى النضير (١) بأطراف المدينه المنوره فى جنح الليل، و نزل على سلام بن مشكم من ساده يهود، فعرف منه أخبار المسلمين، و تدارس معه أجدى الطرق لإيقاع الأذى بهم و الإفلات بعد ذلك سالما من مطاردتهم، و هكذا هجم أبو سفيان برجاله على ناحيه يقال لها:

(العريض) (٢) على مقربه من المدينه المنوره و حرقوا بيتين فى(العريض) و نخلا و وجدوا رجلا- من الأنصار و حليفا له فى حرث لهما، فقتلوهما، ثم انكفأ أبو سفيان بن حرب بقوته هاربا خائفا أن يطلبه النبى صَلَّى الله عليه و سلم و أصحابه.

ندب محمد صَلَّى الله عليه و سلم أصحابه فخرجوا فى أثر أبى سفيان بن حرب، حتى بلغوا(قرقر الكدر) و أبو سفيان و من معه جادون فى الفرار يتزايد خوفهم فيتخفّفون من أرزاقهم التى يحملونها، حتى تمكنوا من النجاه، و عثر المسلمون

١- يهود.

٢- العريض: اسم موضع، و قال ياقوت: هو واد بالمدينه له ذكر فى المغازى.

ص: ١٥٩

فى طريق المطارده على هذه الأرزاق و أكثرها من (السويق) (١)، فسمّوا هذه الغزوه بغزوه (السويق)، و لما رأى النبى صلّى الله عليه و سلم أن القوم أمعنوا فى الفرار، عاد و أصحابه الى المدينه المنوره.

٣- غزوه ذى أمر:

أ- قوات الطرفين:

أولا- المسلمون:

أربعمائه و خمسون رجلا بين راكب و راجل بقيادة الرسول صلّى الله عليه و سلم.

ثانيا- المشركون:

بنو ثعلبه و محارب.

ب- الهدف:

القضاء على بنى ثعلبه و محارب قبل التعرض بأطراف المدينه المنوره.

ج- الحوادث:

بلغ محمدا صلّى الله عليه و سلم أن جمعا من بنى ثعلبه و محارب قد تجمّعوا (بذى أمر) (٢) يريدون أن يتعرضوا بأطراف المدينه المنوره، فخرج الرسول صلّى الله عليه و سلم فى أربعمائه و خمسين من المسلمين بين راكب و راجل، فلحقى رجلا من (ثعلبه)، فسأله عن القوم فدلّه الرجل على مواضعهم، و أخبره أنهم سيهربون الى رؤوس الجبال إن سمعوا بمسير المسلمين.

١- السويق: ان تحمص الحنطه أو الشعير ثم تطحن، و قد تمزج باللبن و العسل و السمن تلتّ به.

٢- ذر أمر: موضع بنجد من ديار غطفان.

ص: ١٦٠

و ما لبث بنو ثعلبه و محارب أن فزوا الى رؤوس الجبال عند سماعهم بمسير المسلمين.

و عاد المسلمون بعد أن بقوا فى ديار القوم شهرا كاملا بدون قتال.

٤- غزوه بحران:

٤- غزوه بحران (١):

أ- قوات الطرفين:

أولا- المسلمون:

ثلاثمائة مقاتل بين راكب و راجل بقيادة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ.

ثانيا- المشركون:

بنو سليم.

ب- الهدف:

القضاء على بنى سليم قبل إنجاز استعداداتهم لقتال المسلمين.

ج- الحوادث:

بلغ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ أن جمعا كبيرا من بنى سليم يتهيئون لقتاله، فخرج في ثلاثمائة رجل من المسلمين أغدوا السير ليياغتوا بنى سليم فى ديارهم، حتى إذا وصلوا دون(بحران) بليله، لقيهم رجل من بنى سليم، فسأله النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ عنهم، فأخبره أنهم تفرقوا و عادوا أدراجهم حين سمعوا بخروجه إليهم.

و عاد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ إلى المدينة المنوره بعد أن بقى فى ديار القوم حوالى شهرين.

١- بحران: قيده جماعه بفتح الباء؛ و قيده آخرون بضمها، و قال ياقوت: موضع بين الفرع و المدينة، و قال الواقدي: بين الفرع و المدينة ثمانيه برد.

ص: ١٦١

٥- سريه زيد بن حارثه:

أ- قوات الطرفين:

أولا- المسلمون:

دوريه قتال بقوه مائه راكب بقيادة زيد بن حارثه الكلبي.

ثانياً- المشركون:

قافله تجاريه لقريش بقياده صفوان بن أميه.

ب- الهدف:

حرمان قريش من الاستفادة من طريق مكة- العراق التجاريه بعد حرمانهم من الاستفادة من طريق مكة- الشام التجاريه.

ج- الحوادث:

قطع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على قريش طريق مكة- الشام التجاريه، مما أثر أسوأ الأثر على اقتصاديات قريش، خاصة و أن مكة تعيش على التجاره لأنها بواد غير ذى زرع.

قال صفوان بن أميه لقريش: (إن محمداً و أصحابه قد عوّروا علينا متجرنا، فما ندرى كيف نصنع بأصحابه و هم لا يبرحون الساحل، و أهل الساحل قد وادعهم و دخل عامتهم معه، فما ندرى أين نسلك؟ و إن أقمنا فى دارنا هذه أكلنا رؤوس أموالنا فلم يكن لها من بقاء، و إنما حياتنا بمكة على التجاره الى الشام فى الصيف و الى الحبشه فى الشتاء).

قال له الأسود بن عبد المطلب: (تنكّب الطريق على الساحل، و خذ

ص: ١٦٢

طريق العراق). ثم دلّه على فرات بن حيان من بنى بكر بن وائل ليكون رائدهم فى هذه الرحله.

و تجهّز صفوان من الفضه و البضائع بما قيمته مائه ألف درهم، و ما لبث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن بعث زيد بن حارثه بمائه راكب يتعرّضون للقافله، فلقبها زيد عند ماء يقال له (القرده) (١)، و هو ماء من مياه نجد؛ ففرّ المشركون مذعورين، و أصاب المسلمون القافله، و أسروا دليلها فرات بن حيان، فلما جىء به الى المدينه المنوره دخل الإسلام ...

و هكذا حرم المشركون من طريق مكة- العراق، كما حرموا من قبل من طريق مكة- الشام، فأصبح الحصار الاقتصادى مطبقا عليهم من الطرق المؤديه الى الشام و العراق كافه.

دروس من حركات التطهير

١- القاعدة الامينه:

القاعده الامينه، هى المنطقه الحيويه التى يمكن الاعتماد عليها فى كل حركة عسكريه، لإمداد القوات المحاربه بالرجال و المواد، و لتكون الملجأ الحصين الذين تلجأ إليه تلك القوات عند أسوأ الاحتمالات.

و لا بدّ من وجود (قاعده أمينه) لكل حركة عسكريه ناجحه، لتركز عليها القوات فى صفحات القتال كافه.

و لا بدّ من وجود(قاعده أمينه) لكل دعوه ناجحه أيضا، لتكون الملجأ الحصين لأصحاب الدعوه و الدعاه، و لتنتشر منها الدعوه الى الخارج.

١- قرده: ماء بنجد فى الرّمه لبنى نعامه. أنظر التفاصيل فى معجم البلدان ٧ / ٥٠.

ص: ١٦٣

لقد أصبحت المدينه المنوره أول قاعده أمينه للاسلام بعد أن هاجر إليها الرسول صلّى الله عليه و سلم، و لكنها لم تكن قاعده أمينه حقا قبل إجلاء بنى قينقاع عنها.

لقد كان موقف يهود المدينه يختلف تماما عن موقف مشركيها.

كان مشركو المدينه يمتّون بصله القربى و النسب الى الأنصار، أما يهود فلا نسب و لا قربى لهم مع سكان المدينه من غير يهود.

و قد أسلم أكثر مشركى المدينه بعد(بدر)، و الذين بقوا على شركهم قليلون، لذلك كان خطر هؤلاء على المسلمين قليلا.

أما يهود المدينه فقد زادهم انتصار المسلمين فى(بدر) حقا على حقدهم، فأصبحوا يتربصون بالمسلمين الدوائر و يتجسسّون عليهم و يحرضون أعداءهم للفتك بهم، و يؤذونهم بالقول و العمل.

لقد كان بقاء يهود بالمدينه بعد انتصار المسلمين فى(بدر) خطرا داهما لا بد من القضاء عليه، لتكون المدينه قاعده أمينه حقا للاسلام؛ و لترتكز عليها قواتهم للحركات المقبله، و دعوتهم للاسلام فى حاضرهم و مستقبلهم.

لقد ضعفت شوكة يهود بعد إجلاء بنى قينقاع عنها، فقد كان أكثر يهود المنتسبين الى المدينه يقيمون بعيدا عنها(بخير) و بأمر القرى؛ و هكذا طهر المسلمون داخل المدينه من أخطر أعدائهم، و أصبحت المدينه قاعده أمينه للاسلام حقا.

٢- الحصار الاقتصادى:

تعتمد قريش فى حياتها على تجارتها بالدرجه الأولى، و هى تستورد بعض المواد التى تيسر فى الحبشه و الشام و العراق و اليمن، كالمواد الغذائيه

ص: ١٦٤

و المنسوجات، و تصدر إليها بعض المواد الأولى، كالجلود و الصوف و الطيب الذى يردّها من الهند.

و طريق مكه- الشام أهم طريق تجاريه لقريش، لأهميه تجاره الشام، و لأنها طريق بريه يسهل قطعها بالإبل سفن الصحراء.

إن قطع المسلمين طريق مكه- الشام، أثر أسوأ الأثر فى الحياه الاقتصاديه لقريش، لذلك حاولوا أن يستفيدوا من طريق مكه-

نجد- العراق الشام الطويله، حتى لا تموت تجارتهم نهائيا، إلا أن المسلمين حرموا قريشا من هذه الطريق الجديده أيضا.

إن فرض الحصار الاقتصادي على قريش، جعلهم أمام مسلكين: محاوله القضاء على المسلمين لتنتفح أمامهم الطرق التجاريه المقطوعه، أو الاستسلام قبل أن تموت قريش جوعا.

إن هدف المسلمين من غزواتهم بعد(بدر) على بنى سليم و غطفان و بنى ثعلبه و بنى محارب و على قافله قريش، كان لحرمان هذه القبائل من التعرض بالمسلمين و للسيطره على طريق مكه- الشام و طريق مكه- نجد العراق؛ و لم يكن هدف المسلمين الحصول على الغنائم، لأن الذين يحاولون السلب يعودون بسرعه الى قواعدهم خوفا من استرداد ما غنموه، و لا يقون أياما بل شهورا فى ديار أعدائهم كما فعل المسلمون.

لقد بقى المسلمون ثلاث ليال فى ديار بنى سليم فى المره الأولى، و شهرين فى المره الثانيه، و شهرا كاملا فى ديار بنى ثعلبه و بنى محارب، فهل يبقى كل هذه المده خائف من عدوه أو طالب للسلب و النهب!؟

ص: ١٦٥

إن الهدف الأول من الحصار الاقتصادي المضروب على قريش، هو التأثير المادى و المعنوى عليهم ليعيدوا النظر فى موقفهم من المسلمين، و ما غزوات الرسول صلى الله عليه و سلم القبائل فى هذه الفتره إلا للتخلص من تهديدها و لتأمين هدف الرسول صلى الله عليه و سلم فى ضرب الحصار الاقتصادي على قريش.

لقد كانت غزوات هذه الفتره (حربا بارده) كما يطلق عليها العسكريون اليوم، و كان لا بد من تطهير(القاعده الأمينه) لتأمين النصر من هذه الغزوات.

ص: ١٦٦

ص: ١٦٧

ص: ١٦٨

ص: ١٦٩

النصر للمغلوب

إشارة

(وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ).

(القرآن الكريم)

ص: ١٧٠

ص: ١٧١

غزوه أحد

اشاره

غزوه أحد (١)

الموقف العام

١- المسلمون:

سيطر المسلمون على الطرق التجاريه المؤديه من مكه المكرمه الى الشام و الى العراق سيطره تامه، و منعوا قوافل قريش من سلوك هاتين الطريقين؛ فلم يبق أمام قريش إلا-التجاره مع الحبشه، و هى تجاره غير رابحه بالنسبه الى التجاره مع الشام و مع العراق، و بذلك حلت بتجاره قريش- التى تعتمد عليها فى حياتها كل الاعتماد- نكبه قاصمه قاضيه.

كما سيطر المسلمون على المدينه المنوره و جعلوا منها(قاعده أمينه) لدعوتهم و حركاتهم العسكريه المقبله على حد سواء.

٢- المشركون و يهود

أ- قريش:

حرصت قريش منذ نكبتها الكبرى فى (بدر) على الأخذ بثأرها من المسلمين، و صممت على الاستعداد عسكريا لاستعادته كرامتها و شرفها.

و لم تغنها غزوه(السويق) شيئا بل زادها فرارها المشين أمام مطارده المسلمين لها عارا جديدا على عارها فى (بدر)، كما أثارت سريه زيد بن حارثه كوامن حقدتها الدفين على المسلمين.

١- أحد: جبل شمال المدينه بينه و بينها قرابه ميل واحد. انظر التفاصيل فى معجم البلدان ١/ ١٣٣.

ص: ١٧٢

و قرّر كبراء قريش تخصيص ربح تجاره قافله أبى سفيان بن حرب التى جرت من أجلها معركة(بدر)، لإنجاز استعدادات معركة الثأر القادمه و إمدادها بالمواد و السلاح و الرجال!

ب- مشركو المدينه و ما حولها:

أصبح مشركو المدينة ضعفاء جدا، لإسلام أكثرهم و تظاهر الآخرين منهم بالإسلام. كما هابت القبائل المجاورة قوه المسلمين، فحالف أكثرهم المسلمين، وانكمش الآخرون فى ديارهم خائفين.

ج- يهود:

لم يبق داخل المدينة بعد طرد بنى قينقاع أحد من يهود؛ أما يهود الذين يسكنون فى ضواحي المدينة، فقد خافوا بطش المسلمين، خاصه بعد جلاء بنى قينقاع و قتل كعب بن الأشرف، فتظاهروا بالمحافظه على عهودهم، و لو أنهم أخفوا نقض تلك العهود فى أول فرصه مناسبه.

قوات الطرفين

١- المسلمون:

قوات المسلمين ستمائه و خمسون رجلا و خمسون فارسا بقيادة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ.

٢- المشركون:

قوات المشركين ألفان و تسعمائه من قريش و مواليها و أحابيشها و مائه من بنى ثقيف، منهم سبعمائه دارع فقط، و مع قوات المشركين مائتا فرس و ثلاثه آلاف بعير، و هذه القوات بقيادة أبى سفيان بن حرب، و قد استصحب أكثر زعماء قريش معهم نساءهم (١) للتشجيع و رفع المعنويات.

١- عدد النساء من قريش خمس عشره امرأه، انظر طبقات ابن سعد ٢/ ٣٧.

ص: ١٧٣

أهداف الطرفين

١- المشركون:

أخذ ثاراتهم من المسلمين فى معركة بدر و سريه زيد بن حارثه، لاستعاده كرامتهم و شرفهم بين العرب.

٢- المسلمون:

الدفاع عن المدينة و صدّ قريش عنها، لتتوفر لهم الحريه الكامله لنشر الدعوه الى الاسلام بحريه و سلام.

قبل المعركه

١- المشركون:

أ- بعد إنجاز قريش استعداداتها العسكريه للحركه، سلكت طريق مكه- المدينه، حتى وصلت موضعا قريبا من المدينه يسمى (الصمغه) (١) فأطلقت إبلها و خيلها ترعى زرع الأنصار هناك، و تابعت سيرها حتى بلغت (العقيق) (٢) ثم نزلت عند بعض السفوح من جبل (أحد) على بعد خمسة أميال من المدينه المنوره.

ب- كان على ميمنه خيل المشركين خالد بن الوليد، و على ميسرتها عكرمه ابن أبي جهل، و كان اللواء عند طلحه بن أبي طلحه من بنى عبد الدار.

١- الصمغه: أرض غرب جبل أحد من المدينه، انظر التفاصيل في معجم البلدان ٣٨٤ /٥.

٢- العقيق: العرب تقول لكل مسيل ماء شقّه السيل في الأرض فأنهره و وسّعه: عقيق، و العقيق بناحية المدينه، و في بلاد العرب أربعة أعقه، منها عقيق المدينه. انظر التفاصيل في معجم البلدان ١٩٨ /٦.

ص: ١٧٤

ج- نظم المشركون قوتهم للقتال بأسلوب (الصف) و أمّنوا حمايه ميمنه الصفوف و ميسرتها بالفرسان.

د- بذلت نساء قريش - خاصة هند بنت عتبه زوج أبي سفيان- أقصى جهودهن لتشجيع قريش و بعث الحماس في نفوسهم لأخذ ثاراتهم من المسلمين.

٢- المسلمون:

أ- بعث العباس عمّ الرسول صلّى الله عليه و سلم رساله مع أحد الرجال، يخبر بها الرسول صلّى الله عليه و سلم عن وقت خروج قريش لقتاله و عن عدد قواتها، فأسرع الرجل بالرساله حتى قطع الطريق بين مكه و المدينه في ثلاثه أيام، فوجد الرسول صلّى الله عليه و سلم ما كثا بمسجد (قباء) (١)، فدفع إليه بالرساله.

ب- قرأ أبي بن كعب الرساله على الرسول صلّى الله عليه و سلم، فطلب ألا- يبوح بمضمونها لأحد و عاد الرسول الى المدينه المنوره.

ج- بعث النبي صلّى الله عليه و سلم رجلين من أصحابه (٢) لمعرفة الموضع الذي وصلت اليه قريش، فوجدها قاربت المدينه المنوره، و أطلقت خيلها و إبلها ترعى زروع (يثرب) المحيطه بها.

د- خشى المسلمون عاقبه هذه الغزوه، لأنّ قريشا أكملت استعداداتها بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ حروبها، فبات المسلمون من أهل المدينه المنوره و عليهم السلاح بالمسجد كما بات الحراس في مداخل المدينه لحراستها.

ه- جمع الرسول صلّى الله عليه و سلم أهل الرأى من المسلمين صباح يوم الجمعة ١٥ شوال من السنه الثالثه للهجره لاستشارتهم

١- قباء: قريه على ميلين من المدينه على يسار القاصد الى مكه بها أثر بنيان كثير. انظر التفاصيل فى معجم البلدان ٧ / ٢١.

٢- هما: أنس و مؤنس ابنا فضاله الظفرين. انظر طبقات ابن سعد ٢ / ٣٧.

ص: ١٧٥

كان رأى النبى صلى الله عليه و سلم أن يتحصنوا بالمدينه المنوره و أن يدعوا قريشا خارجها، فإذا دخلتها قاتلهم فيها قتال الشوارع فى منطقته يعرفها المسلمون كل المعرفه و لا- تعرفها قريش، مما يساعد المسلمين على ضرب قريش و إيقاع الخسائر الفادحه بها، و كان رأى كبار الصحابه مثل هذا رأى كما كان هذا رأى عبد الله بن أبى.

و لكنّ الرجال الذين لم يشهدوا(بدر)- خاصه الشباب منهم- تحمّسوا للخروج من المدينه و ملاقاه قريش خارجها و أيدهم رجال اشتركوا بيدر، كى لا يرمى المسلمون بالجبن لاضطارهم الى القتال داخل المدينه، فرأى الرسول صلى الله عليه و سلم أن الأكتريه تؤيد الخروج، فقال لهم:(إنى أخاف عليكم الهزيمه)، فأبوا مع ذلك إلا الخروج، فنزل على رأى الأكتريه، لأن الشورى كانت أساس نظامه الذى لا يجيد عنه.

و- أمر الرسول صلى الله عليه و سلم صحابته أن يتهيئوا للخروج، و دخل داره و تقلّد سيفه و ارتدى عدّه القتال، ثم خرج الى الناس.

شعر القوم أنهم استكروهوا الرسول صلى الله عليه و سلم على رأيهم، و أظهروا الرغبه فى النزول على رأيه، إلا أن النبى صلى الله عليه و سلم وجد غضاضه فى الاضطراب بين شتى الآراء و التردّد فى قرارته، فقال:(ما ينبغى لنبى لبس لأمته (١) أن يضعها حتى يحكم الله بينه و بين عدوه) ...

ثم طلب إليهم الصبر عند البأس.

ز- تقدّم النبى صلى الله عليه و سلم بألف رجل، حتى نزل(الشيخين) (٢)- موضع فى ضواحي المدينه- و هناك رأى مع المسلمين مفرزه لا يعرف أهلها، فلما سأل

١- اللأمه: الدرع. و قد يسمى السلاح كله لأمه.

٢- الشيخان: موضع بالمدينه كان فيه معسكر رسول الله(ص) ليله خرج لقتال المشركين بأحد. أنظر التفاصيل فى معجم البلدان ٥ / ٣١٩ و هو فى منطقته جبل أحد.

ص: ١٧٦

عنها علم أن أفرادها من يهود حلفاء عبد الله بن أبى، فرفض معاونتهم له إلا أن يسلموا أو يعودوا أدراجهم. و قال:(لا تستنصروا

بأهل الشرك على أهل الشرك)، فعادوا الى المدينة.

و انسحب بعدهم عبد الله بن أبي مع ثلاثمائة من أنصاره المنافقين، فبقى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و معه سبعمائه من أصحابه يستعد بهم لقتال ثلاثه آلاف مقاتل من المشركين.

ح- عسكر المسلمون بالشَّعب من موضع (أحد) في عدوه الوادى، جاعلين ظهرهم الى جبل (أحد)، و كانت مجمل خطه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للقتال ما يلي:

أولاً: وضع خمسين من الرماه بإمره عبد الله بن جبير (1) فى موضع على طريق تؤدى من الجبل الى خلف قواته، و كان هدفه من وضع هذه القوه هو حرمان العدو من الالتفات على قواته من الخلف، و لتكون هذه القوه قاعده أمينه لقواته، تحمى ظهرها و تستند إليها و تستر انسحابها عند الحاجة.

و أصدر لهذه القوه الأمر الجازم التالى: (أحموا لنا ظهورنا، فإننا نخاف أن يجيئوا من ورائنا، و ألزموا مكانكم لا تبرحوه. و إن رأيتمونا نقتل فلا تعينونا و لا تدفعوا عنا، و إنما عليكم أن ترشقوا خيلهم بالنبل، فإن الخيل لا تقدم على النبل).

ثانياً: نظم أصحابه صفوفاً للقتال بهم بأسلوب (الصف)، و تخير الأشداء ليكونوا طليعه الصفوف.

١- عبد الله بن جبير الأنصارى: شهد بيعه العقبة الثانية مع السبعين من الأنصار و شهد بدرًا و أحدا، و استعمله رسول الله (ص) على الرماه فى أحد لحماية ظهور المسلمين؛ فلما اختلف الرماه و انسحب أكثرهم من مواضعهم لأخذ الغنائم من معسكر المشركين، ثبت عبد الله فى مكانه مع نفر لا يبلغون العشره قاوم بهم هجوم خالد بن الوليد حتى فنيته نبله، فطاعن بالرمح حتى انكسر، فكسر جفن سيفه فقاتل فرسان خالد حتى استشهد بطلا. راجع التفاصيل فى طبقات ابن سعد ٣/ ٤٧٥، و الإصابه ٤/ ٤٥، و أسد الغابه ٣/ ١٣٠، و الاستيعاب ٣/ ٨٧٧.

ص: ١٧٧

ثالثاً: أصدر أوامره بألا يقاتل أحد إلا بأمر منه.

رابعاً: أخذ يشجع أصحابه و يحثهم على الصبر فى القتال.

ط- و لبعث التنافس الشريف بينهم فى إظهار البطوله، أخذ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيفاً بيده، فقال مخاطباً أصحابه: (من يأخذ هذا السيف بحقه؟) فقام اليه رجال، فأمسكه عنهم، حتى قام أبو دجانة سماك بن خرشه (1) فقال:

(و ما حقه يا رسول الله؟) فقال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أن تضرب به العدو حتى ينحني).

و كان أبو دجانة رجلاً شجاعاً له عصابه حمراء، إذا اعتصب بها علم الناس أنه سيقاتل، فأخذ السيف و أخرج عصابته الحمراء التى كانوا يسمونها: (عصابه الموت) و عصب بها رأسه، و جعل يتبختر بين الصفيين على عادته إذ يختال عند الحرب، فلما رآه

الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ يَتَّبِعْتُمْ قَوْلَهُ: (إِنَّهَا لَمْ تَشِيهِ بِبَغْضِهَا اللهُ إِلَّا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ).

ى- بهذه الخطه و بهذا الاندفاع كان وضع المسلمين قبل نشوب القتال فى (أحد).

١- سماك بن خرشه الخزرجى الساعدى الأنصارى: مشهور بكنيته، أبى دجانة، شهد بدرًا و أحدا و جميع المشاهد مع رسول الله (ص)، و أعطاه رسول الله يوم أحد سيفه، و قال: (من يأخذ هذا السيف بحقه)؟ فأحجم القوم، فقال أبو دجانة: (أنا آخذه بحقه)، فدفعه رسول الله (ص) إليه ففلق به هام المشركين. كان من الشجعان المشهورين بالشجاعه، و كانت له عصابة حمراء يعلم بها فى الحرب، فلما كان يوم أحد أعلم بها و اختال بين الصفين، فقال رسول الله (ص): (إن هذه مشيه ببغضها الله عزّ و جل إلا فى هذا المقام). و هو من فضلاء الصحابه و أكابرهم له مقامات محموده فى مغازى رسول الله (ص). استشهد يوم اليمامة بعد ما أبلى فيها بلاء عظيمًا، و كان لبنى حنيفه باليمامة حديقه يقاتلون من ورائها فلم يقدر المسلمون على الدخول إليهم فأمرهم أبو دجانة أن يلقيه إليها ففعلوا فانكسرت رجله فقاتل على باب الحديقه و أزاح المشركين عنه و دخلها المسلمون و قتل يومئذ، و قيل بل عاش حتى شهد صفين مع على. أنظر التفاصيل فى طبقات ابن سعد ٣/ ٥٥٦، و الإصابه ٧/ ٥٧، التسلسل ٣٧١، و أسد الغابه ٢/ ٣٥٢، و الاستيعاب ٢/ ٦٥٢، التسلسل ١٠٦١.

ص: ١٧٨

سير القتال

١- بدء المناوشات:

أ- قامت مفرزه من قوات قريش بقياده أبى عامر عبد عمرو بن صيفى الأوسى بالهجوم على قوات المسلمين، فنشبت الحرب، و كان أبو عامر هذا قد انتقل من المدينه الى مكه يحرض قريشا على قتال محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ و سلم؛ و لم يكن شهد (بدرًا) مع قريش، فخرج الى (أحد) فى خمسه عشر رجلا من الأوس و من عبيد أهل مكه، و كانت المفرزه التى يأمرة مؤلفه من هؤلاء الأفراد فقط، و كان يزعم لقريش أنه إذا نادى أهله المسلمين من الأوس الذين يحاربون فى صفوف النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، استجابوا له و انحازوا معه و نصرهوا قريشا! ...

خرج أبو عامر مناديا: (يا معشر الأوس! أنا أبو عامر)! فأجابه الأوس المسلمون: (لا أنعم الله بك عينا يا فاسق)! .. ثم هاجموه.

و نشب القتال بين الطرفين بعد أن أذن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ للمسلمين بالقتال.

ب- حاول أبو عامر و حاول عكرمه بن أبى جهل أن يلتقا على أجنحه المسلمين، و لكن المسلمين رشقوهم بالحجاره، و لم يكن من السهل الالتفات على أجنحه المسلمين لاستنادها على هضاب جبل (أحد)، فأخفقت محاولات التفاف المشركين.

ج- هتف حمزه بن عبد المطلب بكلمه التعارف للمسلمين فى (أحد):

(أمت أمت). ثم اندفع الى قلب جيش المشركين.

و نادى حامل لواء المشركين طلحه بن أبي طلحه: (من يبارز؟) فخرج إليه على بن أبي طالب، فقتله.

و اندفع أبو دجانة و فى يده سيف النبى صَلَّى اللهُ عليه و سلم، و على رأسه عصابة الموت، فجعل لا يلقى أحدا إلا قتله، حتى شقّ صفوت المشركين؛ ثم رأى إنسانا

ص: ١٧٩

ص: ١٨٠

يحثّ المشركين على القتال، فحمل عليه بالسيف، فإذا بهند بنت عتبة تولول، فارتدّ عنها أبو دجانة مكرما سيف النبى صَلَّى اللهُ عليه و سلم أن يضرب به امرأه ...

٢- إشتداد القتال (الصفحة الاولى):

أ- اندفعت قريش الى القتال يثور فى عروقتها طلب الثأر لمن قتل من أشرفها و سادتها منذ عام بيدر، و كان من ورائهم نساؤهم يشجعونهم و يحثونهم على الاستبسال، و قد أعدت غير واحده منهن مولى وعدته بالخير الوفير لينتقم لها ممن فجعها بيدر فى أب أو أخ أو زوج أو عزيز، و كانت هند بنت عتبة قد وعدت وحشيا الحبشى مولى جبير خيرا كثيرا إن هو قتل حمزه، كما قال له جبير بن مطعم مولاة، و كان عمه قد قتل بيدر: (إن قتلت حمزه عم محمد فأنت عتيق)!

و تربص وحشى بين الصفوف يترصد حمزه، حتى رآه فى عرص للناس يحطم أبطال المشركين، فصوب عليه حربته و قذفه بها، فأصاب بطن حمزه أسفل سرّته و خرجت من بين رجله، فاستشهد على أثرها.

ب- على الرغم من الخساره الفادحه التى لحقت بالمسلمين باستشهاد حمزه، فإن قواتهم بقيت مسيطره على الموقف تماما، و أخذ لواء المشركين يسقط بين حين و آخر: حمل عثمان بن أبى طلحه اللواء بعد أن قتل على بن أبى طالب رضى الله عنه طلحه بن أبى طلحه، فلما لقي هذا مصرعه، حمله أبو سعيد بن أبى طلحه، فقتله على بن أبى طالب أو سعد بن أبى وقاص.

و تعاقب حمله لواء المشركين من بنى عبد الدار، حتى قتل منهم تسعه، ثم حمله مولى لهم، و حملته امرأه بعد ذلك لتفرق المشركين عنه.

ج- زحفت صفوف المسلمين على صفوف المشركين بعد تصدّعها، فانهزم المشركون حتى أحاط المسلمون بنساء المشركين و حتى وقع الصنم الذى احتملوه للتبرّك به من فوق الجمل الذى كان يحمله.

ص: ١٨١

و أخذ المسلمون يطاردون المشركين حتى أبعدهم عن معسكرهم، ثم عادوا يجمعون الغنائم.

و رأى الرماة الذين أمرهم الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم ألا يبرحوا أماكنهم و لو رأوه و أصحابه يقتلون، فقال بعضهم لبعض: (لم

تقيمون هاهنا في غير شىء و قد هزم الله عدوكم، و هؤلاء إخوانكم ينتهبون عسكرهم؟

و اختلفوا فيما بينهم، أيترون مواضعهم أم يبقون فيها؟ فأصرّ قائدهم عبد الله بن جبير على البقاء و عصاه أكثرهم و انطلقوا، و لم يبق معه غير نفر دون العشرة!

و اشترك المنطلقون من الرماه في جمع الغنائم.

٣- هجوم المشركين المقابل (الصفحة الثانية):

أ- انتهز خالد بن الوليد (١) فرصه ترك رماه المسلمين لمواضعهم، و كان على يمينه خيل المشركين، فهاجم مواضع الرماه التي تركوها، و استطاع إجلاء الباقين منهم عن مواضعهم، لقله عددهم، و عدم إمكانهم الصمود في مواضعهم الواسع بالنسبه لعددهم الذي أصبح قليلا.

و لم يفتن المسلمون لهذه المباغته، و صاح خالد يعلن لقريش بأنه التفّ وراء المسلمين، فعادت قوات قريش المنهزمه للقيام بهجوم مضاد جبهي على المسلمين، و نادوا بشعارهم: (يا للعزى! يا لهبل!) بينما قام خالد بالالتفاف من الخلف، فأصبح المسلمون مطوقين من جوانبهم كافه.

و تحرّج موقف المسلمين، و أصبح خطيرا جدا، خاصه و أن صفوفهم لم تكن رصينه في مواضعها لتستطيع الصمود، إذ تبعثر أفرادها لجمع الغنائم.

١- أنظر سيره حياته في كتابنا: قاده فتح العراق و الجزيره ٤٧-٢١١.

ص: ١٨٢

ب- كانت حركه خالد مباغته تامه للمسلمين لم يكونوا يتوقعونها، فتبعثر أكثرهم و بقي القليل منهم الى جانب النبي صلّى الله عليه و سلم (١) يقاتلون ليشقوا لهم طريقا من بين قوات قريش التي أطبقت عليهم من كل جانب.

و استشهد كثير من المسلمين و هم يحاولون شقّ طريقهم، و استطاع المشركون أن يصلوا قريبا جدا من موضع النبي صلّى الله عليه و سلم، فرماه أحدهم بحجر أصاب أنفه و كسر رباعيته. و تمالك النبي صلّى الله عليه و سلم نفسه، و سار مع أصحابه الباقين، فإذا به يقع في حفرة حفرها أبو عامر ليقع فيها المسلمون، فأسرع إليه على بن أبي طالب و أخذ بيده ... و رفعه طلحه بن عبيد الله حتى استوى.

ج- أخذ المشركون يديمون زخم هجومهم للقضاء على النبي صلّى الله عليه و سلم و أصحابه، و نادى أحدهم: بأنه قتل محمدا؛ و لكن أصحاب النبي صلّى الله عليه و سلم استماتوا في الدفاع عنه.

كانت أم عماره نسيبه الخزرجيه قد خرجت أول النهار و معها سقاء لها فيه ماء، تدور على المسلمين لتسقى منهم من استسقى؛

فلما أحاط المشركون بالمسلمين و أصبح الخطر الداهم محدقا بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفسه، أَلَقَتْ نَسِيئَهُ سِقَاءَهَا وَ اسْتَلَّتْ سِيفًا وَ أَخَذَتْ تَذُودَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسِّيفِ وَ تَرْمِي عَنِ الْقَوْسِ، حَتَّى خَلَصَتْ الْجِرَاحَ إِلَيْهَا.

وَ صَدَّ أَبُو دِجَانَهُ بِجِسْمِهِ النَّبَالَ الْمُنْهَالَةَ صَوَّبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَحَنَى ظَهْرَهُ عَلَيْهِ وَ النَّبْلَ يَقَعُ فِيهِ.

وَ وَقَفَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ إِلَى جَانِبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْمِي بِالنَّبْلِ دُونَهُ، وَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنَاولُهُ النَّبْلَ وَ يَتَرَصَّدُ لَهُ إِصَابَاتِهِ.

وَ رَمَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ قَوْسِهِ، حَتَّى تَحَطَمَتِ الْقَوْسُ. وَ تَسَاقَطَ الْمُسْلِمُونَ

١- ثبت مع الرسول (ص) أربعة عشر رجلا- في أصحابه: سبعة من المهاجرين فيهم أبو بكر الصديق و سبعة من الأنصار. أنظر طبقات ابن سعد ٢/ ٤٢.

ص: ١٨٣

حواله صرعى واحدا بعد الآخر مستقتلين في الدفاع عنه ... حتى استطاعوا شق طريقهم عبر صفوف قريش الى رايه مشرفه من روابي جبل (أحد).

و تركت هذه الاستماتة أثرها في قريش، فتوقف زخم هجومهم قليلا، و استفاد المسلمون من هذه الفرصة السانحة، فصعد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهم الى جبل (أحد).

و في طريق صعوده رآه كعب بن مالك الذي كان مع المسلمين الذين تفرقوا عنه، لهول صدمه مباغته قريش لهم، و لانتشار إشاعه مقتل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنادى كعب بأعلى صوته: (يا معشر المسلمين ... أبشروا ... هذا رسول الله)، فلما سمعت قريش صيحه كعب لم يصدقها أكثرهم و حسبها صيحه أريد بها شد عزائم المسلمين، إلا أن بعضهم اندفع وراء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و صحابته.

و تقدم أبي بن خلف و هو يقول: (أين محمد؟ لا- نجوت إن نجا). فطعنه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحربه الحارث بن الصمه طعنه جعلته يتقلب على فرسه و يعود أدراجه ليموت في الطريق، و هو أول قتيل قتل بيد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

د- وصل المسلمون الى هضبه مرتفعه من جبل (أحد)، و لكن خالد بن الوليد وصل بفرسانه قريبا منهم، فقام المسلمون عليه بهجوم مضاد، و استطاعوا صد قواته.

ه- ذهبت كل محاولات قريش للقضاء على المسلمين أدراج الرياح، إذ تجتمع المسلمون حول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و سلم و أصبحوا تحت قيادته، بعد أن كانوا متفرقين لجمع الغنائم أولا، و نتيجة لصدمه المباغته التي أجراها خالد بن الوليد بالالتفاف حول قواتهم و ضربها من الخلف ثانيا.

و بلغ الإعياء برجال قريش حداً بالغاً، و فشلت محاولاتهم الهجوميه المتكرره للقضاء على المسلمين نهائياً، فقررت قريش إنهاء القتال ...

و قبل العوده أشرف أبو سفيان على الجبل، فنادى: (أفيكم محمد)؟ فلم يجيبوه. فقال: (أفيكم ابن أبي قحافه)؟ فلم يجيبوه. فقال: (أفيكم عمر بن

ص: ١٨٤

الخطاب)؟ فلم يجيبوه. و لم يسأل إلا عن هؤلاء الثلاثة لعلمه و علم قريش أن قيام الإسلام بهم. فقال: (أما هؤلاء فقد كفيتموهم) ... فلم يتمالك عمر أن أجاب: (يا عدو الله! إن الذين ذكرتهم أحياء و قد أبقي الله لك ما يسوؤك، و إن محمداً يسمع كلامك الآن) ... فقال أبو سفيان: (يوم بيوم بدر و الحرب سجال). ثم جعل يرتجز و يقول: (أعل هبل ... أعل هبل!) فقال رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم: (ألا تجيبونه)؟ قالوا: (يا رسول الله بماذا نجيبه)؟ قال:

(قولوا: الله أعلى و أجل). قال أبو سفيان: (لنا العزى و لا عزى لكم)! فقال رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم: (ألا تجيبونه)؟ فقالوا: (و بماذا نجيبه)؟ فقال:

(قولوا: الله مولانا و لا مولى لكم).

و لما انصرف أبو سفيان بن حرب و من معه نادى: (و إن موعدكم بدر للعام القابل).

فقال النبي صَلَّى الله عليه و سلم لرجل من أصحابه: (قل نعم! هو بيننا و بينك موعد).

و صدق الله العظيم: (و لَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ (١) بِإِذْنِهِ، حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَ تَنَارَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَ عَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ، مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ، ثُمَّ صَرَّفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ، وَ لَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) (٢).

عوده المتحاربين

١- المشركون:

عاد المشركون أدراجهم الى مكة، فلما وصلوا الى موضع (الروحاء) (٣)

١- تحسونهم: تستأصلونهم بالقتل. قال ابن هشام: الحس: الاستئصال، يقال: حسست الشيء: أى استأصلته بالسيف و غيره. أنظر سيره ابن هشام ٣/ ٦٦.

٢- الآية الكريمة من سوره آل عمران ٣: ١٥٢.

٣- الروحاء: موضع بالقرب من حمراء الأسد، و هذه على طريق المدينة- مكة، و تبعد عن المدينة ثمانية أميال.

على طريق المدينة- مكة، سمع أبو سفيان بخروج المسلمين لقتاله، فخاف أن يكون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد جاء من المدينة بقوات جديدة؛ فمَرَّ به معن الخزاعي، و كان قد مرَّ بمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و من معه، فسأله أبو سفيان عن المسلمين، فأجابه معن و كان لا يزال مشركاً: (إن محمداً قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط، و قد اجتمع معه من كان قد تخلف عنه، و كلهم أشد ما يكون عليكم حنقا و منكم للتأثر طلباً...).

قدَّر أبو سفيان أن اندحار قواته إذا اصطدم بالمسلمين ثانيه معناه خساره انتصاره في (أحد) و القضاء على قريش قضاء لا تقوم لها من بعده قائمه أبداً؛ فلجأ الى الحيله، و بعث مع ركب من بنى عبد القيس يقصدون المدينة أن يبلغوا محمداً: (أن أبا سفيان قد قرر السير إليهم ليستأصل بقيتهم)، ثم سارع بالرجوع الى مكة.

٢- المسلمون:

بعد عوده المشركين و وصول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و صحابته المدينة المنوره، قرر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القيام بحركة جريئه تخفف من وقع الهزيمه في (أحد) و ترد الى المسلمين معنوياتهم، و تدخل في روع يهود و المنافقين الرهبه، و تعيد الى المسلمين سلطانهم بالمدينة المنوره قويا كما كان ...

لذلك لم يخرج إلا بأصحابه الذين شهدوا غزوه (أحد) يوم الأحد ١٦ شوال من السنه الثالثه للهجره، أى في اليوم الثاني من يوم (أحد)، لمطارده قوات قريش؛ فلما وصل الى موضع (حمراء الأسد) (١)، و هى على مسافه ثمانيه أميال من المدينة و على طريق المدينة- مكة، جاءه من يخبره بأن قريشا قررت السير إليه؛ فلم تتضعضع معنويات المسلمين، و قرروا لقاء قريش، و بقوا ينتظرون

١- حمراء الأسد: موضع على ثمانيه أميال من المدينة، اليه انتهى رسول الله (ص) يوم أحد في طلب المشركين. أنظر التفاصيل في معجم البلدان ٣/ ٣٣٧.

هناك هذا الوعيد ثلاثه أيام، فلما علموا بانسحاب قريش عادوا أدراجهم الى المدينة.

و بهذه الحركه الجريئه استرد المسلمون كثيرا من مكانتهم التي فقدوها في (أحد).

خسائر الطرفين

١- المشركون:

قتل من قريش اثنان و عشرون رجلا.

٢- المسلمون:

استشهد من المسلمين واحد و سبعون رجلا. أنظر الملحق(ه) بأسمائهم.

أسباب النكبه

١- أنصر أم اندحار:

لا أتفق مع المؤرخين في اعتبار نتيجة(أحد) نصرا للمشركين و اندحارا للمسلمين؛ لأن مناقشه المعركه عسكريا، تظهر انتصار المسلمين على الرغم من خسائرهم الفادحه في هذه المعركه.

و نبدأ المناقشه من الوجهه العسكريه البحته، لإظهار حقيقه نتائج غزوه(أحد).

لقد انتصر المسلمون في ابتداء المعركه حتى استطاعوا طرد المشركين من معسكرهم و الإحاطه بنسائهم و أموالهم و تعفير لوائهم بالتراب، و لكن التفات خالد بن الوليد وراء المسلمين و هجوم المشركين من الأمام، جعل قوات المشركين تطبق من على قوات المسلمين. هذا الموقف في المعركه جعل خسائر المسلمين تتكاثر، و لكن بقي النصر بجانبهم الى الأخير.

ص: ١٨٧

ذلك لأن نتيجته كل معركه لا تقاس من الناحيه العسكريه بعدد الخسائر بالأرواح فقط، بل تقاس بالحصول على هدف القتال الحيوى و هو القضاء المبرم على العدو ماديا و معنويا.

فهل استطاع المشركون القضاء على المسلمين ماديا و معنويا؟

إن حركه خالد بن الوليد كانت مباغته للمسلمين بلا شك، و قيام المشركين بالهجوم المضاد و إطباقهم على قوات المسلمين و هم متفوقون بالعدد بنسبه خمسه أمثال المسلمين. كل ذلك كان يجب أن تكون نتائجه القضاء المبرم على كل قوات المسلمين، و لا- يمكن أن يعد التفاف قوه متفوقه فواقا ساحقا على قوه صغيره أخرى من جميع جوانبها، ثم نجاه تلك القوه الصغيره بعد إعطاء خسائر عشره بالمائه فقط من موجودها، إلا انتصارا لتلك القوه الصغيره بدون أدنى شك.

و لا- يمكن إعتبار اخفاق القوه الكبيره في القضاء على القوه الصغيره ماديا و معنويا في مثل ذلك الموقف الحرج للغاية، نصرا لتلك القوه الكبيره على القوه الصغيره.

و لم تستطع قريش أن تؤثر على معنويات المسلمين أيضا و إلا لما استطاع المسلمون الخروج من المدينه لمطارده قريش بعد يوم واحد فقط من يوم(أحد)، دون أن تجرأ قريش على لقاء المسلمين بعيدا عن المدينه، خاصه و أن الرسول صلّى الله عليه و سلم خرج للقاء قريش بقوته التي اشتركت(فعلا) بمعركه(أحد)، دون أن يستعين بغيرهم من الناس.

إن نجاه المسلمين من موقفهم الحرج الذى كانوا فيه (بأحد)، نصر عظيم لهم، لأن أول نتائج إطباق المشركين عليهم من كل الجهات كان الفناء التام.

ثم إن معركة (أحد) أتاحت للمسلمين معرفه المنافقين الذين كانوا بين صفوفهم بصورة لا تقبل الشك و المماراه، و هذا مكسب عظيم لا يقدر بثمن و لا تعدّ خسائرهم بالأرواح الى جانبه شيئاً مذكورا.

ص: ١٨٨

٢- أسباب خسائر المسلمين:

إن أسباب كثره خسائر المسلمين فى معركة (أحد) هى ما يلى:

أ- عدم المطارده (١):

لم يقم المسلمون بالمطارده فى الصفحه الأولى من المعركه بعد انهزام المشركين بعيدا عن معسكرهم، بل انشغلوا بالغنائم. و لو أنهم طاردوا قريشا فوراً بعد هزيمتها، لقضوا على قواتها بسهولة، و من بعد ذلك يعودون لجمع الغنائم.

ب- مخالفه الأوامر:

تنفيذ الأوامر هو الضبط العسكرى الذى يعتبر روح الجنديه و السبب المباشر المؤدى لكل انتصار فى كل معركة، و مخالفه الرماه فى ترك مواقعهم و الإسراع لجمع الغنائم خطأ كبير وقع فيه المسلمون حينذاك، إذ كشف للعدو ظهورهم فاستفاد خالد بن الوليد من هذه الفرصه السانحه لتطويقهم من الخلف، مما أدى الى الإطباق عليهم من كل الجهات.

ج- المباغته:

المباغته مبدأ من أهم مبادئ الحرب، و معناها ضرب العدو من مكان أو فى زمان أو بأسلوب لا يتوقعه، بحيث يمكن تحطيم قوى العدو الماديه و المعنويه.

و كان قيام خالد بن الوليد بالالتفاف وراء قوات المسلمين فى الوقت الذى انهزم فيه المشركون مباغته تامه للمسلمين، فارتبكت صفوفهم بدرجه لم يفرقوا معها بين قوات عدوهم و بين قواتهم، كما تحطمت معنويات الكثير منهم و أصبحوا لا يعرفون ما يصنعون.

إن هذه المباغته أتاحت الفرصه لقريش للقضاء على المسلمين و إباده قواتهم،

١- المطارده: تعبير عسكرى يقصد به تعقب القوات المعاديه المنسحبه لإحداث الخسائر فيها و محاوله قلب انسحابها الى هزيمه.

ص: ١٨٩

و لكنهم لم يستطيعوا الاستفادة من موقفهم المتميز هذا، فضيّعوا هذه الفرصه السانحه لجعل معركة (أحد) حاسمه في نتائجها.

دروس من أحد

١- الحصول على المعلومات:

حصل المسلمون على المعلومات الكافيه عن نيات قريش و قوتها و حركتها من رساله العباس عم النبي صَلَّى الله عليه و سلم قبل وقت مناسب من حركه قوات قريش باتجاه المدينه لغزو المسلمين.

كما أرسل المسلمون دوريات استطلاعيه قبل معركة (أحد)، فعرفوا مواضع قوات قريش، و أرسلوا دوريات استطلاعيه بعد المعركه، لمعرفة اتجاه حركه عوده المشركين.

لقد كان عمل المسلمين في الحصول على المعلومات مفيدا في منع المشركين من مباغتتهم في المدينه.

٢- القيادة:

كان لقريش في معركة (أحد) قائد عام هو أبو سفيان بن حرب، و لم تظهر أيه حنكه لهذا القائد في المعركه، كما كانت سيطرته ضعيفه على ما يظهر بدرجه أن نساء المشركين مثلوا بشهداء المسلمين دون رغبته، فلم يستطع أن يفعل شيئا.

و لو كانت قياده أبي سفيان على شىء من الكفايه لاستطاع الإيقاع بالمسلمين بعد تطويقهم التام.

أما قياده النبي صَلَّى الله عليه و سلم، فقد ظهرت بشكل ظاهر في هذه المعركه.

انتخب الموضع المناسب للمعركه، و أجبر قريشا على قبول المعركه فيه،

ص: ١٩٠

و نظّم خطّه القتال، فانتخب مواضع الرماه لحمايه ظهور المسلمين، و خصّص لهذه المواضع قوه كافيه للدفاع عنها بإمره قائد مسئول.

إنّ كل ذلك على أهميته لا يعتبر شيئا بالنسبه الى ظهور عبقرية قيادته عليه أفضل الصلاه و السلام في أثناء القتال خلال الصفحه الثانيه من معركة (أحد) حين طوّق المشركون المتفوقون بالعدد الى خمسه أمثال المسلمين، قوه المسلمين القليله، بعد أن انهارت معنويات الكثيرين منهم لما سمعوا خبر مقتل الرسول صَلَّى الله عليه و سلم في المعركه، فلجأوا الى الهضاب بعيدا عن ساحه المعركه، و بقى مع الرسول صَلَّى الله عليه و سلم شرذمه قليله من المسلمين يقاومون و حدهم زخم هجوم قريش في أوج قوته و عنفوانه و في قمه انتصار قريش.

لقد استطاع الرسول صَلَّى الله عليه و سلم بهذا الموقف الصعب للغاية بالنسبه للمسلمين الموقّق للغاية بالنسبه للمشركين، أن

يسيطر على الموقف في معركة يائسه جدا، و يقود الباقين من المسلمين لشق طريقهم من بين القوات المعاديه المتفوقه المحيطة بهم، ثم يحتل موضعا مشرفا، و يقوم بإعادة تنظيم قواته الباقية و يعيد إليها معنوياتها و بأسها و قوتها، و يصد بها هجمات مضاده شديده للمشركين، فيحيل الهزيمه المتوقعه الى نصر، لأنه اضطر قريشا الى اليأس من القضاء على المسلمين، بعد أن كان فناء المسلمين أمرا(حتميا)، ثم اضطرهم الى الانسحاب من المعركه بعد اليأس من إباده المسلمين.

و لم يكتف بذلك بل خرج في اليوم الثاني من المعركه، لمطارده قوات المشركين، حتى اضطرهم الى استعمال الحيله بإرسال المعلومات الكاذبه للمسلمين عن إعتزامهم إعادة الكثره على قوات الرسول صَلَّى الله عليه و سلم، فلم يكثرث بهذا التهديد و إنما أعدّ العده و قرّر لقاء المشركين مهما تكن الظروف و الأحوال.

هذه قياده عبقرية، ظهرت للرسول صَلَّى الله عليه و سلم بهذه المعركه بشكل واضح كل الوضوح، كان من بعض نتائجها أنها جعلت النصر الى جانب المسلمين المغلوبين.

ص: ١٩١

و أشهد أنني لم اقرأ في تاريخ الحرب لكل الأمم، موقفا صعبا يائسا كالذي كان فيه المسلمون يوم(أحد)، فاستطاع الرسول القائد عليه أفضل الصلاه و السلام، بقيادته الفذه أن يتخلص من هذا الموقف العصيب، و ينقذ قواته من فناء أكيد، ثم يعيد إليها ثقتها بنفسها و يعيد إليها قوتها الماديه و المعنويه بشكل لم يسبق له نظير، و خلال فتره زمنيّه محدوده جدا.

إن بروز قياده النبي صَلَّى الله عليه و سلم في معركه(أحد) كان باهرا فذا.

٣- القضايا التعبويه:

أ- مخالفه الأوامر:

أخطأ رماه المسلمين في مخالفتهم أوامر النبي صَلَّى الله عليه و سلم و انسحابهم من مواضعهم الأصليه لجمع الغنائم؛ و لو لا انسحابهم لما استطاع خالد بن الوليد ضرب مؤخرتهم، و لما استطاعت قريش تطويق المسلمين.

إن مخالفه الأوامر في(أحد)، درس في نتائج كل مخالفه عسكريه للأوامر في الحرب، و إن نتائجها المعروفه كافيه لغرس هذا الدرس في النفوس لكي لا يعود أحد لمثلها أبدا.

ب- عدم المطارده:

بعد كل هجوم ناجح لا بدّ من أن يتتوج بمطارده عنيفه للقضاء على العدو.

و قد أخطأ المسلمون في عدم مطاردتهم للمشركين بعد فرار المشركين من مواضعهم و ابتعادهم عن معسكرهم و التفاف المسلمين حول نساء المشركين و مواشيهم و إبلهم في الصفحه الأولى من يوم(أحد)، و لو طارد المسلمون قوات المشركين الى

مسافه عشره أميال على الأقل لأوقعوا بالمشركين خسائر فادحه، و لا انتهت معركة (أحد) بنتائج فى مصلحه المسلمين.

ص: ١٩٢

ج- أسلوب القتال:

لقد جرى القتال بين الطرفين بأسلوب (الصفوف)، و بذلك استطاعت قريش أن تسيطر على المعركة بشكل أفضل من سيطرتها على المعركة التي تجرى بأسلوب الكرّ و الفر.

٤- القضايا الاداريه:

أ- الإدامه (١) و نقلية:

كان المشركون متفوقين على المسلمين بإدامه قواتهم و إعاشتها و تسليحها و فى نقليتها فواقا محسوسا على المسلمين، مما كان له أثر طيب على سير القتال لصالح المشركين.

ب- الدفن:

دفن المشركون قتلاهم و تركوا قتلى المسلمين.

و لم يكتفوا بذلك بل مثلوا بهم أشنع تمثيل، فقد انطلقت هند بنت عتبه و النسوه اللائى معها يمثلن بالشهداء: يجدعن الآذان و الأنوف ... الخ.

أحد فى التاريخ

لقد أجمع المؤرخون على اعتبار نتيجته (أحد) نصرا للمشركين على المسلمين.

و لكن الحقائق العسكريه لا تتفق مع ما أجمع عليه المؤرخون.

لقد كان بإمكان المشركين القضاء على قوات المسلمين فى معركة (أحد)، بعد أن استطاعوا إحاطتهم من كل الجوانب بقوات متفوقه عليهم فواقا ساحقا.

١- الإدامه: اصطلاح عسكري، معناه: تزويد القوات بكل ما تحتاج اليه من القضايا الاداريه تسليحا و تجهيزا و إعاشه و نقلية و ... الخ.

ص: ١٩٣

و مع ذلك استطاع محمد صلى الله عليه و سلم أن يشق طريقه بين القوات المحيطة به، و يخلص تسعه أعشار قواته من فناء

أكيد.

إن فشل المشركين في القضاء على قوات المسلمين بعد إحاطتهم بقواتهم المتفوقه يعتبر إخفاقا لهم.

و إن نجاح المسلمين في الخروج من تطويق المشركين بخسائر نسبتها عشره بالمائه من قواتهم القليله يعتبر نصرا لهم.

و بالإضافة الى نجاح المسلمين في التخلص من الفناء التام في معركة (أحد)، فقد نجحوا في معرفه المنافقين بين صفوفهم قبل المعركه و بعدها، مما أتاح لهم القيام بالتطهير العام في صفوفهم بعد (أحد) على هدى و بصيره ...

و بذلك تظهر الفائده العظيمه لغزوه (أحد) للمسلمين.

إن نتيجه معركة (أحد) نصر (تعبوى) للمشركين على المسلمين، و لكنها فشل (سوقى) للمشركين. و لا يعدّ النصر التعبوى شيئا يذكر الى جانب الفشل السوقى (1). و صدق الله العظيم: (هذا بيانٌ للناس و هدىً و موعظهٌ للمنتقين. و لا تهنأوا و لا تحزنأوا و أنتم الماعلون إن كنتم مؤمنين. إن يمسنكم قرح (2) فقد مس القوم قرح مثله، و تلمك الأيام نداؤها بين الناس، و ليعلم الله الذين آمنوا (3) و يتخذ منكم شهداء، و الله لا يحب الظالمين. و ليحص الله الذين آمنوا و يمتحن الكافرين. أم حيه بتم أن تدخلوا الجنة و لما يعلم الله الذين جاهدوا منكم و يعلم الصابرين) (4)!

١- التعبيه: الأعمال العسكريه فى المعركه، أو هى الأعمال العسكريه التى تؤثر على سير معركه واحده. و السوق: هو الاستفاده من المعارك للحصول على الغرض من الحرب، أو هو الأعمال العسكريه التى تؤثر على سير الحرب كلها. ذلك هو تعريف السوق و التعبيه بصوره موجزه للغايه تعطى (فكره) للمدنيين فقط، إذ ان لكل من هذين الاصطلاحين تعريفات كثيره طويله تستغرق كثيرا من كتب فن الحرب. و من ذلك يتضح أن السوق يعنى نتائج الحرب كلها بينما التعبيه تعنى نتائج معركه واحده محليه.

٢- قرح: جراح.

٣- أى ليميز بين المؤمنين و المنافقين.

٤- الآيات الكريمه من سوره آل عمران ٣: ١٣٨ - ١٤٢.

ص: ١٩٤

الملحق (ه): شهداء المسلمين فى أحد رضى الله عنهم

١- المهاجرون أ- من قريش ثم من بنى هاشم بن عبد مناف بن عبد المطلب:

١- حمزه بن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه و سلم.

ب- من بنى أميه بن عبد شمس:

٢- عبد الله بن جحش (حليف لهم من بني أسد بن خزيمه).

ج- من بني عبد الدار بن قصي:

٣- مصعب بن عمير.

د- من بني مخزوم بن يقظه:

٤- شماس بن عثمان.

٢- الأنصار أ- من الأوس ثم من بني عبد الأشهل:

٥- عمرو بن معاذ بن النعمان.

٦- الحارث بن أنس بن رافع.

٧- عماره بن زياد بن السكن.

٨- سلمه بن ثابت بن وقش.

٩- عمرو بن ثابت بن وقش.

ص: ١٩٥

١٠- ثابت بن وقش (والد عمرو و سلمه).

١١- رفاعه بن وقش (أخو ثابت).

١٢- صيفي بن قيظي.

١٣- حباب بن قيظي.

١٤- عباد بن سهل.

١٥- الحارث بن سهل بن معاذ (ابن أخي سعد بن معاذ).

١٦- حسيل بن جابر (اليمان) والد حذيفه بن اليمان.

ب- من أهل راتج (اسم أطم من آطام المدينة) من بني عبد الاشهل أيضا:

١٧- إياس بن أوس بن عتيك بن عمرو.

١٨- عبيد بن التيهان.

١٩- عتيك بن التيهان.

٢٠- حبيب بن زيد بن تيم.

ج- من بنى ظفر:

٢١- يزيد بن حاطب بن أميه بن رافع.

د- من بنى عمرو بن عوف، ثم من بنى ضبيعه بن زيد:

٢٢- أبو سفیان بن الحارث بن قيس بن زيد.

٢٣- حنظله الغسيل بن أبي عامر بن صيفى بن النعمان.

٢٤- قيس بن زيد بن ضبيعه.

٢٥- مالك بن أمه بن ضبيعه.

ه- من بنى عبيد بن زيد:

٢٦- أنيس بن قتاده.

ص: ١٩٦

و- من بنى ثعلبه بن عمرو بن عوف:

٢٧- أبو حبه بن عمرو بن ثابت (أخو سعد بن خيثمه لأمه).

٢٨- عبد الله بن جبير بن النعمان (أمير الرماه).

ز- من بنى السلم بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس:

٢٩- خيثمه (والد سعد بن خيثمه).

٣٠- عبد الله بن سلمه (حليف من بنى العجلان).

ح- من بنى معاويه بن مالك:

٣١- سبيع بن حاطب بن الحارث بن قيس بن هيشه.

٣٢- سويق بن الحارث بن حاطب بن هيشه.

٣٣- مالك بن عميله (حليف لهم).

ط- من بنى خطمه:

٣٤- الحارث بن عدى.

٣٥- عمير بن عدى.

ى- من بنى النجار، ثم من بنى سواد بن مالك بن غنم:

٣٦- عمرو بن قيس بن زيد.

٣٧- قيس بن عمرو بن قيس (ابنه).

٣٨- ثابت بن عمرو بن زيد.

٣٩- عامر بن مخلد.

ك- من بنى مبدول:

٤٠- أبو هبيرة بن الحارث بن علقمه.

٤١- عمرو بن مطرف بن علقمه بن عمرو.

ص: ١٩٧

ل- من بنى عمرو بن مالك بن النجار:

٤٢- أوس بن ثابت بن المنذر (أخو حسان بن ثابت).

م- من بنى عدى بن النجار:

٤٣- أنس بن النضر بن ضمضم (عم أنس بن مالك خادم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ).

ن- من بنى مازن بن النجار:

٤٤- قيس بن مخلد.

٤٥- كيسان (عبد لهم).

س- من بنى دينار بن النجار:

٤٦- سليم بن الحارث.

٤٧- نعمان بن عبد عمرو.

ع- من بنى الحارث بن الخزرج:

٤٨- خارجه بن زيد بن أبي زهير.

٤٩- أوس بن أرقم بن زيد.

٥٠- سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير.

ف- من بنى الأبيجر وهم بنو خدره:

٥١- مالك بن سنان (والد أبي سعيد الخدرى).

٥٢- سعيد بن سويد بن قيس.

٥٣- عتبه بن ربيع بن رافع.

ص- من بنى ساعده بن كعب بن الخزرج:

٥٤- ثعلبه بن سعد بن مالك بن خالد.

٥٥- ثقف بن فروه بن البدن.

ص: ١٩٨

ق- من بنى طريف رهط سعد بن عباده:

٥٦- عبد الله بن عمرو بن وهب.

٥٧- ضميره (حليف لهم من جهينه).

ر- من بنى عوف بن الخزرج ثم من بنى سالم ثم من بنى مالك بن العجلان:

٥٨- نوفل بن عبد الله.

٥٩- عباس بن عباد بن نضله.

٦٠- نعمان بن مالك بن ثعلبه بن فهر.

٦١- المجذّر بن زياد البلوى (حليف لهم).

٦٢- عباد بن الحساس.

ش- من بنى سلمه ثم من بنى حرام:

٦٣- عبد الله بن عمرو بن حرام (والد جابر بن عبد الله).

٦٤- عمرو بن الجموح.

٦٥- خلّاد بن عمرو بن الجموح.

٦٦- أبو أيمن (مولى عمر بن الجموح).

ت- من بنى سواد بن غنم:

٦٧- سليم بن عمرو بن حديده.

٦٨- عنتره (مولى سليم بن عمرو).

٦٩- سهل بن قيس بن أبي كعب.

ث- من بنى زريق بن عامر:

٧٠- ذكوان بن عبد قيس.

٧١- عبيد بن المعلّى بن لوزان من بنى حبيب.

(وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ).

(القرآن الكريم)

ص: ٢٠٠

ص: ٢٠١

التطهير بعد أحد

الموقف العام

١- المسلمون:

كان لا بدّ للمسلمين من أن يقوموا بالتطهير العام في المدينة المنوره و خارجها، حتى يستعيدوا سمعتهم المتميزه بين العرب. لقد استطاعوا أن يجعلوا من المدينة المنوره (قاعده أمينه) للإسلام قبل غزوه (أحد)، و لكنّ هذه الغزوه سببت لهم مشاكل داخلية و خارجيه:

مشاكل داخلية من يهود الذين هم أشد عداوه للذين آمنوا في السراء و الضراء، و إن كانت السراء تضطربهم إلى إخفاء نياتهم، بينما يعلنون هذه النيات صريحه في الضراء.

و داخلية أيضا من المنافقين الذين تظاهروا بالإسلام، فانكشفت طوايا نفوسهم قبيل معركة (أحد) و بعدها عندما رأوا الخطر محققا بالمسلمين!

و مشاكل خارجيه من قريش بالدرجه الأولى، إذ أخذت تشنّ حربا دعائيه ضد المسلمين، لتظهر نتائج غزوه (أحد) بمظهر يرفع من قيمتها و يحطّ من قيمه المسلمين.

و خارجيه أيضا من القبائل المجاوره، أولئك الأعراب الذين يستخذون للأقوياء، فيظهرون بمظهر المسالم الوداع، و يبطشون بالضعفاء بطشا لا هواده فيه و لا رحمه.

لقد كان على المسلمين أن يعيدوا الكثره للقيام بالتطهير العام، حتى يعيدوا النظام إلى صفوفهم، و حتى يستعيدوا السيطره الكامله على المدينة المنوره و ما حولها من القبائل، و حتى يعيدوا هيبتهم على المشركين من قريش و القبائل الأخرى المواليه لها.

٢- المشركون:

فرحت قريش فرحا شديدا بنتائج (أحد) على الرغم من أن نتائجها البعيده لم تكن في صالحهم، إذ لم يكن انتصارهم فيها إلا انتصارا (تعبويا)، بينما كانت نتائجها إخفاقا (سوقيا) عليهم، أي أن انتصارهم كان ظاهريا فقط بينما كانت حقيقته إخفاقا لهم.

و لكنهم لم يقدرُوا حقيقه هذه النتيجة، فراحوا يتباهون بنصرهم، و يعلنونه للعرب في كل مكان.

و كما لم تقدّر قريش نتيجة (أحد) حق قدرها، فان القبائل البدويه المجاوره للمدينه لم تقدر نتيجة (أحد) حق قدرها أيضا، فطمعوا في المسلمين و ظنوا أنهم أصبحوا في متناول أيديهم غنيمه بارده.

٣- يهود:

صن يهود أن المسلمين أصبحوا ضعفاء بعد (أحد)، فلا بدّ من انتهاز الفرصه لأخذ ثارات إخوانهم بنى قينقاع و ثار كعب بن الأشرف ...

و أخذوا يثّون الفرع و يخلقون المشاكل للمسلمين.

أهداف الطرفين

١- المسلمون:

الكفاح ضد تدخل يهود و المشركين في حريه نشر عقيدتهم، و الدفاع عن أنفسهم و أموالهم ضد المعتدين.

٢- المشركون و يهود:

القضاء على المسلمين و انتهاب أموالهم.

سير الحوادث

إشاره

راجع الملحق (و)

١- سرية أبي سلمه:

أ- قوّات الطرفين:

أولاً- المسلمون:

دوريه قتال بقوه مائه و خمسين راكبا و راجلا من المهاجرين و الأنصار بقياده أبي سلمه بن عبد الأسد المخزومي.

ثانيا- المشركون:

قبيله بنى أسد بقياده طليحه و سلمه ابني خويلد.

ب- الهدف:

منع بنى أسد من الهجوم على المسلمين فى المدينه المنوره.

ج- الحوادث:

بلغ النبى صلّى الله عليه و سلم بعد شهرين من غزوه (أحد)، أنّ طليحه و سلمه ابني خويلد يحرضان قومهما بنى أسد بن خزيمه لغزو المدينه المنوره لنهب أموال المسلمين فيها.

قرر النبى صلّى الله عليه و سلم إرسال دوريه قتال بقوه مائه و خمسين مسلما من المهاجرين و الأنصار بين راكب و راجل، فيهم أبو عبيده بن الجراح و سعد بن أبى وقاص بقياده سلمه بن عبد الأسد للقضاء على بنى أسد قبل قيامهم بغزو المدينه، و أمرهم بالسير ليلا و الاستخفاء نهارا و سلوك طريق غير مطروقه حتى لا يطلع أحد على أخبارهم و نياتهم، فبإغتاوا بذلك بنى أسد فى وقت لا يتوقعونه.

ص: ٢٠٤

و سار أبو سلمه حتى وصل الى ديار بنى أسد فى (قطن) (١) دون أن يعرفوا عن حركته إليهم شيئا فأحاط بهم فجرا فلم يستطع المشركون الثبات و ولوا الأدبار.

و بعث أبو سلمه مفرزتين من قواته لمطاردتهم، فرجعتا بالغنائم. و عاد أبو سلمه بقوته إلى المدينه المنوره بعد أن أنجز مهمته.

٢- دوريه عبد الله بن أنيس:

أ- قوّات الطرفين:

أولاً- المسلمون:

دوريه استطلاعيه بقوه مسلم واحد هو عبد الله بن أنيس.

ثانيا- المشركون:

بنو لحيان من هذيل بقيادة خالد بن سفيان الهذلي.

ب- الهدف:

منع الأعراب من غزو المسلمين في المدينة المنورة قبل إنجاز تجمعهم وقيامهم بالغزو.

ج- الحوادث:

علم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ خَالِدَ بْنَ سَفْيَانَ الْهَذَلِيَّ يَحْشُدُ قُوَّةَ كَبِيرَةٍ مِنَ الْأَعْرَابِ ب(عرنه) (٢) لغزو المدينة المنورة، حتى ينال شيئا من غنائمها وخيراتها، فبعث عبد الله بن أنيس ليستطلع له خير خالد ويتأكد من صحه المعلومات التي سمعها الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن نيته العدوانية.

١- قطن: جبل بناحية بيد به ماء لبنى أسد بن خزيمه. أنظر طبقات ابن سعد ٢ / ٥٠.

٢- عرنه: واد بحذاء عرفات. أنظر معجم البلدان ٦ / ١٥٦.

ص: ٢٠٥

سار عبد الله فصادف خالدا بعيدا عن قومه و معه بعض النساء، فسأله خالد: (من الرجل)؟ فأجابه: (أنا رجل من العرب سمع بك و بجمعك لمحمد، فجاءك لذلك! ..).

لم يخف خالد نيته، و لما رآه عبد الله في عزله عن الرجال و ليس معه إلا- أولئك النسوة، استدرجه للمسير معه، و عندما سنحت له الفرصه حمل عليه بالسيف، فقتله ...

و عاد عبد الله الى المدينة المنورة بعد أن تفرقت جموع الأعراب التي حشدها خالد في (عرنه) لغزو المسلمين، لأنها فقدت قائدها فماتت نيته العدوانية معه.

٣- غزوه بنى النضير:

٣- غزوه بنى النضير (١):

أ- قوات الطرفين:

أولا- المسلمون:

مسلمو المدينة المنورة بقيادة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثانياً- يهود:

بنو النضير الذين كانت منازلهم بناحية(الغرس) (٢) و ما والاها في ضواحي المدينة المنوره.

ب- الهدف:

التخلص من بنى النضير لتآمرهم على اغتيال النبي صلى الله عليه و سلم.

١- النضير: اسم قبيله من يهود الذين كانوا بالمدينه و كانوا هم و قريظه نزولاً بظاهر المدينه فى حدائق و آطام. أنظر التفاصيل فى معجم البلدان ٨ / ٢٩٥.

٢- غرس: فى منطقه قباء و بها بئر تديمى. بئر غرس، كان رسول الله(ص) يستطيب ماءها. أنظر معجم البلدان ٦ / ٢٧٦.

ص: ٢٠٦

ج- سير الحوادث:

ذهب النبي صلى الله عليه و سلم الى منازل بنى النضير فى ضواحي المدينه المنوره، ليستعين بهم فى ديه قتلين معاهدين للمسلمين قتلها عمرو بن أميه الضمرى خطأ دون أن يعلم بعهدهما (١).

فلما فاوضهم النبي صلى الله عليه و سلم، أظهروا الرضا بمعونته، فجلس إلى جنب جدار من بيوتهم مع عشره من أصحابه بينهم أبو بكر و عمر و على رضى الله عنهم.

و فى أثناء تبسط بعضهم معه فى الحديث، رأى أن بعضهم يأترون به، فيذهب أحدهم الى ناحيه، و يبدو عليهم كأنهم يذكرون مقتل كعب بن الأشرف، ثم يدخل أحدهم و هو عمرو بن جحاش البيت الذى كان النبي صلى الله عليه و سلم مستندا إلى جداره.

حينذاك رابه أمرهم و زاده ريبه ما كان يبلغه سابقا من حديثهم عنه و ائتمارهم به، فترك موضعه بالقرب من الجدار، و قفل راجعا إلى المدينه وحده.

و لما استبطأه أصحابه، قاموا للفتيش عنه، فرأوا رجلا مقبلا من المدينه المنوره، فأخبرهم أن النبي صلى الله عليه و سلم هناك، فأسرعوا يلحقون به. فلما ذكر ما رابه من أمر يهود و من اعتزامهم الغدر به، تبهوا الى حركات يهود التى تدل على مؤامرتهم للقضاء على حياه النبي صلى الله عليه و سلم.

و قد عرف- بعد- أن عمرو بن جحاش هو الذى أراد قتل النبي صلى الله عليه و سلم بإلقاء حجر الرحي عليه من عليه من فوق سطح الجدار الذى كان النبي صلى الله عليه و سلم تحته.

و استدعى النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم محمد بن مسلمه رضى الله عنه و قال له:(اذهب الى

١- هما رجلاين من بنى كلاب قد كان لهما من رسول الله(ص) أمان، فقتلها عمرو بن أمية الضمري في طريق عودته من بئر معونه بعد أن قتل المشركون أصحابه كلهم، و هو لا يعرف أمان رسول الله(ص) لهما. فلما قدم على رسول الله(ص) و أخبره بمقتل أصحاب بئر معونه و أخبره بأنه قتل العامريين فقال النبي(ص):(بئس ما صنعت! قد كان لهما مني أمان و جوار، لأديتهما الى قومهما). أنظر طبقات ابن سعد ٢/ ٥٣.

ص: ٢٠٧

ص: ٢٠٨

يهود بنى النضير و قل لهم: إن رسول الله أرسلنى إليكم أن اخرجوا من بلادى! لقد نقضتم العهد الذى جعلت لكم بما همتم به من الغدر بى. لقد أجلتكم عشرا، فمن رئى بعد ذلك ضربت عنقه) ...

لم يجد يهود مناصا من الخروج، فأخذوا يتجهزون للرحيل، إلا أن منافقى المدينة و على رأسهم عبد الله بن أبى أرسلوا إليهم: (أن اثبتوا و نحن نصركم على محمد و صحبه) ...

عند ذاك عادت لليهود ثقتهم بأنفسهم، و استقر رأيتهم على القتال، و بعثوا للنبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم من يقول له:(لن نخرج، فافعل ما بدا لك!) ... ثم احتموا بحصونهم و نقلوا الحجارة الى شوارعهم و أقاموا منها متاريس و خنادق للاحتماء و راءها فى القتال، و كدسوا أرزاقا تكفيهم لمدته سنة فى حاله حصارهم؛ و كان الماء متيسرا لديهم باستمرار.

تحرك المسلمون بقيادة الرسول القائد عليه أفضل الصلاه و السلام الى ديار بنى النضير، فحاصروهم عشرين ليلة، كانوا أثناءها يحتلون شارعاً بعد شارع و داراً بعد دار نتيجة لقتال الشوارع و المدن.

و لما رأى الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم إصرار يهود على القتال مستفيدين من حصونهم القوية، أمر أصحابه أن يقطعوا نخل يهود و أن يحرقوه (١)، حتى لا تبقى يهود حريصه على القتال طمعا فى المحافظه على أموالها.

١- راجع قانون الحرب و الحياه من القانون الدولى. الاحتلال الحربى: دخول قوات الدوله المحاربه إقليم العدو و وضعها هذا الاقليم تحت سيطرتها الفعلية، و الدوله بهذا الإجراء تنقل ميدان القتال الى أرض العدو، و العدو يتحمل - نتيجة لهذا الاحتلال- كل أضرار الحرب الماديه و ما يترتب على قصف القنابل من خسائر أو تستلزمه الاجراءات العسكريه من إتلاف مزارع أو نسف جسور، و هو الذى يتحمل فوق هذا الاضرار المالىه الجسيمه التى تترتب على قيام الحرب فى إقليمه، فأرضه الداخلة فى ميدان القتال يتعطل زرعها، و مبانيه و املاكه و تجارته يتعطل استغلالها، أضف الى كل ذلك ما تملكه الدوله المحاربه من حقوق مالىه فى الارض المحتله من بينها حقها فى أن تفرض الضرائب فيها و أن تلزم سكانها بدفع الاعانات الجبريه، و ان تستولى منهم على ما تحتاج اليه لجيوش الاحتلال.

و جزع يهود و انتظروا عبثا إسراع عبد الله بن أبي أو القبائل الأخرى المعادية للمسلمين لنجدتهم، فسألوا محمدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ أن يُؤمّنهم على أموالهم و دمائهم و ذراريهم، حتى يخرجوا من المدينة المنوره.

وافق الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ على مصالحتهم بشرط أن يخرجوا من المدينة، و لكل ثلاثه منهم بعير يحملون عليه ما شاءوا من مال أو طعام أو شراب ليس لهم غيره؛ فخرج بعضهم إلى (خيبر) (١) و بعضهم إلى ضواحي الشام، و تركوا للمسلمين وراءهم مغنم كثيره من سلاح بلغ خمسين درعا و ثلاثمائه و أربعين سيفاً، و غلالا عظيمه، كما أصبحت أرضهم للمسلمين.

٤- غزوات ذات الرقاع:

٤- غزوات ذات الرقاع (٢):

أ- قوات الطرفين:

أولا- المسلمون:

أربعمائه راكب و راجل بقيادة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ.

ثانيا- المشركون:

بنو ثعلبه و بنو محارب من غطفان.

١- خيبر: ناحيه على ثمانيه برد من المدينة المنوره لمن يريد الشام، يطلق هذا الاسم على الولايه، و تشتمل الولايه على سبعة حصون و مزارع و نخل كثير. انظر التفاصيل في معجم البلدان ٣/ ٤٩٥.

٢- ذات الرقاع: الرقاع اسم شجره فى موضع الغزوه سميت بها، و قيل لأن أقدام الصحابه نقبت من المشى فلفوا عليها الخرق. و قيل بل سميت برقاع كانت بألويتهم. انظر معجم البلدان ٤/ ٢٤٨.

ص: ٢١٠

ب- الهدف:

القضاء على بنى ثعلبه و بنى محارب المحتشدين لغزو المدينة المنوره أولا، و لأخذ ثأر شهداء المسلمين فى بئر معونه (١) ثانيا.

ج- الحوادث:

إتصل بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ أن جماعه من غطفان بنجد يحتشدون لغزو المدينة المنوره، لذلك خرج بأربعمائه راكب و راجل حتى نزل (نخلا) (٢) حيث اجتمع بنو محارب و بنو ثعلبه من غطفان.

و على الرغم من ضخامه عدد هؤلاء الأعراب، إلا أن مباغته النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم لهم أربكتهم، فتفرقوا تاركين وراءهم نساءهم و أموالهم.

١- حديث بئر معونه. يراجع سيره ابن هشام: قدم المدينة أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة على رسول الله (ص)، فعرض عليه رسول الله الإسلام و دعاه اليه، فلم يسلم و لم يبعد من الإسلام. و قال: (يا محمد! لو بعثت رجالا من أصحابك الى أهل نجد فدعوهم الى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك). فقال رسول الله (ص): (إني أخشى عليهم أهل نجد). قال أبو براء: (أنا لهم جار، فابعثهم فليدعوا الناس الى أمرك). بعث الرسول (ص) المنذر بن عمرو في أربعين رجلا- من أصحابه من خيار المسلمين .. فساروا حتى نزلوا بئر معونه، فلما نزلوها بعثوا بكتاب رسول الله الى عامر بن الطفيل، فلما أتاه الكتاب لم ينظر في كتابه حتى علا- الرجل الذي جاء بالكتاب، فقتله ... ثم استصرخ عليهم بنى عامر، فأبوا أن يجيبوه الى ما دعاهم اليه، فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سليم فأجابوه الى ذلك، فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم فى رحالهم، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم، ثم قاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم إلا كعب بن زيد فانهم تركوه و به رمق. و بئر معونه: بئر بين أرض بنى عامر و حرّه بنى سليم و كلا البلدين منها قريب، إلا أنها الى حرّه بنى سليم أقرب. أنظر التفاصيل فى معجم البلدان ٧/٢ و ٨/١٠١.

٢- نخلا. قال ياقوت: منزل من منازل بنى ثعلبه من المدينة على مرحلتين. و كان هذا المنزل شجره بعدها العرب تسمى (فرات الرقاع) لذلك سميت هذه الغزوه باسم (فرات الرقاع).

ص: ٢١١

احتمل المسلمون ما استطاعوا من غنائم، و عادوا بها أدراجهم الى المدينة المنوره؛ و لكنهم كانوا فى طريق عودتهم حذرين من قيام المشركين بهجوم مضاد عليهم، فتناوبوا الحراسه ليلا و بقوا حذرين نهارا، و لكنّ المشركين لم يقوموا بعمل ما!

و عاد الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم بصحبته الى المدينة المنوره بعد غياب خمسه عشر يوما.

٥- غزوه بدر الآخره:

أ- قوات الطرفين:

أولا- المسلمون:

ألف راكب و راجل بقيادة النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم.

ثانيا- المشركون:

أكثر من ألفى رجل من قريش بقيادة أبى سفان بن حرب.

ب- الهدف:

كسر معنويات قريش و التغلب عليها لإظهار قوه المسلمين للمشركين و يهود.

ج- الحوادث:

خرج الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ بعد أن مضى عام كامل على يوم (أحد) مع أصحابه الى موضع (بدر) ليلاقي قريشا هناك، كما وعد أبو سفيان بن حرب بعد غزوه (أحد)، حين سمعه يقول: (يوم بيوم بدر، و الموعد العام المقبل فى بدر).

كان العام عام جدب، و كان أبو سفيان بن حرب يودّ لو يؤجل لقاء المسلمين الى عام آخر، فبعث رجلا الى المدينة يقول للمسلمين: (إن قريشا جمعت جيشا لا قبل لجيش فى العرب بمواجهته لتحاربهم به حتى تقضى عليهم قضاء لا يعد ما تمّ ب (أحد) الى جانبه شيئا). لكن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ لم يكثرث بهذا الوعيد و أصرّ على الخروج.

ص: ٢١٢

وصل المسلمون (بدر) و انتظروا قريشا هناك، و لكنّ المشركين الذين خرج بهم أبو سفيان من مكة تردّدوا بين الإقدام و الإحجام، فأثروا السلامه و عادوا أدراجهم الى مكة بعد أن قطعوا مسيره مرحلتين منها.

و عاد المسلمون الى المدينة بعد أن طال انتظارهم للمشركين ثمانية أيام ب (بدر)، و قد محت غزوه بدر الآخره كل أثر سىء لمعركه (أحد) داخل المدينة المنوره و خارجها على حد سواء.

٦- غزوه دومه الجندل:

٦- غزوه دومه الجندل (١):

أ- قوات الطرفين:

أولا- المسلمون:

ألف راكب و راجل بقيادة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ.

ثانيا- المشركون:

القبائل البدويه التى تقطن منطقه (دومه الجندل).

ب- الهدف:

منع القبائل القاطنه منطقه (دومه الجندل) من قطع الطرق و نهب القوافل و القضاء على حشودها لمهاجمه المدينة المنوره.

ج- الحوادث:

خرج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ بِأَلْفٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، يَكْمُنُ بِهِمْ نَهَارًا وَ يَسِيرُ لَيْلًا، حَتَّى يَبَاغَتْ قِبَائِلُ (دَوْمَةَ الْجَنْدَلِ) فِي وَقْتٍ لَا يَتَوَقَّعُونَهُ.

١- دَوْمَةُ الْجَنْدَلِ: حَصْنٌ عَلَى سَبْعِ مَرَاكِلٍ مِنْ دَمَشَقٍ تَقَعُ بَيْنَ دَمَشَقٍ وَ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ، فِيهَا حَصْنٌ مَبْنِيٌّ بِالْجَنْدَلِ لِذَلِكَ سُمِّيَتْ بِدَوْمَةِ الْجَنْدَلِ، وَ هِيَ حَصْنٌ وَ قَرْيٌ بَيْنَ الشَّامِ وَ الْمَدِينَةِ قَرَبَ جَبَلِ طَىءَ. أَنْظِرِ التَّفَاصِيلَ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ ١٠٦/٤.

ص: ٢١٣

تَقَعُ دَوْمَةُ الْجَنْدَلِ عَلَى الْحُدُودِ بَيْنَ الْحِجَازِ وَ الشَّامِ، وَ قَدْ قَطَعَ الْمُسْلِمُونَ الْمَسَافَةَ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَ بَيْنَهَا بِخَمْسِ عَشْرَةَ مَرَحَلَةً، فَلَمَّا وَصَلَهَا الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ فَزَّتِ الْقِبَائِلُ الْمُحْتَشِدَةُ فِيهَا خَوْفًا مِنْ لِقَاءِ الْمُسْلِمِينَ، كَمَا فَرَّ أَهْلُ (دَوْمَةِ الْجَنْدَلِ) فَلَمْ يَجِدِ الْمُسْلِمُونَ أَحَدًا مِنْهُمْ، فَأَرْسَلُوا دُورِيَّاتٍ قَتَالًا وَ اسْتِطْلَاعًا لِلْحَصُولِ عَلَى (الْتَّمَّاسِ) (١) بِالْمُشْرِكِينَ وَ لِلْحَصُولِ عَلَى الْمَعْلُومَاتِ عَنْهُمْ، حَتَّى يَقُومَ الْمُسْلِمُونَ بِمُطَارَدَتِهِمْ، وَ لَكِنْ ذَهَبَتْ جُهُودُ هَذِهِ الدُّورِيَّاتِ أَدْرَاجَ الرِّيَّاحِ، لِأَنَّ الْقِبَائِلَ وَ أَهْلَ (دَوْمَةِ الْجَنْدَلِ) فَرُّوا بَعِيدًا وَ اخْتَفَوْا عَنِ الْأَنْظَارِ.

وَ عَادَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ بَعْدَ أَنْ أَقَامُوا فِي (دَوْمَةِ الْجَنْدَلِ) بِضَعَةِ أَيَّامٍ.

٧- غَزْوَةُ بَنِي الْمِصْطَلِقِ:

أ- قُوَّاتُ الطَّرْفَيْنِ:

أولاً- المسلمون:

قُوَّاتُهُمْ تَقْدَّرُ بِأَلْفِ مُسْلِمٍ بَيْنَ رَاكِبٍ وَ رَاجِلٍ مَعَهُمْ ثَلَاثُونَ فَرَسًا بِقِيَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ.

ثانياً- المشركون:

بَنُو الْمِصْطَلِقِ مِنْ خِزَاعِهِ، وَ هُمْ مِنْ حُلَفَاءِ بَنِي مَدَلِجٍ بِقِيَادَةِ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضَرَّارِ الْخِزَاعِيِّ.

ب- الهدف:

الْقَضَاءُ عَلَى حَشُودِ بَنِي الْمِصْطَلِقِ قَبْلَ تَعَرُّضِهِمْ بِالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ.

١- التَّمَّاسُ: اصْطِلَاحٌ عَسْكَرِيٌّ حَدِيثٌ أَمْعَنَاهُ: لِقَاءُ الْعَدُوِّ وَ قِتَالُهُ.

ص: ٢١٤

ج- الحوادث:

بلغ النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم أن بنى المصطلق و هم فرع من خزاعه يحشدون جموعهم فى منطقته(المريسيه) (١) قرب مكه للهجوم على المدينه و قتل النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم، لذلك أسرع النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم بالخروج ليأخذهم على غزّه.

جعل لواء المهاجرين لأبى بكر الصديق رضى الله عنه، و لواء الأنصار لسعد ابن عباده رضى الله عنه، و نزل المسلمون على ماء قريب من بنى(المصطلق) يقال له:(المريسيه)، ثم أحاطوا ببنى(المصطلق)، ففرّ من جاء لنصرتهم من القبائل المواليه لهم و قتل من بنى المصطلق عشره و من المسلمين رجل واحد ... ثم استسلم بنو المصطلق، فأخذوا أسرى.

و كان لعمر بن الخطاب رضى الله عنه فى الجيش أجير يقود فرسه، فازدحم بعد انتهاء المعركه مع أحد رجال الخزرج على الماء، فاقتتلا ...

فصاح الخزرجى: يا معشر الأنصار! ...

و نادى أجير عمر: يا معشر المهاجرين!

و سمع عبد الله بن أبى النداء، و كان قد خرج على رأس المنافقين مع المسلمين فى هذه الغزوه متظاهرا بالإسلام، فانتهازها فرصه ليشعلها فتنه عمياء بين المهاجرين و الأنصار.

و لما علم النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم بالحادث، قرّر الرحيل فورا قبل أن يستفحل الأمر.

و انطلق بالناس طيله يومهم حتى أمسوا، و طيله ليلتهم حتى أصبحوا، و صدر يومهم الثانى حتى آذتهم الشمس، فلما نزل الناس لم يلبثوا حين مسّت جنوبهم الأرض أن ناموا من فرط تعبهم.

١- المريسيه: اسم ماء فى ناحيه قديد. أنظر التفاصيل فى معجم البلدان ٨ / ٤١، بين المريسيه و بين الفرع نحو يوم و بين الفرع و المدينه المنوره نحو ثمانيه برد. أنظر طبقات ابن سعد ٢ / ٤٣.

ص: ٢١٥

ص: ٢١٦

و أنسى التعب المسلمين فتنه ابن أبى، و عادوا الى المدينه المنوره و معهم الأسرى (١) و الغنائم.

و ظن المسلمون أن النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم سيعاقب عبد الله بن أبى، الذى قال يومها:

(لئن رجعنا الى المدينه ليخرجن الأعز منها الأذل)، فجاء ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبى يطلب من النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم أن يتولى هو قتل أبيه! ...

و لكنّ النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم عفا عنه قائلا لولدته المؤمنه الصادق الأمين: (إنا لا نقتله، بل نترفق به و نحسن صحبته ما بقى

(معنا).

لقد غاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غزاته هذه ثمانية وعشرين يوماً، و قدم المدينة لهلال شهر رمضان المبارك.

دروس من غزوات التطهير

١- المسير الليلي:

تحرك الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلاً (٢) في أكثر هذه الغزوات، حتى يحول دون انكشاف نيته و اتجاه حركه قواته، فيأمن بذلك مباغته أعدائه مباغته تامه بالمكان و الزمان.

لقد كانت القبائل التي غزاها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قويه و لها حلفاء و أنصار، فلو أنها عرفت بمسيره لسارعت بالاستعداد للقاءه و لاستعانت عليه بحلفائها و أنصارها لمعاونتها يوم اللقاء.

١- منهم من مَنَّ عليه رسول الله (ص) بغير فداء و منهم من افتدى، فافتديت المرأه و الذريه بست فرائض، فلم تبق امرأه من بنى المصطلق إلا رجعت الى قومها. أنظر طبقات ابن سعد ٢/ ٦٤.

٢- المسير ليلاً: هو السرى.

ص: ٢١٧

و لكنّ المسير الليلي حال بينها و بين ذلك كله، فاستطاع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقواته القليله بالنسبه لقوات تلك القبائل، أن يتغلب عليها و يقضى على نياتها العدوانيه، و يلقي الرعب فى نفوسها و نفوس القبائل الأخرى التى سمعت بانتصار المسلمين.

إن الضربه الأولى، لها أثر حاسم على نفسه الأعراب، فإذا أمكن التغلب عليهم فى المعركة الأولى تشتت شملهم، و إلا فما أصعب القضاء عليهم! ...

لقد عرف الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفسه القبائل هذه، فحاول القضاء على معنوياتها بضربه مباغته بالمسير الليلي الذى أدى الى تطبيق مبدأ: المباغته، أهم مبادئ الحرب على الاطلاق.

٢- الهجوم فجراً:

استطاعت سريره أبى سلمه القيام بهجوم فجرى على بنى (أسد)، فكان هذا الهجوم مباغته كامله أثرت على معنوياتهم، و أجبرتهم على الفرار.

إن الهجوم فجراً يؤمن المباغته، لأن العدو يكون بين نائم لا- يفيد فى القتال أو مستيقظ غير متهيىء له، و هؤلاء جميعاً غير متهيئين للقتال، و لا جدوى منهم للنهوض بأعباء الحرب.

و لكنّ الهجوم فجرا يحتاج الى قوه مدربه تستطيع معرفه أهدافها، فلا يصطدم بعضها ببعض، فيؤدى ذلك الى خسائر فى الأرواح دون مبرر، مما يدل على تدريب المسلمين تدريباً متميزاً على فنون القتال.

كما يحتاج الهجوم فجرا الى قياده مسيطره و الى ضبط شديد لتنفيذ الأوامر.

إن نجاح المسلمين بهذا الهجوم معناه وصولهم الى درجه عاليه فى التدريب و الضبط، و هما أهم عناصر الجيش القوى الرصين.

ص: ٢١٨

٣- قتال المدن و الشوارع:

نقل بنو(النضير) الحجاره الى الشوارع، و جعلوا منها متاريس للقتال و راءها، كما دافعوا عن الشوارع و الدور دفاعاً مستميتاً. و قام المسلمون بتطهير الشوارع و الدور و الانتقال من شارع الى آخر و من دار الى أخرى، حتى ضيقوا الحصار على يهود، و أجبروهم على الاستسلام.

إن قتال المدن و الشوارع سهل على المدافع، لأنه يعرف الطرقات و مداخل البيوت و مخارجها، كما أن الشوارع و الدور تقدم حمايه للمدافعين، لذلك فإن مهمه قتال المدن و الشوارع ليست سهله على المهاجم و تحتاج الى قياده مسيطره و ضبط متين و تدريب جيد.

إن نجاح المسلمين فى قتال المدن و الشوارع ضد يهود، يدل بوضوح على أن مستوى قيادتهم و ضبطهم و تدريبهم كان رفيعاً جداً.

٤- الإبداع:

٤- الإبداع (١):

الإبداع هنا، معناه: سرعه الخاطر فى إعطاء القرار الجازم الصحيح فى المواقف الحرجه، مع تحمّل مسؤوليه ذلك القرار مهما تكن النتائج.

و قد كان عمل عبد الله بن أنيس فى قتله خالد بن سفيان الهذلي الذى حشد بنى لحيان لمهاجمه المدينه إبداعاً متميزاً أدى الى تشتيت قبيلته، و بذلك قام

١- الإبداع: سبق العدو بالعمل لإرغامه على تبديل الخطه التى اتخذها و إرغامه للانقياد الى رغائبك.

ص: ٢١٩

عبد الله بن أنيس وحده مقام قوه كبيره كان عليها أن تتحرك لمهاجمه بنى لحيان، فتبذل جهودا و وقتا و مالا فى معركة غير معروفه النتائج.

و كان عمل النبى صلى الله عليه و سلم فى تحريكه قواته بعد غزوه بنى (المصطلق) عندما علم بمحاولة عبد الله بن أبى إثاره الفتنة بين المهاجرين و الأنصار، و استمرار المسير الشاق لمدته ثلاثين ساعه ... كان عمل الرسول صلى الله عليه و سلم هذا إبداعا متميزا، إذ لو لا مسارعتة الى الحركة بقواته حتى أنهكها التعب لما استبعدنا بتاتا نجاح عبد الله بن أبى فى فتنته.
إن مزيه الإبداع من أعظم مزايا القائد القدير.

٥- المعنويات:

حاول المشركون و المنافقون أن ينالوا بدعاياتهم الضاره من معنويات المسلمين بعد أن عجزوا عن أن ينالوا منهم فى ساحات القتال.

لقد حاول المشركون أن يؤثروا فى معنويات المسلمين، كى لا- يطمئثوا الى إرسال دعواتهم خارج المدينة المنوره، و بذلك يجعلون الدعوه تنحصر فى محيط ضيق لا يتسع لآمالها القريبه و البعيده.

غدر بنو عضل و القاره بمعاونه هذيل بسته من الدعاه فى (الرجيع) (١)، و كان بنو عضل و القاره هم الذين طلبوا من الرسول صلى الله عليه و سلم إرسال قسم من

١- الرجيع: ماء لهذيل قرب الهداه بين مكه و الطائف. أنظر التفاصيل فى معجم البلدان ٤/ ٢٢٨.

ص: ٢٢٠

دعاته إليهم ليعلموهم الإسلام (١).

و غدر عامر بن الطفيل من بنى عامر مع قسم من الأعراب بأربعين داعيا من دعاه الإسلام فى (بئر معونه) بنجد و قضى عليهم إلا رجلا واحدا عاد الى المدينة المنوره يحمل أخبار الشهداء.

فهل أثرت هذه الخسائر فى معنويات المسلمين و فى ما هم عليه من صبر و إيمان؟

١- قدم على رسول الله (ص) رهط من عضل و القاره و هم الى الهون من خزيمه فقالوا: (يا رسول الله، إن فىنا إسلاما فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهونا و يقرئونا القرآن و يعلمونا شرائع الإسلام). فبعث معهم عشره رهط و أمر عليهم عاصم بن ثابت و قيل: مرثد بن أبى مرثد الغنوى، فخرجوا حتى إذا كانوا على الرجيع غدر المشركون بالمسلمين و استصرخوا عليهم هذيل، فأخذ أصحاب رسول الله (ص) سيوفهم فقالوا لهم: (إنا و الله ما نريد قتالكم إنما نريد أن نصيب بكم ثمنا من أهل مكه، و لكم العهد و الميثاق ألا نقتلكم)!! أما عاصم بن ثابت و مرثد بن أبى مرثد و خالد بن أبى البكير فقالوا: (و الله لا نقبل من مشرك عهدا و لا

عقدا أبدا)، فقاتلوهم حتى قتلوا. و أما زيد بن الدثنه و خبيب ابن عدى و عبد الله بن طارق فاستأسروا و أعطوا بأيديهم. و خرج المشركون بالنفر الثلاثة حتى إذا كانوا بمر الظهران انتزع عبد الله بن طارق يده من القيد و أخذ سيفه و استأخر عنه القوم فرموه بالحجاره حتى قتلوه فقبره بمر الظهران. و قدموا بخبيب و زيد مكة. أما زيد فابتاعه صفوان بن أميه فقتله بأبيه، و ابتاع حجير بن أبى إهاب خبيب بن عدى لابن أخته عقبه بن الحارث بن عامر بن نوفل ليقتله بأبيه. قالت قريش عند قتل زيد: (يا زيد، أنشدك الله، أتحب أنك الآن فى أهلك و أن محمدا عندنا مكانك نضرب عنقه)؟ فقال: (لا و الله لا أحب أن محمدا يشاك فى مكانه بشوكة تؤذيه و أنى جالس فى أهلى)، فقال أبو سفيان: (و الله ما رأيت من قوم قط أشد حبا لصاحبهم من أصحاب محمد له). أنظر طبقات ابن سعد ٢/ ٥-٥٦، و سيره ابن هشام ٣/ ١٦٠.

ص: ٢٢١

إن استشهاد الدعاه لم يؤثر فى معنويات المسلمين، لأنهم استمروا على إرسال دعواتهم و خرجوا لأخذ ثارات هؤلاء الدعاه، حتى لا يعود المشركون الى الغدر بالمسلمين مره أخرى.

و حاول المنافقون التأثير فى معنويات المسلمين بأسلوب آخر، هو أسلوب اختلاق الأخبار الكاذبه، فاختلقوا حديث الإفك بعد غزوه بنى المصطلق.

و لم يؤثر هذا الأسلوب أيضا فى معنويات المسلمين؛ فلم يبق أمام المشركين و يهود و المنافقين إلا أن يحشدوا كل قواتهم فى صعيد واحد لمحاوله القضاء على المسلمين ماديا و معنويا، كما سنرى ذلك فى غزوه الخندق.

ص: ٢٢٢

ص: ٢٢٣

هازم الاحزاب

اشاره

(إِذْ جَاءُكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَ تَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا، هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَ زُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا).

(القرآن الكريم)

ص: ٢٢٤

ص: ٢٢٥

غزوه الخندق

١- المسلمون:

نجح المسلمون فى إعادة النظام الى صفوفهم بعد (أحد)، و تخلصوا من يهود بنى النضير، و بذلك قوى مركزهم فى المدينه قاعدتهم الأمينه، كما أثروا على معنويات قريش كل القبائل التى كانت تطمع فى مهاجمه المدينه.

لقد استعادوا فى هذه الفتره سمعتهم، و أصبح سلطانهم مهيبا فى المدينه المنوره و خارجها على حد سواء.

٢- المشركون و يهود:

لم تستطع قريش لقاء المسلمين فى (بدر) الصغرى، لأنها قدّرت أن قوه المسلمين أكبر من أن تستطيع القضاء عليها وحدها. كما لم تستطع القبائل أن تهاجم المدينه تنفيذًا لمطامعها، إذ هاجمها المسلمون على انفراد فى عقر دارها و تغلبوا عليها بالتعاقب. و كان يهود أضعف من أن يفكروا فى التعرض وحدهم بالمسلمين، و لكنهم كانوا يتربصون الفرص.

و كان لا بدّ من تجمّع قوى قريش و القبائل الاخرى و يهود فى صعيد واحد للقضاء على المسلمين، إذ أصبح المسلمون بدرجة من القوه يصعب معها القضاء عليهم بدون تحشد أعدائهم كل قواهم الماديه و المعنويه كافه؛ و فعلا قام الموتورون من يهود بنى النضير بمهمه تجميع قوات المشركين و يهود حول المدينه، و نجحوا فى

ص: ٢٢٦

حشد أكبر قوه معاديه للمسلمين متفوقه عليهم فواقا ساحقا للقضاء على الدين الجديد ...

قوات الطرفين

١- المسلمون:

ثلاثه آلاف رجل بقياده النبى صلى الله عليه و سلم.

٢- المشركون:

عشره آلاف عدا قوات يهود من بنى قريظه، منهم أربعة آلاف من قريش و سته آلاف من بنى سليم و أسد و فزاره و أشجع و غطفان.

كانت قريش بقياده أبى سفيان بن حرب بن أميه.

و كانت غطفان بقياده عيينه بن حصن و الحارث بن عوف.

و كانت أشجع بقياده مسعود بن رخیله و هم أربعمائه.

و كانت سليم سبعمائه يقودهم سفيان بن عبد شمس حليف حرب بن أميه.

و كانت بنو أسد بقياده طلحه بن خويلد الأسدي.

أهداف الطرفين

١- المسلمون:

الدفاع عن الإسلام.

٢- المشركون و اليهود:

القضاء على المسلمين و انتهاب أموالهم و ذراريهم.

ص: ٢٢٧

ص: ٢٢٨

التوقيت

كانت غزوه الخندق في شوال من السنه الخامسه الهجريه و استمر حصار المدينه المنوره حوالي شهرا واحدا.

قبل المعركه

١- المسلمون:

أ- قرر المسلمون البقاء في المدينه المنوره و حفروا(خندقا) عميقا يحيط بشمال المدينه و يقع بين حرّه المدينه و جبل (سليح) (١)، لأن هذه المنطقه هي المنطقه الوحيده المكشوفه من المناطق المحيطة بالمدينه المنوره؛ إذ أن جهات المدينه الأخرى محاطه بالبساتين الكثيفه و العوارض الطبيعيه الأخرى، و ذلك يحول دون إمكان إجراء القتال بقوات كبيره في أطراف المدينه عدا الشماليه منها، حيث إنها مكشوفه كما أسلفنا؛ لذلك أشار سلمان الفارسي (٢) بحفر(الخندق) في هذه المنطقه، و لم يكن حفر الخنادق للأغراض الدفاعيه معروفه عند العرب من قبل.

و قسّم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ منطقه حفر الخندق على أصحابه: لكل عشره منهم

١- جبل سلع: جبل بالقرب من المدينة المنوره. أنظر معجم البلدان ١٠٧/٥.

٢- سلمان الفارسي: يعرف بسلمان الخير، أصله من فارس، و كان اذا قيل له: ابن من أنت؟ قال: (أنا سلمان ابن الاسلام). أول مشاهدته غزوه (الخدق) و بقيه المشاهد و فتوح العراق، و ولي المدائن. دخل قوم على سلمان أمير المدائن و هو يعمل الخوص، فقيل له: لم تعمل هذا و أنت أمير يجرى عليك رزق؟ فقال: (أحب ان آكل من عمل يدي)، و كان اذا خرج عطاؤه تصدق به و يأكل من عمل يده. و كان خيرا فاضلا جدا متقشفا، و قد توفي في المدائن في خلافة عثمان بن عفان و قبره لا يزال فيها. راجع الإصابات ١١٣/٣ و أسد الغابه ٢٢٨/٢ و الاستيعاب ٦٣٤/٢ و طبقات ابن سعد ٧٥/٤ و ١٦/٦. و المدائن اليوم تسمى: سلمان باك، و هي قريه من بغداد، و قبر سلمان الفارسي رضى الله عنه في مسجد كبير يزار.

ص: ٢٢٩

أربعون ذراعا، و اشتغل هو بالحفر أيضا، كأى فرد منهم، بل كان المسلمون يستعينون به عندما يصادفون بعض المصاعب و العقبات أثناء الحفر، كظهور الصخور، فيحضر بنفسه لتفتيتها.

و كان العمل يستمر طيله النهار، ثم يأوى المسلمون ليلا الى دورهم ليأخذوا قسطا من الراحة، و قد سيطر الرسول عليه أفضل الصلاه و السلام بنفسه على العمل، فلا يعود مسلم من عمله في الحفر إلا بموافقة شخصيا.

ب- عسكر المسلمون الى سفح (سلع) و جعلوا (سلعا) خلف ظهرهم.

ج- جمع الرسول صَلَّى الله عليه و سلم النساء و الأطفال في بيوت قويه البنيان في منطقه أمينه داخل المدينة للإفاده من مناعتها في حمايتهم، و هجروا البيوت الواهنه التي لا تساعد على الحمايه و الدفاع.

د- بعد إنجاز حفر (الخدق)، احتل المسلمون مواضعهم خلف (الخدق) و استفادوا من مناعه جبل (سلع) لحمايه ظهورهم و جناحهم الأيسر من التفات الأحزاب من ذلك الاتجاه لقطع خط رجعتهم الى المدينة المنوره و ضربهم من الخلف و تطويقهم.

٢- المشركون و يهود:

أ- قصد نفر من يهود قريشا في مكه منهم سلام بن أبى الحقيق و حبي بن أخطب، فدعوهم الى حرب النبي صَلَّى الله عليه و سلم، و وعدوهم أنهم سيكونون معهم في قتال المسلمين.

فلما وافقت قريش على قتال المسلمين، قصد يهود غطفان و غيرها من القبائل و دعوهم ألى حرب النبي صَلَّى الله عليه و سلم أيضا، و أخبروهم أن قريشا معهم على ذلك، فوافقت غطفان و القبائل الأخرى.

ب- لما وصلت قريش و غطفان و القبائل الأخرى الى ضواحي المدينة

ص: ٢٣٠

المنوره، استطاع حيي بن أخطب التأثير على يهود بنى قريظه، فنكثوا عهدهم مع المسلمين و انضموا الى الأحزاب.

ج- كانت مواضع قتال الأحزاب فى ضواحي المدينه كما يلي:(راجع المخطط).

أولاً- قريش فى موضع (مجمع الأسيال) من دومه بين الجرف و زغابه.

ثانياً- غطفان و قبائل نجد فى موضع (ذنب نغمى) الى جانب (أحد).

ثالثاً- بنو قريظه فى حصونهم فى ضواحي المدينه المنوره.

سير القتال

١- تحرّج موقف المسلمين كثيراً، خاصه بعد انضمام بنى قريظه للأحزاب، فقد كان بإمكان هؤلاء يهود التسلل الى داخل المدينه و التعرض بالنساء و الأطفال، خاصه و أنهم يعرفون تفاصيل مسالك المدينه لأنهم من أهلها، مما يؤثّر فى معنويات المسلمين الذين يقاتلون فى ساحه المعركه، لأنهم أصبحوا غير مطمئنين على مصير عوائلهم و ذراريتهم و أموالهم.

كما كان بإمكان يهود القيام بحركه جريئه لقطع خط رجعه المسلمين الى داخل المدينه، و بذلك يفسحون المجال للأحزاب لاقتحام (الخندق) دون مقاومه تذكر ...

لذلك كان وقع نكث بنى قريظه لعهدهم شديداً على نفوس المسلمين.

٢- بعث يهود رجلاً منهم الى داخل المدينه، فاستطاع التسلل الى الدور التى تجتمع فيها النساء و الأطفال، و لكنّ هذا اليهودى لم يعد الى قومه ليخبرهم عن مواضع النساء و الأطفال، و عن درجه مناعتها و حمايتها، لأن امرأه

ص: ٢٣١

مسلمه (١) رأته يحوم حول تلك الدور ليستطلع ما فيها و من فيها و درجه قوتها و مقدار حمايتها من المسلمين، فاستطاعت قتله مستفيدة من عمود خشبى.

إنّ هذا اليهودى كان دوريه استطاع للحصول على المعلومات عن مواضع النساء و الأطفال، حتى يمهد بما يحصل عليه من معلومات لقيام يهود بهجوم مباغت عليهم بعد التأكد من عدم تيسر الحمايه الكافيه لهم، ليضطر المسلمون الى الانسحاب من مواضعهم الأصلية لنجده أهلهم و إنقاذ أموالهم.

إنّ قتل هذا اليهودى أنفذ المسلمين من خطر داهم، إذ جعل يهود يفكرون أن فى داخل المدينه حرّاساً أشداء من المسلمين، و ليس من السهل التغلب على هذه الحراسه الشديده، لذلك قبع يهود فى حصونهم لا يفكرون فى الخروج (٢).

٢- تحرّكت مفرزه من فرسان قريش فيهم عمرو بن عبدودّ و عكرمه ابن أبى جهل، و مرّوا ببني كنانه و استثاروا حميتهم للقتال،

فلما وصلت هذه المفزره الى الخندق استطلعوا منطقه ضيقه فيه، و عبروها بخيولهم، فخرج على ابن أبي طالب رضى الله عنه فى نفر من المسلمين للقائهم، و اتجهوا فورا الى الثغره التى عبر المشركون منها لقطع خط رجعه المشركين أولا و لمنع الأمدادات من الأحزاب إليهم ثانيا؛ ثم نازل على بن أبي طالب عمرو بن عبدود فقتله، كما قتل المسلمون رجلين من المشركين، و عادت بقيه فرسان قريش هاربه الى قواعدها.

٣- قامت مفزره من المشركين بالهجوم على المسلمين باتجاه دار النبى صلى الله عليه و سلم، فقاتلهم المسلمون النهار كله حتى الليل، فلما حانت صلاه العصر تحرج موقف

١- هى صفيه بنت عبد المطلب عمه النبى (ص). انظر سيره ابن هشام ٣/ ٢٤٦.

٢- كان الرسول (ص) يبعث سلمه بن أسلم فى مائه رجل و زيد بن حارثه فى ثلاثمائه رجل يحرسون المدينة و يظهرن التكبير، و ذلك أنه كان يخاف على الذرارى من بنى قريظه. انظر طبقات ابن سعد ٢/ ٦٧.

ص: ٢٣٢

المسلمين لاقترب المشركين من منزل النبى صلى الله عليه و سلم، حتى لم يستطع المسلمون أن يصلوا، و لكنهم استطاعوا مع الليل صد مفزره المشركين خائبه على أعقابها.

٤- حاول الرسول صلى الله عليه و سلم أن يرد قسما من الأحزاب عن المدينة لقاء ثلث الثمار، و كاد أن يصل فى مفاوضاته مع قاده غطفان الى هذا الاتفاق، و لكن سادات الأوس و الخزرج اقترحوا ألا يعطوا المشركين شيئا من ثمارهم، فوافق الرسول صلى الله عليه و سلم على اقتراحهم هذا.

٥- أثر بقاء الأعراب مده طويله حول المدينة فى معنوياتهم خاصة و أن الموسم كان شتاء، و أن الأعراب لا يطيقون الصبر طويلا على الحصار المديد و لا على قتال لمدته طويله بصوره عامه، لذلك أخذوا يبدون تدمرهم من بقائهم مده طويله دون جدوى.

٦- جاء نعيم بن مسعود الغطفانى الى النبى صلى الله عليه و سلم و أخبره أنه أسلم و لا يعلم قومه ياسلامه، فقال له النبى صلى الله عليه و سلم: (إنما أنت رجل واحد، فخذل عنا ما استطعت، فان الحرب خدعه) (١).

خرج نعيم حتى أتى بنى قريظه و كان نديما لهم فى الجاهليه، فقال لهم:

(عرفتم و دى إياكم، و قد ظاهرتم قريشا و غطفان على حرب محمد، و ليسوا كأنتم: البلد بلدكم به أموالكم و أبناؤكم و نساؤكم لا تقدرون أن تتحولوا منه،

١- خدع الحرب: راجع قانون الحرب و الحياد من القانون الدولى. يجوز للدوله المحاربه ان تلجأ فى حربها الى الخدع بشرط ألا تصل فيها الى حد الغدر و الخيانه. و من أمثله خدع الحرب القيام بمناورات كاذبه، و إيقاع العدو فى كمين و تضليله (بالمعلومات الكاذبه) إخفاء لما تنوى القيام به من حركات عسكريه، كما يعتبر من الخدع المشروعه العمل بواسطه الأعوان و المأجورين على

إثارة الشعب في دوله العدو او نشر الأخبار الكاذبه لغرض إضعاف القوه المعنويه.

ص: ٢٣٣

و إنّ قريشا و غطفان إن رأوا نهزه (١) و غنيمه أصابوها، و إن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم و خلّوا بينكم و بين محمد، و لا طاقه لكم به، فلا تقاتلوا حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم حتى تناجزوا محمدا).

قالت بنو قريظه (أشرت بالنصح و لست عندنا بمنّهم).

ثم خرج نعيم الى قريش، فقال لهم: (بلغنى أن قريظه ندموا، و قد أرسلوا الى محمد: هل يرضيك عنا أن نأخذ من قريش و غطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقى منهم؟

فأجابهم: أن نعم. فإن طلبت قريظه منكم رهنا من رجالكم، فلا تدفعوا لهم رجلا واحدا) ...

و جاء نعيم غطفان فقال لهم: (أنتم أهلى و عشيرتى)، و قال لهم مثل ما قال لقريش ... و حذّره!!

أرسل أبو سفيان و سادة غطفان الى قريظه عكرمه بن أبى جهل فى نفر من قريش و غطفان فى ليله سبت، و طلبوا منهم الاستعداد للهجوم نهار السبت، و لكنّ قريظه اعتذروا بأنهم لا يقاتلون يوم السبت، ثم طلبت قريظه رهائن من قريش و غطفان قبل أن تشرع بأى هجوم!

قالت قريش و غطفان: لقد صدق نعيم!!

و لما رفض طلب قريظه بإعطائها رهائن من قريش و غطفان قالت: لقد صدق نعيم!

و تفرّقت قلوب الأحزاب و زالت الثقة بينهم.

٧- أرسل الرسول صلّى الله عليه و سلم حذيفه بن اليمان ليلا ليستطلع أخبار الأحزاب،

١- نهزه، بضم النون و سكون الهاء: الفرصه.

ص: ٢٣٤

فرأى قريشا تشدّ رحالها متجهه الى مكه، فلما علمت غطفان بارتحال قريش دون علمها، عادت أدراجها مع القبائل الأخرى الى مواطنها.

و حينذاك علم الرسول صلّى الله عليه و سلم ببصيرته النافذه أن المشركين فقدوا فرصتهم الثمينه، و أن مثل هذه الفرصه لن تعود إليهم مره أخرى. و إذا لم يستطع المشركون بعد تجمّعهم الضخم هذا أن يقضوا على المسلمين، فكيف يستطيعون القضاء

عليهم بعد تفرّقهم؟

خسائر الطرفين

١- المسلمون:

سته شهداء (١).

٢- المشركون:

ثلاثة قتلى.

أسباب فشل الأحزاب

١- قياده غير موحده:

لم تكن للأحزاب قياده موحده تستطيع السيطرة على جميع القوات المتجمعه و توجيهها للعمل الحاسم فى الوقت الحاسم. كان لكل قبيله قائد بل عدّه قواد، و لم يستطع هؤلاء القاده تنظيم خطه موحده للهجوم على المسلمين.

١- هم: سعد بن معاذ و أنس بن أوس بن عتيق من بنى عبد الأشهل و عبد الله بن سهل الأشهل و ثعلبه بن غنمه بن عدى و كعب بن زيد من بنى دينار و الطفيل بن النعمان.

ص: ٢٣٥

و قد كان من المستحيل اتفاهم على قائد منهم ليسيتر على الجميع، لأن هذا القائد سينال شرفا عظيما يميز به على الآخرين، و لا يمكن للآخرين أن يرضوا بهذا الامتياز.

لقد كانت النعره الجاهليه لا الهدف المشترك هى التى تسيطر على القياده، و لا يمكن أن تنجح مثل هذه القياده فى أى موقف بأى معركة حتى و لو كانت لها كل الظروف المؤاتيه لها كما كانت الظروف فى غزوه الخندق بالنسبه للأحزاب و يهود.

٢- المباغته بالخندق:

لقد كان حفر الخندق مباغته تامه للأحزاب، فلم تكن العرب تعرف هذا الأسلوب، كما لم تكن تعرف أسلوب القتال المناسب لاجتياز الخندق و التغلب على المدافعين عنه.

لذلك بقى القتال (مستكنا) (١) طول مده الحصار، عدا محاولات قليله قام بها المشركون لمحاوله اجتياز الخندق باءت كلها بالفشل الذريع.

٣- الطقس:

كان موسم القتال شتاء، و كان الأعراب فى العراء يعيشون فى غير مواطنهم التى يستفيدون فيها من موادهم المتيسره للتدفئه و للإعاشه و للسكنى ...

لذلك لم يستطيعوا البقاء لحصار المدينه مده طويله.

١- القتال المستكن: هو القتال الجامد الخالى من قابليه الحركه التى بدونها لا نصر فى حرب.

ص: ٢٣٦

٤- انعدام الثقه:

كانت الثقه بين الأحزاب أنفسهم من جهه و بينهم و بين يهود من جهه أخرى واهنه جدا، بل لم تكن هناك ثقه بينهم على الإطلاق.

قريش تريد القضاء على المسلمين بالإفاده من جهود القبائل الأخرى و يهود.

و القبائل الأخرى تريد الأسلاب بالدرجه الأولى من أى مصدر كان، و لو وقعت أموال أحلافهم بنى قريظه بيدهم لأخذوها أيضا.

و يهود لا يتقون فى الجميع و يريدون القضاء على المسلمين بدماء قريش و القبائل الأخرى.

و هكذا انعدمت الثقه بينهم لتفرق الأهداف و المقاصد و المصالح و الرغبات.

٥- الصبر على الحصار:

يحتاج الصبر على الحصار المديد الى قوات مدربه لها أهداف معلومه و قياده مسيطره. أما القبائل فلا صبر لها على الحصار المديد، لأنها اعتادت التنقل بين فتره و أخرى، كما أنها لا تطيق صبرا على فراق وطنها و أهلها مده طويله.

لذلك تدمر الأعراب من طول مدّه الحصار- على قصرها- و آثروا الارتحال على البقاء.

دروس من غزوه الخندق

١- القيادة:

عالجنا أسلوب القيادة المرتبك عند الأحزاب و يهود، مما كان له أسوأ الأثر فى نتيجته معركتهم.

و بقدر ما كانت قياده الأحزاب واهنه، كانت قياده المسلمين قويه حازمه رشيده.

ص: ٢٣٧

قرّر الرسول صلّى الله عليه و سلم البقاء فى المدينه المنوره، و أمر بحفر الخندق، و انتخب منطقه الحفر فى السهول الكائنه شمال المدينه، و وزّع أعمال الحفر بالتساوى بين أصحابه، و سيطر على العمل، فلا يستطيع أحد ترك واجبه إلا بأمر منه، حتى أنجز أعمال حفر الخندق قبل وصول المشركين الى المدينه المنوره.

و اشتغل هو بنفسه بالحفر كبقية أصحابه تماما، بل استأثر دونهم بالأماكن الصلبه فى منطقه حفر الخندق التى لم يستطيع أصحابه التغلّب عليها، كفلق الصخور القاسيه!!

ثم قسّم واجبات احتلال الموضع بين أصحابه، بحيث لا يغفل أحد عن شبر من الخندق ليلا- و نهارا، على الرغم من بروده الطقس؛ و قد كان هو بنفسه لا يترك مقرّه إلا ليقوم بتفتيش الحراس و المواضع الدفاعيه و ليحرض المؤمنين على القتال و يرفع من معنوياتهم.

و أمّن حرسا قويا للذرائى الذين تركهم فى دور المدينه.

و أهم من ذلك كله سيطرته على أصحابه عندما تأزّم الموقف حين وصلت الأحزاب الى ضواحي المدينه بقوات متفوقه على المسلمين، و حين نكثت قريظه عهدا، فأصبح الخطر يهدّد المسلمين من داخل المدينه و خارجها.

٢- تعبئه جديده:

استفاد المسلمون من حفر الخندق للدفاع عن المدينه المنوره، و هذا الأسلوب الجديد من أساليب القتال يدخل فى أساليب العرب الحربيه لأول مره فى التاريخ.

إنّ القائد العبقري هو الذى يستخدم أسلوبا جديدا أو سلاحا جديدا فى القتال، و الخندق هو الأسلوب الجديد الثانى الذى استخدمه الرسول صلّى الله عليه و سلم فى القتال، بعد أن استخدم أسلوب الصفوف فى معركة (بدر) كما رأينا.

ص: ٢٣٨

لقد أخذ الرسول صلّى الله عليه و سلم بفكره حفر الخندق من سلمان الفارسى، لذلك قال فيه كلمته الخالده: (سلمان منّا أهل البيت)، ليشجّع على التفكير المفيد و يشيد بالعاملين للمصلحه العامه و يقطع دابر العصبيّات.

٣- الحرب خدعه:

رأينا أثر الإشاعات التى بثّها نعيم بن مسعود فى تفريق كلمه الأحزاب، و لا يمكن نجاح الأحزاب أو غيرهم إلا بجمع الكلمه،

فلما تفرقت كلمتهم، كان نصيبهم الإخفاق.

إن الحرب الحديثه تعتمد على بثّ الإشاعات المثيره لتصديع الصفوف و بلبله الافكار، و قسم بث الإشاعات من أهم أقسام شعب الاستخبارات فى تشكيلات الجيوش، و هى أسلوب من أشد أساليب الحرب النفسيه فتكا.

و بقدر ما كانت الإشاعه تعمل عملها فى صفوف الأحزاب، فإن الإشاعه لم يكن لها أى أثر فى صفوف المسلمين.

حاول المنافقون أن يبتثوا سموم إشاعاتهم لتحطيم معنويات المسلمين، و لكن محاولتهم فشلت.

و عندما أرسل الرسول صلى الله عليه و سلم أصحابه لمعرفة موقف بنى قريظه، و عاد هؤلاء إليه بعد أن تأكدوا من صحه إشاعه نكث بنى قريظه بعهودها، حرصوا على أن يخبروا الرسول صلى الله عليه و سلم بهذا الخبر بأسلوب من الكلام لا يفهمه غير الرسول صلى الله عليه و سلم نفسه، فقد أخبروه بالرمز دون الإفصاح حتى لا يؤثر هذا الخبر فى معنويات المسلمين.

لقد عرف المسلمون أثر الإشاعه فى المعنويات قبل أربعة عشر قرنا.

ص: ٢٣٩

٤- المبادأه:

٤- المبادأه (١):

غزوه (الخدق) هى المعركه الحاسمه الثانيه بعد معركه (بدر) الكبرى، فلو نجح المشركون و يهود فى هذه المعركه لتغيرت وجهه التاريخ الاسلامى.

لقد استطاع يهود أن يجمعوا الأحزاب حول المدينه المنوره، و عاونهم يهود بنى قريظه بعد وصولهم الى المدينه، للقضاء على المسلمين ماديا و معنويا، و هذا التجمع فرصه لا تعود أبدا خاصه إذا أخفقت هذه الأحزاب.

إن معنى إخفاق الأ-حزاب و يهود بعد هذا التجمع الهائل، أنهم لن يجتمعوا مره أخرى، و أنهم لا- يستطيعون القضاء على المسلمين بعد ذلك منفردين بعد أن عجزوا عن القضاء عليهم مجتمعين، و لهذه النتيجة أثر حاسم فى انتشار الاسلام فيما بعد.

لقد انتقل المسلمون من دور الدفاع (٢) الى دور الهجوم (٣) فى اليوم الذى انتهت به غزوه الخدق، لذلك قال الرسول صلى الله عليه و سلم لأصحابه بعد انسحاب الأحزاب: (الآن نغزوهم و لا يغزونا).

و انتقلت المبادأه الى يد المسلمين بعد هذه الغزوه، و لم يتركوها حتى شمل الإسلام شبه الجزيره العربيه كلها، و ارتفعت رايه الاسلام شرقا و غربا فوق كل رايه: (وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا، وَ كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ، وَ كَانَ اللَّهُ قَوِيًّا

عَزِيزًا) (٤)

- ١- المبادأه: تعبير يقصد به من الناحيه العسكريه السبق بالعمل لإجبار العدو على تبديل خطته و الاحتفاظ بهذا السبق.
- ٢- الدفاع: تعبير عسكري يقصد به التدابير المتخذة لإيقاف تقدم العدو فى موضع ما لمدته قصيره أو طويله.
- ٣- الهجوم: تعبير عسكري يقصد به سلسله حملات تتخللها وقفات ضروريه.
- ٤- الآيه الكريمه من سوره الأحزاب ٣٣: ٢٥.

ص: ٢٤٠

ص: ٢٤١

القصاص العادل

إشاره

(وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ، وَ لَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ).

(القرآن الكريم)

ص: ٢٤٢

ص: ٢٤٣

محاسبه الغادرين

الموقف العام

١- المسلمون:

إستطاع المسلمون الثبات أمام الأحزاب و يهود فى ظروف قاسيه جدا ضد قوات متفوقه عليهم فواقا ساحقا، فثبتوا تجاه الخطر الداهم الذى هددهم من خارج المدينه و من داخلها.

و هذا الصمود و الثبات جعل معنويات المسلمين فى وضع متميز لم يسبق له مثيل من قبل.

لقد تخلصوا من الأحزاب، و بقى أمامهم بنو(قريظه) جيرانهم فى المدينه الذين لم يرعوا للجار حقا و لم يحافظوا على العهد، و خانوا المسلمين فى أخطر أوقات محنتهم، فلا بدّ من تصفيه الحساب معهم.

٢- المشركون:

انسحب الأحزاب و قريش الى ديارهم يحملون معهم كلّ معانى الإخفاق، فلم تستطع قريش القضاء على المسلمين، و لم تستطع

القبائل الأخرى نهب أموال المسلمين، و لم يعودوا بأية فائده يمكن أن تخفف عنهم ما بذلوه من جهد فى السفر و الحصار أيام الشتاء، و من مال صرفوه لتزويد قواتهم بالمواد الاداريه و الأرزاق قبل المعركه و أثناءها و بعدها.

لقد أثر ذلك فى معنويات المشركين و يهود، و جعلهم يخافون المسلمين كل الخوف، و يخشونهم كل الخشيه.

ص: ٢٤٤

٣- يهود:

بقى يهود من بنى قريظه و حدهم أمام المسلمين بعد انسحاب الأحزاب، و بقيت معهم غدرتهم الشنيعه التى فضحت طواياهم، فأصبحوا كالمجرم الذى ثبتت إدانته فهو يرقب القصاص العادل.

لقد كانت معنوياتهم منحطه للغاية، إذ كانوا يتوقعون هجوم المسلمين عليهم و يعرفون نتيجة هذا الهجوم.

الهدف الحيوى

محاسبه الغادرين من يهود على غدرهم بالمسلمين فى أشد أوقاتهم حرجا، و محاسبه القبائل التى غدرت بدعاه المسلمين.

غزوه بنى قريظه

١- أسباب الغزوه:

نكث بنى قريظه لعهدهم مع المسلمين عند تجمع الأحزاب حول المدينه المنوره.

٢- قوات الطرفين:

أ- المسلمون:

ثلاثه آلاف بقياده الرسول صلى الله عليه و سلم معهم سته و ثلاثون فارسا.

ب- بنو قريظه:

ستمائه مقاتل الى سبعمائه مقاتل بقياده كعب بن أسد يعاونه حبيى بن أخطب رأس يهود الذين حشدوا الأحزاب و جمعوها حول المدينه المنوره.

ص: ٢٤٥

٣- الهدف:

القضاء على بنى قريظه لنكثها عهودها التي قطعها على نفسها مع المسلمين، مما جعل المسلمين مهتدين بالإباده و الفناء.

٤- الحوادث:

عاد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة المنورة صباح الليله التي انسحب الاحزاب فيها إلى ديارهم، و أمر أصحابه ظهر ذلك اليوم بالحركه إلى بنى قريظه) و الإسراع بالإطباق على حصونهم بحيث لا يصلى المسلمون صلاه العصر إلا منطلقه(قريظه).

و على الرغم من تعب المسلمين الشديد لبقائهم مده طويله محاصرين، و على الرغم من بروده الطقس، فقد أسرع المسلمون لتنفيذ أمر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، و أنجزوا تجمعهم حول حصون بنى قريظه قبل أن يحل الظلام من ذلك اليوم!

و استمرّ الحصار خمسا و عشرين ليله لم يقع خلالها إلا بعض المناوشات الطفيفه بالنبل و الحجاره، كان من أثرها استشهاد أحد المسلمين مصابا برحى رمتها بها امرأه يهوديه من فوق سطح منزلها (١).

لم يجرؤ بنو(قريظه) على الخروج من حصونهم طيله مده الحصار، و كانوا مترددين لا يستقر رأيهم على شىء من شدّه الخوف.

طلب منهم قائدهم أن يعتنقوا الاسلام، فرفضوا و طلب منهم الخروج للقتال، فرفضوا أيضا، و بقوا فى حصونهم لا يفعلون شيئا.

و أخيرا أرسل يهود يعرضون الخروج إلى(أذرعاء) (٢) تاركين وراءهم ما يملكونه؛ فأبى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا أن يستسلموا بدون قيد أو شرط.

١- هو: خلايد بن سويد بن ثعلبه بن عمرو من بنى الحارث بن الخزرج، و مات فى أثناء الحصار أبو سنان بن محصن الأسدى. انظر جوامع السيره لابن حزم ١٩٧-١٩٨.

٢- أذرعاء: بلد فى اطراف الشام يجاور أرض البلقاء و عمان. انظر معجم البلدان ١/١٦٢. و هى بلده درعا السوريه الواقعه على الحدود الأردنيه السوريه على الطريق العام.

ص: ٢٤٦

و عاد يهود يطلبون الاستسلام على أن يحكم سعد بن معاذ فى مصيرهم، و قد اختاروه لأنه سيد الأوس حلفائهم فى الجاهليه، لعلّ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقبل من حلفاء الأوس ما قبل من يهود بنى قينقاع حلفاء الخزرج.

و رضى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنزولهم على حكم سعد، و قبل سعد أن يقوم بالتحكيم بين المسلمين من جهه و يهود من جهه أخرى بعد أن أخذ المواثيق على الطرفين أن يرضى كلاهما بقضائه، فلما أعطوه المواثيق، أمر بنى قريظه أن ينزلوا من حصونهم و أن يضعوا السلاح، ففعلوا ...

و كان حكم سعد فيهم:(أن يقتل المقاتلون، و تقسم الأموال و تسبى الذراري و النساء)، لأن سعدا ذكر أن الأحزاب لو انتصروا بخيانه بنى قريظه على المسلمين، لكان مصير المسلمين الإباده، فجزاهم سعد بمثل ما عرضوا المسلمين له.

لم تكن حرب بنى قريظه حرب ميدان، إنما كانت حرب أعصاب، فلم يستطع يهود أن يتحملوا الحصار على الرغم من توفر المواد الغذائية لديهم و توفر المياه والآبار و مناعه حصونهم و صعوبه اقتحامها، فأثروا الاستسلام على مكابده الحصار.

و الحق أن الموقف العسكرى كان الى جانب يهود لتلك الأسباب كلها، و لشده تعب المسلمين، و لبروده الطقس، و لكنّ معنوياتهم انهارت، فلم يقاوموا طويلا كما كان المتوقع منهم.

و قتل مقاتلو بنى قريظه جميعا و معهم حبيّ بن أخطب الذى تزعم حركه تجميع الأحزاب ضد المسلمين، إلا ثلاثه رجال من يهود أسلموا (١)، و لم يقتل من

١- هم: ثعلبه بن سعيه و أسيد بن سعيه و أسد بن عبيد و هم نفر من بنى هدل ليسوا من بنى قريظه و لا النصير، نسبهم فوق ذلك و هم بنو عم القوم، اسلموا تلك الليله. انظر سيره ابن هشام ٢٥٦/٣.

ص: ٢٤٧

الأطفال و النساء أحد عدا المرأه التى قتلت الشهيد المسلم برحاه، فقتلت بجرمها هذا.

سريه عبد الله بن عتيك

١- الهدف:

قتل أبى رافع سلّام بن أبى الحقيق اليهودى الذى حرّض الأحزاب مع حبيّ بن أخطب، ثم فر الى يهود(خيبر) ليتخلص من القصاص العادل.

٢- الحوادث:

بعد القضاء على بنى قريظه، خرج من المدينه المنوره خمسه من الخزرج (١) الى خيبر، للقضاء على أبى رافع بن أبى الحقيق و إلقاء الرعب فى قلوب يهود خيبر، حتى لا يعيدوا الدور الذى قام به يهود الآخرون، و قد كانت هذه المفرضه بقياده عبد الله بن عتيك.

وصل المسلمون الى(خيبر) ليلا، فأمر عبد الله بن عتيك أصحابه بالبقاء.

قريبا من الحصن حتى يستطلع لهم موضع ابن أبى الحقيق، فلما وصل الى حصنه استطاع دخوله و كمن فى اسطبل الحيوانات.

و عندما آوى ابن أبى الحقيق الى فراشه و هدأت الأصوات و الحركه، خرج عبد الله و أخذ مفاتيح الحصن من موضعها الذى كانت فيه، ثم قصد غرفه ابن أبى الحقيق، فناده ليعرف مكانه من صوته، لأن الظلام كان مخيما على الغرفه التى

١- هم: عبد الله بن عتيك و مسعود بن سنان و عبد الله بن انيس و ابو قتاده الحارث بن ربيعى و خزاعى بن اسود حليف لهم.

ص: ٢٤٨

كان بها ابن أبى الحقيق، ثم هجم بالسيف عليه حتى قضى عليه، و انسحب الى أصحابه بعد أن سقط من الدرج و انكسرت رجله (١).

و عاد المسلمون الى المدينة و قد أزالوا عن طريق الدعوه عدوا لدودا.

و تسامع الناس بعاقبه من يؤلب الناس على المسلمين، مما زاد هيبه المسلمين فى النفوس و جعلهم يسيطرون سيطره تامه على المدينة، فلم يبق فيها أى صوت يهود أو المنافقين.

غزوه بنى لحيان

١- الهدف:

أ- عقاب بنى لحيان الذين غدروا بدعاه المسلمين عند ماء(الرجيع) قبل عامين خلوا و هم سته من كبار الصحابه: اغتالوا أربعة منهم و باعوا الإثنين الباقيين لقريش، فضربت قريش عنق أحدهما و صلبت الثانى.

ب- التأثير فى معنويات قريش و القبائل الأخرى، و إطلاعهم(عمليا) على عاقبه الذين يغدرون بالمسلمين.

٢- الحوادث:

علم الرسول صلى الله عليه و سلم بمحاولة قريش التجمع مع حلفائها لغزو المسلمين، ففكر فى الحركه إليهم للتأثير فى معنويات قريش و القبائل الأخرى و التعرض ببنى لحيان الذين غدروا بدعاه المسلمين عند ماء(الرجيع).

١- فى سيره ابن هشام ٣/٣١٣-٣١٦، و جوامع السيره ١٩٨-٢٠٠: انهم لما أتوا(خير) ليلا، و كان سلام ساكنا فى دار مع جماعه و هو فى عليه منها، فتسوروا الدار و أغلقوا كافه أبوابها، ثم اتوا العليه التى هو فيها فاستأذنوا عليه، فلما دخلوا عليه اغلقوا الباب على انفسهم ثم تعاوروه بأسيافهم و هو راقد على فراشه حتى قتلوه و رجعوا الى المدينة. و أرجح ما ذكرناه اعلاه لأنه اقرب الى العقل و المنطق.

ص: ٢٤٩

و أظهر الرسول صلى الله عليه و سلم أنه يريد الشام، حتى يستطيع مباغته بنى لحيان دون أن يعرفوا بحركته اليهم، فتحرك بقواته شمالا، فلما اطمأن الى انتشار أخبار حركته الى الشمال باتجاه الشام، عاد راجعا باتجاه مكه مسرعا فى حركته حتى بلغ منازل بنى لحيان ب(غزان) (١)، و لكن بنى لحيان فروا الى رؤوس الجبال، و استطاعوا النجاه بأرواحهم و أموالهم.

عند ذاك ترك الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القسم الأكبر من قواته في (گران) و سار على رأس مائتي راكب باتجاه مكة حتى وصل (عسفان) (٢) شمال مكة للتأثير في معنويات قريش، فلم تخرج قريش للقائه. ثم عاد المسلمون الى المدينة متحملين شدة الحر، بعد أن أثروا في معنويات القبائل وجعلوهم يخافون المسلمون أشد الخوف.

غزوه ذى قرد

١- الهدف:

غزوه ذى قرد (٣)

١- الهدف:

مطارده عيينه بن حصن و جماعه من غطفان لإعاده إبل المسلمين التي انتهبها المشركون.

٢- الحوادث:

أغار عيينه بن حصن الفزاري على أطراف المدينة، فوجد هناك بعض اللقاح (٤) ترعى بحراسه مسلم و امرأته، فقتل عيينه و أصحابه الرجل و هو ابن أبي ذر الغفاري، و ساقوا الإبل و احتملوا المرأة.

١- غران: منازل بنى لحيان، و غران واد بين امج و عسفان.

٢- عسفان: موضع بين الجحفة و مكة و هي من مكة على مرحلتين. أنظر معجم البلدان ١٧٤ / ٦.

٣- ذو قرد: ماء على ليلتين من المدينة بينها و بين خيبر. أنظر معجم البلدان ٥٠ / ٧.

٤- اللقاح: الإبل الحوامل ذوات اللبن.

ص: ٢٥٠

و لكن سلمه بن عمرو بن الأكوع الأسلمي بصر بالقوم و قد اقتادوا الإبل، فأنذر المسلمين فنأدى: الفزع الفزع. فنودي: يا خيل الله اركبي! و كان أول ما نودي بها! و قام سلمه بمطارده غيينه و أصحابه وحده، حتى لحق به المسلمون الذين استطاعوا تخليص الإبل و المرأة المسلمة بعد أن وصلوا بمطاردتهم ماء (بذى قرد).

و جاء من يخبر المسلمين أن عيينه و أصحابه وصلوا موضعا بعيدا عن (ذى قرد) فنحروا لهم جزورا، فلما كشطوا عنها جلدها رأوا غبارا، فتركوا جزورهم في محلها و هربوا بسرعه، لأنهم ظنوا أن المسلمين اقتربوا من مواضعهم.

و لم يكذ هؤلاء الأعراب يصدقون أنهم يستطيعون النجاه بأنفسهم!!!

سرايا توطيد الأمن و تشديد الحصار الاقتصادي

راجع الملحق (ز)

١- الهدف:

تأمين المدينة المنورة التي هي القاعدة الأمانة للإسلام، و فرض سيطره المسلمين على القبائل التي حولها، و تشديد وطأه الحصار الاقتصادي على قريش و حلفائها.

٢- الحوادث:

أ- سريه عكاشه بن محصن الأسدي الى الغمر (١):

وجّه رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم عكاشه بن محصن الأسدي في شهر ربيع الأول سنة

١- الغمر: غمر مرزوق، و هو ماء لبني أسد على ليلتين من قيد طريق الأول الى المدينة. أنظر طبقات ابن سعد ٢ / ٨٤.

ص: ٢٥١

ست الهجريه الى (الغمر) في أربعين رجلا، فخرج سريعا يغدّ السير، و لكن الأعراب علموا بمسيره إليهم فهربوا و تركوا ديارهم خاليه، فاستاق المسلمون مائتي بعير و عادوا الى المدينة دون أن يلقوا كيدا.

ب- سريه محمد بن مسلمه الى (ذى القصه) (١):

بعث رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم محمد بن مسلمه في ربيع الآخر سنة ست الهجريه الى بنى ثعلبه و بنى عوال من ثعلبه و هم (بذى القصه) في عشره نفر، فوردوا عليهم ليلا؛ و لكن الأعراب و هم مائه رجل استطاعوا قتل أصحاب محمد بن مسلمه و جرحه فبعث رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم أبا عبيده بن الجراح في أربعين رجلا الى مصارع المسلمين فلم يجدوا أحدا و وجدوا نعما و شاء فساقه أبو عبيده و رجع الى المدينة المنوره.

ج- سريه أبي عبيده بن الجراح الى ذى القصه:

بعث رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم أبا عبيده بن الجراح في أربعين رجلا في شهر ربيع الآخر سنة ست الهجريه الى (ذى القصه) الى بنى محارب الذين أجمعوا أن يغيروا على سرح المدينة و هو يرعى ب (هيفا) (٢)، فمشوا إليهم بعد صلاه المغرب حتى وافوا (ذا القصه) في عمايه الصبح، فأغاروا عليهم، فهرب الأعراب، و أصاب أبو عبيده رجلا واحدا فأسلم و تركه و أخذ نعما من نعمهم فاستاقه كما أخذ متاعهم و قدم بذلك المدينة المنوره.

١- ذو القصة: موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلاً- وهو طريق الربذه. وهي على بريد من المدينة تلقاء نجد. أنظر معجم البلدان ١١٤ / ٧.

٢- هيفا: موضع على سبعة أميال من المدينة. أنظر طبقات ابن سعد ٨٦ / ٢.

ص: ٢٥٢

د- سريه زيد بن حارثه الى سليم بالجموم (١):

بعث رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم زيد بن حارثه الكلبى فى شهر ربيع الآخر سنة ست الهجرية الى بنى سليم، فسار حتى ورد (الجموم)، فأصاب نعماً و شاء و أسرى، ثم عاد بأصحابه الى المدينة المنوره.

ه- سريه زيد بن حارثه الى العيص (٢):

بعث رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم زيد بن حارثه الكلبى فى جمادى الأولى سنة ست الهجرية يتعرض لغير قريش فى طريق عودتها من الشام الى مكة، فأخذ المسلمون العير و ما فيها و أسروا ناساً ممن كان فى العير و عادوا الى المدينة المنوره.

و- سريه زيد بن حارثه الى الطرف (٣):

بعث رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم زيد بن حارثه الكلبى فى جمادى الآخرة سنة ست الهجرية الى الطرف، فخرج الى بنى ثعلبه فى خمسة عشر رجلاً، فأصاب نعماً و شاء و هربت الأعراب، و صبح زيد بالنعم المدينة المنوره بعد أن غاب أربع ليال دون أن يلقى كيدا.

١- الجموم: أرض لبنى سليم. أنظر معجم البلدان ١٤٠ / ٣، تقع ناحيه بطن نخل عن يسارها، و بطن نخل من المدينة على أربعة برد. أنظر طبقات ابن سعد ٨٦ / ٢.

٢- العيص: موضع فى بلاد بنى سليم به ماء يقال له: ذبان العيص. أنظر معجم البلدان ٢٤٨ / ٦، بينها و بين المدينة أربع ليال و بينها و بين ذى المروه ليله. أنظر طبقات ابن سعد ٨٧ / ٢.

٣- الطرف: ماء قريب من المراض دون النخيل على ستة و ثلاثين ميلاً من المدينة طريق البصره على المحججه. أنظر طبقات ابن سعد ٨٧ / ٢.

ص: ٢٥٣

ز- سريه زيد بن حارثه الى حسمى (١):

بعث رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم زيد بن حارثه الكلبى فى جمادى الآخرة سنة ست الهجرية الى (حسمى) فى خمسمائه رجل، فكان زيد يسير الليل و يكمن النهار و معه دليل من بنى عذره، فلما وصل (حسمى) هجم على القوم مع الصبح فقتلوا فيهم فأوجعوا و أغاروا على ما شيتهم فأخذوا من النعم ألف بعير و من الشاه خمسة آلاف شاه و من السبى مائه من النساء و الصبيان.

و لكنَّ زيد بن رفاعه الجذامي رحل في نفر من قومه الى رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم فدفع إليه كتابه الذي كان كتب له و لقومه ليألي قدم عليه فأسلم، فبعث على ابن أبي طالب رضى الله عنه الى زيد بن حارثة يأمره أن يخلى بينهم و بين أموالهم و حرّمهم.

و كان سبب هذه الغزوه، أن دحيه بن خليفه الكلبي أقبل مره عند قيصر في طريق عودته الى المدينه، فلقيه الهنيد بن عارض و ابنه عارض بن الهنيد في ناس من جذام بحسمى، فقطعوا عليه الطريق فلم يتركوا عليه إلا سمل ثوب، فقدم دحيه على النبي صَلَّى الله عليه و سلم فأخبره بذلك، فبعث زيدا لإعطاء درس قاس لجذام حتى لا يعودوا لمثلها أبدا.

ح- سريه عبد الرحمن بن عوف الى دومه الجندل:

بعث رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم عبد الرحمن بن عوف في شعبان سنه ست الهجرية الى بنى كلب في (دومه الجندل)، و قبل أن يبعثه دعاه فأقعده بين يديه و عممه بيده و قال: (أغز باسم الله و في سبيل الله فقاتل من كفر بالله! لا تغلّ و لا تغدر و لا تقتل وليدا!)

١- حسمى: أرض بباديه الشام بينها و بين وادى القرى ليلتان و بين وادى القرى و المدينه ست ليال. أنظر التفاصيل في معجم البلدان ٣/ ٢٧٦. و هى الأراضى المتحدّه على طوار سفوح جبال البتراء جنوبا، فشرقا حتى الحدود الأردنيه السعوديه، و تشمل منطقته رم (إرم)، و تبلغ مساحتها (٥٠٠٠) كيلومتر مربع في المنطقه الأردنيه.

ص: ٢٥٤

سار عبد الرحمن حتى قدم (دومه الجندل) فمكث فيها ثلاثه أيام يدعوهم الى الإسلام، فأسلم الأصبع بن عمرو الكلبي و كان نصرانيا و كان رأسهم، و أسلم معه ناس كثير من قومه، و أقام من أقام على إعطاء الجزيه.

ط- سريه على بن أبي طالب الى بنى سعد بن بكر ب (فدك) (١):

بلغ رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم أن جمعا من بنى سعد بن بكر يريدون أن يمدّوا يهود خيبر، فبعث إليهم على بن أبي طالب رضى الله عنه في مائه رجل، فسار الليل و كمن النهار حتى انتهى الى (الهجج) (٢)، فوجدوا به رجلا- فسألوه عن القوم فقال: أخبركم على أنكم تؤمنونى. فأمنوه، فدلهم، فأغاروا عليهم، فأخذوا خمسمائه بعير و ألفى شاه، و هربت بنو سعد.

و قدم على المدينه و لم يلتق كيدا.

ى- سريه زيد بن حارثة الى أم قرفه بوادى القرى (٣):

خرج زيد بن حارثة فى تجاره الى الشام و معه بضائع لأصحاب النبي صَلَّى الله عليه و سلم، فلما كان دون (وادى القرى) لقيه ناس من فزاره من بنى بدر فضربوه و ضربوا أصحابه و أخذوا ما كان معهم.

و عاد زيد الى المدينة المنوره فبعثه رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم فى شهر رمضان سنه ست

١- فذك: قريه بالحجاز بينها و بين المدينة يومان. أنظر معجم البلدان ٤٢ / ٦، و فى طبقات ابن سعد ٩٢ / ٢ انه بينها و بين المدينة ست ليال. و تقع شمال المدينة المنوره فى طريقها الى تبوك.

٢- هجج: ماء و عيون عليه نخل من جهه وادى القرى. أنظر معجم البلدان ٤٧١ / ٨، و فى طبقات ابن سعد ٩٠ / ٢، أنه ماء بين خيبر و فذك.

٣- وادى القرى: واد بين المدينة و الشام من أعمال المدينة كثير القرى. أنظر معجم البلدان ٣٧٥ / ٨.

ص: ٢٥٥

الهجرية إليهم، فكمنا النهار و ساروا الليل. و علم بنو بدر بحركه المسلمين إليهم و لكن زيادا و أصحابه صبّحوهم و أخذوا منهم أسرى.

و عاد زيد الى المدينة و بشّر رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم بنصر الله.

ك- سريه عبد الله بن رواحه الى أسير بن زارم.

لما قتل أبو رافع سلام بن أبى الحقيق أمرت يهود عليهم أسير بن زارم، فسار فى غطفان و غيرهم يجمعهم لحرب المسلمين.

و بلغ ذلك رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، فوجّه عبد الله بن رواحه على رأس ثلاثه نفر من المسلمين فى شهر رمضان سنه ست الهجرية سرا فسأل عن خبر أسير فأخبر بأنه يحرض غطفان و غيرها من القبائل على حرب المسلمين.

و قدم ابن رواحه على النبى صَلَّى الله عليه و سلم و أخبره خبر أسير، فندب الناس فانتدب له ثلاثون رجلا، فبعث عليهم عبد الله بن رواحه، فقدموا على أسير و قالوا:

(إن رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم بعثنا إليك لتخرج إليه فيستعملك على خيبر و يحسن إليك)، فطمع فى ذلك، فخرج و خرج معه ثلاثون رجلا- من يهود مع كل رجل رديف من المسلمين حتى إذا كانوا ب(قرقره ثبار) (١)، ندم أسير و أراد الغدر بالمسلمين، و لكنّ المسلمين حملوا عليهم فقتلوا أصحابه جزاء غدرهم.

و عادوا الى المدينة فأخبروا رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم بغدر يهود، فقال: (نجاكم الله من القوم الظالمين).

ل- سريه كرز بن جابر الفهري الى العرانيين:

قدم نفر من (عريته) (٢) ثمانيه على رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم فأسلموا، فأمر بهم الى

١- قرقره ثبار: موضع بين خيبر و المدينة.

٢- عرينه: قبيله من العرب، و اسم موضع ببلاد فزاره. أنظر معجم البلدان ١٦٥ / ٦.

ص: ٢٥٦

لقاحه و كانت ترعى فى منطقه(قباة) على سته أميال من المدينه، فكانوا فيها حتى صَحُوا و سمنوا فغدوا على اللقاح فاستاقوها، فأدر كهم يسار مولى رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و معه نفر فقاتلهم فقطعوا يده و رجله و غرزوا الشوك فى لسانه و عينيه حتى مات.

و بلغ رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم الخبر، فبعث فى أثرهم عشرين فارسا و استعمل عليهم كرز بن جابر الفهري فأدر كهم و أحاطوا بهم و أسروهم و ربطوهم ثم أردفوهم على الخيل حتى قدموا بهم المدينه، فقتلوا.

م- سريه عمرو بن أميه الضمري:

قال أبو سفیان بن حرب لنفر من قريش: (ألا أحد يغتال محمدا، فإنه يمشى فى الأسواق)؟ فأتاه رجل من الأعراب متطوعا لقتل النبي الكريم عليه أفضل الصلاة و السلام، فأعطاه أبو سفیان بعيرا و نفقه و قال: (إطو أمرك)؛ فخرج ليلا حتى قدم المدينه بعد خمسة أيام.

و لما رأى رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم هذا الأعرابي رابه أمره فقال: (إن هذا ليريد غدرا) ...

و حاول الأعرابي اغتيال رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، فجذبه أسيد بن الحضير فأسره من إزاره فوجد خنجرا لديه، فقال له رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم: (اصدقنى ما أنت)؟

قال: (و أنا آمن)؟ قال: (نعم). فأخبره بأمره و ما جعل له أبو سفیان، فخلّى عنه.

و بعث رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم عمرو بن أميه و سلمه بن أسلم إلى أبى سفیان بن حرب و قال: (إن أصبتما منه غزّه فاقتلوه)! فدخلا مكه و مضى عمرو بن أميه يطوف بالبيت ليلا فرآه معاويه بن أبى سفیان فعرفه، فأخبر قريشا بمكانه، فخافوه و طلبوه.

ص: ٢٥٧

و هرب عمرو و سلمه، و قتل عمرو فى طريق عودته الى المدينه المنوره رجلين مشركين.

دروس من غزوات محاسبه الغادرين و السرايا

١- الوقت:

انسحبت الأحزاب عن المدينه، و عاد المسلمون الى ديارهم صباح ليله الإنسحاب، و أصدر الرسول صَلَّى الله عليه و سلم أمره

الإندارى للحركه الى بنى قريظه ظهر ذلك اليوم نفسه، على ألا يصلى المسلمون العصر إلا فى ديار بنى قريظه.

لقد أدرك الرسول صلى الله عليه و سلم بثاقب فكره أهميه الوقت فى الحصول على نتائج باهره فى القتال، فلو أن الرسول صلى الله عليه و سلم أبطأ بحركته هذه، لاستفاد يهود من الوقت فى الاستعانه بحلفائهم أو إقناع يهود الآخرين بمعاونتهم، أو الشبث بالحصول على قوات من القبائل لتساند قواتهم، و لكان بإمكانهم إكمال قضاياهم الإداريه التى يحتاجون إليها فى القتال، حتى يستطيعوا الصمود فى حصارهم أطول مده ممكنه.

و لكنّ إسراع الرسول صلى الله عليه و سلم بتحريك قواته لتطويقهم، حالت بين يهود و بين كل ذلك، إذ لم يكن يهود يعلمون بالموعد الأکید لانسحاب الأحزاب ليسبقوا النظر فى إعداد كل متطلبات القتال المتوقع ضدّ المسلمين.

بل إنّ حركه المسلمين السريعه لم تترك الوقت الكافى لليهود لتنظيم خطه دفاعيه عن حصونهم، كما لم تترك الوقت الكافى لليهود لتنظيم أى خطه عسكريه على الاطلاق يقابلون بها المسلمين، فقد ظهر لنا من سير حوادث غزوه بنى قريظه أنهم لم يفعلوا شيئاً، و كانوا مترددين فى كل شىء. و أكثر من ذلك فإن حركه المسلمين المبكره شلّت معنويات يهود و قضت على روح المقاومه فيهم، فلم يستطيعوا أن يستفيدوا من المحسنات العسكريه التى كانت بجانبهم و التى كان

ص: ٢٥٨

بإمكانهم- لو أحسنوا التصرف- الاستفادة من تلك المحسنات لكى يقاوموا المسلمين وقتاً غير قصير.

حصونهم قويه منيعه، و عددهم كبير، و سلاحهم وفير، و الأرزاق و الماء لديهم متيسران، كل ذلك يساعدهم على الصمود. و لكنّ هذه المحسنات العسكريه التى بجانب يهود لا تفيد شيئاً ما دامت معنوياتهم منحطه تماماً، و لو لا استفاده الرسول صلى الله عليه و سلم من الوقت لتحسّنت معنويات يهود و لا- استطاعوا أن يقوموا بدور أكثر حزمًا من الدور الذى قاموا به (فعالاً) أثناء حصارهم.

و مما يزيد من قيمه حرص المسلمين على المحافظه على الوقت، أن ظروفهم لم تكن حسنه بعد انسحاب الأحزاب.

لقد كانوا منهو كى القوى لسهرهم الطويل على حراسه مواضعهم حوالى شهرًا فى موقف عصيب يحطم أعصاب أشجع الشجعان.

و كان الطقس بارداً، و قد تحمّلوا البرد فى العراء وقتاً طويلاً أثناء حصارهم، فلما انسحبت الأحزاب آن لهم أن ينالوا بعض الدفء فى بيوتهم القريبه.

و كانت قضاياهم الإداريه بشكل لا يحسدون عليه.

إنّ عدم اكتراث المسلمين بكل هذه المشاكل لغرض الإسراع بتطويق حصون بنى قريظه يدعو الى الاعجاب و التقدير.

تكون المباغته بالوقت و المكان و الأسلوب.

المباغته بالمكان، أن تقوم بحركه من مكان لا- يتوقعه العدو. و المباغته بالزمان أن تقوم بحركه فى وقت لا- يتوقعه العدو. و المباغته بالأسلوب أن تقوم بالقتال بأسلوب جديد أو سلاح جديد.

ص: ٢٥٩

و القائد العبرى هو الذى يحاول أن يباغت خصمه حتى يقضى عليه ماديا و معنويا، لأن المباغته الناجحه تشل حركه العدو و تقضى عليه كليا.

لقد طبّق الرسول صلّى الله عليه و سلم كل أساليب المباغته؛ فقد رأينا كيف باغت الأحزاب بأسلوب جديد فى القتال هو حفر الخندق، كما رأينا كيف أنه باغت قريشا بالقتال بأسلوب الصفوف فى غزوه (بدر) الحاسمه.

و فى غزوه بنى قريظه باغت يهودا بالزمان فى حركته بسرعه ما كانوا ليتوقعوها، فشل معنوياتهم و احتفظ بالمبادأه بيده حتى نهايه المعركه.

و فى غزوه بنى لحيان تحرك شمالا باتجاه الشام حتى لا- يعرف بنو لحيان و قريش اتجاه حركته الحقيقيه، و بذلك باغتهم بالمكان.

إنّ المباغته أهم مبادئ الحرب قديما و حديثا، و قد حرص المسلمون على تطبيق هذا المبدأ فى أكثر غزواتهم، مما ساعدهم على النصر.

٣- القصص:

القصص العادل الذى أصاب بنى قريظه بعد استسلامهم، يقزّه كلّ إنسان واقعى سليم التفكير منصفاً.

لقد طعن يهود المسلمين فى أخرج وقت من أوقات محتتهم، و لو لم يكن هناك عهد بينهم و بين المسلمين لهان الخطب و لوجدنا بعض العذر لهم، و لكنّ أى عذر لهم و قد خانوا العهد الذى كان بينهم و بين المسلمين فى مثل تلك الظروف العصبيه؟ و أحب أن أتساءل: لو نجح الأ-حزاب فى غزوه الخندق، فماذا كانوا يفعلون بالمسلمين؟ ألم تكن عاقبه المسلمين الإباده و التمثيل؟ فلماذا لا يبيدون الذين حاولوا معاونه أعدائهم على إبادتهم؟ لقد أفسح المسلمون المجال أمام بنى قينقاع و بنى النضير من يهود للجلاء الى (خيبر) و الى ضواحي الشام، فماذا كانت النتيجة؟ أثار يهود الذى عفا عنهم النبى صلّى الله عليه و سلم الأحزاب و حشدوهم أمام خندق المدينه للقضاء على المسلمين.

ص: ٢٦٠

و مع ذلك فالموقف جدّ مختلف بين موقف يهود الذين خانوا عهودهم فى غزوه الخندق و بين يهود بنى قريظه، إذ أن خيانه هؤلاء و نكثهم عهودهم كان فى أخرج الأوقات و أشدها خطوره على مستقبل الاسلام و المسلمين ...

فهل يبقى المسلمون سلما على بنى قريظه أيضا ليقوموا بدور أسلافهم بنى قينقاع و بنى النضير؟

لقد كان بإمكان يهود بنى قريظه ان يتخلصوا من القتل لو أعلنوا إسلامهم كما فعل ثلاثة رجال منهم، فنجوا بحياتهم و أموالهم.

و لم يقض المسلمون بالقتل إلا على الرجال الذين قاتلوهم (فعلا) بعد أن خانوا عهودهم و عرضوا المسلمين للإباده، أما الأطفال و النساء فلم يصابوا بأذى، كما أن الذين ثبتوا على عهودهم من يهود لم يصابوا بسوء.

و المرأة الوحيدة التى قتلت من بنى قريظه هى التى قتلت مسلما بقذفه بالرحى من فوق سطحها، و إنما كان قتلها على جريمتها هذه لا بسبب آخر.

أما قتل أبى رافع بن أبى الحقيق، فلأنه أحد رؤوس يهود الذين حرّضوا الأحزاب، و قتله كان عبره لغيره من الذين يحاولون محاولته فى المستقبل؛ و حتى قوانين الحرب الدوليه الحديثه تجيز القتل فى مثل هذا الموقف، فهذا اليهودى كان من بنى النضير الذين أرادوا اغتيال الرسول صلّى الله عليه و سلم، فحاصروهم و تغلّب عليهم و اضطروهم على الاستسلام، ثم سمح لهم بالرحيل بعيدا عن المدينه على ألا- يعودوا الى قتاله أو التحريض عليه، فإذا نكث هذا بالعهد و حرّض الأحزاب على تطويق المدينه، و حرّض بنى قريظه على نكث عهودهم مع المسلمين. إذا كانت هذه أعماله بعد أن أطلقه الرسول صلّى الله عليه و سلم مع قومه بعد استسلامهم، فمن حق المسلمين أن يقتلوه كمجرم حرب لا كمحارب شريف (1).

١- راجع قانون الحرب و الحياد من القانون الدولى. يطلق الأسير إذا اعطى كلمه(الشرف) بألا يقاتل الدوله التى اطلقت سراحه و لا يحرض على قتالها، فإذا اخل بكلمه الشرف التى اعطاها و التحق بالجيش ثم اسرته الدوله التى اطلقت سراحه، جاز محاكمته على إخلاله، و العقوبه فى العاده هى الإعدام.

ص: ٢٦١

و ما يقال عن ذلك يقال عن سرايا القصاص التى بعثها الرسول صلّى الله عليه و سلم لمحاسبه الغادرين الآخرين.

لقد كان قصاص المسلمين من يهود و من غيرهم ضروريا عادلا.

٤- العقيدہ:

ظهر لنا فى هذه الفتره من جهاد النبى صلّى الله عليه و سلم، أثر العقيدہ فى توحيد الصفوف للعمل للمصلحه العامه وحدها، و أثرها فى اندفاع المسلمين كل يسابق أخاه الى الشهاده، و أثرها فى جعل المسلم يحاسب نفسه على ما اقترفه من ذنب لا يعلم به أحد غيره من الناس.

طلبت بنو قريظه من المسلمين حضور أبي لبابه بن عبد المنذر ليستشيروه، وقد كان أبو لبابه حليفا لهم في الجاهليه و صديقا شريفا لا يشكون في إخلاصه، فبعثه الرسول صَلَّى الله عليه و سلم إليهم؛ فاستقبله الرجال و النساء و الأطفال بالبكاء و العويل، فأثر ذلك في نفسه انسانا. و استشاره يهود: أينزلون على حكم محمد؟ .. فقال لهم: (نعم). و أشار الى حلقة كأنه يتبهم الى أن مصيرهم الذبح.

و لكنّ أبا لبابه أدرك لفوره أنه خان النبي صَلَّى الله عليه و سلم ب(إشارته) تلك، و أنه خضع لشعوره العاطفي لا لعقيدته الملتزم بها فيما وقع منه، فمضى هائما على وجهه نادما حتى وصل مسجد المدينة، فربط نفسه الى ساريه فيه، و حلف: لا يفكّ نفسه حتى يتوب الله عليه.

و بقي على حاله هذا متشفعا بالرسول صَلَّى الله عليه و سلم حتى تاب الله عليه.

لم يعرف أحد ب(إشاره) أبي لبابه الى حلقة حين استشاره يهود في الاستسلام، و لم تكن إشارته هذه نتيجة تدبّر و تفكير، و مع ذلك لم يستر أبو لبابه فعلته هذه و أعلنها للناس جميعا و عاقب نفسه بنفسه عقابا صارما، مما يدل على عقيدته الراسخه و إيمانه العميق.

ص: ٢٤٢

و حكم سعد بن معاذ على بنى قريظه بأن يقتل الرجال و تسبي الذريه و تقسم الأموال يدلّ على عقيدته الراسخه أيضا.

لقد كان سعد سيد الأوس حلفاء بنى قريظه في الجاهليه، و قد توقع يهود أن تنفعهم هذه الصله القويه عند الحكم عليهم، كما توقع الأوس أيضا أن يتساهل سعد مع أصدقائهم و أصدقائه الأقدمين، بل استقبله الأوس حين قدومه للحكم هاتفين: يا أبا عمرو! أحسن في مواليك.

و قد أحسنت الخزرج قبل ذلك في مواليها من يهود عندما استسلموا للمسلمين، فلماذا لا يحسن الأوس الى مواليهم مثلما أحسن الخزرج؟

و لكنّ سعدا صاح بقومه و قد أكثروا عليه الرجاء: (قد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومه لائم) ...

و أصدر سعد حكمه العادل غير متأثر بالأهواء بل بعقيدته الراسخه فقط و إيمانه العظيم.

و ماذا يعني دخول عبد الله بن عتيك وحده الحصن الذي يسكنه اليهودى أبو رافع بن أبي الحقيق في وسط أهله و عشيرته، و تعريض عبد الله نفسه للخطر الداهم، بينما أبقى أصحابه خارج الحصن في أمان؟

هل يعني هذا العمل إلا استئثار القائد لنفسه بالخطر دون أصحابه طمعا في الشهاده، و قد كان بإمكانه أن يبعث أحد أصحابه لينهض بهذا الواجب، و لكنه آثر أن ينهض بنفسه بهذا العمل كله، فنجح في القضاء على ابن أبي الحقيق، و التحق بأصحابه ليلا بعد أن كسرت رجله أثناء نزوله من سطح الحصن ...

هذه الأمثلة التي ظهرت لنا في هذه الفترة من حياة المسلمين و مثلها كثير، تدلّ بوضوح على رسوخ العقيدة في نفوسهم، مما جعلهم يستهينون بكل شيء في سبيل عقيدتهم.

ص: ٢٦٣

٥- القضايا الاداريه:

أ- الغنائم:

قسّمت غنائم بنى قريظه على المسلمين: سهم للراجل و ثلاثة أسهم للفارس منها سهمان للفرس، و ذلك تشجيعاً للإكثار من الخيل لفائدتها الكبيره فى القتال، و بقى الخمس للرسول صلّى الله عليه و سلم لتوزيعه على المحتاجين، و لتأمين إعاشه و ركوب و سلاح المجاهدين الذين لا يجدون ما ينفقونه على أنفسهم فى الجهاد.

لقد تحسّنت حاله الاقتصاديه للمسلمين بهذه الغنيمه، فاستطاعوا الاستغناء عن بعضها لشراء الخيل و الأسلحه من نجد استعداداً للعمليات الحربيه المقبله.

ب- الماء:

عندما وصل المسلمون الى حصون بنى قريظه، سيطروا على بئر تعود لبنى قريظه بسرعه خاطفه للاستفاده من مائها فى أيام الحصار.

و لو لا سرعه المسلمين فى الاستيلاء على هذه البئر، لكان من المؤكده أن تقوم قريظه بتغويرها حتى تحرم المسلمين من مياهها الضروريه لهم للصبر على القتال.

ص: ٢٦٤

ص: ٢٦٥

ص: ٢٦٦

ص: ٢٦٧

الفتح القريب

اشاره

(لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ، فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَ أَثَابَهُمْ فَتَحاً قَرِيباً).

(القرآن الكريم)

ص: ٢٦٨

ص: ٢٦٩

غزوه الحديبيه

اشاره

غزوه الحديبيه (١)

الموقف العام

١- المسلمون:

فى السنه الأولى من الهجره عدل النبى صلى الله عليه و سلم بقبلته عن المسجد الأقصى فى مدينه القدس من فلسطين الى المسجد الحرام، فجعل المسلمون وجهتهم فى الصلاه بيت الله الحرام بمكه المكرمه.

و كان العرب يتجهون الى المسجد الحرام منذ مئات السنين: يحجون إليه فى الأشهر الحرم، و يقدسونه و يعبدون أصنامهم؛ و لكنّ المسلمين كفروا بالأصنام بعد إيمانهم بالله، إلا أنهم لم يكفروا بالبيت العتيق.

فلماذا لا يقصد المسلمون المسجد الحرام زائرين له معظمين حرمته، ليرى العرب المجتمعون بمكه المكرمه قوتهم و ليتحدّثوا عن مكانه البيت الحرام الرفيعه فى نفوسهم المؤمنه؟

إنّ ذلك سيزيد فى قوه المسلمين قوه، و سيجعل قلوب المشركين تهوى إليهم، و سيشعرون بأنهم يظلمون المسلمين عند ما يمنعونهم من حج البيت و العمرة، و سيخفف كل ذلك من حقدهم على المسلمين و بغضائهم لهم، فلا- تجتمع قلوبهم على حرب المسلمين أبدا.

قرّر الرسول صلى الله عليه و سلم الخروج الى مكه فى شهر ذى القعدة الحرام من السنه السادسه الهجرية، و أوفد رسله الى القبائل من غير المسلمين يدعوهم للاشتراك

١- الحديبيه: يقال بتخفيف الياء و بتشديدها، و هى قرية ليست بكبيره، بينها و بين مكه مرحله واحده، و بينها و بين المدينه تسع مراحل، و يقال إن بعضها من الحل و بعضها من الحرم، و سميت بذلك لبثر فيها تسمى الحديبيه.

ص: ٢٧٠

للخروج الى الكعبه مع المسلمين لزيارتها و تعظيمها لا للقتال، حتى تعلم العرب كلها بأنه خرج فى الشهر الحرام حاجا لا غازيا، فان أصرت قريش على مقاتلته فى الشهر الحرام و منعتة من أداء شعائر الحج و العمره أسوه بالعرب الآخرين، لم تجد من العرب من يؤيدها فى موقفها هذا، و لا من يعينها على قتال المسلمين، فتبقى وحدها و تفقد عطف حلفائها عليها، فلا تقوى على صدّ المسلمين وحدها ما لم يعاونها حلفاؤها من القبائل الأخرى.

٢- المشركون و يهود:

لم يبق من المشركين أیه قبيله تستطيع الصمود وحدها أمام قوات المسلمين، فليس أمام القبائل إلا حشد كل قواتها لتستطيع المقاومة فى معركة غير مضمونه النتائج.

و لا يمكن اجتماع قوات المشركين فى صعيد واحد، إلا إذا استشيرت بحوافر حاسمه جدا: كالاغتيال على مقدساتها أو التعرض بأموالها و ذراريتها؛ فقد اقتنعت هذه القبائل بأنّ المسلمين أصبحوا أمنع من أن يصيبوهم أو يصيبوا أموالهم بسوء.

و لم يبق من يهود إلا- يهود خيبر، و هؤلاء لا يقدمون على عمل ضد المسلمين إلا بعد أن يفكروا كثيرا، لئلا يكون مصيرهم مصير قريظه و بنى النضير و قينقاع.

قوات الطرفين

١- المسلمون:

ستمائه و ألف (١) مسلم بقيادة النبي صلى الله عليه و سلم، معهم سبعون من القرابين، و سلاحهم السيوف بأغمادها.

١- و يقال: ألف و أربعمائه، و يقال: ألف و خمسمائه و خمسة و عشرون رجلا. أنظر طبقات ابن سعد ٢/ ٩٥.

ص: ٢٧١

٢- المشركون:

قريش و قسم من حلفائها المترددين، لأنهم لم يشاطروا قريشا رأيها فى صدّ المسلمين عن البيت الحرام بعد أن جاءوا لتعظيمه لا للقتال.

أهداف الطرفين

١- المسلمون:

أ- إظهار قوه المسلمين لقريش و للقبائل المجتمعه للحج و سده ضبطهم و طاعتهم للرسول صلى الله عليه و سلم و تعلقهم

بالدعوه و حرصهم على الدفاع عنها و حمايه حريه نشرها لتكون كلمه الله هي العليا.

ب- إظهار تعظيم المسلمين للبيت الحرام عمليا، حتى تتأكد العرب من ذلك عن يقين لا يتطرق إليه الشك.

٢- قريش:

صدّ المسلمين عن البيت الحرام، حتى لا- تتحدث العرب عن دخول المسلمين إليه عنوه، مما يقلل من هيبة قريش و اعتبارها المرموق بين القبائل العربيه.

الأعمال التمهيديه

١- الحصول على المعلومات:

أ- المسلمون:

لما وصل الرسول صَلَّى الله عليه و سلم الى (ذى الحليفه) (١) قَلد الهدى و أشعره (٢) و أحرم بالعمره.

١- ذو الحليفه: قريه بينها و بين المدينه سته أميال أو سبعة، و هي ميقات اهل المدينه الذى يحرمون عنده للحج. أنظر التفاصيل فى معجم البلدان ٣/ ٣٢٩.

٢- قلد: وضع قلاده على الهدى، و الهدى ما أهدى الى البيت و تقرب به الى الله، و اشعره من الأفعال التى هي علامات الحج.

ص: ٢٧٢

ص: ٢٧٣

و أرسل رجلا من خذاعه ليستطلع له أمر قريش، فلما وصل (عسفان) (١) على بعد مرحلتين من شمال مكه عاد الخزاعى و أخبر المسلمين أنّ قريشا و قسما من حلفائها قد أجمعوا أمرهم على قتالهم ليصدوهم عن زياره البيت الحرام.

استشار النبى صَلَّى الله عليه و سلم أصحابه، فكان القرار النهائى: أن هدفهم من غزوتهم هذه هو زياره البيت، و لن يقاتلوا إلا إذا صدتهم قريش عن هدفهم بالقوه.

و لكنهم رأوا خيل المشركين على مرمى النظر قريبا من (عسفان)، فأمر الرسول صَلَّى الله عليه و سلم أصحابه بالحركه على طريق فرعيه غربى الطريق العام، و كانت طريقا و عره قطعها المسلمون بصعوبه، فتخلصوا بذلك من الاصطدام بالمشركين، حتى وصلوا (الحديبيه) على بعد ثلاثه أميال شمال مكه، و عسكروا هناك.

ب- المشركون:

بلغ قريشا أمر حركة المسلمين، فخافوا أن يكون إِدعاء المسلمين بأنهم جاءوا معتمرين لا مقاتلين حيله حريه يقصد المسلمون من ورائها مباغتتهم و القضاء عليهم، فعقدوا لخالد بن الوليد و عكرمه بن أبي جهل على مائتي فارس مع قسم من المشاه، و تقدّم هذا الجيش ليحول بين الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم و مكة، و لكنّ فرسان قريش بوغتوا بانحراف المسلمين الى الطريق الفرعيه و تملّصهم من الاصطدام بهم، فعادت قوات المشركين أدراجها لتدافع عن مكة قبل أن يصلها المسلمون.

و جاء بديل بن ورقاء فى رجال من خزاعه الى قريش و أخبرهم أن محمدا جاء زائرا و لا يريد حربا، و لكنّ قريشا أجابت:(إن كان جاء لا يريد قتالا، فو الله لا يدخل علينا عنوه أبدا و لا تتحدّث بذلك عنا العرب) ...

١- عسفان: قريه أو منهله بين المدينه و مكة على مرحلتين من مكة.

ص: ٢٧٤

٢- المناوشات:

حاول قسم من متعصبى قريش أن يهاجموا معسكر المسلمين، و فعلا هجم ما يقرب من خمسين مشركا على المسلمين، و لكنّ المسلمين استطاعوا أسرهم جميعا، فأطلقهم الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم حتى يثبت نياته السلميه عمليا و لا يترك حجّه لقريش تتشبث بها لتجميع العرب ضد المسلمين.

٣- المفاوضات الابتدائية:

أ- المشركون:

أرسلت قريش مكرز بن حفص ليرى موقف المسلمين، فعاد إليهم ليخبرهم أن محمدا لم يأت مقاتلا، و إنما جاء زائرا لهذا البيت.

و أرسلوا بعده الحليس بن علقمه سيد الأحابيش (١)، فلما رآه الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم قال:(إن هذا من قوم يتألّهون) أى إنه متدين) فابعثوا الهدى أمامه ليراه).

رأى الحليس الهدى فى الوادى فعاد الى قريش قبل أن يصل الى الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم إعظاما لما شاهد، و أخبرهم بما رأى، فأجابوه:(اجلس إنما أنت أعرابى لا- علم لك). فاستشاط الحليس غضبا و صاح:(يا معشر قريش! و الله ما على هذا حالناكم، و لا على هذا عاقدناكم، أيصدّ عن بيت الله من جاء معظما له؟ و الذى نفس الحليس بيده لتحلن بين محمد و بين ما جاء له، أو لأنفرون بالأحابيش نفره رجل واحد) ... فرجته قريش أن يكفّ عنها حتى تفكر فى الأمر!

و رأّت قريش أن توفد عروه بن مسعود، و هو من سادات ثقيف و هو رجل

١- الأحابيش: أحياء من العرب رماه، سموا بذلك لاسودادهم أو نسبه الى حبشى (بضم الحاء و سكون الباء) جبل بأسفل مكه. و هم خلائط من العرب يتبعون كنانه بن خزيمه.

ص: ٢٧٥

متزن حكيم، فكره عروه أن يعود من مفاوضه النبي صَلَّى الله عليه و سلم، فيسمعه رجال قريش ما يسوءه؛ فاعتذرت له قريش مؤكداً أنه عندهم غير متهم، و أنها تظمنن الى حكمته و حسن رأيه؛ فخرج الى محمد صَلَّى الله عليه و سلم و ذكر له أن مكه المكرمه بلده الحبيب و أن بها قومه و عشيرته، فلا يصح له مهاجمتها بمن جمع من أوشاب (١) الناس الذين سينكشفون عنه منهزمين إذا اشتد الخطب. فأجابه أبو بكر الصديق رضى الله عنه: (أ نحن ننكشف عنه)؟!

و عاد عروه الى حديثه مع الرسول صَلَّى الله عليه و سلم و جعل يمسّ لحيه النبي صَلَّى الله عليه و سلم و هو يكلمه، ففرع المغيره بن شعبه الثقفى (٢) يد عروه و هو يقول: (أكفف يدك عن وجه رسول الله قبل ألا تصل إليك) ...

و ردّ النبي صَلَّى الله عليه و سلم على عروه بما يقطع لجاجته و ينفى كل شبهه: (إنه لا يريد حرباً و إنما يريد أن يزور البيت كما يزوره غيره) ...

عاد عروه من اجتماعه بالرسول صَلَّى الله عليه و سلم الى قريش، و قد رأى ما يصنع به أصحابه: لا يتوضأ إلا ابتدروا و ضوءه، و لا يسقط من شعره شىء إلا أخذوه؛ فرجع الى قريش ليقول: (يا معشر قريش! إنى قد جئت كسرى فى ملكه و قيصر فى ملكه و النجاشى فى ملكه، و إنى و الله ما رأيت ملكاً فى قوم قط مثل محمد فى أصحابه؛ و لقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشىء أبداً، فروا رأيكم).

عادت كل سفراء قريش إليها دون أن يتعرّض بهم أحد من المسلمين، و قد اطمأنوا جميعاً الى نيات المسلمين السلميه، مما جعل حلفاء قريش يقاومون فكره القتال، بل كادت تنشب حرب أهليه بين متعصبى قريش و منصفيه.

١- الأوشاب: الأخلاط.

٢- أنظر سيرته فى: قاده فتح العراق و الجزيره ٣٨٧-٤١١.

ص: ٢٧٦

ب- المسلمون:

بعث الرسول صَلَّى الله عليه و سلم خراش بن أميه الخزاعى الى أشراف قريش ليبلغهم عنه بما جاء له، فعقرت قريش ناقته و أرادت قتله، لو لا حمايه الأحابيش له، فخلّوا سبيله على مضض.

و بعث الرسول صَلَّى الله عليه و سلم عثمان بن عفان رضى الله عنه الى قريش، فخرج برسالة النبي صَلَّى الله عليه و سلم، فلقيه أول ما دخل مكه إبان بن سعيد فأجار عثمان حتى يفرغ من تبليغ رسالته. و بلغ عثمان ما جاء به لقريش. قالت قريش: (يا عثمان

إن شئت أن تطوف بالبيت فافعل) ...

قال عثمان:(ما كنت لأفعل حتى يطوف رسول الله، إنما جئنا لنزور البيت العتيق و لنعظم حرمة و لنؤدى فرض العباده عنده، و قد جئنا بالهدى معنا، فإذا نحرنا رجعنا بسلام) ...

و أجابت قريش: بأنها أقسمت لن يدخل محمد مكه هذا العام عنوه.

و طال الحديث و طال احتباس عثمان بن عفان رضى الله عنه عن المسلمين، و ترامى إليهم أن قريشا قتلته غيله و غدرا.

و حين بلغت هذه(الإشاعة) مسامع النبي صلى الله عليه و سلم قال:(لا نبرح حتى نناجز القوم).

و دعا النبي صلى الله عليه و سلم الناس الى مبايعته، فبايعه المسلمون على الموت تحت الشجره بيعه الرضوان؛ فلما أتم المسلمون البيعه ضرب الرسول صلى الله عليه و سلم ياحدى يديه على الأخرى بيعه لعثمان بن عفان رضى الله عنه كأنه حاضر معهم.

على أن عثمان بن عفان رضى الله عنه لم يطل احتباسه، فان قريشا جزعت أن تصييه بأذى و هو من سراتها بمكان، فعاد و أبلغ رسول الله صلى الله عليه و سلم بأن قريشا لم تبق عندهم ريبه فى أنه و أصحابه جاءوا معظمين للبيت، و لكنهم لا يتركون

ص: ٢٧٧

المسلمين يدخلون مكه هذا العام عنوه، حتى لا تتحدّث العرب بأنهم هزموا أمام تهديد المسلمين و ضغطهم.

٤- المفاوضات النهائية:

أرسلت قريش سهيل بن عمرو ليفاوض النبي صلى الله عليه و سلم، على أن يتفق معه على رجوع المسلمين هذا العام عن مكه، فاستقبله الرسول صلى الله عليه و سلم و هو أرغب ما يكون فى موادعه القوم.

و تكلم سهيل فأطال، و المسلمون من حول النبي صلى الله عليه و سلم يسمعون أمر هذه المحادثات و يضيق قسم منهم بأمرها صبرا، و لو لا- ثقه المسلمين بالنبي صلى الله عليه و سلم ثقه لا- حدود لها و إيمانهم العميق به لرفضوا الاتفاق مع قريش و لقاتلوهم حتى يدخلوا مكه عنوه؛ و لكنّ الرسول صلى الله عليه و سلم بقى مسيطرا على أعصابه مالكا هدوءه؛ و لما رأى عمر بن الخطاب رضى الله عنه مغیظا من سير المفاوضات قال له:(أنا عبد الله و رسوله، لن أخالف أمره و لن يضيعنى) ...

و مما أثار حفيظه المسلمين صبر الرسول صلى الله عليه و سلم أثناء كتابه العهد بين المسلمين و قريش، فقد دعا الرسول صلى الله عليه و سلم على بن أبى طالب رضى الله عنه و قال له:

(أكتب بسم الله الرحمن الرحيم).

فقال سهيل:(أمسك! لا أعرف الرحمن الرحيم، بل اكتب باسمك اللهم).

قال الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم:(اكتب باسمك اللهم). ثم قال:

(اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو).

قال سهيل:(أمسك! لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، و لكن اكتب اسمك و اسم أبيك) ...

قال الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم:(اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله) ...

ص: ٢٧٨

الهدنه

١- نص وثيقه الهدنه:

الهدنه (١)

١- نص وثيقه الهدنه:

(باسمك اللهم!

هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو. اصطلاحا على وضع

١- راجع قانون الحرب و الحياد من القانون الدولي. ١- الهدنه: اتفاق يبرم بين الفريقين المتحاربين بوقف القتال مده يتفق عليها فيما بينهما. و الهدنه إما هدنه عامه أو هدنه محليه او جزئيه. فالهدنه العامه يسرى وقف القتال فيها على جميع القوات المتحاربه و يشمل جميع مناطق القتال. و الهدنه المحليه او الجزئيه هي التي يقتصر وقف القتال فيها على بعض القوات المتحاربه دون بعضها الآخر. ٢- شروط الهدنه و آثارها: تعقد الهدنه في العاده كتابه و لكن لا يوجد ما يمنع قانونا من عقدها شفويا، و ينص عقد الهدنه على مبدأ قيامها و انتهائها، و يتوقف القتال خلال إعلان الهدنه كما ينص بعبارته واضحه على شروط الهدنه. ٣- نقض الهدنه و انتهاؤها: اختلف الشراح فيما بينهم على الآثار المترتبة على حصول إخلال من أحد الطرفين بعقد الهدنه، و حق الفريق الآخر بنقضها لهذا السبب. و العوده الى اعمال القتال مباشره. و كان من رأى فريق من الشراح ان أى إخلال يقع من احد الطرفين بما يجب عليه من الهدنه، يبيح للطرف الآخر العوده الى اعمال القتال مباشره دون سابق إنذار. أما الشراح المحدثون، فيرون ان حصول الإخلال يبيح للطرف الآخر أن يعلن الطرف المخل بنقض الهدنه و لا يبيح له العوده الى اعمال القتال مباشره. و تنتهى الهدنه بانتهاء المده المحدده لها، فاذا لم ينص في اتفقيه الهدنه على تاريخ معين لانتهائها، جاز لكل من الطرفين استئناف القتال بعد اعلان الطرف الآخر وفقا لما هو منصوص عليه في الاتفقيه من الشروط.

ص: ٢٧٩

الحرب عن الناس عشر سنين؛ يأمن فيها الناس و يكفّ بعضهم عن بعض، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه ردّه عليهم و من جاء قريشا ممن مع محمد لم يردّوه إليه.

(و أن بيننا عيبه مكفوفه (١)، و أنه لا إسلال (٢) و لا إغلال (٣)، و أنه من أراد أن يدخل في عقد محمد و عهده دخل فيه، و من أحبّ أن يدخل في عقد قريش و عهدهم دخل فيه.

(و أنك ترجع عنا عامك هذا، فلا تدخل علينا مكة، و أنه اذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك، فأقمت بها ثلاثا: معك سلاح الراكب؛ السيوف في القرب، لا تدخلها بغيرها).

٢- أهم بنود الهدنه:

أ- اعتراف قريش بالمسلمين طرفا مساويا لها.

ب- فتح المجال للرسول صلّى الله عليه و سلم لعقد محالفات مع القبائل التي لم تكن تطمئن لمحالفته: لقوه قريش، بوجود الكعبة في مكة المكرمه. و خير دليل على ذلك إعلان خزاعه حلفها للرسول صلّى الله عليه و سلم بعد هذا الصلح مباشره.

ج- تيسر الوقت للمسلمين لنشر دعوتهم بأمان (٤).

د- السماح للمسلمين بزياره البيت الحرام بعد عام و البقاء بمكة ثلاثه أيام.

هـ- إنها لوثيقه تجلّت فيها روح الحكمه من رسول موهوب، و قائد عظيم، و لئن كانت قريش قد أحسّت بها بعض اللين من جانب الرسول صلّى الله عليه و سلم فقد فاتهم ان هذا اللين هو إرهاب ليوم فتح قريب.

١- عيبه مكفوفه: المراد هو اننا نكف عنك و تكف عنا.

٢- الإسلال: السرقة الخفيه.

٣- الإغلال: الخيانه.

٤- كانت مدّه الهدنه عشر سنين في رأى اكثر مؤرخى السيره، و سنتين في رأى الواقدي.

ص: ٢٨٠

دروس من الحديدية

١- توخى الهدف:

توخى الهدف مبدأ من مبادئ الحرب المهمه، و هو أن نعرف هدفنا تماما و نفكر بأقوم الطرق لتحقيقه، ثم نقرّر خطه مناسبه للحصول عليه و ننفذ تلك الخطه جاعلين هدفنا الرئيس وحده نصب أعيننا دون أن تعيقنا أو تعيّر من خطتنا الأهداف الثانويه

الأخرى.

و قد برز مبدأ توخى الهدف لدى الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم فى غزوه الحديبيه بأجلى مظهره حتى يمكن أن تكون دروس هذه الغزوه من أروع الأمثله المفيده للذين يريدون أن يفهموا معنى توخى الهدف.

قرّر الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم منذ مغادرته المدينه ألا يحارب قريشا، بل يبذل كل جهده للتفاهم معها، إلا اذا لم يجد مناصا من القتال ...

و وضع هذا الهدف نصب عينيه دائما.

خرج محرما، و استصحب أسلحه الراكب و هى السيوف فى القرب؛ فلما علم من دوريات استطلاعها اعتزام قريش على قتاله، أصرّ على (السلم)، فخرج عن الطريق العام الى طريق فرعيه و عره شديده الوعوره، مما جعل أصحابه يكابدون المشقات عند قطعها؛ و لم يكن الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم يهدف من الخروج عن الطريق العام إلا التملص من اصطدام أكيد بطلائع قريش، لأن المكوث فى موضع (عسفان) الذى وصله المسلمون، يؤدى الى اصطدام الفريقين، لاندفاع خياله قريش أمام قواتها الأصليه و اقترابها من مواضع المسلمين. و لو انسحبت قوات المسلمين إلى الخلف باتجاه المدينه، لطاردتهم قوات قريش أيضا، و فى هاتين الحالتين سيحصل الاصطدام الذى لا يريده الرسول صلوات الله و تسليمه عليه.

ص: ٢٨١

و لكن خروجه عن الطريق العام الى طريق فرعيه باتجاه مكه، جعل طلائع قريش تضطر الى الاسراع فى العوده أدراجها للدفاع عن مكه، لأن المسلمين هددوها تهديدا مباشرا و أصبحوا قريبين منها. و لم تكن حركة المسلمين على هذه الطريق خوفا من قوات قريش، لأن الذى يخاف عدوه لا يقترب من قاعدته (١) الأصليه و هى مركز قواته، بل يحاول الابتعاد عن قاعده العدو الأصليه حتى يطيل خطوط مواصلات (٢) العدو، و يذلك يزيد من صعوباته و مشاكله و يجعل فرصه النصر أمامه أقل من حاله الاقتراب من قاعدته الأصليه.

و عندما وصل الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم (الحديبيه) بقى مصرا على هدفه (السلام) الذى لم ينسه قط: أفسح المجال لمفاوضى قريش بالقدوم الى معسكر المسلمين فى كل وقت للتأكد من نيات المسلمين السلميه، و أرسل مفاوضين من المسلمين ليؤكدوا للمشركين صدق نياتهم السلميه.

و عندما هاجم قسم من المشركين معسكر المسلمين و رموهم بالنبل، حاول المسلمون حينذاك أن يلقوا القبض على المهاجمين دون أن يوقعوا بهم خسائر بالأرواح أو بالأموال؛ فاستطاعوا فعلا تطويقهم و القبض عليهم، ثم أطلقوا سراحهم و أعادوهم الى قريش دون أن يلحقوا بهم أى أذى.

ألا يدل ذلك على إصرار الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم على التفاهم مع قريش و إحلال السلم بين الطرفين؟

لقد لاحظنا فى هذه الغزوه دون غزوات الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم الأخرى، أنه لم يستشر أصحابه فى عقد الهدنه و استقل هو

- ١- القاعده: هي المنطقه التي يستند اليها الجيش قبل شروعه فى العمليات الحربيه، و القاعده نوعان: قاعده العمليات و قاعده التموين، و تتوحدان على الأغلب و يندر ان تكونا منفصلتين.
- ٢- خطوط المواصلات: هي الخطوط التي تربط الجيش بقاعدته.

ص: ٢٨٢

الرأى واضح جدا، فقد كان قرار الرسول صَلَّى الله عليه و سلم فى التشبث بالتفاهم مع قريش نهائيا و حاسما، و لا يحتاج مثل هذا القرار الى استشاره أحد.

إن الرسول صَلَّى الله عليه و سلم كان يتوخى من التفاهم مع قريش أهدافا بعيده جدا ليس من مصلحه الدعوه و لا من مصلحه المسلمين الإخبار عنها، و قد ظهرت أهدافه فيما بعد.

كانت قوات المسلمين فى الحديبيه ستمائه و ألف رجل، فأصبحت قواتهم يوم فتح مكه بعد عامين عشره آلاف رجل ... و شتان بين العديدين ... و هذا بعض ما فى صلح الحديبيه من فوائد للمسلمين.

فهل كان بإمكان الإسلام أن ينتشر بهذه السرعة فى مثل تلك الظروف، لو لم تضع الحرب أوزارها بعض الوقت و يتهدان الطرفان؟

٢- الضبط:

٢- الضبط (١):

لا أكاد أقرأ تفاصيل غزوه (الحديبيه كما ترويها كتب السير، إلا و أهتف من صميم نفسى: ما أعظم الضبط الذى كان يتحلى به الرسول صَلَّى الله عليه و سلم و أصحابه حينذاك!

لم يكن موقف الرسول صَلَّى الله عليه و سلم و المسلمين سهلا أثناء مفاوضات الهدنه و بعدها حتى عودتهم الى المدينه المنوره، فقد كان الرسول صَلَّى الله عليه و سلم يعرف أهدافه القريبه و البعيده و يعمل لتحقيقها بصبر و أناة و إصرار، و لكن كيف السبيل الى إفهام كل تلك الأهداف للمسلمين فى مثل تلك الظروف؟

١- الضبط: اصطلاح عسكري يقصد به الحاله العقليه التي تساعد الفرد على عمل واجبه باعتبار أنه ملزم بأدائه سواء كان مراقبا أو غير مراقب. أو القدره على حبس بعض الانفعالات غير الاعتياديه كالخوف و الغضب و الجوع ... الخ. و إنجاز العمل المطلوب بحرص و أمانه و إخلاص فى الحالات الصعبه.

ص: ٢٨٣

أما المسلمون، فما أصعب موقفهم! ...

لم يكن أحد منهم يشك في دخول مكة، فانهارت آمالهم أثناء المفاوضات.

و لم يكن أحد يفهم ما يبّر الهدنه، فشهدوا هذه الهدنه تصبح أمرا مفروغا منه.

و كانت عقيدتهم تطغى على كل شىء سواها، فوجدوا إخوانهم المستضعفين من المسلمين يردّون الى المشركين ليفتنوهم عن دينهم.

و لو كان المسلمون ضعفاء أو يشعرون بالضعف لهان الخطب، و لكنهم كانوا أقوياء ماديا و معنويا، فكيف يقتنعون بالهدنه فى شكلها و أسلوبها الذى كان؟

بينما كان الرسول صلّى الله عليه و سلم يكتب عقد الهدنه، جاء الى المسلمين أبو جندل - و هو ابن سهيل بن عمرو ممثل قريش فى المفاوضات - يرسف فى الحديد، فقد اعتنق الإسلام فلقى العذاب من أهله المشركين. فلما رأى سهيل ابنه ضرب وجهه و جعل يجزّه ليرده الى قريش، و أبو جندل يصيح بأعلى صوته: (يا معشر المسلمين، أوردّ الى المشركين يفتنوننى عن دينى)؟!

ليس من السهل احتمال المسلمين لمثل هذا الموقف حينذاك. و لكنهم احتملوه صابرين، على الرغم من بعض التذمر الخافت الذى كان يخالج بعض نفوس المسلمين، و الذى كان يثيره حرصهم الشديد على عزه الإسلام.

إن ضبط الرسول صلّى الله عليه و سلم أعصابه أثناء المفاوضات و بعدها على الرغم من تدمير بعض المسلمين. و ضبط المسلمين أعصابهم فى مثل ذلك الموقف على الرغم من حنق بعضهم على المفاوضات و الهدنه، كل ذلك يدل على تحلى المسلمين حينذاك بالضبط المتين بشكل يدعو الى الإعجاب الشديد.

ص: ٢٨٤

٣- الحياد المسلح:

٣- الحياد المسلح (١):

ما كاد عهد(الحديبيه) ييرم حتى حالفت خزاعه محمدا صلّى الله عليه و سلم و حالفت بنو بكر قريشا؛ فريح المسلمون حليفا قويا له أهميه خاصه لقرب دياره من قريش.

لقد كانت خزاعه تميل قلبيا الى المسلمين قبل اليوم، و كان الاسلام قد انتشر بين أفرادها، و لكنها لم تستطع أن تحالف المسلمين قبل هذه الهدنه، لأن ذلك يهدّد مصالحها الدينيه لوجود البيت الحرام بمكة التى تسيطر عليها قريش، هذا بالإضافة الى تهديد مصالحها الأخرى.

و الهدنه حرمت يهود(خيبر) من الأمل فى معاونه قريش لها، و قريش هى ألد أعداء المسلمين و ذلك حين يأتى موعد محاسبه

و الهدنه جعلت المنطقه الجنوبيه(جنوب المدينه) آمينه بالنسبه للمسلمين، و كانت هذه المنطقه أخطر ما يهدد الدعوه، لأن فيها قبائل قويه ذات حضاره و عقيده، بينما كانت قبائل الشمال حتى حدود العراق و الشام بدويه ممعنه فى البداوه.

فإذا أمنت هذه الهدنه الاستقرار الذى جعل الإسلام ينتشر بسرعه فائقه، و أمنت القوه و المنعه للمسلمين، فماذا أمنت لقريش؟

توخت قريش أهدافا سطحيه دفعتها اليها العصبية الجاهليه: هى ردّ المسلمين عن زياره البيت الحرام هذا العام ليعودوا لزيارته فى العام المقبل، و ردّ الذين يسلمون من قريش بدون رضى أوليائهم، حتى لا يكتر عدد المسلمين؛

١- الحياد المسلح: معنى الحياد فى القانون الدولى، الحاله القانونيه التى توجد فيها الدوله التى لا تشتبك فى حرب قائمه و تستبقى علاقاتها السلميه مع الطرفين المتحاربين، و الحياد المسلح كالحياذ العادى، إنما يتميز عن الحياد العادى بما يصدر عن الدوله المحايديه من إعلان عزمها على استعمال القوه للمحافظه على حياذها و منع الدول المحاربه من الاخلال به.

ص: ٢٨٥

و أن ينالوا بهذه الهدنه الاستقرار ليتفرغوا لتجارتهم، و هذا أهم هدف حيوى بالنسبه لقريش.

فماذا كانت النتيجة؟

وفد أبو بصير عته بن أسيد بن جاريه من مكه الى المدينه مسلما بغير رأى مولاه و هو ثقفى حليف لبنى زهره، فكتب أزهر بن عوف و الأخنس بن شريق الى النبى صلّى الله عليه و سلم كى يردده، و بعثا بكتابهما مع رجل من بنى عامر و معه مولى لهما.

قال النبى صلّى الله عليه و سلم:(يا أبا بصير! إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، و لا يصح لنا فى ديننا الغدر، و إن الله جاعل لك و لمن معك من المستضعفين فرجا و مخرجا، فانطلق الى قومك) ...

قال أبو بصير:(يا رسول الله! أتردنى الى المشركين يفتنونى فى دينى)؟

فكرّر الرسول صلّى الله عليه و سلم عليه قوله الأول.

انطلق أبو بصير مع الرجلين، حتى اذا كان بذى الحليفه (١)، سأل حارسه العامرى أن يريه سيفه، و ما أن استوت قبضته فى يده حتى علا به العامرى، فقتله؛ فعاد المولى يعدو ناحيه المدينه، حتى أتى النبى صلّى الله عليه و سلم، فلما رآه قال:(قتل صاحبى)! ثم ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحا السيف موجهها الحديث الى الرسول صلّى الله عليه و سلم:(يا رسول الله! وقت ذمتك و أدّى الله عنك. أسلمتنى الى القوم و قد امتنعت بدينى أن أفتن فيه أو يعث بي).

لم يخف الرسول صلّى الله عليه و سلم إعجابه به و تمنيه لو كان معه رجال، و قال النبى صلّى الله عليه و سلم لأصحابه عن أبى

بصير: (ويل أمه! مسعر حرب لو كان معه رجال)!

١- ذو الحليفة: قريه بينها وبين المدينه سته أو سبعة أميال، و هي ميقات أهل المدينه الذي يحرمون عنده للحج.

ص: ٢٨٦

أدرك أبو بصير أنه لا- مقام له في المدينه و لا مأمّن له في مكه، فانطلق الى ساحل البحر الى ناحيه تدعى (العيص) (١) و شرع يهدد قوافل قريش الماره بطريق الساحل أهم طرقها الى الشام.

و سمع المسلمون بمكه عن مقام أبي بصير و عن كلمه الرسول صَلَّى الله عليه و سلم فيه:

(مسعر حرب لو كان معه رجال)! فتجمعوا حول أبي بصير في مكمنه يشدون إزره، حتى اجتمع إليه قريش من سبعين مسلما فيهم أبو جندل بن سهيل ابن عمرو.

و أُلّف هؤلاء المعذبون في الأرض الناقمون على المشركين المستقتلون في سبيل عقيدتهم الذين لا ملجأ لهم إلا سيوفهم، و قد فروا من أهلهم و أموالهم بعقيدتهم و إيمانهم، أُلّف هؤلاء قوه مغاوير (٢) لا- تمر قافله لقريش إلا اغتموها و لا يرون رجلا من قريش إلا قتلوه.

و إذا بقريش تبعث الى الرسول صَلَّى الله عليه و سلم تسترحمه و تناشده الرّحم أن يؤوى إليه هؤلاء المسلمين الذين ضيقوا عليها الخناق، فلا حاجه لها بهم.

و بذلك نزلت قريش طائعه عن الشرط الذي اعتبرته نصرا لها و اعتبره المسلمون شرطا لا يناسب كرامتهم على أقل تقدير.

و هكذا حافظ المسلمون على عهودهم كلها، و انصرفوا الى نشر دعوتهم، بينما استمر مشردو المسلمين في التعرض على قريش، و هكذا بقى المسلمون محايدين و بقى الفارون بدينهم من قريش و القبائل المواليه لها مقاتلين؛ و بذلك تمّ الحياد المسلّح في أقوى مظاهره للإسلام.

١- العيص: موضع من ناحيه ذى المروه على ساحل البحر الأحمر بطريق قريش التي كانوا يسلكونها من مكه الى الشام في تجارتهم. أنظر التفاصيل في معجم البلدان ٦/ ٢٤٨.

٢- المغاوير: جمع مغوار، و المغوار هو الفدائي، يقابل كلمه: Commando الانكليزيه.

ص: ٢٨٧

٤- حرب الدعايه:

شَنّ المسلمون على قريش بخروجهم لزياره البيت العتيق، أضخم حرب للدعايه التي هي من أهم أركان الحرب الباردة.

لقد أظهروا تعظيمهم للبيت الحرام بصوره عمليه لا تقبل الشك و المماراه، فتسامع العرب بذلك؛ فلما أصرت قريش على رجوع المسلمين دون زياره المسجد الحرام، اعتبر العرب قريشا ظالمه للمسلمين، إذ ليس لها أن تحرم أحدا جاء لتعظيم البيت و زيارته.

و قد رأيت كيف أن قريشا أرسلت الحليس بن علقمه لمفاوضه الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم، فلما رأى الهدى فى الوادى، عاد أدراجه دون أن يقابل النبى صَلَّى اللهُ عليه و سلم و أخبر قريشا بما رأى و هددهم أعنف تهديد.

بل إن هذه الدعايه كادت أن تثير حربا أهليه داخل مكه بين قريش نفسها من جهه و بين قريش و الأحابيش من جهه أخرى.

أما عثمان بن عفان رضى الله عنه فقد استطاع أن يتصل بالمسلمين فى مكه حين بعثه الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم لمفاوضه قريش و يوجههم الى أهداف الإسلام الحيويه.

لقد كانت غزوه الحديبيه حرب دعايه من الطراز الأول.

نتائج الحديبيه

١- أهم نتائج غزوه الحديبيه هى ما يأتى:

أ- اعتبار المسلمين طرفا مساويا لقريش، و هذا أول اعتراف بالدوله الإسلاميه من أشد أعدائها و أقواهم فى الحجاز.

لقد كانت قريش تعتبر المسلمين من قبل عصاه شقوا عليها عصا الطاعه، و لم تكن تعتبرهم ندا لها قدرا و قيمه و قوه و مكانه.

ص: ٢٨٨

ب- أصبح المجال مفتوحا أمام الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم لمحالفه القبائل التى لم تكن تطمنن الى محالفته، لقوه قريش و لوجود الكعبه فى مكه، و بذلك قوى جانب المسلمين و كثر حلفاؤهم و ازدادت قوتهم الضاربه.

ج- التفريق بين قريش و حلفائها الطبيعيين يهود خيبر الذين كانوا لا ينفكون يحرضون القبائل على الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم.

د- الاستقرار الذى أَمِنَ التفرغ للدعوه و انتشار الإسلام.

هـ- نجاح المسلمين فى الحصول على الحياض المسلح: المسلمون محايدون و مشردوهم الذين فروا بدينهم من قريش و حلفائها مسلحون يقاتلون.

و- إثارة المسلمين للرأى العام ضد قريش لصدّها المسلمين عن زياره البيت الحرام و تعظيمه، مما أكسب المسلمين عطف كثير من القبائل و كثير من قريش نفسها و كثير من أهل المنطقه المجاوره لقريش، مما سهّل عمليه فتح مكه عليهم فيما بعد.

٢- هذه هى نتائج (الحديبيه)، و هى بعض أهداف الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم البعيده التى لم يستطع المسلمون إدراكها فى حينه، فلما عادوا الى المدينه و استقر بهم المقام هناك و رأو بعض تباشير هذه النتائج، قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه معبرا

عن رأى المسلمين: (لم يجلب نصر للإسلام ما جلب صلح الحديبيه).

ثم نزل فى هذا النصر قول الله تعالى: (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا) (١).

و بدأ المسلمون حينذاك يلمسون بعد نظر الرسول صلى الله عليه و سلم و تباشير ما بشرهم به من فتح قريب.

١- الآيه الكريمه من سوره الفتح ٤٨: ١.

ص: ٢٨٩

فتره الهدنه

اشاره

(لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِذْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسِكُمْ وَ مَقْصُرِينَ لَا تَخَافُونَ، فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا، فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا).

(القرآن الكريم)

ص: ٢٩٠

ص: ٢٩١

ثمرات الحديبيه

الموقف العام

١- المسلمون:

أتاح الاستقرار الذى كان من ثمرات هدنه الحديبيه للمسلمين، التفرغ للتبشير بالدعوه الإسلاميه داخل شبه الجزيره العربيه كلها و خارجها، فأوفد الرسول صلى الله عليه و سلم دعاته الى الملوک و الأمراء و الرؤساء النابهين يدعوهم الى الإسلام.

و قد أصبحت المنطقه الكائنه جنوب المدينه أمينه بالنسبه للمسلمين، و لم يبق أمام الرسول صلى الله عليه و سلم بعد الحديبيه غير خصمين: يهود فى منطقه (خيبر) و ما حولها، و الأعراب فى شمال المدينه المنوره.

و كان الموقف يتطلب القضاء على هذين الخصمين ليتفرغ المسلمون بعد إكمال حشد قواتهم الى خصمهم الأكبر: قريش، و الى هدفهم الرئيس: مكه المكرمه.

٢- المشركون:

لقد كسدت تجاره قريش قبل الهدنه، فأرادت بعد عقدها أن تعود الى إرسال قوافلها التجاربه على طريق مكه- الشام، بعد أن حرمت من سلوكها مده طويله.

و فعلا تحركت قوافلها الى الشام، و لكن أبا بصير و أصحابه المغاوير (١)

١- ترجمه لكلمه Commando الانكليزيه.

ص: ٢٩٢

الذين ردهم المسلمون الى قريش تنفيذًا لشروط هدنه الحديبيه؛ حدّوا حريه حركه قواقل قريش الى الشام، فأخذوا يتعرضون بكل قافله تمر بهم فيقضون على حراسها و يعبثون بأموالها، بعد أن تركوا أهلهم و أموالهم بمكه، و آثروا الجهاد دفاعا عن عقيدتهم على العوده الى أهلهم و ذويهم.

و لم تنعم قريش بنعمه الاستقرار إلا بعد أن سألت الرسول صلّى الله عليه و سلم بالحاح شديد أن يؤوى إليه أبا بصير و أصحابه متنازله بمحض إرادتها للمسلمين عن شرط الهدنه، الذى يقضى برّد المسلمين الذين يقصدون المدينه بدون موافقه أوليائهم الى قريش.

٣- يهود:

استمرّ يهود(خير) و ما جاورها على تحريض القبائل و جمع الأحلاف ضد المسلمين و قذف الإسلام بالنهم الباطله و إيواء أعداء المسلمين و الغدر بالمسلمين كلما وجدوا الى ذلك سبيلا.

لقد كانوا موطن خطر يهدد المسلمين فى شمال المدينه المنوره، و قد حرمتهم الهدنه من معاونه قريش، فاستمالوا غطفان لمعاونتهم عندما يتهدّدهم خطر المسلمين.

إنهم ينظرون الى مصلحتهم الخاصه، و لا يبالون لكى يحصلوا عليها أن يستخدموا آيه و سيله ...

الهدف الحيوى للمسلمين

إكمال حشد قوى المسلمين استعدادا لمعركه الإسلام الحاسمه ضد قريش.

ص: ٢٩٣

غزوه خيبر

١- أسباب الغزوه:

غزوه خيبر (١)

١- أسباب الغزوه:

أ- أسباب مباشره:

القضاء على تحريض القبائل العربيه يهود ضد المسلمين.

ب- أسباب غير مباشره:

القضاء على يهود نهائيا في منطقه المدينه المنوره للتخلص من أقوى أعداء المسلمين في المنطقه الشماليه، و لتكون تلك المنطقه أمينه عندما يحين موعد محاسبه قريش.

٢- قوات الطرفين:

أ- المسلمون:

ستمائه و ألف رجل بينهم مائتا فارس بقيادة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، و هي القوات التي حضرت غزوه (الحديبيه).

ب- يهود:

يهود خيبر الذين يقَدِّرون بألف و أربعمائه نسمة بقيادة سَلَام بن مشكم.

٣- الهدف:

القضاء على يهود للتخلص من المشاكل الخطيره التي يعملون على خلقها و إثارتها ضد المسلمين.

١- خيبر: ناحيه على ثمانيه برد من المدينه لمن يريد الشام. يطلق هذا الاسم على الولايه، و تشمل هذه الولايه على سبعة حصون و مزارع و نخل كثير. و أسماء حصونها: حصن ناعم، و القموص، و الشق، و حصن النطأه، و حصن السلاّم، و حصن الوطيح، و حصن الكتيبه. أما لفظ خيبر فهو بلسان يهود، معناه: الحصن. أنظر التفاصيل في معجم البلدان ٣/ ٤٩٥. و خيبر: نسبه الى خيبر بن مهلهل من العمالقه، و خرجت منه قبيله خيبر التي اعتنقت اليهوديه.

ص: ٢٩٤

٤- سير الحوادث:

أقام الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حوالى الشهر الواحد فى المدينه المنوره بعد عودته من (الحديبيه)، ثم تحرّك بأصحابه الى مواضع (الرجيع) من أرض غطفان، ليحول بين تعاون يهود خيبر و غطفان حلفائهم فى قتال المسلمين؛ إذ استطاع يهود أن يضمّنوا معاونه غطفان لهم إذا داهمهم الخطر، و بهذه الحركه استطاع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إيهاام غطفان بأن الهجوم موجّه ضدهم و أن قوات المسلمين توشك أن تطوّقهم.

و عاد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الى خيبر، و لكنه أرسل مفرزه من أصحابه لمباغته ديار غطفان بعد أن تركتها قوات غطفان الضاربه لمعاونه يهود. و نجحت هذه المفرزه فى إلقاء الرعب فى ديار غطفان، مما اضطر هذه القبيله الى الإسراع بالعوده الى ديارها لحمايتها من تهديد المسلمين، و تركت يهودا وحدهم أمام المسلمين. و هكذا نجحت خطه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى عزل يهود عن غطفان حلفائهم.

ب- القتال:

وصلت قوات المسلمين قريه (خيبر) ليلا، فلم يعرف يهود أنهم أصبحوا مطوّقين بقوات المسلمين إلا- عند خروج قسم من الفلاحين صباحا ليباشروا أعمالهم، فلما رأوا جيش المسلمين عادوا أدراجهم (1).

١- راجع قانون الحرب و الحياد من القانون الدولى: الحصار: الإحاطه بقريه أو بلد، سواء كانت محصنه أم غير محصنه مدافعا عنها أم غير مدافع، لمنع الدخول و الخروج منها حتى تضطر الى التسليم. و لا يؤثر على هذه القاعده، إن من نتائج الحصار تجويع سكان المنطقه غير المقاتلين من النساء و الأطفال، بل ليس من واجب القوات المحاصره إخطار أهل المنطقه بالحصار المزعم لتمكين المدافعين من إخلائها منهم، و لا من واجبها أن تسمح لهؤلاء بالخروج إذا طلب إليها ذلك، لأن بقاء هذا الفريق الكبير من المدنيين مع المدافعين عن المنطقه المحاصره يزيد فى متاعبها و يعجل فى التسليم. و ليس هناك مانع من أن يقوم المحاصرون بإجراءات أخرى تعجل فى سقوطها، كقطع موارد المياه و مهاجمتها بالسلح.

ص: ٢٩٥

و بدأ قتال المدن و الأحرش بين المسلمين و يهود، و لم يكن هذا القتال سهلا، لأن (خيبر) محصنه تكتنفها البساتين، و لأن يهود خيبر أقوياء مسلحون أغنياء.

أدخل يهود أموالهم و عيالهم حصنى (الوطيح) و (الساللم)، و أدخلوا ذخائرهم حصن (ناعم)، و دخلت قواتهم حصن (نطاه).

و ابتدأ هجوم المسلمين بشده من أول يوم للتأثير على معنويات يهود، حتى بلغ عدد جرحى المسلمين فى هذا اليوم خمسين جريحا.

و خرجت مفرزه من يهود لمقاتله المسلمين بالعراء بقيادة الحارث بن أبى زينب بعد أن قتل سلّام بن مشكم، و لكنّ الخزرج

اضطروهم بهجوم مضاد الى الالتجاء الى حصونهم.

و استمات المسلمون فى الهجوم، و استمات يهود فى الدفاع، إذ كانوا يعلمون علم اليقين أن اندحارهم معناه القضاء الأخير عليهم فى شبه الجزيره العربيه.

ركز المسلمون هجومهم الرئيس على حصن(ناعم) و بقيت قوات المسلمين الثانويه تشاغل الحصون الأخرى، كى تمنع قوات يهود من التعاون فيما بينها و تحرمها من معرفه اتجاه الهجوم الرئيس للمسلمين.

و استمر الهجوم العنيف على حصن(ناعم) ثلاثه أيام: بقى يهود داخل الحصن فى اليومين الأولين، و خرجوا منه فى اليوم الثالث للقتال خارجه بعد تشديد الحصار عليهم فى اليومين السابقين، فانتهز المسلمون فرصه خروجهم و دارت حول الحصن معركه فى العراء قتل فيها قائد يهود الحارث بن أبى زينب، فاستسلم حصن(ناعم) المنيع للمسلمين.

أثر سقوط هذا الحصن فى معنويات يهود، فاستسلم بعده حصن(القموص) بعد قتال عنيف، و لكنّ إعاشه المسلمين نفذت، فوجهوا هجومهم الرئيس على حصن الصعب بن معاذ الذى كان يهود قد كدّسوا فيه أرزاقهم و كثيرا من

ص: ٢٩٦

ص: ٢٩٧

ص: ٢٩٨

المواد الغذائيةه، فاستطاعوا الاستيلاء على هذا الحصن، و استفادوا من مواد الإعاشه المتيسره فيه، مما خفف عنهم و طأه المشكله الإداريه.

و استمات يهود بعد ذلك فى الدفاع عن حصونهم الأخرى، و الحق أن دفاعهم عن حصونهم كان دفاعا مستميتا!

و ركز المسلمون هجومهم على حصن(الزبير)، و لكنه استعصى عليهم؛ فقرروا قطع الماء عنه، و بذلك اضطروا يهود المدافعين فيه على الخروج عنه، فقاتلهم المسلمون فى العراء و قضاوا على أكثرهم، و ألجأوا الباقين من يهود الى الفرار.

و أخذت الحصون تسقط بالتعاقب بيد المسلمين، حتى سقطت الحصون كلها إلا حصن(الوطيح) و(الساللم)، و كانا آخر حصنين منيعين ليهود.

و تجمعت قوات المسلمين كلها حول هذين الحصنين، و ضيقوا الحصار عليهما، و حين ذاك طلب يهود الصلح على أن يحقن المسلمون دماءهم.

و قبل رسول الله صلّى الله عليه و سلم استسلامهم بشرط حقن دمائهم، و أبقاهم على أرضهم على أن يكون لهم نصف ثمرها مقابل عملهم فيها، لأن موقف المسلمين لم يكن يساعد على الاستغناء عن قسم من قواتهم لزراعه الأرض.

لقد كانوا بحاجة الى كل قادر على حمل السلاح للدفاع عن الإسلام.

٥- خسائر الطرفين:

أ- المسلمون:

واحد و عشرون شهيدا مع كثير من الجرحى. أنظر الملحق (ح).

ب- يهود:

كانت خسائرهم فى الأرواح كبيره جدا، كما خسروا أموالهم و أملاكهم.

ص: ٢٩٩

نهايه يهود فى شبه الجزيره العربيه

١- يهود فدك:

١- يهود فدك (١):

بعث الرسول صلى الله عليه و سلم بعد انتهاء معركة (خيبر) الى أهل (فدك) من يهود يدعوهم الى الاسلام أو الاستسلام للمسلمين، و كانت معنوياتهم ضعيفه جدا فصالحوا المسلمين بنفس شروط (خيبر) دون قتال.

٢- يهود وادى القرى:

٢- يهود وادى القرى (٢):

عاد المسلمون الى المدينه على طريق (وادى القرى) فأنجز يهود هناك استحضاراتهم للقتال.

و نشبت معركة محدوده استمرت بضع ساعات انتهت باستسلام يهود للمسلمين، حيث فتحت (وادى القرى) أبوابها عنوه فصالحهم الرسول صلى الله عليه و سلم على ما صالح عليه يهود (خيبر).

٣- يهود تيماء:

٣- يهود تيماء (٣):

استسلم يهود (تيماء) بدون قتال للمسلمين بنفس شروط يهود خيبر أيضا.

٤- النتائج:

القضاء على يهود عسكريا فى شبه الجزيره العربيه.

١- فدك: قريه فى الحجاز بينها و بين المدينه يومان و قيل ثلاثه. أنظر التفاصيل فى معجم البلدان ٦ / ٣٤٢. و هى فى شمال المدينه على طريق المدينه- تبوك- الشام.

٢- وادى القرى: واد بين المدينه و الشام من أعمال المدينه كثير القرى. أنظر التفاصيل فى معجم البلدان ٨ / ٣٧٥.

٣- تيماء: بلد فى أطراف الشام بين الشام و وادى القرى. أنظر التفاصيل فى معجم البلدان ٢ / ٤٤٢. و تقع فى شمال الحجاز.

ص: ٣٠٠

سرايا تأديب الأعراب

١- الهدف:

توطيد الأمن فى المنطقه الشماليه للمدينه المنوره بصوره خاصه، و منع غارات الأعراب على المدينه، و حمايه الدعاه من غدر القبائل.

٢- الحوادث:

اشاره

راجع الملحق المرفق، الملحق (ط).

أ- سريه عمر بن الخطاب الى تربه:

أ- سريه عمر بن الخطاب الى تربه (١):

بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم فى شعبان سنه سبع الهجريه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى ثلاثين رجلا الى عجز هوازن بتربه؛ فخرج و معه دليل من بنى هلال، فكان يسير الليل و يكمن النهار، فأتى الخبر هوازن فهربوا، فلم يلق عمر منهم أحدا، فانصرف راجعا الى المدينه المنوره.

ب- سريه أبى بكر الصديق الى بنى كلاب بنجد:

بعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ سَبْعِ الْهَجْرِيَةِ أَبَا بَكْرَ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى بَنِي كَلَابِ بْنِ جَدِّ نَاحِيَةِ (ضَرْيَه) (٢) فَهَاجَمَهُمْ فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ وَقَتْلَ مِنْهُمْ وَسَبَى آخَرِينَ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ.

١- تَرْيَه: وَادٌ بِالقَرَبِ مِنْ مَكَّةَ عَلَى مَسَافَةِ يَوْمَيْنِ مِنْهَا. انظُرِ التَّفَاصِيلَ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ ٢/ ٣٧٤ وَهِيَ بِنَاحِيَةِ الْعِبْلَاءِ عَلَى أَرْبَعِ لَيَالٍ مِنْ مَكَّةَ طَرِيقَ صَنْعَاءَ وَنَجْرَانَ. انظُرِ طَبَقَاتِ ابْنِ سَعْدٍ ٢/ ١١٧. وَتَقَعُ عَلَى بَعْدِ تَسْعِينَ مَيْلًا مِنْ جَنُوبِ شَرْقِيِّ الطَّائِفِ عَلَى الطَّرِيقِ الْعَامِ مِنْ نَجْدٍ إِلَى الْيَمَنِ.

٢- ضَرْيَه: قَرْيَةٌ فِي نَجْدٍ غَامِرَةٍ قَدِيمَةٍ عَلَى وَجْهِ الدَّهْرِ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ مِنَ الْبَصْرَةِ. انظُرِ التَّفَاصِيلَ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ ٥/ ٤٣٢.

ص: ٣٠١

ج- سَرِيَّةُ بَشِيرِ بْنِ سَعْدِ الْأَنْصَارِيِّ إِلَى فِدْكَ:

بعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ سَبْعِ الْهَجْرِيَةِ بَشِيرَ بْنَ سَعْدِ الْأَنْصَارِيِّ فِي ثَلَاثِينَ رَجُلًا إِلَى بَنِي (مَرْه) بِفِدْكَ، فَخَرَجَ يَلْقَى رِعَاءَ الشَّاءِ، فَسَأَلَ عَنْ بَنِي مَرْهَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُمْ بَوَادِيَهُمْ، فَاسْتَأْذَنَ النَّعْمَ وَالشَّاءَ وَانْحَدَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ.

وَخَرَجَ الصَّرِيخُ فَأَخْبَرَ بَنِي مَرْهَ، فَأَدْرَكُوا الْمُسْلِمِينَ عِنْدَ اللَّيْلِ، فَرَمَوْهُمْ بِالنَّبْلِ حَتَّى فَنَيْتَ نَبْلَ أَصْحَابِ بَشِيرٍ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا حَمَلُوا بَنِي مَرْهَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَقَتَلُوهُمْ وَجَرَحُوا بَشِيرًا حَتَّى ظَنَّ أَنَّهُ مَاتَ، وَلَكِنَّهُ عَادَ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ حَيْثُ شَفِيَ مِنْ جِرَاحِهِ هُنَاكَ.

د- سَرِيَّةُ غَالِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيِّ إِلَى الْمَيْفَعَةِ:

د- سَرِيَّةُ غَالِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيِّ إِلَى الْمَيْفَعَةِ (١):

بعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَمَضَانَ سَنَةِ سَبْعِ الْهَجْرِيَةِ غَالِبَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى عُوَالٍ وَبَنِي عَبِيدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ وَهُمْ بِالْمَيْفَعَةِ، وَبَعَثَ مَعَهُ مَائَةً وَثَلَاثِينَ رَجُلًا؛ فَهَجَمُوا عَلَيْهِمْ وَقَتَلُوا بَعْضَهُمْ وَلَمْ يَأْسُرُوا أَحَدًا، وَاسْتَأْذَنُوا نَعْمًا وَشَاءَ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ.

ه- سَرِيَّةُ بَشِيرِ بْنِ سَعْدِ الْأَنْصَارِيِّ إِلَى يَمَنِ وَجَبَارٍ:

ه- سَرِيَّةُ بَشِيرِ بْنِ سَعْدِ الْأَنْصَارِيِّ إِلَى يَمَنِ (٢) وَجَبَارٍ (٣):

بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ جَمْعًا مِنْ غَطَفَانَ بِالْجَنَابِ (٤) قَدْ وَاْعَدَهُمْ عَيْنِيَةَ بْنَ

١- الْمَيْفَعَةُ: هِيَ وَرَاءَ بَطْنِ نَخْلٍ إِلَى النَّقْرَةِ قَلِيلًا بِنَاحِيَةِ نَجْدٍ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ ثَمَانِيَةَ بَرَدٍ. انظُرِ طَبَقَاتِ ابْنِ سَعْدٍ ٢/ ١١٩.

- ٢- يمن: ماء لغطفان على الطريق بين تيماء وفيد. انظر التفاصيل في معجم البلدان ٨ / ٥٢٤.
- ٣- جبار: ماء لبني حميس من قضاة بين المدينة وفيد. انظر التفاصيل في معجم البلدان ٣ / ٤٣.
- ٤- جناب: موضع بعراض خيبر و سلاح و وادى القرى. انظر التفاصيل في معجم البلدان ٣ / ١٤١، و طبقات ابن سعد ٢ / ١٢٠.

ص: ٣٠٢

حصن ليكون معهم فى الزحف الى المدينة، فدعا رسول الله صلى الله عليه و سلم بشير بن سعد فى شوال سنة سبع الهجرية و عقد له لواء و بعث معه ثلاثمائة رجل، فساروا الليل و كمنوا النهار حتى أتوا(يمن) و(جبار) و هى نحو(الجناب)، فنزلوا ب(سلاح) (١) ثم دنوا من القوم فأصابوا لهم نعماً كثيراً. و تفرق الرعاء فحدّروا القوم فتفرقوا و خرج بشير حتى أتى منطقتهم فلم يجد فيها أحداً، فرجع بالنعم و أصاب منهم رجلين أسرهما و قدم بهما المدينة فأسلما.

و- سرية ابن أبى العوجاء السلمى الى بنى سليم:

بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم فى ذى الحجة سنة سبع الهجرية ابن أبى العوجاء السلمى فى خمسين رجلاً الى بنى سليم، فخرج إليهم، فتقدّمه عين لهم كان محدّرههم، فحشدوا جمعهم و قاتلوا المسلمين و أهدقوا بهم من كل ناحية؛ فقاتل المسلمون قتالاً شديداً حتى قتل عامتهم و أصيب ابن أبى العوجاء جريحاً مع القتلى، ثم تحامل حتى بلغ المدينة فى أول يوم من صفر سنة ثمان الهجرية.

ز- سرية غالب بن عبد الله الليثى الى بنى الملوّح بالكديد:

ز- سرية غالب بن عبد الله الليثى الى بنى الملوّح بالكديد (٢):

بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم فى صفر سنة ثمان الهجرية غالب بن عبد الله الليثى ثم أحد بنى كلب بن عوف فى سرية مؤلفه من بضعة عشر رجلاً، و أمرهم أن يشنوا الغارة على بنى الملوّح بالكديد، و هم من بنى ليث.

و خرج غالب حتى إذا كان(بقديد) (٣) لقي رجلاً زعم أنه خرج الى رسول الله صلى الله عليه و سلم يريد الإسلام، فحجزه غالب و قال له: (إن تكن مسلماً لم يضررك رباطنا يوماً و ليله، و إن تكن على غير ذلك نستوثق منك)، و بذلك قطع غالب دابر احتمال أن يكون هذا الرجل عينا لبني الملوّح.

١- سلاح: موضع اسفل من خيبر. انظر التفاصيل فى معجم البلدان ٥ / ١٠١.

٢- الكديد: موضع بالحجاز على اثنين و أربعين ميلاً من مكة. انظر معجم البلدان ٧ / ٢٢٤.

٣- قديد: اسم موضع قرب مكة. انظر معجم البلدان ٧ / ٣٨.

ص: ٣٠٣

و سار المسلمون حتى أتوا(الكديد) عند غروب الشمس، فكمنوا في ناحية الوادي، فلما نام بنو الملوح شنوا عليهم الغاره و استاقوا النعم، و عادوا الى المدينه المنوره.

ح- سرية غالب بن عبد الله الليثي الى فدك:

بعث رسول صلى الله عليه و سلم في صفر سنة ثمان الهجريه غالب بن عبد الله الليثي في مائتي رجل معهم أسامه بن زيد الى مصاب أصحاب بشير بن سعد. راجع ما جاء منها في الفقره(ج).

فخرج غالب و خطب أصحابه فقال:(لا تعصوني، فإن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال:

(من أطاع أميري فقد أطاعني، و من عصاه فقد عصاني، و إنكم متى ما تعصوني تعصون نبيكم)، فأغار المسلمون على بني(مره) مع الصبح فقتلوا منهم قتلى و أصابوا منهم نعمًا ثم عادوا الى المدينه، و قد أعطوا بني مره درسا قاسيا لقتلهم سرية بشير بن سعد.

ط- سرية شجاع بن وهب الأسدي الى بني عامر بالسبي:

ط- سرية شجاع بن وهب الأسدي الى بني عامر بالسبي (1):

بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم في ربيع الأول سنة ثمان الهجريه شجاع بن وهب الأسدي في أربعة و عشرين رجلا الى جمع من هوازن ب(السبي) ناحيه(ركبه) (2) من وراء(المعدن) (3) و أمره أن يغير عليهم، فسار المسلمون ليلا و كمنوا نهارا حتى صبحوهم و هم غارون، فأصابوا نعمًا كثيرا و شاء، فاستاقوا ذلك حتى قدموا المدينه بعد أن غابت السريه خمس عشره ليله.

١- السبي: معناه السواء و منه هماسيان، و هي علم لفلاه على جاده البصره الى مكه بين الشبيكه و الوجره، و هي في نجد. انظر معجم البلدان ٢٠٣/٥.

٢- ركبه: هي من أرض بني عامر بين مكه و العراق. انظر معجم البلدان ٢٧٨/٤.

٣- المعدن: معدن الهرده بنجد في ديار بني كلاب. انظر معجم البلدان ٢٩٤/٨.

ص: ٣٠٤

ي- سرية كعب بن عمير الغفاري الى ذات أطلاق:

ي- سرية كعب بن عمير الغفاري الى ذات أطلاق (1):

بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم في شهر ربيع الأول سنة ثمان الهجريه كعب بن عمير الغفاري في خمسة عشر رجلا حتى انتهوا الى(ذات أطلاق) من أرض الشام، فوجدوا جمعا من المشركين فدعوهم الى الاسلام فلم يستجيبوا لهم و رشقوهم بالنبل؛

فلما رأى ذلك أصحاب رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم قاتلوهم أشد القتال حتى قتلوا و أفلت منهم رجل جريح فى القتلى، فلما برد عليه الليل تحامل حتى أتى رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، فأخبره الخبر فشقّ عليه ذلك. و همّ أن يبعث إليهم من يؤدبهم لو لا أنه علم بأنهم ارتحلوا الى موضع آخر.

٣- النتائج:

أ- توطيد هيبه المسلمين فى المنطقه الشماليه (شمال المدينه).

ب- حمايه الدعاه من غدر القبائل بهم.

ج- انتشار الاسلام بين القبائل الشماليه.

غزوه مؤته

١- أسباب الغزوه:

غزوه مؤته (٢)

١- أسباب الغزوه:

أ- تأديب الأعراب الذين غدروا بدعاه المسلمين ب(ذات أطلاق) على حدود الشام.

ب- تأديب شرحبيل بن عمرو الغسانى عامل هرقل (٣) فى القسطنطينيه على

١- ذات أطلاق: موضع من وراء ذات القرى الى المدينه.

٢- مؤته: قريه من قرى البلقاء فى حدود الشام. انظر التفاصيل فى معجم البلدان ٨ / ١٩٠ و هى بأدنى البلقاء، و البلقاء دون دمشق.

انظر طبقات ابن سعد ٢ / ١٢٨. و هى قريه من قرى الكرك، و لما كان الكرك بدايه مقاطعه مؤاب، فهى من مؤاب.

٣- امبراطور الروم و عاصمه ملكه القسطنطينيه.

ص: ٣٠٥

(بصرى) و من ينصره من القبائل، لسكوته عن اغتيال حامل رساله الرسول صَلَّى الله عليه و سلم إليه.

٢- قوات الطرفين:

أ- المسلمون:

ثلاثة آلاف مسلم بقياده زيد بن حارثة الكلبي فجعفر بن أبي طالب فعبد الله بن رواحه بالتعاقب.

ب- المشركون و الروم:

مائه ألف من الروم بقياده هرقل قيصر الروم و مثلها من القبائل المواليه بقياده شرحبيل بن عمرو الغساني، كما نذكر كثير من المصادر التاريخيه، و لكنني أعتقد أن هذا العدد مبالغ فيه كثيرا و أن الجيش لم يكن بقياده هرقل نفسه، بل بقياده أحد قادة جيوشه.

٣- الهدف:

تأديب القبائل لغدرها بالمسلمين، و إظهار قوه المسلمين للروم و القبائل المتاخمه للشام، و لاستطلاع قوه و كفايه قبائل الحدود المتاخمه لأرض الشام، و قوه و كفايه الروم أيضا، و طبيعه الأرض هناك.

٤- سير الحوادث:

أ- الأعمال التمهيديه:

خرج المسلمون في جمادى الأولى من السنه الثامنه الهجريه، فودّعهم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ و المسلمون و أوصاهم: (ألا يقتلوا النساء و الأطفال و لا المكفوفين و ألا يهدموا المنازل و لا يقطعوا الأشجار).

وصلت قوات المسلمين (معان) (١) من أرض الشام، و لكنّ أنباء حركتهم

١- معان: مدينه في طرف باديه الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء. انظر التفاصيل في معجم البلدان ٨/ ٩٣.

ص: ٣٠٦

ص: ٣٠٧

وصلت الى الروم قبل وصول المسلمين إليهم، فحشدوا قواتهم في (مآب) (١) من أرض البلقاء. فلما علم المسلمون بأمر جموع الروم المتفوقه على قواتهم فواقا ساحقا، تذاكروا بينهم، فرأى بعضهم أن يكتبوا الى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ يخبرونه بالموقف الراهن و يتلقوا أوامره النهائيه؛ و لكنّ أكثرهم رأى أن يمضوا الى هدفهم مهما تكن النتائج. قال لهم عبد الله بن رواحه: (يا قوم! و الله إنّ التي تكروهون للتي خرجتم تطلبون: الشهاده، و ما نقاتل الناس بعدد و لا قوه و لا كثره، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به؛ فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسينين: إما ظهور و إما شهاده) ...

قال الناس: (صدق ابن رواحه).

ب- القتال:

تحرك المسلمون نحو جيوش الروم و حلفائهم من القبائل فحصلوا على التماس الأول في قريه(مشارف) (٢) بتخوم البلقاء.

و لكنّ المسلمين رأوا أن منطقته قريه(مؤته)- بين الكرك و الطفيله- أنسب لقبول المعركة فيها، و ذلك لوجود العوارض الطبيعية التي يستطيعون التحصن بها نظرا لقله قوتهم بالنسبه الى الأعداء.

بدأ القتال بين قوتين غير متكافئتين عددا و عددا، و قد لاحظ المسلمون تفوق الروم و حلفائهم عليهم، و لكنهم لم يكثرثوا بذلك.

و بدأ هجوم المسلمين باندفاع زيد بن حارثه رضى الله عنه بالرايه إلى صفوف العدو، فحارب مستقتلا مستميتا حتى مزقته رماح العدو.

١- مآب: مدينه فى طرف الشام من نواحي البلقاء. انظر التفاصيل فى معجم البلدان ٧ / ٢٤٩. و مآب، مؤاب: لواء الكرك حاليا فى الاردن. و ليست هناك بلده باسم مآب، إلا أن تكون الكرك، إذ كان اسمها قديما(كيرك مؤابا abaoM karehC).

٢- مشارف: قري قرب حوران منها بصرى من الشام ثم من أعمال دمشق. انظر التفاصيل فى معجم البلدان ٨ / ٦٠.

ص: ٣٠٨

و تناول الرايه جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه و اندفع بها فأصيبت يده اليمنى، فتناول الرايه بشماله فقطعت أيضا، فاحتضن الرايه بعضديه حتى استشهد.

و أخذ عبد الله بن رواحه الرايه، فقاتل بها حتى قتل أيضا.

و تناول الرايه ثابت بن أقرم البلوى، فهتف بالمسلمين:(يا قوم اصطلحوا على رجل منكم) ...

و اصطلح الناس على خالد بن الوليد رضى الله عنه.

ج- الانسحاب (١):

قرّر خالد بن الوليد رضى الله عنه الانسحاب من هذه المعركة لانقاذ قوات المسلمين من المأزق الحرج الذى وقعوا فيه، و استفاد من حلول الظلام، فأعاد تنظيم قواته و ألف مؤخره قويه لحمايه الانسحاب.

قامت مؤخره المسلمين بقتال التعويق لإحباط مطارده العدو للمسلمين و إنقاذ القسم الأكبر من قوات المسلمين من التطويق الذى يعقبه الفناء، و قد انتشرت مؤخره المسلمين فى جبهه واسعه و أحدثت ضجه عاليه لإيهام العدو بقدوم إمدادات جديده للمسلمين، و لحرمان العدو من معرفه انسحاب قوات المسلمين حتى لا يطاردها العدو فيكبدها خسائر فادحه، و بذلك استطاعت هذه المؤخره النجاح فى مهمتها، فلم يتكبد المسلمون فى انسحابهم خسائر تذكر على الرغم من أن حركة الانسحاب من أصعب الحركات العسكريه، لاحتمال انقلاب الانسحاب إلى هزيمه، و الهزيمه كارثه تؤدى إلى خسائر فادحه بالمنهزمين (٢).

- ١- الانسحاب: تعبير عسكري يقصد به التملص من القتال بالحركة الى الخلف انتظارا لظروف مناسبة لاستئناف التعرض.
- ٢- مما يذكر أن قاده الالمان كانوا يدرسون خطه انسحاب خالد بن الوليد هذه، و لهم دراسات مفصله عن هذه الخطه، و على رأسها دراسه مولتكه و شليغن عن هذه الخطه.

ص: ٣٠٩

و عاد المسلمون إلى المدينه ليستقبلهم أهل المدينه من المسلمين يحثون التراب في وجوههم قائلين لهم:(يا فرّار! أفررتم في سبيل الله)؟!

و لكنّ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ أجابهم:(إنهم ليسوا بالفرار، و لكنهم الكزّار إن شاء الله).

٥- خسائر الطرفين:

أ- المسلمون:

استشهد من المسلمين اثنا عشر رجلا. انظر الملحق(ى).

ب- الروم و المشركون:

كانت خسائرهم أضعاف خسائر المسلمين مما أثر في معنوياتهم، و لذلك لم يقوموا بمطارده المسلمين مطارده حاسمه تقضى على قواتهم كلها.

٦- النتيجة:

كانت معركة(مؤته) معركة استطلاعيه أفادت المسلمين كثيرا في معرفه خواص قوات الروم و أساليب قتالها، و خواص حلفائها من القبائل و أساليب قتالهم و قوتهم، فأفادوا من هذه المعلومات في قتالهم بعد ذلك ضد الروم.

و لا- تعدّ خسائر المسلمين الطفيفه شيئا يذكر بجانب الفائده العسكريه التي أفادوها من الاطلاع على خواص قوات الروم و حلفائها و تنظيمها و تسليحها و أساليب قتالها، مما سنرى أثره في المعارك التي خاضها المسلمون فيما بعد.

غزوه ذات السلاسل

١- أسباب الغزوه:

غزوه ذات السلاسل (١)

١- أسباب الغزوه:

أ- أخذ ثأر المسلمين من القبائل التي اشتركت في غزوه (مؤته)، و هي من لخم و جذام و بلقين و بهراء و بلي و طي و عذره.

١- ذات السلاسل: وراء وادي القرى بينها و بين المدينة عشره أيام. انظر طبقات ابن سعد ٢ / ١٣١.

ص: ٣١٠

ب- ضرب حشود قضاة الذين اعترمو مهاجمه المسلمين في المدينة.

٢- سير الحوادث:

اشاره

قرّر الرسول صلّى الله عليه و سلم بعد عوده المسلمين من غزوه (مؤته) أن يسترد هيبه المسلمين في المنطقه الشماليه للمدينه المنوره، فأرسل عمرو بن العاص يستنفر العرب الى الشام؛ و ذلك لأن والده عمرو من قبائل تلك المنطقه، فمن السهل عليه أن يستميلهم الى جانبه.

فلما وصل ماء (ذات السلاسل) من أرض جذام، خشى كثره عدوه، فطلب من الرسول صلّى الله عليه و سلم أن يمدّه بالرجال، و بقي ينتظر المدد في موضع (ذات السلاسل).

بعث الرسول صلّى الله عليه و سلم جيشا من المهاجرين الأولين في مائتين: فيهم أبو بكر و عمر بقياده أبي عبيده بن الجراح رضى الله عنهم، و أمره حين و جّهه نجده لعمرو: (ألا يختلفا و أن يكونا جميعا).

و لما وصل أبو عبيده بن الجراح، قال له عمرو: (إنما جئت مددا لي).

قال أبو عبيده: (لا، و لكنني على ما أنا عليه، و أنت على ما أنت عليه)!

قال عمرو: (أنت مدد لي).

قال أبو عبيده: (يا عمرو! إن رسول الله قال لي: لا تختلفا، و إنك إن عصيتني أطعتك) ...

أخذ عمرو يطارد القبائل المواليه للروم، فتوغل في ديار قبائل بلي و عذره و بلقين و طي، و كلما انتهى الى موضع فرّت القبائل التي كانت فيه، و استطاع مره واحده الاصطدام بجموع من القبائل، و لكنها فرّت لا تلوى على شيء! ...

و بذلك شت عمرو بن العاص جموع قبائل الشام، و أعاد هيبه المسلمين الى نفوس القبائل القاطنين هناك.

ص: ٣١١

سريه الخبط (١)

بعث رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم فى رجب سنه ثمان الهجريه أبا عبيده بن الجراح رضى الله عنه فى ثلاثمائه رجل من المهاجرين و الأنصار و فيهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه، الى حى من جهينه ب(القبليه) (٢) مما يلى ساحل البحر الأحمر، فأصابهم فى الطريق جوع شديد، فأكلوا الخبط و ابتاع قيس بن سعد جزرا و نحرها لهم و انصرفوا و لم يلقوا كيدا.

سريه أبا قتاده الأنصارى إلى خضره

سريه أبا قتاده الأنصارى إلى خضره (٣)

بعث رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم فى شعبان سنه ثمان الهجريه أبا قتاده بن ربعى الأنصارى و معه خمسة عشر رجلا الى غطفان، و أمره أن يشن عليهم الغاره، فسار الليل و كمن النهار، ثم هجم على حاضر (٤) منهم عظيم فأحاط بهم، فصرخ رجل منهم: يا خضره! و قاتل منهم رجال فقتل المسلمون بعضهم و استاقوا النعم و الشاء و عادوا الى المدينه بعد أن غابوا عنها خمس عشره ليله.

سريه أبا قتاده الأنصارى إلى بطن إضم

سريه أبا قتاده الأنصارى إلى بطن إضم (٥)

لما هم رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم بغزو أهل مكه، بعث أبا قتاده الأنصارى فى أول

١- الخبط: ورق الشجر.

٢- القبليه: سراه فيما بين المدينه و ينبع، ما سال منها الى ينبع سمي بالغور، و ما سال منها الى أوديه المدينه سمي بالقبليه. راجع التفاصيل - فى معجم البلدان ٢٩ / ٧، و هى مما يلى ساحل البحر، بينها و بين المدينه خمس ليال. انظر طبقات ابن سعد ١٣٢ / ٢.

٣- خضره: أرض محارب فى نجد. انظر طبقات ابن سعد ١٣٢ / ٢.

٤- حاضر: من رمال الدهناء، و الحاضر فى الأصل خلاف البادى، و الحاضر الحى العظيم. انظر معجم البلدان ١٩٩ / ٣.

٥- إضم: بين ذى خشب و المروه، و بينها و بين المدينه ثلاثه برد. انظر طبقات ابن سعد ١٣٣ / ٢.

ص: ٣١٢

شهر رمضان سنه ثمان الهجريه فى ثمانيه نفر سريه الى بطن (إضم) فيما بين (ذى خشب) و(ذى المروه) و بينها و بين المدينه

ثلاثه برد، ليظن ظان أن رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم توجه الى تلك الناحيه حتى تذهب بذلك الأخبار فلا- يعرف المشركون نياته الحقيقيه في مهاجمه أهل مكه.

وصلت السريه هدفها دون أن تلقي كيدا، فلما بلغهم أن المسلمين توجهوا الى مكه انصرفوا حتى لقوا النبي صَلَّى الله عليه و سلم.

دروس من ثمرات الهدنه

١- القضايا التعبويه:

أ- المباغته:

حركه الرسول صَلَّى الله عليه و سلم الى اتجاه(الرجيع) و عودته الى(خيبر) و قيامه بارسال مفرزه صغيره الى ديار غطفان ليجبرها على العوده لحمايه أموالها و ذراريتها و النكوص عن معاونه حلفائها يهود في محتهم، أدى الى إيهاام غطفان بأن الرسول صَلَّى الله عليه و سلم يريدهم بقواته، و إيهاام يهود بأنه يريد غطفان و لا يريدهم، كل ذلك كان مباغته كامله لليهود و غطفان على حد سواء.

كما يعتبر مسير اقتراب (١) قوات المسلمين الى(خيبر) و وصولها ليلا الى منطقه(خيبر) دون أن يستطيع يهود معرفه وصولها، يعتبر ذلك مثلا متميزا لضبط المسير و مباغته فذه لليهود.

هذه المباغته في المكان و الزمان حالت دون تعاون يهود مع حلفائهم و ضمنت النصر للمسلمين عليهم، بالرغم من استقتالهم و رصانه حصونهم و تيسر قضاياهم الإداريه بشكل متميز للغاية.

١- مسير الاقتراب: تعبير عسكري يقصد به تقدّم القوه لمجابهه عدو احتل موضعا دفاعيا أو في حاله المسير.

ص: ٣١٣

ب- قتال المدن و الأحرش:

خطه الرسول صَلَّى الله عليه و سلم في الاستيلاء على حصون يهود المنيعه، كانت تتلخص بمشاغله بعضها بقوات صغيره، و تركيز الهجوم على حصن واحد بقواته الرئيسه، حتى يتم له الاستيلاء على الحصن، ثم ينتقل بهجومه المركز الى حصن آخر.

كما أنه قسّم قواته الى أقسام بالنسبه الى قبائلها و بطونها، و جعل لكل قسم منها قائدا، حتى يشتد التنافس بين القوات، و لكي يقوم بعضها بالمشاغله بينما يأخذ الباقي قسطه من الراحة ليستأنف القتال مرتاحا عند الحاجه.

إنّ هذه الخطه تتفق مع أحدث الخطط العسكريه الحديثه في قتال المدن و الأحرش.

و لو أنه قاتل بأسلوب (الكر و الفر)، أو بأسلوب (الصفوف) في مثل هذا الموقف، لما كتب للمسلمين النصر على يهود.

ج- الانسحاب:

يعتبر نجاح خالد بن الوليد رضى الله عنه في انسحابه من (مؤته) تجاه قوات متفوقه على قوته فواقا ساحقا، يعتبر هذا الانسحاب عملا عسكريا فذا.

كما أن أسلوب قتال مؤخره قوات المسلمين كان رائعا حقًا: احتلت جبهه واسعه لتجبر العدو على الانفتاح على جبهه واسعه أيضا، مما يضعف قواته، و أثارت تلك المؤخره ضججه عظيمه، مما جعل العدو يعتقد بوجود قوات كبيره للمسلمين جاءت مددا لهم.

كل ذلك أنقذ قوه القسم الأكبر (1) للمسلمين من التطويق، و سهّل عليهم عمليه الانسحاب.

١- القسم الأكبر: تعبير عسكري يقصد به القوه الرئيسه التى تعمل مفارز الحمايه المتقدمه على حمايته من مباغته العدو.

ص: ٣١٤

٢- المعنويات:

أثرت عمره القصاء فى معنويات قريش تأثيرا كبيرا.

وقف كثير من قريش عند دار الندوه بمكه، كما عسكر آخرون فوق الجبال و الهضاب المحيظه بها ليشاهدوا دخول الرسول صلى الله عليه و سلم و أصحابه مكه و البيت الحرام و سعيهم بين الصفا و المروه.

فلما دخل رسول الله صلى الله عليه و سلم المسجد اضطجع بردائه و أخرج عضده اليمنى ثم قال: (رحم الله امرءا أراهم اليوم من نفسه قوه) ثم استلم الركن و أخذ يهرول و يهرول أصحابه معه حتى واره البيت عن قريش.

و التطواف بهذه السرعة إظهار لقوه المسلمين و تكذيب لإشاعات الضعف التى زعمتها قريش للناس.

فى هرول و هرول أصحابه حين سعوا بين الصفا و المروه.

و نحر الرسول صلى الله عليه و سلم و أصحابه الهدى عند المروه، ثم بقى بمكه ثلاثه أيام و عاد بعدها الى المدينه، و هو لا يشك بتأثير ما رآته قريش من قوه المسلمين و من ضبطهم و إطاعتهم للرسول صلى الله عليه و سلم و من تعظيمهم للبيت الحرام فى معنويات قريش، فلم يكذب بترك مكه حتى وقف خالد بن الوليد رضى الله عنه يقول فى جمع من قريش قائلا: (لقد استبان

لكل ذى عقل أن محمدا ليس بساحر و لا شاعر، و أن كلامه من كلام رب العالمين، فحقّ على كل ذى لب أن يتبعه).

و سمع أبو سفيان بن حرب بما كان من قول خالد بن الوليد، فبعث فى طلبه و سأله عن صحه ما سمع عنه، فأكد له خالد صحته،

فاندفع أبو سفيان الى خالد في غضبه، فحجز عنه عكرمه بن أبي جهل و كان حاضرا! و قال:

(مهلا يا أبا سفيان! فو الله خفت أن أقول مثل ما قال خالد و أكون على دينه.

ص: ٣١٥

أنتم تقتلون خالدا على رأى رآه، و هذه قريش كلها تبايعت عليه، و الله لقد خفت ألا يحول الحول حتى يتبعه أهل مكة كلهم).

و أسلم من بعد خالد عمرو بن العاص و حارس الكعبة نفسها عثمان بن طلحة رضى الله عنهم؛ بل ظهر الإسلام فى كل بيت من قريش سرا و علانية.

إنَّ عمره القضاء فتحت أبواب قلوب أهل مكة قبل أن يفتح المسلمون أبواب مكة نفسها بعد حين.

٣- الأمانة:

أ- حرص المسلمون على الوفاء بعهودهم كل الحرص، و لم يحاولوا بتاتا أن ينتهزوا الفرص السانحة للقضاء على خصومهم حرصا على الوفاء بتلك العهود.

كان بإمكان المسلمين احتلال مكة فى أيام عمره القضاء و البقاء فيها، و فعلا أراد عبد الله بن رواحه رضى الله عنه أن يقذف فى وجه قريش بصيحه الحرب، فصده عمر بن الخطاب رضى الله عنه و صده الرسول صلى الله عليه و سلم.

ب- كان المسلمون فى غزوه خيبر يعانون أشد العناء من نقص فى مواد إعاشتهم حتى جاءت جماعه من المسلمين الى الرسول صلى الله عليه و سلم يشكون اليه قله مئونتهم و يطلبون اليه إعطاءهم ما يسدون به رمقهم، فلم يجد شيئا يعطيهم إياه، و أذن لهم بأكل لحوم الخيل على ندرتها و قيمتها العسكريه الكبيره حين ذاك.

فى هذا الموقف العصيب، أقبل عبد حبشى بغنمه على رسول الله صلى الله عليه و سلم فأسلم، ثم قال: (يا نبي الله! إن هذه الغنم عندى أمانه)، و كانت هذه الغنم تعود الى يهودى من (خيبر). قال له الرسول صلى الله عليه و سلم: (أخرجها من عندك و ارمها بالحصباء، فإن الله سيؤدى عنك أمانتك) ...

فعل العبد ما أمره به الرسول صلى الله عليه و سلم، فرجعت الغنم الى صاحبها، فعلم اليهودى أن غلامه أسلم.

ص: ٣١٦

إنَّ مثل هذه الأمانة فى مثل هذا الموقف تدعو الى الإعجاب و التقدير الشديدين.

٤- إكمال الحشد:

أ- الهدف:

حشد أكبر قوه ممكنه من المسلمين للقيام بالعمل الحاسم: فتح مكه و توحيد شبه الجزيره العربيه، لتكون القاعده الأمينه لحركات المسلمين المقبله، لنشر الإسلام بين الناس كافه، و تأسيس الدوله الإسلاميه.

ب- عوده مهاجرى الحبشه:

التجأ قسم من المسلمين الى الحبشه قبل هجره الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الى المدينه فرارا من أذى قريش، و بقوا هناك بضعه عشر عاما، حتى أصبح سلطان المسلمين قويا، و لم يبق هناك مبرر لبقائهم فى الحبشه بعيدين عن إخوانهم المسلمين الذين يحتاجون لمعاونتهم فى نشر الدعوه و توطيد دعائم الإسلام.

و فعلا- بعث الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الى النجاشى يطلب إليه إعاده مهاجرى الحبشه، فعادوا الى المدينه بعد فتح (خيبر) مباشره، وفرح المسلمون بقدوم هؤلاء المهاجرين، و اندمجوا بقوات المسلمين ليقوموا بواجبهم فى الجهاد.

٥- نشر الاسلام:

دعوه الملوك و الأمراء و الرؤساء للإسلام.

راجع الملحقين المرفقين الملحق (ك) و الملحق (ل) حول دعوه الملوك و الأمراء و الرؤساء المسيطرين على البلاد العربيه حين ذاك، من النصرارى الذين كانوا يدينون بدين الروم، و من المجوس الذين كانوا يدينون بدين الفرس.

لقد أتاحت مكاتبات الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهؤلاء الفرصه لانتشار الإسلام خاصه فى

ص: ٣١٧

منطقه البحرين و فى اليمن، كما أتاحت الفرصه لعدد عظيم من الناس أن يعرفوا أهداف الدين الجديد و غاياته، مما جعل قلوب كثيرين منهم تهوى إليه سواء تظاهروا بذلك أم أبقوه فى طى الكتمان.

إن انتشار الاسلام فى اليمن له أهميه خاصه من الناحيه العسكريه، فقد جعل قريشا مطوقه بالمسلمين من الشمال و الجنوب.

و بذلك تقرر مصير مكه و قريش نهائيا.

٦- القضايا الاداريه:

أ- الإعاشه:

كانت مواد الإعاشه قليله جدا عند المسلمين فى غزوه (خيبر)، فجاج قسم منهم، و لم يجد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ شيئا عنده ليسد به رمقهم، و لكنّ تداعى حصون (خيبر) التى تكدست فيها الأرزاق و استسلامها للمسلمين حَسَنَ موقف الإعاشه عند المسلمين.

أما يهود فقد كان موقف إعاشتهم متميزا.

ب- الماء:

استفاد يهود من الآبار و بعض العيون فى غزوه (خيبر) لتموينهم بالماء، و عندما علم المسلمون بذلك، سيطروا على المياه خارج الحصون و حرموا يهودا منها، مما سهّل عليهم استسلام الحصون.

ج- الصحه:

كان جو (خيبر) و خما و فى المنطقه كثير من المستنقعات، فأدى ذلك إلى إصابه المسلمين بالحميات.

و قد أفاد المسلمون من النساء فى غزوه (خيبر) لتمرير الجرحى و المرضى.

ص: ٣١٨

د- المجندات:

أفاد المسلمون من النساء المتطوعات فى غزوه (خيبر)؛ لإدماه المقاتلين بالسهم و النبال، و لتهيئه السويق و تضميد الجرحى و المرضى و تمريرهم.

ه- الغنائم:

قسمت غنائم (خيبر) بالتساوى بين المقاتلين، و قد كانوا ممن حضر صلح الحديبيه و بيعه الرضوان، كما أشرك الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ عليه و سلم فى الغنائم مهاجرى الحبشه العائدين منها تَوًّا الى أحضان المسلمين؛ لأن حالتهم الاقتصادية كانت رديئه للغاية، و لا بد من مكافأتهم لإخلاصهم و عنائهم بهجرتهم الى الحبشه و بقائهم هناك بضعه عشر عاما.

و أسهم للنساء المتطوعات من مواد الإعاشه فقط كما أسهم للرجال.

٧- النتائج:

كانت نتائج فتره هدنه الحديبيه ما يلى:

أ- القضاء الأخير على يهود فى شبه الجزيره العربيه.

ب- السيطرة على القبائل العربية شمال المدينة المنوره و جنوبها.

ج- التأثير فى معنويات قريش و حلفائها مما سهل فتح مكه.

د- انتشار الإسلام انتشارا عظيما داخل الجزيره العربيه.

كل ذلك جعل المسلمين يعيدون تنظيم صفوفهم على أسس مكينه، و ينجزون حشد قواتهم بحيث أصبحت أكبر قوه فى شبه الجزيره العربيه كلها.

ص: ٣١٩

الملحق (ح): شهداء المسلمين فى غزوه خيبر

من قريش ثم من بنى أميه بن عبد شمس ثم من حلفائهم:

١- ربيعه بن أكثم بن سخبره بن عمرو.

٢- ثقف بن عمرو.

٣- رفاعه بن مسروح.

من بنى أسد بن عبد العزى:

٤- عبد الله بن الهيب (و يقال الهيب) من كنانه و ابن أختهم.

من بنى زهره:

٥- مسعود بن ربيعه (حليف لهم من القاره).

من الانصار ثم من بنى سلحه:

٦- بشر بن البراء بن معرور و مات من الشاه التى سمّ فيها رسول الله صلّى الله عليه و سلم.

٧- فضيل بن النعمان.

من بنى زريق:

٨- مسعود بن سعد بن قيس بن خلد.

من الاوس ثم من بنى عبد الاشهل:

٩- محمود بن مسلمه بن خالد(حليف لهم من بنى حارثه).

ص: ٣٢٠

من بنى عمرو بن عوف:

١٠- أبو ضيأح بن ثابت بن النعمان.

١١- الحارث بن حاطب.

١٢- عروه بن مرّه بن سراقه.

١٣- أوس بن القائد.

١٤- أنيف بن حبيب.

١٥- ثابت بن أثله.

١٦- طلحه بن يحيى بن مليل.

١٧- أوس بن قتاده.

١٨- مبشّر بن عبد المنذر.

من غفار:

١٩- عماره بن عقبه(رمى بسهم).

من أسلم:

٢٠- عامر بن الأكوع.

٢١- الأسود الراعى و اسمه أسلم(من أهل خير أسلم و استشهد).

ص: ٣٢١

ص: ٣٢٢

ص: ٣٢٣

ص: ٣٢٤

الملحق (ى): شهداء المسلمين فى غزوه مؤته

- ١- زيد بن حارثه- الأمير الأول.
- ٢- جعفر بن أبى طالب- الأمير الثانى بعده.
- ٣- عبد الله بن رواحه- الأمير الثالث.
- ٤- مسعود بن الأسود بن حارثه بن نضله، من بنى عدى بن كعب.
- ٥- وهب بن سعد بن أبى سرح، من بنى حسل، ثم من بنى عامر ابن لؤى
- ٦- عبّاد بن قيس، و هو عبد الله بن رواحه من بنى الحارث بن الخزرج.
- ٧- الحارث بن النعمان بن إساف بن نضله بن عوف بن غنم بن مالك ابن النجار.
- ٨- سراقه بن عمرو بن عطيه بن خنساء بن مبدول، من بنى مازن ابن النجار.
- ٩- أبو كليب و قيل: أبو كلاب بن عمرو بن زيد بن عوف بن مبدول.
- ١٠- أخوه جابر بن عمرو بن زيد بن عوف بن مبدول.
- ١١- عمرو بن سعد بن الحارث بن عبّاد بن سعد بن عامر بن ثعلبه من بنى النجار.
- ١٢- و أخوه عامر بن سعد من بنى النجار.

ص: ٣٢٥

ص: ٣٢٦

ص: ٣٢٧

ص: ٣٢٨

ص: ٣٢٩

(وَأُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ).

(القرآن الكريم)

ص: ٣٣٠

ص: ٣٣١

فتح مكة

الموقف العام

١- المسلمون:

أتاحت هدنه الحديبيه للمسلمين القضاء على يهود عسكريا فى المدينه و خارجها، كما أتاحت لهم السيطرة على القبائل فى شمال المدينه حتى حدود العراق و الشام و فى جنوب المدينه أيضا، و انتشر الاسلام بين القبائل العربيه كلها، فأصبح المسلمون قوه لا تدانيها أیه قوه فى بلاد العرب.

و لم يبق أمام المسلمين إلا فتح مكة، تلك المدينه المقدسه التى انتشر الاسلام فيها أيضا، و ما أسهل فتحها على المسلمين لو لا عهد الحديبيه الذى يحرص على الوفاء به الرسول صلى الله عليه و سلم.

٢- المشركون:

أدى انتشار الاسلام بين قسم كبير من القبائل و من ضمنها قريش و بقاء القسم الآخر على الشرك الى تفرق كلمتها و استحاله جمع تلك الكلمه على حرب المسلمين.

و لم يبق فى قريش زعيم مسيطر يستطيع توجيهها الى ما يريد حين يريد:

المسلمون فيها لا يخضعون إلا لأوامر الإسلام، و المشركون فيها بين متطرف يدعو للحرب مهما تكن نتائجها، و معتدل يعتبر الحرب كارثة تحقيق بقريش.

أراد بنو بكر حلفاء قريش أن يأخذوا بشاراتهم القديمه من بنى خزاعه حلفاء المسلمين، و حرّضهم على ذلك متطرفو قريش بقيادة عكرمه بن أبى جهل و قسم من سادات قريش، و أمدهم سرا بالرجال و السلاح؛ فقامت بنو بكر بهجوم مباغت على بنى خزاعه، فأوقعوا فيهم بعض الخسائر فى الأرواح

و الأموال! و لما التجأت خزاعه الى البيت الحرام، طاردهم بنو بكر مصممه على القضاء عليهم غير مكثرته بعهد الحديبيه.

و انتهت الهدنه بين قريش و حلفائها من جهه، و بين المسلمين و حلفائهم من جهه أخرى، و كان السبب فى انتهائها قريش و بنو بكر.

إعلان الحرب

١- المسلمون:

سارع عمرو بن سالم الخزاعى بالتوجه الى المدينه المنوره حاملا أخبار نقض قريش و بنى بكر لعهد الحديبيه، فلما وصلها قصد المسجد و قصّ على الرسول صلّى الله عليه و سلم و أصحابه ما أصاب خزاعه من بنى بكر و قريش فى مكه و خارجها، فأجابه الرسول صلّى الله عليه و سلم: (نصرت يا عمرو بن سالم).

و خرج بديل بن ورقاء فى نفر من خزاعه، حتى قدموا المدينه، فأخبروا النبى صلّى الله عليه و سلم بما أصابهم، فعزم الرسول صلّى الله عليه و سلم على فتح مكه.

٢- قريش:

قدّر معتدلو قريش و عقلاؤهم ماذا يعنيه انتهاء الهدنه بينهم و بين المسلمين، فقرّروا إيفاد أبى سفيان بن حرب الى المدينه للتشيت بتشيت العهد و إطاله مدّته.

و لما وصل أبو سفيان(عسفان) فى طريقه الى المدينه، رأى بديل بن ورقاء و أصحابه عائدين من المدينه، فخاف أن يكونوا قد جاءوا محمدا رسول الله صلّى الله عليه و سلم و أخبروه بما حدث، مما يزيد مهمته التى جاء من أجلها تعقيدا؛ إلا أن بديلا نفى مقابله النبى صلّى الله عليه و سلم، و لكنّ أبا سفيان بن حرب عرف من فضلات راحله بديل التى فيها نوى التمر أنه كان فى المدينه.

و وصل أبو سفيان الى المدينه، فقصد دار ابنته أم حبيبه زوج النبى صلّى الله عليه و سلم، و أراد أن يجلس على الفراش فطوته دونه، فقال لها: (يا بتيه! ما أدري أرغبت بى عن هذا الفراش، أم رغبت به عنى)؟ قالت: (بل هو فراش رسول الله، و أنت مشرك نجس). قال أبو سفيان: (و الله، لقد أصابك بعدى شر).

و استشفع أبو سفيان بأبى بكر الصديق رضى الله عنه ليكلّم الرسول صلّى الله عليه و سلم، فأبى ...

و استشفع بعمر بن الخطاب رضى الله عنه، فأغلظ له فى الرد، و قال:

(أ أنا أشفع لكم عند رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم؟ و الله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به).

و دخل أبو سفيان على علي بن أبي طالب رضى الله عنه و عنده فاطمه رضى الله عنها، فردّ عليه على: (و الله يا أبا سفيان! لقد عزم رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم على أمر ما نستطيع أن نكلّمه فيه).

و استشفع أبو سفيان بفاطمه بنت النبي صَلَّى الله عليه و سلم أن يجير ابنها الحسن بن علي ابن أبي طالب رضى الله عنه بين الناس، فقالت: (ما يجير أحد على رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم).

فاستنصح أبو سفيان عليا بعد أن اشتدّت عليه الأمور، فنصحه أن يعود من حيث أتى؛ ففعل أبو سفيان عائدا الى قريش، ليخبرهم بما لقي من صدود.

و لم يبق هناك شك فى إعلان الحرب.

الاستعدادات

أمر الرسول صَلَّى الله عليه و سلم أصحابه بإنجاز استعداداتهم للحركة و للحرب، و أرسل من يخبر قبائل المسلمين خارج المدينة بإنجاز استعداداتهم للحركة و للحرب أيضا، كما أمر أهله أن يجهزوه؛ و لكنه لم يخبر أحدا بنياته الحقيقية و لا

ص: ٣٣٤

باتجاه حركته و لا بالعدو الذى ينوى قتاله. بل أخفى نيته حتى لأقرب المقربين إليه؛ ثم أرسل سرّيه أبى قتاده الأنصارى الى بطن (إضم) ليزيد من إسدال الستار الكثيف على نيته الحقيقية.

دخل أبو بكر الصديق رضى الله عنه على ابنته عائشه زوج النبي صَلَّى الله عليه و سلم و هى تهيىء جهاز الرسول صَلَّى الله عليه و سلم، فقال لها: (أى بنيه! أمركم رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم أن تجهزوه؟ قالت: نعم، فتجهز. قال: فأين ترينه يريد؟ قالت: و الله لا أدرى)!

و لما اقترب موعد الحركة، صرّح الرسول صَلَّى الله عليه و سلم بأنه سائر الى مكة، و بتّ عيونهم ليحول دون وصول أنباء حركته الى قريش. و لكنّ حاطب بن أبى بلتعه كتب رساله أعطاها امرأه متوجّهه الى مكة، يخبرهم بها بتّيات المسلمين، فعلم الرسول صَلَّى الله عليه و سلم بهذه الرساله، و بعث على بن أبى طالب و الزبير بن العوام رضى الله عنهما ليذرا المرأه و يأخذوا تلك الرساله منها؛ فأذركاها و أخذوا الرساله التى كانت معها.

و دعا رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم حاطبا يسأله: (ما حمله على ذلك؟) قال حاطب:

(يا رسول الله، أما و الله إنى لمؤمن بالله و رسوله ما غيرت و لا بدّلت، و لكنى كنت أمرأ ليس له فى القوم من أهل و لا عشيره، و كان لى بين أظهرهم ولد و أهل، فصانعتهم عليهم)، و قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: (يا رسول الله! دعنى فلاضرب عنقه،

فإن الرجل قد نافق)

قال الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم: (أما إنه قد صدقكم، و ما يدريك؟ لعل الله قد اطلع على من شهد (بدرا) فقال: اعملوا ما شئتم)! ...

شفع لحاطب ماضيه الحافل بالجهاد، فعفا عنه الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم، و أمر المسلمين أن يذكره بأفضل ما فيه. و أنجز المسلمون استعداداتهم للحركة.

ص: ٣٣٥

قوات الطرفين

١- المسلمون:

عشره آلاف رجل بقياده الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم.

٢- المشركون:

قريش و بنو بكر، كل قبيله لها قائد خاص بها.

في الطريق الى مكة

١- ترك المسلمون المدينه في رمضان من السنه الثامنه الهجريه قاصدين فتح مكة، و كان جيش المسلمين مؤلفا من الأنصار و المهاجرين و سليم و مزينه و غطفان و غفار و أسلم (١) و طوائف من قيس و أسد و تميم و غيرهم من القبائل الأخرى، في عدد و عدد لم تعرفه شبه الجزيره العربيه من قبل، و كلما تقدّم الجيش نحو هدفه ازداد عدده بانضمام مسلمي القبائل التي تسكن على جانبي الطريق إليه. و مع كثافه هذا الجيش و قوّته و أهميته، فقد بقي سر حركته مكتوما لا تعرف قريش عنه شيئا، إذ مع اعتقاد قريش بأن محمدا صَلَّى اللهُ عليه و سلم في حل من مهاجمتها، و لكنها لم تكن تعرف متى و أين و كيف سيجري الهجوم المتوقع. و لشعور قريش بالخطر المحقق بها أسرع كثير من رجالها بالخروج الى المسلمين لإعلان إسلامهم، فصادف قسم من هؤلاء و منهم العباس بن عبد المطلب عم النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم جيش المسلمين في طريقه الى مكة.

وصل الجيش مساء موضع (مّر الظهران) على مسافه أربعه فراسخ من مكة، فعسكر هناك.

١- من بني سليم ألف رجل، و من بني مزينه ألف رجل و ثلاثه رجال، و من غفار أربعمائه و من أسلم أربعمائه. انظر جوامع السيره لابن حزم ص ٢٢٧.

ص: ٣٣٦

و أمر الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم أن يوحد كل مسلم نارا، حتى ترى قريش ضخامه الجيش دون أن تعرف هويته، فيؤثر ذلك في معنوياتها و تستسلم للمسلمين دون قتال، و بذلك يؤمن الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم هدفه في دخول مكة دون إراقة الدماء.

و أوقد عشره آلاف مسلم نيرانهم، و رأت قريش تلك النيران تملأ الأفق البعيد، فأسرع أبو سفيان بن حرب و بديل بن ورقاء و حكيم بن حزام بالخروج باتجاه النيران حتى يعرفوا مصدرها و نيات أصحابها و أهدافهم، فلما اقتربوا من موضع معسكر المسلمين، قال أبو سفيان لصاحبه بديل: (ما رأيت كالثليله نيرانا قط و لا عسكرا). فردّ عليه بديل بن ورقاء: (هذه و الله خزاعه حمشتها الحرب)، فلم يقتنع أبو سفيان بهذا الجواب، فقال: (خزاعه أقل و أذل من أن تكون هذه نيرانها و عسكراها).

و كان العباس عم النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم قد خرج من معسكر المسلمين راكبا بغله الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم ليخبر قريشا بالجيش الضخم الذي جاء لقتالها و الذي لا قبل لها به، حتى يؤثر في معنوياتها و يضطرها للاستسلام دون قتال، فيحقن بذلك دماءها و يؤمن لها صلحا شريفا و يخلصها من معركة فاشله معروفه النتائج سلفا لا يمكن أن تثيرها غير العصبية الجاهليه؛ فسمع و هو في طريقه حديث أبي سفيان و بديل بن ورقاء، فعرف العباس صوت أبي سفيان، فناداه و أخبره بوصول جيش المسلمين، و نصحه بأن يلجأ الى الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم حتى ينظر في أمره قبل أن يدخل الجيش مكة صباح غد فيحقيق به و بقومه العقاب الذي يستحقونه.

و أردف العباس رضى الله عنه أبا سفيان على بغله الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم، و توجهوا نحو معسكر المسلمين. فلما وصل العباس المعسكر و دخله و أخذ يمر بنيران الجيش في طريقه الى خيمه الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم، رآه المسلمون فلم ينكروا شيئا لأنهم عرفوا العباس، فلما مرّ العباس بنار عمر بن الخطاب رضى الله عنه عرف أبا سفيان و أدرك أن العباس يريد أن يجيره، فأسرع عمر الى خيمه النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم

ص: ٣٣٧

و طلب منه أن يأمره بضرب عنق أبي سفيان، و لكنّ الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم طلب من عمه أن يأخذ أبا سفيان الى خيمته و يحضره إليه صباح غد؛ فلما كان الصباح و جىء بأبي سفيان الى النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم، أسلم ليحقن دمه، فقال العباس رضى الله عنه: (يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر، فاجعل له شيئا).

قال الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم: (نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، و من أغلق بابه فهو آمن، و من دخل المسجد فهو آمن).

و أراد الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم أن يستوثق من سير الأمور كما يحب بعيدا عن وقوع الحرب، فأوصى العباس باحتجاز أبي سفيان في مضيق الوادى، حتى يستعرض الجيش الزاحف كله فلا تبقى في نفسه أيه فكره للمقاومه.

قال العباس: (خرجت بأبي سفيان حتى حبسته بمضيق الوادى حيث أمرنى رسول الله، و مرت القبائل على راياتها، كلما مرّت قبيله قال: يا عباس! من هؤلاء؟ فأقول: سليم! فيقول: ما لى و لسليم؟ ثم تمرّ به القبيله، فيقول:

يا عباس! من هؤلاء؟ فأقول: مزينه. فيقول: ما لي و لمزينه؟ حتى نفدت القبائل، ما تمرّ به قبيله إلا سألتني عنها، فإذا أخبرته قال: ما لي و لبني فلان!!

(حتى مرّ الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم في كتيبته الخضراء، و فيها المهاجرون و الأنصار لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد فقال: سبحان الله! يا عباس! من هؤلاء؟

قلت: هذا رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلم في المهاجرين و الأنصار. قال: ما لأحد بهؤلاء من قبل و لا طاقه! و الله يا أبا الفضل! لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداه عظيما) ...

قال العباس:(يا أبا سفيان! إنها النبؤة. قال: نعم إذن) ... عند ذاك قال العباس لأبي سفيان:(النجاه الى قومك)! فأسرع أبو سفيان الى مكة.

ص: ٣٣٨

قبل دخول مكة

دخل أبو سفيان بن حرب مكة مبهورا مدعورا، و هو يحس أن من ورائه إعصارا إذا انطلق اجتاح قريشا و قضى عليها قضاء لا تقوم لها قائمه بعده أبدا.

و رأى أهل مكة قوات المسلمين تقترب منهم، و لم يكونوا حتى ذلك الوقت قد قرّروا قرارا حاسما و لا اتخذوا تدابير القتال الضرورية؛ فاجتمعوا الى ساداتهم ينتظرون الرأى الأخير، فإذا بصوت أبي سفيان ينطلق بينهم مجلجلا جازما:(يا معشر قريش! هذا محمد جاءكم فيما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن)!

دهشت امرأه أبي سفيان هند بنت عتبة التي كانت تشايح المتطرفين من مشركى قريش فى عداوتهم للمسلمين و هى تسمع من زوجها هذا الكلام، فوثبت اليه و أخذت بشاربه تلويه و صاحت: اقتلوا الحميت الدسم الأحمس (١)(أى هذا الزق المنتفخ) قبح من طليعه قوم) (٢).

و لم يكثر أبو سفيان لسباب امرأته، فعاود تحذيره:(ويلكم! لا تغرنكم هذه من أنفسكم، فانه قد جاءكم ما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن) ...

قالت قريش:(قاتلك الله! و ما تغنى عنا دارك)؟ قال:(و من أغلق عليه بابه فهو آمن، و من دخل المسجد فهو آمن).

و أصبحت مكة تنتظر دخول المسلمين: اختفى الرجال وراء الأبواب

١- الحميت: فى الأصل زق السمن، و الدسم: الكثير الودك، و الأحمس: الشديد اللحم، تريد تشبيهه به لبعالته و سمنه.

٢- طليعه قوم: الذى يتقدمهم أو يحرسهم.

الموصده، و اجتمع قسم منهم فى المسجد الحرام، و بقى المتطرفون مصرّين على القتال.

خطه الفتح

(راجع المخطط المرفق)

١- كانت مجمل خطه الرسول القائد عليه أفضل الصلاه و السلام لفتح مكه ما يلى:

أ- الميسره بقياده الزبير بن العوام، واجبها دخول مكه من شمالها.

ب- الميمنه بقياده خالد بن الوليد، واجبها دخول مكه من جنوبها.

ج- قوات الأنصار بقياده سعد بن عباد، واجبها دخول مكه من الغرب.

د- قوات المهاجرين بقياده أبى عبيده بن الجراح، واجبها دخول مكه من الشمال الغربى من اتجاه جبل هند.

هـ- مثابه اجتماع القوات بعد الفتح فى منطقه جبل هند.

٢- كانت أوامر الرسول صلّى الله عليه و سلم لقواده بألا يقاتلوا إلا إذا اضطروا الى القتال، حتى يتم فتح مكه سلميا و بدون قتال.

الفتح

١- قبل شروع قوات المسلمين فى دخول مكه، سمع قسم من المسلمين سعد ابن عباده يقول:(اليوم يوم الملحمه، اليوم تستحل الحرمه) ... لذلك رأى الرسول صلّى الله عليه و سلم حين بلغه ما قال سعد أن يأخذ الرايه منه و أن يدفعها الى ابنه قيس بن سعد، فقد كان قيس أهدأ أعصابا من أبيه و أكثر سيطره على نفسه، حتى يحول دون اندفاع سعد لإثاره الحرب.

دخلت قوات المسلمين مكه، فلم تلق مقاومه، إلا جيش خالد بن الوليد، فقد تجمّع متطرفو قريش مع قسم من حلفائهم من بنى بكر فى منطقه(الخدمه) (١)، فلما وصلتها قوات خالد أمطروها بوابل من نبالهم، لكن خالد لم يلبث أن فرّقهم و لم يقتل من رجاله إلا اثنان (٢) ضلّا طريقهما و انفصلا عنه، و لم يلبث صفوان بن أميه و سهيل بن عمرو و عكرمه بن أبى جهل حين رأوا الدائره تدور عليهم أن تركوا مواضعهم فى(الخدمه) و فروا مع قواتهم.

و استسلمت المدينه المقدسه للمسلمين و فتحت أبوابها لهم.

عسكر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلِمَ فِي مَنْطِقِهِ جَبَلِ هِنْدَ بَعْدَ أَنْ سَيَّطَرَتْ قَوَاتُهُ عَلَى جَمِيعِ مَدَاخِلِ مَكَّةَ، فَلَمَّا اسْتَرَاحَ وَ تَجَمَّعَتْ أَرْتَالُهُ، نَهَضَ وَ الْمَهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَ خَلْفَهُ وَ حَوْلَهُ، حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ. فَأَقْبَلَ إِلَى الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ فَاسْتَلَمَهُ، ثُمَّ طَافَ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَ حَوْلِ الْبَيْتِ، وَ كَانَ فِي الْكَعْبَةِ سِتُونَ وَ ثَلَاثُمِائَةَ صَنَمٍ، يَطْعَنُهَا بِالْقَوْسِ وَ هُوَ يَقُولُ: (جَاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْبَاطِلُ، إِنْ الْبَاطِلُ كَانَ زَهُوقًا. جَاءَ الْحَقُّ وَ مَا يَدِيءُ الْبَاطِلُ وَ مَا يَعِيدُ).

ثُمَّ دَعَا عِثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ فَأَخَذَ مِنْهُ مِفْتَاحَ الْكَعْبَةِ وَ دَخَلَهَا، فَرَأَى الصُّورَ تَمْلُؤُهَا وَ مِنْ بَيْنِهَا صُورَتَانِ لِإِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ يَسْتَقْسِمَانِ بِالْأَزْلَامِ، فَمَحَا مَا فِي الْكَعْبَةِ مِنْ صُورٍ، ثُمَّ صَلَّى وَ دَارَ فِي الْبَيْتِ يَكْبُرُ، وَ لَمَّا أَنْهَى تَطْهِيرَ الْبَيْتِ مِنَ الْأَصْنَامِ وَ الصُّورِ، وَقَفَ عَلَى بَابِ الْكَعْبَةِ وَ قَرِيشَ تَنْظُرَ مَاذَا يَصْنَعُ، فَقَالَ:

(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، صَدَقَ وَعْدُهُ وَ نَصَرَ عَبْدُهُ وَ هَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ. أَلَا كُلُّ مَأْثَرَةٍ أَوْ مَالٌ فَهُوَ تَحْتَ قَدَمِي هَاتَيْنِ إِلَّا سِدَانَهُ الْبَيْتِ وَ سِقَايَهُ

١- الخندمة: جبل بأسفل مكة. راجع التفاصيل في معجم البلدان ٣/ ٤٧٠.

٢- هما: كرز بن جابر من بني محارب بن فهر، و خنيس بن خالد بن ربيعة الخزاعي حليف بني منقذ.

ص: ٣٤١

الحاج. يا معشر قريش! إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية و تعظمها بالآباء: الناس من آدم، و آدم من تراب: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى، و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير). يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل بكم؟

قالوا: (خير! أخ كريم و ابن أخ كريم).

قال: (فإني أقول كما قال يوسف لإخوته: لا تثريب عليكم اليوم. اذهبوا فأنتم الطلقاء).

طهر المسلمون البيت من الأصنام، و أتم محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلِمَ بِذَلِكَ فِي أَوَّلِ يَوْمِ فَتْحِ مَكَّةَ مَا دَعَا إِلَيْهِ مِنْذَ عَشْرِينَ سَنَةً: أتم تحطيم الأصنام و القضاء على الوثنية في البيت الحرام بمشهد من قريش، ترى أصنامها التي كانت تعبد و يعبد آباؤها، و هي لا تملك لنفسها نفعا و لا ضرا.

و أقام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلِمَ بِمَكَّةَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا، نَظَّمَ خِلَالَهَا شُؤْنَ مَكَّةَ الْإِدَارِيَّةِ وَ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَفَّقَهُ أَهْلُهَا فِي الدِّينِ، وَ أَرْسَلَ قِسْمًا مِنَ الْمَفَارِزِ لِلدَّعْوَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ وَ لِتَحْطِيمِ الْأَصْنَامِ خَارِجَ مَكَّةَ مِنْ غَيْرِ سَفْكَ لِلدَّمَاءِ.

خسائر الطرفين

١- المسلمون:

شهيدان فقط.

٢- المشركون:

ثلاثة عشر قتيلًا و بعض الجرحى.

ص: ٣٤٢

ص: ٣٤٣

سرايا الدعوه الى التوحيد

اشاره

الهدف:

١- دعوه القبائل العربيه المحيطه بمكه الى الإسلام.

٢- تحطيم الأصنام و الأوثان خارج مكه المكرمه.

سريه خالد بن الوليد الى العزى

سريه خالد بن الوليد الى العزى (١)

بعث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ خالدا لخمس ليال بقين من رمضان- أى بعد خمسه أيام من فتح مكه- سنه ثمان الهجريه لهدم (العزى) فى ثلاثين فارسا من أصحابه، فلما سمع سادنها (٢) بمسير خالد إليها، علّق عليها سيفه و التجأ الى الجبل الذى هى فيه و هو يقول:

أيا عزّ شدى شدّه لا شوى (٣) لها على خالد، ألقى القناع و شمّرى

و يا عزّ إن لم تقتلى اليوم خالدا فبئى (٤) ياثم عاجل أو تنصّرى

فلما انتهى إليها خالد هدمها و هو يقول:

يا عزّ كفرانك لا سبحانك إني رأيت الله قد أهانك

و عاد خالد الى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ بعد انتهاء واجبه.

- ١- العزى: أعظم الأصنام عند قريش و بنى كنانه، و كان سدنتها و حجابها بنو شيبان من سليم حلفاء بنى هاشم، و كانت العرب و قريش تسمى بها: (عبد العزى). راجع سيره ابن هشام ١/ ٨٧ و ٤/ ٦٤، و الطبرى ٢/ ٣٤٠، و ابن الأثير ٢/ ٩٧.
- ٢- السادن: خادم بيت العباده، جمعها: سدنه.
- ٣- لا شوى: أى لا تبقى على شىء.
- ٤- بوئى: ارجعى.

ص: ٣٤٤

سريه عمرو بن العاص الى سواع

سريه عمرو بن العاص الى سواع (١)

بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم فى شهر رمضان سنه ثمان الهجريه عمرو بن العاص الى (سواع) صنم هذيل ليهدمه. قال عمرو: (فانتهيت إليه و عنده السادن فقال: ما تريد؟ قلت: أمرنى رسول الله صلى الله عليه و سلم أن أهدمه! فقال: لا تقدر على ذلك! فقلت: لم؟ فقال: تمنع! فقلت: حتى الآن أنت فى الباطل؟! و يحك هل يسمع أو يبصر؟! فدنوت منه فكسرتة و أمرت أصحابى فهدموا بيت خزانته، فلم يجدوا فيه شيئاً، ثم قلت للسادن: كيف رأيت؟ فقال: أسلمت لله).

سريه سعد بن زيد الأشهلى الى مناه

سريه سعد بن زيد الأشهلى الى مناه (٢)

بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم فى شهر رمضان سنه ثمان الهجريه سعد بن زيد الأشهلى الى (مناه) و كانت ب(المشلل) (٣) للأوس و الخزرج و غسان، فخرج فى عشرين فارساً حتى انتهى إليها و عليها سادن، فقال السادن: (ما تريد؟ قال: (هدم مناه)، قال: (أنت و ذاك!) فأقبل سعد يمشى إليها هو و أصحابه فهدموا الصنم و لم يجدوا فى خزانته شيئاً، فانصرف الى رسول الله صلى الله عليه و سلم فى مكه، و كان ذلك لست بقين من رمضان المبارك.

- ١- سواع: صنم كان (برهاط) من أرض (ينبع)، كان سدنته بنو لحيان. أنظر كتاب الأصنام للكلبى ص ٩.
- ٢- مناه: أقدم الأصنام كلها، و كانت العرب تسمى: (عبد مناه) و (زيد مناه)، و كان منصوباً على ساحل البحر الاحمر من ناحيه المشلل بقديد بين المدينه و مكه، و كانت العرب جميعاً تعظمه و تذبج حوله، و كانت الأوس و الخزرج و من ينزل المدينه و مكه و ما قارب من تلك المواضع يعظمونه و يذبجون له و يهدون له، و لم يكن أحد أشد إعظاماً له من الأوس و الخزرج. أنظر كتاب الأصنام للكلبى ص ١٣.

سريه خالد بن الوليد الى جذيمه من كنانه

لما رجع خالد من هدم (العزى) و رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم مقيم بمكه، بعثه فى شوال سنه ثمان الهجرية الى بنى جذيمه و كانوا بأسفل مكه ناحيه (يلملم) (١)، و قد بعثه (داعيا) الى الإسلام و لم يبعثه (غازيا) (٢)، فدعاهم الى الاسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا: (أسلمنا)! فجعلوا يقولون: (صبأنا! صبأنا)! فجعل خالد يقتل منهم و يأسر، ثم دفع الى كل رجل أسيره، حتى إذا كان يوم من الأيام، أمر خالد أن يقتل كل رجل أسيره، فلما علم النبي صَلَّى الله عليه و سلم بذلك قال:

(اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد) (٣).

و فى روايه أخرى، أن خالدًا خرج فى ثلاثمائة و خمسين رجلا من المهاجرين و الأنصار و بنى سليم، فلما انتهى الى بنى جذيمه قال: (ما أنتم)؟ قالوا:

(مسلمون، قد صلينا و صدقنا بمحمد و بنينا المساجد فى ساحاتنا و أذنا فيها)! فقال: (فما بال السلاح عليكم)؟! فقالوا: إن بيننا و بين قوم من العرب عداوه، فخفنا أن تكونوا هم، فأخذنا السلاح)! قال: (فضعوا السلاح)، فلما وضعوه قال لهم: (استأسروا)! فاستأسر القوم، فأمر بعضهم فكثف بعضا و فرّقهم فى أصحابه، فلما كان فى السحر نادى خالد: (من كان معه أسير فليدأفه)! و المدافه: الإجهاز عليه بالسيف. فأما بنو سليم فقتلوا من كان فى أيديهم، و أما المهاجرون و الأنصار، فأرسلوا أسرارهم، فلما بلغ النبي

١- يلملم: موضع على ليلتين من مكه، و هو ميقات أهل اليمن. أنظر معجم البلدان ٧ / ٥١٤.

٢- أنظر فتح البارى بشرح البخارى ٨ / ٤٥، و سيره ابن هشام ٤ / ٥٣. و طبقات ابن سعد ٢ / ١٤٧.

٣- فتح البارى بشرح البخارى ٨ / ٤٥-٤٦. و صبأنا يعنون بها: دخلنا دين محمد (ص). يقال صبأ الرجل إذا خرج من دين الى دين، و منه (الصابئون) لأنهم قد اتخذوا دينا بين اليهوديه و النصرانيه.

صَلَّى الله عليه و سلم ذلك قال: (اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد)؛ و بعث على بن أبى طالب رضى الله عنه، فودى لهم قتلاهم و ما ذهب منهم (١). قال رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم: (يا على! أخرج الى هؤلاء القوم فانظر فى أمرهم و اجعل أمر الجاهليه تحت قدميك)، فخرج على حتى جاءهم، فودى لهم الدماء و ما أصيب لهم من الأموال، حتى إنه ليدى لهم ميلغه الكلب (٢)، حتى إذا لم يبق شىء من دم و لا مال إلا وداه، بقيت معه بقيه من المال، فقال لهم حين فرغ منهم:

(إني أعطيتكم هذه البقيه من المال احتياطا لرسول الله صَلَّى الله عليه و سلم مما لا يعلم و تعلمون)، فلما رجع و أخبر رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم بما فعل، قال له: (أصبت و أحسنت) (٣).

و من الواضح أن الروايه الأولى، و هي الروايه التي رواها الإمام البخارى فى صحيحه هي الصحيحه، لأن صحيح البخارى هو أوثق المصادر فى روايته، و لأنها أقرب للعقل و المنطق، و لأن خالد لو اقتنع بإسلامهم لما تجرأ مطلقاً على قتلهم.

لقد قال بنو جذيمه:(صبأنا ... صبأنا)، فحمل خالد هذه اللفظه على ظاهرها، أى أنهم خرجوا من دين الى دين، فلم يكتف خالد بذلك حتى يصرحوا بالاسلام (٤)، و الدليل على ذلك أنه قال لهم:(ضعوا السلاح فان الناس قد أسلموا) (٥)، و هذا دليل قاطع على أنه لم يقتنع بأن كلمه:(صبأنا)، هي بمعنى: أسلمنا (٦).

١- أنظر طبقات ابن سعد ٢/ ١٤٧-١٤٨، و سيره ابن هشام ٤/ ٥٤.

٢- ميلغه الكلب: خشبه تحفر ثم تتخذ ليلغ فيها الكلب.

٣- سيره ابن هشام ٤/ ٥٥، و الطبرى ٢/ ٢٤٢، و جوامع السيره ص ٢٣٥، و عيون الأثر ٢/ ١٨٦.

٤- فتح البارى بشرح البخارى ٨/ ٤٦.

٥- سيره ابن هشام ٤/ ٥٣ و الطبرى ٢/ ٣٤١ و ابن الأثير ٢/ ٩٧ و تاريخ أبى الفدا ١/ ١٤٥.

٦- انظر تفاصيل ذلك فى سيره خالد ابن الوليد المخزومى فى كتابنا: قاده فتح العراق و الجزيره ٧٢-٧٤.

ص: ٣٤٧

دروس من الفتح

١- المباغتة:

حرص النبى صلى الله عليه و سلم أشد الحرص على الا يكشف نياته لأحد عندما اعتزم الحركه الى مكه، و كان سبيله الى ذلك الكتمان الشديد.

لم يبوح بنياته لأقرب أصحابه الى نفسه أبى بكر الصديق رضى الله عنه، بل لم يبوح بنياته الى أحب نسائه إليه عائشه بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنها، و بقيت نيته سرا مكتوما حتى أنجز هو و أصحابه جميع استعدادات الحركه، و حتى وصل أمره الإنذارى (١) الى المسلمين خارج المدينه و داخلها لإنجاز الاستعداد للحركه. و لكنه أباح بنياته فى الحركه الى مكه قبيل موعد خروجه من المدينه، حيث لم يبق هناك مبرر للكتمان، لأن الحركه أصبحت و شيكه الوقوع.

و مع ذلك فانه بثّ عيونه و أرصاده و دورياته لتحول دون تسرب المعلومات عن حركته الى قريش.

بثّ عيونه داخل المدينه ليقضى على كل خير يتسرّب من أهلها الى قريش، و قد رأيت كيف اطلع على إرسال حاطب بن أبى بلتعه برسالته الى مكه، فاستطاع أن يحجز على تلك الرساله قبل أن تصل الى الذين أرسلت اليهم.

و بثّ دورياته فى المدينه و خارجها ليحرم قريشا من الحصول على المعلومات عن نيات المسلمين، و ليحرم المنافقين و الموالين لقريش من إرسال المعلومات إليها.

و بقى النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم يقظا كل اليقظه، حذرا كل الحذر، حتى وصل ضواحي مكه، و نجح بترتيباته فى حرمان قريش من معرفه تدابير المسلمين لفتح مكه.

١- الأمر الإنذارى: تعبير عسكرى يقصد به الأمر التمهيدي الذى يصدر(مبكرا) قبل إصدار الأوامر المفصله لغرض إعطاء فكره للآمريين المرءوسين عن الحركه المقبله، و لكى تنجز الاستحضارات اللازمه بكفايه لهذه الحركه.

ص: ٣٤٨

و لو انكشفت نيات المسلمين لقريش فى وقت مبكر، لاستطاعت أن تحشد حلفاءها و تنظم قواتها و تقرر خطه مناسبه لحرب المسلمين، و لاستطاعت مقاومه النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم و أصحابه أطول مده ممكنه، و لأوقعت بقواته خسائر فى الأرواح و الأموال دون مبرر ...

ليس من السهل أبدا، أن يتحرك جيش كبير تبلغ قوته عشره آلاف راكب و راجل الى مكه، دون أن تعرف قريش وقت حركته و نيته، حتى يصل ذلك الجيش الى ضواحي مكه، فيفلت الأمر من قريش، و لا تعرف ما تصنع إلا أن تلجأ الى الاستسلام.

إن ترتيبات الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم فى الكتمان لحرمان قريش من معرفه نيته، أمنت له مبالغته متميزه للغايه، و أجبرت قريشا على الاستسلام دون قتال.

٢- المعلومات:

يقرر القائد خطته بالنسبه الى المعلومات التى يستطيع الحصول عليها عن:

نيات العدو، و عدد قواته، و تنظيمه و تسليحه و مواضعه و أسلوب قتاله و الأرض التى سيقا تل فيها.

و كلما كانت المعلومات المتيسره مفضله وافيه، كانت خطه القائد دقيقه و كان احتمال نجاحها كبيرا.

لقد استطاع المسلمون أن يعرفوا من وفد بنى خزاعه أمر نقض الهدنه، و استطاعوا معرفه تردد قريش فى قراراتها، كما استطاعوا أن يعرفوا كل خبر مهم أو غير مهم يدخل الى المدينه أو يخرج منها فى أى وقت من الأوقات.

أما قريش، فلم تستطع أن تحصل على أى نوع من المعلومات فى أى وقت كان قبل حركه الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم و أثناءها حتى وصوله ضواحي مكه.

حاول أبو سفيان أن يعرف نيات المسلمين من ابنته أم حبيبه زوج النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم

ص: ٣٤٩

فلم يفلح، و حاول أن يعرف ذلك من المسلمين فى المدينه فأخفق، و حاول أن يعرف شيئا من وفد خزاعه، فأنكر الوفد ذهابه

الى الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم، و هكذا بقيت قريش فى عمايه من أمرها، حتى وصل جيش المسلمين ضواحي مكه و نزل القضاء المحتوم بقريش.

٣- بعد النظر:

القائد الناجح هو الذى يتَّسم ببعده النظر بالإضافة الى مزاياه الأخرى، و يتخذ لكل أمر محتمل الوقوع التدابير الضرورية لمعالجته، دون أن يترك مصائر قواته للأقدار.

إن النصر من عند الله يؤتية من يشاء، هذا أمر مفروغ منه، و لكنَّ الله سبحانه و تعالى يكتب النصر لمن يعدُّ له عدته و يحتاط لكل احتمال كبير أو صغير قد يصادفه؛ و لذلك يشدد العسكريون لإدخال أسوأ الاحتمالات فى حسابهم عند الإقدام على أية حركة عسكريه.

أمر الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم أن يحبس أبو سفيان فى مدخل الجبل الى مكه، حتى تمر به جنود المسلمين، فيحدِّث قومه عما رآه عن بينه و يقين، و لكى لا- يكون إسراعه فى العوده الى قريش قبل أن تتحطم معنوياته تماما، سببا لاحتمال وقوع أية مقاومه من قريش مهما يكن نوعها و درجه خطورتها.

و فعلا اقتنع أبو سفيان بعد أن رأى قوات المسلمين كلها، أن قريشا لا قبل لها بالمقاومه.

و قد أدخل الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم فى حسابه أسوأ الاحتمالات أيضا، عند تنظيم خطته لفتح مكه، فقد كانت تلك الخطه تؤمِّن له تطويق البلد من جهاته الأربع بقوات مكنته بذاتها بإمكانها العمل مستقلة عن القوات الأخرى عند الحاجة، و بذلك تستطيع القضاء على أية مقاومه فى أية جهه من مكه، كما

ص: ٣٥٠

تؤمِّن له توزيع قوات قريش الى أقسام لمقاومه كل رتل من أرتال المسلمين على انفراد، فتكون قوات قريش ضعيفه فى كل مكان.

لقد اتخذ النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم هذه التدابير الفعاله، على الرغم من اعتقاده بأن احتمال مقاومه قريش للمسلمين ضعيف جدا، و ذلك ليحول دون مباغته قواته و إيقاع الخسائر بها مهما تكن الظروف و الأحوال.

إن هذا العمل من أروع أمثله بعد النظر الذى يجب أن يتَّسم به القائد العبقري.

٤- التنظيم:

كان جيش الفتح يتألف من المهاجرين و الأنصار و مسلمى أكثر القبائل العربيه المعروفه يومذاك: ألف رجل من بنى سليم، و ألف رجل و ثلاثه رجال من مزينه، و أربعمائه من بنى غفار، و أربعمائه و ألف من بنى جهينه، و أربعمائه من أسلم، و عدد من

تميم و أسد و قيس و غيرها من القبائل الأخرى.

إن هذا التنظيم جعل المشركين يترددون في مقاومه جيش المسلمين، لأن كل قبيله من قبائل المشركين لها في جيش الفتح عدد كبير من الرجال بل إن كثيرا من القبائل تعتبر نجاح هذا الجيش نجاحا لها على الرغم من اختلاف العقيدتين؛ و الأكثر من ذلك، فان انتصار هذا الجيش لا- يعتبر فخرا لقبيله دون أخرى، كما أن إخفاق أيه قبيله في التغلب عليه، لا يعتبر عارا عليها، لأن هذا الجيش لم يكن لقبيله دون أخرى، بل لم يكن للعرب دون غيرهم، بل كان للإسلام و لمعتقى هذا الدين الحنيف من العرب و غير العرب.

إنى أعتقد أن تنظيم هذا الجيش بهذا الأسلوب الذى لا يخضع إلا للعقيده الموحده فقط دون غيرها من المؤثرات، جعل القبائل كلها لا- تحرص على مقاومته حرصها على مقاومه قبيله خاصه أو قبائل خاصه، و جعل أكثر تلك القبائل لا تريد إخفاقه إذا لم تكن تريد النصر له، و هذا أدى الى تردد القبائل

ص: ٣٥١

في مقاومته و امتناعها عن نقل المعلومات عنه الى قريش أو غيرها؛ كما أعتقد أن قوه هذا الجيش وحدها لم تكن المانع الوحيد لتردد القبائل فى قتاله و نقل المعلومات عنه للمشركين، لأن قتاله أو نقل المعلومات عنه لعدوه، معناه إيقاع الخسائر فى المسلمين، تلك الخسائر التى تكون على القبائل كلها لا على قبيله واحده، و بذلك يشمل الضرر القبائل كلها لا المسلمين وحدهم، و من يضمن ألا تكون أكثر الخسائر من منتسبى تلك القبيله التى سببت للمسلمين هذه الخسائر.

٥- المعنويات:

لم تكن معنويات المسلمين فى وقت من الأوقات أعلى و أقوى مما كانت عليه أيام فتح مكة البلد المقدس عند المسلمين الذى يتوجهون إليه فى صلاتهم كل يوم، و يحجّون بيته كل عام: (وَ إِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَ أَمْنًا، وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ) (١).

و قد كانت أهميه مكة للمهاجرين أكثر من أنها بلد مقدس، فهى بلدهم الذى تركوه فرارا بدينهم و تركوا فيه أموالهم و أقرباءهم و كل عزيز عليهم.

لذلك لم يتخلف أحد من المسلمين عن هذه الغزوه إلا القليل من ذوى الأعذار الصعبه.

أما معنويات قريش فقد كانت منهاره للغايه و من حقها أن تنهار، فقد أثرت فيها(عمره القضاء) كما رأيت، كما أثر فيها انتشار الإسلام فى كل بيت من بيوت مكة تقريبا، و بذلك فقدت مكة روح المقاومه و إرادته القتال.

كان حماس بن قيس من بنى بكر يعد سلاحه قبل دخول الرسول صلى الله عليه و سلم مكة، فسألته امرأته المشركه:(لماذا تعد ما أرى)؟! قال:(لمحمد

ص: ٣٥٢

و أصحابه!) قالت:(و الله ما أرى أنه يقوم لمحمد و أصحابه شىء). فاذا كان هذا مقدار معنويات المشركين فى مكه، فكيف تستطيع المقاومه، و كيف لا تتردد فى الإقدام على القتال؟

إنى أعتبر أن فتح مكه قد تمّ للمسلمين من يوم عمره القضاء، لأن هذه العمره أثرت فى معنويات قريش أعظم التأثير.

إن عمره القضاء فتحت قلوب قريش، و غزوه الفتح فتحت أبوابها.

و مما زاد فى انهيار معنويات قريش و شلّ كل روح للمقاومه فيها، ما اتخذته الرسول صلّى الله عليه و سلم من ترتيبات إيقاد عشره آلاف نار فى ليله الفتح، و مرور الجيش كله بأبى سفيان قائد قريش أو أكبر قائد فيها، و دخول أرتال المسلمين من كل جوانب مكه.

لقد كانت معركة(الفتح) معركة معنويات لا معركة ميدان.

٦- السلم:

حرص الرسول صلّى الله عليه و سلم منذ خروجه من المدينه المنوره حتى فتح مكه المكرمه على نياته السلميه، ليؤلف بذلك قلوب المشركين، و يجعلها تقبل على الاسلام.

إيقاد النيران فى ليله الفتح بشكل لم تعرف له العرب مثيلاً- من قبل، يستهدف القضاء على روح المقاومه فى قريش، و يجبرها على الاستسلام دون قتال.

و مرور الجيش بأبى سفيان، يستهدف إقناعه بعدم جدوى المقاومه، ليعمل من جانبه على إقناع قريش بهذا الرأى.

(و من دخل دار أبى سفيان أو أغلق عليه بابه أو التجأ الى البيت الحرام فهو آمن)، كما قال الرسول صلّى الله عليه و سلم، و معناه: منع تجمع قريش للمقاومه و إجبارهم على الاستسلام.

ص: ٣٥٣

بل إن دخول أرتال المسلمين من كل جانب من جوانب مكه، لا يعنى إلا إقناع قريش باستحاله المقاومه.

كما عهد صلّى الله عليه و سلم الى أمرائه حين أمرهم أن يدخلوا مكه، ألا يقاتلوا إلا من قاتلهم.

كل ذلك كان يستهدف السلم و حقن الدماء.

و بقى الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم مصرا على نيته السلميه بعد الفتح أيضا، فقد أصدر العفو العام عن قريش (1) و قال لهم: (اذهبوا فأنتم الطلقاء).

١- أمّن رسول الله (ص) الناس حاشا عبد العزى بن خطل و عبد الله بن سعد بن أبي سرح و عكرمه بن أبي جهل و الحويرث بن نقيذ بن وهب بن عبد بن قصي و مقيس بن صبابه و قينتي ابن خطل و هما فرتنا و صاحبتهما، و ساره مولاه لبنى عبد المطلب. أما ابن خطل، فكان قد أسلم و بعثه (ص) مصدقا و بعث معه رجلا من المسلمين فعدا عليه و قتله و لحق بالمشركين، فوجد يوم الفتح و قد تعلق بأستار الكعبه، فقتله سعيد بن حريث المخزومي و أبو برزه الأسلمي. و أما عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فكان يكتب لرسول الله (ص)، ثم لحق بمكه فاخفى، فأتى به عثمان بن عفان رسول الله (ص) و كان أخاه من الرضاعة، فاستأمن له، فأمنه النبي (ص). و أما عكرمه بن أبي جهل ففر الى اليمن فأبعثته امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام فردته، فأسلم و حسن إسلامه، ثم أصبح من قادة الفتح الاسلامي. و أما الحويرث بن نقيذ، و كان يؤذى رسول الله (ص)، فقد قتله على بن أبي طالب يوم الفتح. و أما مقيس بن صبابه، فكان قد أتى النبي (ص) مسلما ثم عدا على رجل من الأنصار فقتله لقتله أخاه خطأ، فقتله يوم الفتح نميله بن عبد الله الليثي و هو ابن عمه. و أما قينتا ابن خطل، فقتلت إحداهما و استؤمن للأخرى، فأمنها رسول الله (ص)، فعاشت الى أن ماتت بعد ذلك بمده، و كانتا تغنيان بهجو رسول الله (ص). و أما ساره فاستؤمن لها أيضا، فأمنها رسول الله (ص). و استتر رجلان من بنى مخزوم عند أم هانئ بنت أبي طالب فأمنتهم، فأمضى رسول الله (ص) أمانها لهما، و قيل إنهما الحارث بن هشام و زهير بن أبي أميه أخو أم سلمه، فأسلما و كانا من خيار المسلمين. و هكذا لم يقتل من أهل مكه و هم ألد أعداء الإسلام و المسلمين يوم الفتح غير ثلاثه رجال و امرأه واحده!! و هذا منتهى التسامح و الإنصاف.

ص: ٣٥٤

و كما حرص النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم على السلم الإجماعي حرصه على السلم للأفراد، فمنع القتل حتى لفرد من المشركين. قتلت خزاعه حلفاء المسلمين رجلا من هذيل غداه يوم الفتح لثأر سابق لها عنده، فغضب الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم أشد الغضب، و قام فى الناس خطيبا، و مما قاله:

(يا معشر خزاعه! ارفعوا أيديكم عن القتل فقد كثر إن نفع، لقد قتلتم قتيلا لأدينه، فمن قتل بعد مقامي هذا فأهله بخير النظرين: إن شاءوا قدم قاتله، و إن شاءوا فعقله - أى ديته-).

ثم ودى بعد ذلك الرجل الذى قتلت خزاعه.

بل إن الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم لم يقتل رجلا من المشركين أراد اغتياله شخصيا و هو يطوف فى البيت الحرام، بل تلطف معه؛ فقد اقترب منه فضاله بن عمير يريد أن يجد له فرصه ليقتله، فنظر إليه النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم نظره عرف بها طويته، فاستدعاه و سأله: «ماذا كنت تحدّث به نفسك»؟! قال: (لا شىء! كنت أذكر الله). فضحك النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم و تلطف معه و وضع يده على صدره، فانصرف الرجل و هو يقول: (ما رفع يده عن صدرى، حتى ما من خلق الله شىء أحبّ إليّ منه).

لقد كان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستهدف من حرصه على السلم تأليف قلوب الناس و توحيد كلمتهم ليقبلوا طائعين على الاسلام، فلم يكن من السهل على قريش أن تقبل بمصيرها الذي آلت إليه و هى كانت سيده العرب غير منازع، لأنها أعظمهم حضاره و أشدهم بأسا و أكثرهم مالا و فى بلدها البيت الحرام.

ليس من السهل أن ترضى قريش بمصيرها هذا و تقبل على الاسلام طائعه و تحمل رايات الجهاد، لو لم تعامل هذه المعامله السلميه التى لم تكن تتوقعها؛ و بذلك انقلب موقفها من أشد الناس عداوه للإسلام الى أحرص الناس على رفع رايه الاسلام.

ص: ٣٥٥

زد على ذلك أن(السلم) فى الاسلام دين، أمر الله به فى محكم كتابه:

(وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا) (١) ...

٧- الوفاء:

التاريخ العسكرى طافح بأعمال الظلم و الانتقام التى قام بها المنتصرون، و يندر أن نجد فى التاريخ كله وفاء يشابه وفاء الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل لا نجد مثيلا فى التاريخ كله لهذا الوفاء.

رأى الأنصار دخول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلده الحبيب بعد فراق طال أمده، و شاهدوا التفاف قومه و أهله حوله، فقال بعضهم لبعض: (أترون رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ فتح الله عليه أرضه و بلده، يقيم بها)؟ و لكنّ محمدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما لبث أن سألهم: (ما قالوا)؟ فلما أباحوا له بما يخالج نفوسهم بعد تردد، قال:

(معاذ الله! المحيا محياكم و الممات مماتكم). و قد كان من حقه أن يستقر بمكه و فيها أهله و قومه، و فيها بيت الله الحرام، و لكنّ وفاءه أبى عليه أن ينسى أصدقاء الشده فى وقت الرخاء.

و رأى على بن أبى طالب رضى الله عنه مفتاح الكعبه بيد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال له: (يا رسول الله! اجمع لنا الحجاب مع السقايه).

قال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أين عثمان بن طلحه)؟ فلما جاء عثمان قال له: (يا ابن طلحه! هاك مفتاحك، اليوم يوم بر و وفاء).

أما وفاؤه بعهوده و حرصه الشديد على التمسك بها، فحديث معاد.

تلك أمثله من وفاء الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى قال أعداؤه عنه قبل أصدقائه:

(إنه أوصل الناس و أحلمهم و أكرمهم و أوفاهم).

٨- التواضع:

السيطره على الأعصاب فى حالتى النصر و الاندحار من أصعب الأمور التى يجب أن تتوفر فى القائد المتميز.

و ربما تكون السيطره على الأعصاب فى حاله الهزيمة أسهل من السيطره عليها فى حاله النصر، فكم غير النصر من أخلاق القاده و جعلها تتقلب من حال الى حال.

و لكنّ نصر المسلمين يوم الفتح جعل الرسول صلّى الله عليه و سلم يتواضع لله، حتى رآه المسلمون يوم ذاك و رأسه قد انحنى على رحله، و بدا عليه التواضع الجَمّ، حتى كادت لحيته تمسّ واسطه راحلته خشوعا، و تفرقت فى عينيه الدموع تواضعا و شكرا لله.

إنّ قيمه هذا التواضع فى موقف يعدّ أكبر نصر للمسلمين، تتضاعف فى النفوس و العقول معا إذا قارناه بمواقف العظمه و الجيروت التى أبداها مختلف القاده فى مختلف الظروف، عندما حازوا نصرا أقل قيمه من فتح مكه بكثير.

إنّ تواضع الرسول صلّى الله عليه و سلم درس عملى لكل قائد منتصر، و ما أصعب الظهور بهذا المظهر ساعه النصر!

٩- العقيدة:

رأيت كيف طوت أم حبيبته رضى الله عنها زوج الرسول صلّى الله عليه و سلم فراش النبى صلّى الله عليه و سلم عن والدها أبى سفيان بن حرب، و قد جاءها من سفر بعيد بعد غياب عنها طويل؛ ذلك لأنها رغبت به عن مشرك نجس و لو كان هذا المشرك أباه الحبيب.

و عندما جاء أبو سفيان مع العباس عم النبى صلّى الله عليه و سلم ليواجه الرسول صلّى الله عليه و سلم،

رآه عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فترك خيمته و اشتدّ نحو خيمه الرسول صلّى الله عليه و سلم، فلما وصلها قال: (يا رسول الله! دعنى أضرب عنقه).

قال العباس: (يا رسول الله! إنى قد أجزته)، فلما أكثر عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال العباس رضى الله عنه: (مهلا يا عمر! ما تصنع هذا إلا أنه من بنى عبد مناف، و لو كان من بنى عدى ما قلت هذه المقاله)؛ فقال عمر: (مهلا يا عباس! فوالله إسلامك يوم أسلمت كان أحب لى من إسلام الخطاب لو أسلم).

هذا صحيح، فقد كان عمر يمثل عقيدة المسلمين الأولين الراسخه، بينما كان العباس حديث عهد بالإسلام.

و كيف تبرّر إقدام المهاجرين على الاشتراك في غزوه الفتح، تلك الغزوه التي لم يكن من المستبعد أن تصطرع فيها قوات المسلمين و قوات قريش قوم المهاجرين و أهلهم في بلدهم الحبيب.

إنّ عقيدة المسلمين لا تخضع للمصلحه الشخصيه، بل هي رهن المصلحه العامه وحدها.

١٠- تحطيم الأصنام:

تحطيم الأصنام في مكه يوم الفتح و في غير مكه بعيد الفتح، قضى على عقيدة الإشرارك في أقوى معقل من معاقلها في شبه الجزيره العربيه كلها.

إنّ تحطيم الأصنام- و هي التي كان يعبدها المشركون و يقربون القرابين إليها دون أن تذود عن نفسها أو تصيب من حطمها بأذى كما كان يعتقد المشركون بها- نزع من نفوسهم الى الأبد آخر اعتقاد في قدسيه هذه الأصنام و فائدتها.

ص: ٣٥٨

١١- القضايا الإداريه:

كان موقف إعاشه المسلمين في غزوه الفتح جيدا، فلم يشك منهم أحد من نقص الأرزاق قبل الفتح و بعده، حتى عادوا الى المدينه المنوره.

كما كان موقف النقليه جيدا أيضا، فقد كان لدى جيش المسلمين عدد كبير من الإبل و الخيل، أفادوا منها في تنقلهم للركوب و حمل أمتعتهم.

أما تسليحهم فكان متميزا، و يكفي أن تسمع وصف الكتيبه الخضراء التي كان فيها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، فقد كان أفرادها لا يرى منهم إلا الحدق من كثره الحديد.

لقد تأمّنت كل القضايا الإداريه للمسلمين في غزوه الفتح بشكل لم يسبق له مثل في غزوات الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ السابقه.

ص: ٣٥٩

استثمار الفوز

إشارة

(لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ، وَ يَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثُرَتْكُمُ فَلََمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا، وَ ضَاقتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، ثُمَّ

وَلَيْتُمْ مُدِيرِينَ).

(القرآن الكريم)

ص: ٣٦٠

ص: ٣٦١

غزوه حنين و حصار الطائف

اشاره

غزوه حنين (١) و حصار الطائف (٢)

الموقف العام

١- المسلمون:

كان لفتح مكة أكبر الأثر في توحيد شبه الجزيرة العربية كلها تحت لواء الاسلام، كما كان له أثر معنوي عميق في المسلمين و المشركين على حد سواء، فأصبحت شبه الجزيرة العربية قوه موحدته ذات عقيدته واحده و هدف واحد، تعمل بقيادته واحده، و لم يبق على الشرك إلا قسم من القبائل كقبيلتي هوازن و ثقيف، و من الواضح أن قضيه إسلام هذه القبائل أصبحت قضيه وقت ليس إلا، لانهايار أكبر حصن للشرك: مكة، و لانهايار أكبر عدو للإسلام: قريش!

٢- المشركون:

سمعت هوازن و ثقيف و قسم من القبائل الأخرى بفتح مكة، فقررت أن تقوم بغزو المسلمين قبل أن يقوم المسلمون بغزوهم، و أخذت تحشد قواتها في منطقه الطائف.

و لكن انتشار الاسلام في هوازن و ثقيف، جعل الكثيرين من رجال تلك القبيلتين يتخلفون عن هذا الحشد، إذ تخلفت كعب و كلاب و أشجع كما تخلفت قبائل أخرى، و رجال من ذوى العقول.

١- حنين: هو واد قبل الطائف بينه و بين مكة ثلاث ليال. انظر معجم البلدان ٣/ ٣٥٤.

٢- الطائف: بلد ثقيف ذات مزارع و أعناب و نخل و موز و سائر الفواكه، و بها مياه جاريه. انظر التفاصيل في معجم البلدان ١٦/ ١٠.

ص: ٣٦٢

كان التردد ظاهراً على القبائل المحتشده، و كان الاختلاف واضحاً بينها، و لم تكن معنوياتها عالية على كل حال.

قوات الطرفين

١- المسلمون:

اثنا عشر ألفاً بين راكب و راجل بقيادة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: ألفان من أهل مكة و عشره آلاف من المسلمين الذين حضروا فتح مكة.

٢- المشركون:

قبيلة هوازن (عدا عقيل بن كعب بن ربيعة و بشر بن كعب بن ربيعة و بنى كلاب بن ربيعة و سائر إخوانهم) و معظم قبيلة ثقيف بقيادة مالك بن عوف النصري من هوازن.

أهداف الطرفين

١- المسلمون:

ضرب القبائل المحتشده من ثقيف و هوازن قبل أن يستفحل أمرها و تهدد مكة نفسها و من فيها من المسلمين.

٢- المشركون:

القضاء على قوات المسلمين و أخذ المبادأه منهم.

قبل المعركة

١- المسلمون:

سمع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ بأخبار تحشد هوازن و ثقيف لمهاجمة المسلمين، فأرسل

عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي و أمره أن يذهب الى منطقته تحشد المشركين للتأكد من صحه تلك الأخبار.

و عاد عبد الله الأسلمي من واجبه ليخبر المسلمين بأن قبائل هوازن و ثقيف قد أنجزت حشدها في منطقته وادى أوطاس، و أنها تنوى مهاجمة المسلمين. قرر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ مهاجمة هذه القبائل ليحفظ بالمبادأه بيد المسلمين، و بدأ بانجاز

الاستعدادات الضرورية للحركة.

و بلغ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ أَنْ عِنْدَ صَفْوَانَ بْنِ أَمِيهِ دُرُوعًا وَ سِلَاحًا فَاسْتَعَارَهَا مِنْ صَفْوَانَ لِيَكْمَلَ بِهَا تَسْلِيحَ قَوَاتِهِ، وَ كَانَ عِدْدُهَا مِائَةَ دَرَعٍ مَعَ أَسْلِحَتِهَا؛ وَ لَمَّا أَنْجَزَ الْمُسْلِمُونَ اسْتِعْدَادَاتِهِمْ تَحَرَّكُوا بِاتِّجَاهِ (حَنِينٍ)، وَ كَانَتْ الْمَقْدَمَةُ مَوْلَفَهُ مِنْ سَلِيمٍ بِقِيَادَةِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَ أَمَامِهَا الْقِطْعَاتُ الرَّكِبِيَّةُ مِنَ الْفَرَسَانِ، وَ كَانَ الْقِسْمُ الْأَكْبَرُ مَوْلَفًا مِنَ الْقَبَائِلِ الْأُخْرَى، وَ أَمَامَ كُلِّ قَبِيلَةٍ رَايَتُهَا؛ وَ كَانَتْ الْكُتَيْبَةُ الْخَضْرَاءُ الْمَوْلَفَةُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ فِي مُؤَخَّرِ الْقِسْمِ الْأَكْبَرِ وَ مَعَهَا الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ.

و وصل جيش المسلمين فجرا الى وادي (حنين)، ذلك الجيش الذي قال المسلمون عنه: (لن نغلب اليوم من قله).

٢- المشركون:

حشدت هوازن و ثقيف قواتها في وادي حنين (أوطاس) و معهم نساؤهم و أطفالهم و أموالهم، و قد أراد مالك بن عوف قائدهم أن تكون الدراري و الأموال مع المقاتلين، حتى يشعر كل رجل منهم و هو يقاتل أن حرمة و ثروته وراءه فلا يفر عنها.

و قد اعترض دريد بن الصمّه و هو فارس مجرب قاتلا- لمالك: (هل يردّ المنهزم شىء؟ إن كانت الدائره لك لم ينفعك إلا رجل برمحه و سيفه، و إن كانت عليك فضحت في أهلك و مالك). فكان جواب مالك: (و الله لا

ص: ٣٦٥

أفعل ذلك، إنك قد كبرت و كبر علمك، و الله لتطيعنني يا معشر هوازن أو لأتكنن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري).

اضطرت هوازن الى الأخذ برأى مالك، و كان شابا في الثلاثين من عمره قوى الإراده ماضى العزيمه شجاعا، و لكنه كان سقيم الرأى متهورا سبيء المشوره.

كانت خطه مالك تتلخص باحتلال الهضاب و الجبال المشرفه على وادي (حنين) الذى ستسلكه قوات المسلمين، حتى اذا دخلت قوات المسلمين فى الوادى، باغتهم المشركون بالرمد عليهم بالنبال من كل جانب لارباك ترتيباتهم التعبويه التى اتخذوها فى مسير الاقتراب و التأثير فى معنوياتهم، ثم القيام بالهجوم عليهم بعد ارتباك ارتال مسيرهم و إيقاع الخسائر بهم و تحطيم معنوياتهم لإجبارهم على الانسحاب أولا و محاوله قلب الانسحاب الى هزيمه نكراء.

و أكمل المشركون احتلال هضاب الوادى و مضايقه قبل دخول المسلمين اليه، و كمنوا فى مواضعهم المستوره انتظارا لجيش المسلمين.

القتال

١- هجوم المشركين:

دخلت قوات المسلمين وادي (حنين) فجرا، و كان واديا أجوف منحدرًا ينحط فيه الركبان كلما أوغلوا، كأنهم يسرون الى هاويه؛

فلما استقرت أكثر قوات المسلمين فى الوادى، رماهم المشركون بوابل من سهامهم، فلم يعرف المسلمون مصدر ذلك الرمى و لا اتجاهه، لأن الظلام كان مخيما و قتذاك، و لأن مواضع المشركين كانت مخفيه تماما؛ فانسحبت مقدمه المسلمين و جرفت أمامها قوات المسلمين الأخرى، فانقلب انسحاب المسلمين الى هزيمه.

و رأى أبو سفيان هزيمه المسلمين فقال: (لا تنتهى هزيمتهم دون البحر)

ص: ٣٦٦

و قال آخرون ممن أسلموا حديثا مثل قوله، بل إن شيبه بن عثمان بن طلحه الذى قتل أبوه فى غزوه (أحد)، حاول اغتيال الرسول صلى الله عليه و سلم فى عنفوان هذا الموقف العصيب، ليدرك ثأر أبيه من النبى صلى الله عليه و سلم.

و ترك المشركون مواضعهم للقيام بالمطارده بعد انسحاب المسلمين، و كان يتقدم هوازن رجل على جمل له أحمر، بيده رايه سوداء فى رأس رمح طويل، و هو كلما أدرك المسلمين طعن برمحه، و هوازن و ثقيف منحدرين وراءه يطعنون.

و انتشر الفزع بين المسلمين، و ازدحمت المسالك بالسابله، و ارتبكت ارتالهم و اختلطت القبائل ببعضها، و ركبت الإبل بعضها بعضا و هى مولىه بأصحابها، و تعقدت الأمور.

٢- هجوم المسلمين المضاد:

ثبت الرسول صلى الله عليه و سلم فى مكانه، و ثبت معه عشره من أهل بيته و من المهاجرين (١)، بينهم عمه عباس، و أخذ الرسول القائد عليه أفضل الصلاه و السلام ينادى الناس إذ يمرون به منهزمين: (أين أيها الناس؟! أين؟! هلموا إلى. أنا رسول الله.

أنا محمد بن عبد الله)، فلا يرد عليه أحد بجواب، لأن الارتباك كان سائدا فى صفوف المسلمين الى أقصى الحدود.

عند ذاك أمر الرسول صلى الله عليه و سلم عمه العباس - و كان جهير الصوت - أن ينادى:

(يا معشر الأنصار! يا أصحاب البيعه يوم الحديبيه)! ...

و كرر العباس النداء، حتى تجاوبت أصداؤه فى جنبات الوادى.

و سمع النداء المهاجرون و الأنصار، فأخذوا يكافحون ليبلغوا مصدر الصوت،

١- هم: أبو بكر الصديق و عمر بن الخطاب و على بن أبى طالب و العباس عم النبى (ص) و أبو سفيان بن الحارث و ابنه جعفر و الفضل بن العباس و ربيعه بن الحارث و أسامه بن زيد و أيمن بن أم أيمن بن عبيد، قتل يومئذ.

ص: ٣٦٧

فرمى اكثرهم درعه و ترك بعيره و استصحب معه سيفه و ترسه فقط، ليبلغ مصدر الصوت بسرعه ما استطاع الى ذلك سبيلا.

و اجتمع حول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ و سلم نحو مائه مسلم و هم يهتفون:(ليبيك)، فاستقبل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ و سلم بهم المشركين، و صمدوا فى مواضعهم حتى فتر هجوم المشركين.

و كان النهار قد طلع و كان المشركون قد تركوا مواضعهم التى كانوا قد احتلوها فى الهضاب و الجبال المحيطة بوادى(حنين)، فأدى صمود المسلمين العنيد الى إيقاع بعض الخسائر بالمشركين، مما أدى الى انهيار معنوياتهم و تراجعهم.

و لو لا صمود هذا العدد القليل من المسلمين و مشاغلهم المشركين، لكانت خسائر المسلمين فى تلك المعركة كبيره جدا.

و أخذ عدد المسلمين الصامدين يتزايد، و هناك بدأوا بالهجوم المضاد على المشركين؛ و عندما رأَت هوازن و ثقيف أنّ المقاومة لا- تجديهم نفعا، و أنهم لا يستطيعون صد هجوم المسلمين، انسحبوا من ميدان المعركة تاركين وراءهم نساءهم و أبناءهم و أموالهم غنيمه للمسلمين. و لم يكن للمشركين ساقه لحمايه الانسحاب، فانقلب انسحابهم الى هزيمه.

٣- المطارده:

انسحبت أكثر ثقيف باتجاه(الطائف)، و كان معهم مالك بن عوف، و انسحبت هوازن و القبائل الأخرى باتجاه(أوطاس) و(نخله) (١).

و قام المسلمون بالمطارده، و أعلن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ و سلم أنّ من قتل مشركا فله سلبه، و وصلت مطارده المسلمين الى(أوطاس)، فأوقعوا بهوازن هناك خسائر فادحه بالأرواح، كما وصلوا الى(نخله) فأوقعوا بالمنسحبين الى هناك من هوازن أيضا خسائر فادحه، كما استسلم كثير من المشركين أسرى، و لما عاد حديث و العهد بالإسلام من هزيمتهم رأوا الكثيرين من المشركين أسرى مصفدين بالأغلال.

١- نخله: واد من الحجاز بينه و بين مكه مسيره ليلتين. انظر معجم البلدان ٨/ ٢٧٦.

ص: ٣٦٨

حصار الطائف

وصل بعض المسلمين بمطاردتهم الى الطائف، التى التجأ إليها المنهزمون من المشركين، و كانت مدينه محصّنه ذات أسوار و حصون قويه و لها أبواب تغلق عليها.

و تجمّعت أرتال المسلمين التى طاردت المنسحبين الى(أوطاس) و(نخله)- بعد إنجاز واجباتها- برتل المسلمين الذى طارد ثقيفا باتجاه الطائف، لإجبار ثقيف على الاستسلام.

إلا- أن ثقيفا سدّدت نبالها على المسلمين الذين كانوا قريبين من الحصون، فأوقعوا فيهم بعض الخسائر، فقرر الرسول صلّى الله عليه و سلم الانسحاب بعيدا عن مرمى النبل، و استقرّ المسلمون في مواضع أمنيته هناك.

و فكّر المسلمون في وسيلة يستطيعون بها إجبار الطائف على الاستسلام، فأشار سلمان الفارسي بقذف حصونها بالمنجنيق و بمهاجمه تلك الحصون بالدبابات ...

رمى المسلمون الطائف بالمنجنيق و تقرب بعضهم بحمايه الدبابات الى سور الطائف ليخرقوه، و لكنّ أهل الطائف استطاعوا إحباط هذا الهجوم، إذ أحموا قطعا من الحديد بالنار، حتى اذا انصهرت ألقوها على الدبابات الخشبيه فحرقتها؛ فانسحب المسلمون المحتمون بها من تحتها لثلا يحترقوا، فرمتهم ثقيف بالنبل بعد انكشافهم من حمايه الدبابات.

أعلن الرسول صلّى الله عليه و سلم أنه سيعتق كل عبد يأتيه من الطائف، ففرّ إليه حوالى عشرين من عبيد أهلها، فعرف منهم أن المواد الغذائية كثيره جدا لدى ثقيف، لذلك آثر أن يرفع الحصار عن الطائف بعد أن استمر حوالى شهر واحد، تاركا أمر استسلام ثقيف الى الزمن، خاصه و أن الكثيرين من رجالها اعتنقوا الإسلام.

ص: ٣٦٩

خسائر الطرفين

١- المسلمون:

كانت خسائرهم كبيره جدا فى الأرواح. أنظر الملحق (م).

٢- المشركون:

كانت خسائر المشركين فى الأرواح كبيره جدا، أما خسائرهم فى الأموال فكانت:

أربعة و عشرين ألف بعير.

أربعين ألف شاه.

أربعة آلاف أوقيه من الفضة.

سته آلاف نسمة من السبي.

أسباب التخلي عن محاصره الطائف

يمكن إجمال أسباب تخلى المسلمين عن محاصره الطائف بما يلي:

١- قوه حصون الطائف و شجاعه بنى ثقيف و تكديس المواد الغذائيه فيها، كل ذلك جعل استسلامها للمسلمين صعبا يحتاج الى مده طويله.

٢- أصبحت الفتره بين ترك المسلمين المدينه فى رمضان حتى حصار الطائف و البقاء هناك حوالى شهر واحد، أصبحت الفتره حوالى شهرين تقريبا، و هذه المده ليست قليله بالنسبه للمسلمين الذين دخلوا الإسلام حديثا، مما جعل بعضهم يرغب فى سرعه العوده الى ديارهم، كما أن الوقت ثمين بالنسبه للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ لتوطيد دعائم الاسلام.

٣- قرب حلول الشهر الحرام (ذى القعدة).

ص: ٣٧٠

٤- انتشار الاسلام فى ثقيف مما جعل دخول ثقيف كلها فى الاسلام أكيدا لا يحتاج إلا إلى الوقت.

و قد نظمت مقاومه المسلمين ضد ثقيف بعد إسلام مالك بن عوف، حيث استعمله الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ على من أسلم من قومه، فكان يقاتل بهم ثقيفا لا يخرج لهم سرح إلا أنمار عليه، حتى ضيق عليهم الخناق، فالتجأوا الى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ و سلم و أسلموا ...

الغنائم

١- التكديس:

بعد انتهاء معركة حنين، كدس الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ الغنائم فى موضع (الجعرانه) (١)، حتى يتفرغ للمطارده و حصار الطائف، ثم يعود بعد ذلك الى توزيعها على أصحابه و المؤلفه لقلوبهم.

٢- التوزيع:

بقيت الغنائم غير موزعه مده طويله، لأن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ كان ينتظر قدوم وفد من هوازن إليه تائبين، و لكنه اضطر الى تقسيم الغنائم بعد أن بلغ انتظاره لهوازن حوالى شهر واحد، دون أن يحضر إليه أحد، خاصه و أن الأعراب و حديثى الإسلام أخذوا يلحون على الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ و سلم طالبين تقسيم الغنائم.

و شرع النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ بتقسيم الغنائم، و بدأ بالمؤلفه لقلوبهم، فأعطاهم أوفى العطاء و أجزله:

أخذ أبو سفیان مائه من الإبل و أربعين أوقيه من الفضة، فقال: (و ابنى معاويه)؟ فمنح مثلها لمعاويه. فقال: (و ابنى يزيد)؟ فمنح مثلها لابنه يزيد.

١- الجعرانه: هى ماء بين الطائف و مكه و هى الى مكه اقرب. انظر معجم البلدان ٣/ ١٠٩.

و أقبل رؤساء القبائل و أصحاب الطمع يتسابقون الى ما يمكن أخذه، و شاع أن النبي صَلَّى الله عليه و سلم يعطى عطاء من لا يخشى الفقر، و أوجس الناس خيفه إن أفشى النبي صَلَّى الله عليه و سلم هذه الأعطيات لمن يقدون عليه أن تنقص حصّتهم من الغنائم، فألحوا في أن يأخذ كلّ فيئه. و أكبّ عليه الأعراب يقولون: (يا رسول الله! أقسم علينا فيئنا)، فقام الرسول صَلَّى الله عليه و سلم الى جنب بعير، فأخذ من سنامه و بره، فجعلها بين إصبعيه، ثم رفعها، فقال: (أيها الناس! ما لي من فيئكم و لا هذه الوبره، إلا الخمس و الخمس مردود عليكم).

و قد كان نصيب المؤلفه قلوبهم من هذه الغنائم أوفى نصيب، أما المسلمون الأولون من المهاجرين و الأنصار، فقد كان نصيبهم لا يكاد يذكر.

٣- إعادة السبي:

بعد قسمه الغنائم أقبل وفد هوازن مسلما، و سألوا رسول صَلَّى الله عليه و سلم أن يرّد عليهم سبيهم و أموالهم، فخيرهم الرسول صَلَّى الله عليه و سلم بين أبنائهم و نسائهم و بين أموالهم، فاختاروا أبناءهم و نساءهم، فقال الرسول صَلَّى الله عليه و سلم: (أما ما كان لي و لبني عبد المطلب فهو لكم، و إذا ما صليت الظهر بالناس فقوموا فقولوا: إنا نستشفع برسول الله الى المسلمين و بالمسلمين الى رسول الله في أبنائنا و نسائنا، فسأعطيكم عند ذلك و أسأل لكم).

نفّذت ذلك هوازن، فأجابهم الرسول صَلَّى الله عليه و سلم: (أما ما كان لي و لبني عبد المطلب فهو لكم). قال المهاجرون: (و ما كان لنا فهو لرسول الله)، و كذلك قال الأنصار.

و لكنّ الأقرع بن حابس عن تميم و عيينه بن حصن عن فزاره، رفضا إعادة السبي، كما رفض عباس بن مرداس، هنالك قال النبي صَلَّى الله عليه و سلم: (أما من تمسك منكم بحقه من السبي، فله بكل إنسان سته فرائض من أول سبي أصيبه).

و هكذا ردّ المسلمون كلّ السبايا الى هوازن.

سرايا الدعوه

سريه الطفيل بن عمرو الدّوسى الى ذى الكفّين

سريه الطفيل بن عمرو الدّوسى الى ذى الكفّين (١)

لما أراد رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم السير الى الطائف، بعث الطفيل بن عمرو الدّوسى فى شوال سنه ثمان الهجرية الى (ذى الكفّين) صنم عمرو بن حممه الدّوسى يهدمه، و أمره أن يستمدّ قومه و يوافيه بالطائف؛ فخرج سريعا الى قومه، فهدم (ذا الكفّين)

و جعل يحشّ النار في وجهه و يحرقه و يقول:

يا ذا الكفين لست من عبادك ميلادنا أقدم من ميلادك

إني حششت النار في فؤادك

و انحدر معه أربعمائه من قومه سراعا، فوافوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ بالطائف بعد مقدمه بأربعة أيام، و قدم بدبابه و منجنيق، فأفاد المسلمون منهما في حصار الطائف.

سريه عيينه بن حصن الفزاري الى بنى تميم

بعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ عيينه بن حصن الفزاري في المحرم سنة تسع الهجرية الى بنى تميم و كانوا بين (السّقى) (٢) و أرض بنى تميم، و بعث معه خمسين فارسا من العرب ليس فيهم مهاجري و لا أنصاري، فكان يسير الليل و يكمن النهار.

و هجم عيينه عليهم صباحا فانهمز بنو تميم، فأخذ المسلمون منهم أسرى من

١- ذو الكفين: كان لدوس ثم لبني منهب صنم يقال له: ذو الكفين، فلما أسلموا بعث النبي (ص) الطفيل بن عمرو الدوسي فحرقه. أنظر كتاب الأصنام للكلبى ص ٣٧.

٢- السّقى: من أسافل أوديه تهامه، و هى أيضا قرية جامعها من عمل الفرع بينهما مما يلى الجحفة تسعة عشر ميلا. أنظر معجم البلدان ٥ / ٩٤.

ص: ٣٧٣

الرجال و النساء و الأطفال، و لكن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ أعادهم جميعا الى وفد بنى تميم الذى حضر المدينة المنورة.

سريه خالد الى بنى المصطلق

سريه خالد الى بنى المصطلق (١)

بعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ الوليد بن عقبة بن أبى معيط فى أوائل السنة التاسعة الهجرية الى بنى المصطلق يصدّقهم، فلما رأوه أقبلوا نحوه يتلقونه بالجزور و الغنم فرحا به، فولى راجعا الى المدينة و أخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ أنهم لقوه بالسلاح يحولون بينه و بين الصدقة.

بعث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ خالد بن الوليد و أمره أن يتثبت و لا يعجل، فانطلق خالد حتى أتاهم ليلا، و بعث عيونهم فأخبروه أن القوم متمسّكون بالإسلام و سمعوا أذانهم و صلاتهم، فلما أصبحوا أتاهم خالد فرأى ما يعجبه، فرجع الى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ و سلم و أخبره الخبر، فنزل قوله تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِيبُوا بِحُجْرَةٍ عَلَىٰ مَا

فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)، نزلت في الوليد ابن عقبه (٢).

سريه قطبه بن عامر بن حديده الى خنعم

بعث رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم في صفر سنة تسع الهجرية قطبه بن عامر بن حديده في

- ١- المصطلق: هو لقب جذيمه بن سعد بن عمرو بن ربيعه بن حارثه، بطن من خزاعه. راجع فتح الباري بشرح البخارى ٧ / ٣٣٢.
- ٢- الأغانى ٤ / ٣٥٦-٣٥٧، و تفسير ابن كثير ٨ / ١١-١٢، و بهامشه تفسير البغوى ٨ / ١٠، و تفسير الزمخشري ٣ / ١٢١، و الآيه الكريمه من سوره الحجرات ٤٩: ٦.

ص: ٣٧٤

عشرين رجلا الى حَيٍّ من خثعم بناحية بيشه (١) قريبا من (تربه) (٢) بناحية (تباله) (٣)، و أمره أن يشن الغاره عليهم، فخرجوا على عشره من الإبل يتعقبونها فأخذوا رجلا فسألوه فاستعجم و جعل يصيح فقتلوه، و تريتوا حتى نام القوم فشنوا عليهم الغاره و اقتتلوا قتالا شديدا حتى كثر الجرحى فى الفريقين جميعا، إلا أن المسلمين انتصروا أخيرا فساق قطبه النعم و الشاء و الأسرى الى المدينه المنوره.

سريه الضحّاك بن سفيان الكلابى الى بنى كلاب

بعث رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم فى شهر ربيع الأول سنة تسع الهجرية جيشا الى (القرطاء) (٤) عليهم الضحّاك بن سفيان بن عوف بن أبى بكر الكلابى و معه الأصيد بن سلمه بن قرط، فلقوهم بالزج (زج لاوه) (٥) فدعوهم الى الإسلام فأبوا، فقاتلوهم فهزموهم، فلحق الأصيد أباه سلمه، و سلمه على فرس له فى غدير بالزج، فدعا أباه الى الإسلام و أعطاه الأمان، فسبّه و سب دينه، فضرب الأصيد عرقوبى فرس أبيه فوقع الفرس على عرقوبيه فارتكز سلمه على رمحه فى الماء ثم استمسك به حتى جاءه أحدهم فقتله و لم يقتله ابنه.

- ١- بيشه: اسم قريه غناء فى واد كثير الأهل من بلاد اليمن، و بين بيشه و تباله أربعة أميال من جهه اليمن. و بيشه أيضا واد يصب سيله من الحجاز حجاز الطائف ثم ينصب فى نجد. أنظر معجم البلدان ٢ / ٣٣٤.
- ٢- تربه: واد يأخذ من السراه و يفرغ فى نجران. أنظر معجم البلدان ٢ / ٣٧٤.
- ٣- تباله: موضع ببلاد اليمن. أنظر معجم البلدان ٢ / ٣٥٧.
- ٤- القرطاء: جماعه من بنى كلاب، و هم قرط و قريظ و قريظ بنو عبد بن أبى بكر ابن كلاب.
- ٥- زج لاوه: موضع نجدى. أنظر معجم البلدان ٤ / ٣٧٨.

ص: ٣٧٥

سريه علقمه بن محرز المدلجى الى الحبشه

بلغ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ نَاسًا مِنَ الْحَبَشَةِ رَأَوْهُمُ أَهْلَ (جَدَّة) (١)، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ عُلْقَمَةَ بِنَ مُحَمَّدِ بْنِ ثَلَاثِمِائَةَ رَجُلٍ وَ ذَلِكَ فِي شَهْرِ رَيْبَعِ الْآخِرِ سَنَةِ تِسْعِ الْهَجْرِيَّةِ، فَانْتَهَى إِلَى جَزِيرِهِ فِي الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ، فَهَرَبُوا مِنْهُ. فَلَمَّا رَجَعَ تَعَجَّلَ بَعْضُ الْقَوْمِ إِلَى أَهْلِهِمْ فَأَذَّنَ لَهُمْ، فَتَعَجَّلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَذَافَةَ السَّيْهَمِيُّ فِيهِمْ فَأَمَرَهُ عَلَى مِنْ تَعَجَّلَ، وَ كَانَتْ فِيهِ دَعَابَةٌ، فَتَزَلُّوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ وَ أَوْقَدُوا نَارًا يَصْطَلُونَ عَلَيْهَا وَ يَصْطَنَعُونَ، فَقَالَ: (عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ إِلَّا تَوَاتَبْتُمْ فِي هَذِهِ النَّارِ)، فَقَامَ بَعْضُ الْقَوْمِ وَ هَمُّوا أَنْ يَتَوَاتَبُوا فِيهَا، فَقَالَ: (اجْلِسُوا!! إِنَّمَا كُنْتُ أَضْحَكُ مَعَكُمْ)، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: (مَنْ أَمَرَكَ بِمَعْصِيَةِ فَلَا تَطِيعُوهَ).

سريه على بن أبي طالب الى الفلاس صنم طيبي ء

سريه على بن أبي طالب الى الفلاس (٢) صنم طيبي ء

بعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَيْبَعِ الْآخِرِ سَنَةِ تِسْعِ الْهَجْرِيَّةِ عَلَى بَنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى (الْفَلَاسِ) صَنَمِ طَيْبِي ء لِيَهْدِمَهُ، وَ بَعَثَ مَعَهُ خَمْسِينَ وَ مِائَةَ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى مِائَةِ بَعِيرٍ وَ خَمْسِينَ فَرَسًا وَ مَعَهُ رَايَةٌ سَوْدَاءٌ وَ لَوَاءٌ أَبْيَضٌ، فَشَنُوا الْغَارَةَ عَلَى مَحَلِّهِ آلِ حَاتِمٍ مَعَ الْفَجْرِ، فَهَدَمُوا (الْفَلَاسَ) وَ خَزَّبُوهُ وَ مَلَأُوا أَيْدِيَهُمْ مِنَ السَّبْيِ وَ النِّعَمِ وَ الشَّاءِ، وَ فِي السَّبْيِ أُخْتُ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمِ الطَّائِي الَّذِي هَرَبَ إِلَى الشَّامِ.

وَ عَادَ عَلَى بَنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنُورَةِ بَعْدَ ذَلِكَ، فَمَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأُخْتِ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، فَقَالَتْ لَهُ: (إِنْ رَأَيْتَ أَنَّ تَخَلَّى عَنَّا وَ لَا تَشْتَمُ بَنَاءَ أَحْيَاءَ

١- جدّه: مدينه فى الحجاز، و هى ميناء مكه المكرمه، تقع غرب مكه على البحر الأحمر، و هى اليوم مدينه كبيره عامره.
٢- الفلاس: فى ابن الكلبي بفتح الفاء، و فى طبقات ابن سعد ١٦٤ / ٢ بضمها، و هو صنم لطيبي ء، و كان أنفا أحمر فى وسط جبلهم الذى يقال له: (أجأ) أسود كأنه تمثال إنسان، كانوا يعبدونه و يهدون إليه، و لا يأتيه خائف إلا أمن عنده. أنظر كتاب الأصنام لابن الكلبي ص ٥٩.

ص: ٣٧٦

ص: ٣٧٧

ص: ٣٧٨

العرب، فإنى ابنه سيد قومي، و إن أبى كان يحمى الذمار و يفك العانى و يشبع الجائع و يكسو العارى و يقرى الضيف و يطعم الطعام و يفشى السلام و لم يرد طالب حاجه قط ... أنا ابنه حاتم طيبي ء)، فقال لها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يا جاريه! هذه صفات المؤمنين حقا. لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه)!

دروس من حنين و الطائف و سرايا الدعوه

١- المباغتة:

أ- استخدم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلِمَ فِي حِصَارِ الطَّائِفِ الْمَنْجَنِيْقِ وَ الدَّبَابَةِ، وَ بِذَلِكَ اسْتِفَادَ مِنْ سِلَاحِيْنَ جَدِيْدِيْنَ فِي الْقِتَالِ. فَمَا هُوَ الْمَنْجَنِيْقُ؟ وَ مَا هِيَ الدَّبَابَةُ؟

يَتَأَلَّفُ الْمَنْجَنِيْقُ بِصُوْرِهِ عَامَهُ مِنْ عَامُوْدٍ طَوِيْلٍ قُوَى مَوْضُوْعٍ عَلَى عَرْبِهِ ذَاتِ عَجَلَتِيْنَ فِي رَأْسِهَا حَلْقُهُ أَوْ بَكَرُهُ، يَمْرُ بِهَا حَبْلٌ مَتِيْنٌ، فِي طَرَفِهِ الْأَعْلَى شَبِكَةٌ فِي هَيْئِهِ كَيْسٌ. تَوْضَعُ حِجَارُهُ أَوْ مَوَادٍ مَحْتَرِقَةٍ فِي الشَّبِكَةِ، ثُمَّ تَحْرُكُ بِوِاسِطَةِ الْعَامُوْدِ وَ الْحَبْلِ (رَاجِعْ شَكْلَ الْمَنْجَنِيْقِ)، فَيَنْدَفِعُ مَا وَضَعَ فِي الشَّبِكَةِ مِنَ الْقَذَائِفِ وَ يَسْقُطُ عَلَى الْأَسْوَارِ، فَيَقْتُلُ أَوْ يَحْرِقُ مَا يَسْقُطُ عَلَيْهِ.

أَمَّا الدَّبَابَةُ، فَعِبَارَةٌ عَنِ آلِهِ مِنَ الْخَشْبِ الثَّخِيْنِ الْمَغْلَمَفِ بِالْجُلُوْدِ أَوْ اللَّبُوْدِ، تَرَكَّبَ عَلَى عَجَلَاتٍ مَسْتَدِيرَةٍ، فَهِيَ عِبَارَةٌ عَنِ قَلْعِهِ مَتَحْرِكُهُ يَسْتِطِيعُ الْمَشَاهِدَ الْإِحْتِمَاءَ بِهَا مِنْ نِبَالِ الْأَعْدَاءِ.

هَذَا السِّلَاحَانِ الْجَدِيْدَانِ بَاغَتْ بِهِمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلِمَ أَعْدَاءَهُ فِي الطَّائِفِ؛ وَ لَكِنَّ أَهْلَ الطَّائِفِ اسْتِطَاعُوا أَنْ يَحْرِمُوا الْمُسْلِمِيْنَ مِنْ فَوَائِدِ هَذِيْنِ السِّلَاحِيْنَ، وَ ذَلِكَ بِأَسْلُوْبٍ قَذَفَ الْحَدِيْدَ الْمَصْهُورَ عَلَى خَشْبِ الدَّبَابَاتِ، فَاحْتَرَقَتْ تِلْكَ الْأَخْشَابُ وَ اضْطُرَّ الْمَحْتَمُونَ بِهَا إِلَى الْفِرَارِ، فَأَصْبَحُوا بَعْدَ انْكَشَافِهِمْ هَدَفًا مَنَاسِبًا لِرَمِيهِمْ بِالسَّهَامِ، وَ بِذَلِكَ أَحْبَطَتْ ثَقِيْفٌ مَحَاوِلَهُ الْمُسْلِمِيْنَ لِلْإِفَادَةِ مِنْ اسْتِعْمَالِ الْمَنْجَنِيْقِ وَ الدَّبَابَةِ اسْتِعْمَالًا مَفِيْدًا حَاسِمًا.

ص: ٣٧٩

منجنيق لرمى النفط

ص: ٣٨٠

ب- إِنْ أُسْلُوْبُ احْتِلَالِ ثَقِيْفٍ وَ هُوَازِنِ وَادِي حَنِينٍ بِشَكْلِ مَخْفِيٍّ مَسْتَفِيْدِيْنَ مِنَ الْأَرَاضِي الْمَسْتُوْرَةِ، أَدَّى إِلَى مَبَاغِتِهِمْ لِلْمُسْلِمِيْنَ مَبَاغِتُهُ كَامِلَةٌ.

وَ لَوْ لَا صُمُوْدُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلِمَ مَعَ قِسْمٍ قَلِيْلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، لَاسْتِطَاعَ الْمَشْرِكُونَ اسْتِثْمَارَ هَذِهِ الْمَبَاغِتَةِ الْمَتَمِيْزَةِ إِلَى أَقْصَى الْحُدُوْدِ.

٢- الْقِيَادَةُ:

أَيُّ كَارِثَةٍ كَانَتْ يُمْكِنُ أَنْ تَحُلَّ بِالْمُسْلِمِيْنَ بَعْدَ هَزِيْمَتِهِمْ فِي أَوَّلِ مَعْرَكَةِ حَنِينٍ، لَوْ لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلِمَ هُوَ قَائِدَهُمْ وَ قَتَ ذَاكَ؟

لَقَدْ كَانَتْ مَوْقِفَ الْمُسْلِمِيْنَ فِي هَزِيْمَتِهِمْ عَصِيْبًا لِلْغَايَةِ: بَاغِتَهُمُ الْعَدُوُّ مِنْ مَوَاضِعٍ مَسْتُوْرَةٍ فِي عِمَايَةِ الْفَجْرِ، وَ انْهَالَتْ عَلَيْهِمُ النَّبَالَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَلَمَّا ارْتَدَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ طَارَدَهُمُ الْعَدُوُّ فِي مِيْدَانِ ضَيْقٍ لَا يَتَسَعُّ لِلتَّبَعِثِ الَّذِي يَقْلَلُ مِنَ الْخُسَائِرِ.

فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْقِفِ الْعَصِيْبِ، ثَبَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلِمَ مَعَ عَشْرَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ - عَشْرَةٌ فَقَطْ - وَ اسْتِطَاعَ أَنْ يَجْمَعَ مَائَةَ مِنْ

المسلمين، و يكون منهم (ساقه) (١) يحمي بها انهزام المسلمين من مطارده المشركين بهؤلاء المائه من الرجال، ثم يقوم بالهجوم المضاد بعد فتور زخم هجوم المشركين و مطاردتهم، فلم يعد المنهزمون من المسلمين إلا بعد فرار المشركين، فوجدوا أسرى المشركين مقرنين بالأغالل.

لم يكن موقف المسلمين حين انهزامهم سهلا، خاصة و أن حديثي الإسلام كانوا أول المنهزمين، بل المشجعين على الهزيمة. و لم يكن النبي صَلَّى الله عليه و سلم يكافح المشركين في موقفه العصيب هذا و حسب، بل كان يكافح كثيرا من أعدائه المتظاهرين بالإسلام الذين كان ضمن جيشه، و قد رأيت كيف حاول أحدهم اغتياله في عنفوان هذا الموقف العصيب.

١- السّاقه من الجيش: مؤخرته. و السّاقه في المصطلحات العسكريه الحديثه هي القوه المسؤوله عن حمايه المؤخره من العدو، أى هي مؤخره المؤخره و الجزء القريب بها الى العدو.

ص: ٣٨١

إن نتيجه معركه حنين، مثال رائع لأثر القائد الشخصى على نتيجه المعركه، بل نستطيع أن نقول: ان نتيجه معركه حنين قد كسبها النبي صَلَّى الله عليه و سلم وحده بعون من الله.

أما قائد المشركين، فعلى الرغم من شجاعته التى بلغت حد التهور، إلا أنه لم يكن قائدا بالمعنى الصحيح؛ فلم يكن لاستصحاب الأموال و الذرارى مع المقاتلين أى معنى، و لم يفكر بخطه غير خطه احتلال وادى حنين؛ أما بعد ذلك فقد ارتبك كل شىء فى صفوف المشركين، لأنه لم تكن لديهم أى خطه للدفاع أو للانسحاب، حتى أن قائد المشركين لم يستطع تأمين (ساقه) لقواته تحمي انسحابها مما أوقع بقواته خسائر فادحه بالأرواح.

٣- المطارده:

أ- قام المشركون بمطارده المسلمين بعد انهزامهم فى الصفحه الأولى من غزوه حنين، و لكنّ الصامدين من المسلمين و على رأسهم النبي صَلَّى الله عليه و سلم، استطاعوا تحديد زخم مطارده المشركين كما استطاعوا حمايه انسحاب المسلمين بدون تدخل المشركين فيه، فكان أول واجب للذين ثبتوا من المسلمين هو قيامهم بواجب (السّاقه) لحمايه الانسحاب، و قد نجحت تلك السّاقه نجاحا ممتازا إذ لولاها لكانت خسائر المسلمين كثيره جدا خاصة و أن انسحابهم يجرى فى منطقه ضيقه لا تساعد على التبعر الذى يقلل من الخسائر.

ب- لم يؤمن المشركون ساقه لحمايه قواتهم عندما تجمعت بعض قوات المسلمين و قامت عليهم بالهجوم المقابل الذى انهزم على إثره المشركون، لذلك استطاع المسلمون إيقاع الخسائر الفادحه بالمشركين، كما استطاعوا جعل انسحابهم ينقلب الى هزيمه.

ج- و قد قام المسلمون بمطارده مثاليه استطاعوا بها القضاء على المشركين المتجهين الى (أوطاس) و(نخله)، بينما حمت أسوار و

منجنيق لرمى السهام الثقيله

المشركين الثالث الذى اتجه الى الطائف، و عند ذاك بدأ حصار الطائف بعد تجمّع أرتال المسلمين هناك.

٤- المعلومات:

أ- بعث المسلمون قبل حركتهم فى مكه باتجاه حنين أحد رجالهم ليعرف حقيقه حشد هوازن و ثقيف و مواضع حشدها و قوتها و نواياها فعاد الرجل بالمعلومات الكامله عن هوازن و ثقيف.

كما أرسل المشركون دوريات استطلاع لمعرفة اتجاه حركه المسلمين و المواضع التى وصلوها و قوتهم، و قد كانت فائده هذه الدوريات للمشركين كبيره جدا، لأنهم انجزوا احتلال وادى حنين بشكل ممتاز قبل وصول المسلمين إليهم، و باغتوا أرتال المسلمين حين دخولهم فيه، و لو لا دوريات استطلاعهم لما

استطاعوا معرفه المواضع التى وصلها المسلمون فبنوا خطتهم بالنسبه لتلك المعلومات الصحيحه لكى يباغتوا المسلمين.

لقد كان عمل دوريات استطلاع المشركين متميزا.

ب- إنَّ واجب(المقدمه) (١) المهم هو حمايه(القسم الأكبر) و الحصول على المعلومات عن العدو حتى لا تباغت قوات(القسم الأكبر).

و لم تنجز مقدمه المسلمين هذا الواجب أبدا، فهى لم تستطع معرفه مواضع المشركين التى احتلوها فى وادى حنين، و اندفعت المقدمه بسرعه على غير هدى و بصيره، و اندفعت وراءها قوات المسلمين وراء تلك المقدمه لاعتقادها أن اندفاعها هذا أمين و غير خطر، إذ لو كان هناك خطر لما اندفعت المقدمه أو لاستطاعت القضاء عليه.

إنَّ من أهم أسباب هزيمة المسلمين فى الصفحه الأولى من معركة حنين، هو عدم قيام مقدمتهم بواجبها، فلم تحصل على المعلومات عن مواضع العدو، و لم تمنع مباغتته العدو للقسم الأكبر.

و بذلك أخفقت مقدمه المسلمين يوم حنين فى واجبها إخفاقا ذريعا، على الرغم من أنها كانت بقيادة خالد بن الوليد رضى الله عنه!

٥- المعنويات:

أ- كانت معنويات المشركين ضعيفه من أول يوم بدأوا فيه بالحشد، فقد تخلفت أقوى و أشجع قبائلهم، كما تخلف أكثر رجالهم من ذوى العقول و الأحلام. و قد اضطر مالك بن عوف قائد المشركين أن يستصحب النساء و الأطفال و الأموال مع المقاتلين حتى لا يفتر أحد من القتال، بل يكافح دفاعا عن عرضه و أمواله إذا لم يدافع عن غرض آخر.

١- المقدمة: قطعات الحماية الأمامية التي تحمى الجيش من العدو فى التقدم نحو العدو.

ص: ٣٨٤

و ظهر التردد فى نفوس القبائل المحتشده للقتال، فاضطر مالك أن يهدد قواته بأن ينفذوا أوامره و يطيعوه أو يلجأ الى الانتحار.

ب- أما معنويات المسلمين، فقد كانت عاليه الى درجه الغرور، حتى قالوا يوم حركتهم الى حنين: (لن نغلب اليوم من قله)، لكنهم غلبوا من (كثره) مغروره فى الصفحه الأولى من يوم حنين، و لو لا- ثبات النبى صلى الله عليه و سلم لقضى على معظم المسلمين يوم ذاك إن لم يقض عليهم جميعا.

و صدق الله العظيم: (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ، وَ يَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا، وَ ضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ) (١).

٦- العقيدة:

أ- العقيدة القويه لها أكبر الأثر فى النصر؛ فهى توخّذ شعور الناس، و تجعلهم يتعاطفون و يقاتلون لهدف معين معروف، و قد انتصر المسلمون بعقيدتهم فى كل معركة خاضوها، تلك العقيدة التى جعلتهم يبذلون أرواحهم و أموالهم رخيصة فى سبيل الله و لإعلاء كلمه الله.

بعد فتح مکه أسلم كثير من رجال قريش، فلما تحرك جيش المسلمين باتجاه حنين، رافقه حوالى ألفين من هؤلاء المسلمين الحديثى الإيمان الذين لم يعرفوا من الاسلام إلا اسمه، إذ لم يمض على إسلامهم وقت كاف لتفهّم تعاليم الاسلام.

رأى حديثو الاسلام فى طريقهم مع جيش المسلمين نحو حنين شجره عظيمه خضراء، فتنادوا من جنبات الطريق: (يا رسول الله! اجعل لنا(ذات أنواط) كما لهم ذات أنواط) (٢).

١- الآيه الكريمة من سوره التوبه ٩: ٢٥.

٢- ذات أنواط: شجره بعينها كان المشركون ينوطون بها سلاحهم، أى يعلقونه بها و يعكفون حولها.

ص: ٣٨٥

و ذات أنواط شجره ضخمه يأتونها فى الجاهليه كل سنه للتبرك بها، فيعلقون أسلحتهم عليها، و يذبحون عندها و يعكفون عليها يوما، و لم يفقه هؤلاء الذين اسلموا حديثا و لم يدخل الإيمان فى قلوبهم هؤلاء أن جهاد النبى صلى الله عليه و سلم كله كان

لغرض واحد: هو القضاء على الشرك و إعداء كلمه التوحيد.

بل كان قسم من هؤلاء يحملون أزالامهم معهم.

لذلك فقد سرّهم انهزام المسلمين، بل أظهروا شماتتهم و شجعوا عليه.

ب- إن من أسباب هزيمة المسلمين فى الصفحه الأولى من يوم حنين، هو وجود هؤلاء المسلمين من قريش الذين لم تطمئن قلوبهم للإسلام بعد، فانهزموا أول المنهزمين و أشاعوا الذعر فى النفوس و أثروا فى المعنويات.

و ليس هناك فى الحرب أصعب من السيطرة على الانسحاب، فعندما تنسحب قطعه من القطعات و تراها القوات الأخرى، فإن القوات كلها تنسحب معقبه تلك القطعه المنسحبه بدون تفكير و لا شعور، و هذا ما حصل أول يوم حنين، إذ سيطر على المسلمين المنهزمين تفكير القطيع من الغنم، إذا فعل أحدها شيئاً اقتفت بقيه القطيع أثره و فعلت فعله.

ج- إن انتصار المسلمين لم يكن لكثرتهم فى أى معركة خاضوها، بل كان انتصارهم لعقيدتهم الراسخه، و أكبر درس يمكننا استنتاجه من معركة حنين، هو إخفاق المسلمين على كثرتهم فى مستهل المعركة لوجود بعض ذوى العقائد الواهنة بين صفوفهم، بالإضافة الى الأسباب الأخرى.

أما انتصار المسلمين فى حنين بعد ذلك فكان بثبات ذوى العقائد الراسخه و قيامهم بالهجوم المضاد، فانتصروا على الرغم من قتلهم، فقد كانوا مائه رجل كما ذكرت بعض المصادر و لا يتجاوزون المئات كما نصّت عليه بعض المصادر الأخرى ...

ص: ٣٨٦

إن معارك المسلمين مع المشركين كانت معارك عقيده لا معارك عدد و تسليح.

د- و لم يكن للمشركين أيه عقيده واضحه يضحون فى سبيلها بأرواحهم عن طيبه خاطر، فاضطروا الى استصحاب أهليهم و أموالهم معهم، حتى يدافعوا عنها عندما يعجزهم الدفاع عن شىء آخر.

لقد رأيت ثبات النبى صلّى الله عليه و سلم فى أخطر موقف عصيب، و لكنّ مالك بن عوف قائد المشركين آثر الفرار مع أول المنهزمين؛ فقصد الطائف و بقى محصوراً هناك، فلما قدم وفد هوازن النبى صلّى الله عليه و سلم، سألهم عن مالك؛ و حين علم أنه ما زال فى الطائف مع ثقيف طلب إليهم أن يبلغوه: (أنه إن أتاه مسلماً ردّ عليه ماله و أهله و أعطاه مائه من الإبل).

حينذاك لم يتردد مالك حين علم بهذا الوعد، أن أسرج فرسه فى سر من ثقيف وفرّ به الى النبى صلّى الله عليه و سلم فأعلن إسلامه و أخذ ماله و أهله و مائه من الإبل!

٧- حرب الفروسيه:

مرّ النبى صلّى الله عليه و سلم فى طريقه بامرأه قتيل، فقال: (من قتلها)؟! قالوا:

(قتلها خالد بن الوليد). فقال لبعض من معه: (أدرك خالدًا فقل له:

إن رسول الله ينهاك أن تقتل امرأة أو وليدا عسيفا) (١). لم يكن قتل المرأة المشركه عمدا، بل كان خطأ في أثناء انهزام المشركين و قيام المسلمين بمطاردتهم، و في مثل هذا الموقف تقع كثير من الأخطاء العسكريه؛ لأن الحاله النفسيه للمنهزمين و للقائمين بالمطارده على حد سواء تكون غير طبيعيه، لذلك حدث مثل هذا الخطأ في قتل امرأه واحده؛ و مع ذلك فقد أراد النبي صلى الله عليه و سلم أن يؤكد أوامره السابقه في اجتناب قتل الضعفاء.

١- العسيف: الأجير.

ص: ٣٨٧

إن حرب المسلمين كانت حرب فروسيه، تطلب النصر بوسائل شريفه، و تعف عن الظلم و العدوان.

٨- القضايا الاداريه:

أ- توزيع الغنائم:

أولاً: سيطر العامل النفسى بالدرجه الأولى على توزيع الغنائم، فقد أراد النبي صلى الله عليه و سلم أن يستميل قلوب رجالات قريش الذين أسلموا حديثا و لما يدخل الإيمان في قلوبهم، كما أراد أن يستميل زعماء القبائل الأخرى، لأن كثيرا من الناس يقادون الى الحق من بطونهم لا من عقولهم (١).

و قد أغدق النبي صلى الله عليه و سلم العطاء على هؤلاء، حتى أصبح النبي صلى الله عليه و سلم أحب الناس إليهم و أصبح الاسلام دينهم الوحيد. أما المسلمون الأولون، فقد رأى النبي صلى الله عليه و سلم أن يحرمهم من الغنائم، لأن إيمانهم أقوى من أن تؤثر فيه القضايا الماديه، فلما عتب عليه قسم من المسلمين الأولين في ذلك أجابهم: (إننى أعطى قوما أخاف هلعهم و جزعهم، و أكل قوما الى ما جعل الله في قلوبهم من الخير و الغنى، منهم عمرو بن ثعلب). قال عمرو: (ما أحب أن لى بكلمه رسول الله صلى الله عليه و سلم حمر النعم).

كان الأنصار ممن وقعت عليهم مغارم هذه السياسه، فقد حرموا جميعا أعطيات حنين، فلم يمنحوا شيئا منها قط، فقال قائلهم: (لقى و الله رسول الله صلى الله عليه و سلم قومه)، فمشى سعد بن عباده الى النبي صلى الله عليه و سلم فقال: (يا رسول الله! إن هذا الحى من الأنصار وجدوا عليك في أنفسهم)!

قال النبي صلى الله عليه و سلم: (فيم)؟! قال سعد: (فيما كان من قسمه هذه الغنائم في قومك و في سائر العرب، و لم يكن فيهم من ذلك شىء).

١- يطلق على هؤلاء: المؤلفه قلوبهم.

قال النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم: (فأين أنت من ذلك يا سعد)؟ قال: (ما أنا إلا امرؤ من قومي).

قال النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم: (اجمع لى قومك فى هذه الحظيره، (١) فاذا اجتمعوا فأعلمنى). فخرج سعد، فجمعهم حتى إذا لم يبق من الأنصار أحد إلا اجتمع له، قال: (يا رسول الله! اجتمع لك هذا الحى من الأنصار حيث أمرتنى أن أجمعهم).

وقف النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم فيهم خطيبا فقال: (يا معشر الأنصار! أ لم آتكم ضللا فهداكم الله، وعاله (٢) فأغناكم الله، و أعداء فألف الله بين قلوبكم)؟

قالوا: (بلى! الله و رسوله أمّن (٣) و أفضل).

قال النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم: (ألا تجيبون يا معشر الأنصار)؟ قالوا: و ما نقول يا رسول الله، و ماذ نجيبك؟؟ المن لله و لرسوله.

قال النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم: (و الله لو شئتم لقتم و صدقتكم: جئنا طريدا فأويناك، و عائلا فأسيناك (٤)، و خائفا فأمناك، و مخذولا فناصرناك! أوجدتم فى نفوسكم يا معشر الأنصار فى لعاهه (٥) من الدنيا تألفت بها قوما أسلموا، و وكلتكم الى ما قسم الله لكم من الاسلام؟ أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس الى رحالهم بالشاه و البعير و تذهبون برسول الله الى رحالكم؟ فوالذى

١- الحظيره: هى فى الأصل مكان يتخذ للإيل و الغنم يمنعها الانفلات و يمنعها هجمات اللصوص و الوحوش.

٢- العاله: الفقراء.

٣- أمّن: هو أفعال تفضيل من المنه و هى النعمه.

٤- آسيناك: أعطيناك حتى جعلناك كأحدنا.

٥- لعاهه: بقله حمراء ناعمه، شبه بها زهره الدنيا و نعيمها.

نفسى بيده، لو أن الناس سلكوا شعبا (١) و سلكت الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار، و لولا الهجره لكنت امرأ من الأنصار! اللهم إرحم الانصار و أبناء الأنصار و أبناء أبناء الأنصار).

بكى القوم حتى بللوا لحاهم بالدموع، و قالوا: رضينا برسول الله قسما و حطا.

ثم انصرف رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلم، و تفرقوا.

لقد حرصت على أن أنقل هذا الحديث كله، كى أبرز بوضوح الحكمة التى أرادها النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم من توزيع أكثر الغنائم على المؤلفه قلوبهم، و لكى يظهر الأسلوب الرائع الذى كان يعالج به النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم بعض المشكلات التى

تعرّضه، و كيف يستطيع بهذه المعالجه الحكيمه التخلص من تلك المشكلات بأسلوب مقنع حكيم.

لقد كان كلامه خارجا عن القلب، لذلك فهو يؤثر فى القلب، و قد أوتى عليه أفضل الصلاه و السلام جوامع الكلم.

ثانياو فى أسلوب جمع الغنائم من الناس و السيطرة عليها و وضعها فى محل واحد، مثال قيم للسيطره على الغنائم العسكريه و عدم إفساح المجال لتبعثرها فى الأيدي دون مبرر.

جمعت الغنائم فى موضع (الجعرانه) بين الطائف و مكه بعيدا عن المواضع الخطره، و تأمنت حراستها، و سلم المسلمون كل غنيمه أصابوها الى المسؤول عن جمع الغنائم، حتى الإبره و الخيط.

جاء رجل من الانصار بكبه من خيوط شعر، فقال: (يا رسول الله! أخذت هذه الكبه أعمل بها برذعه بعير لى دبر)، فقال النبى صَلَّى الله عليه و سلم: (أما

١- شعب: بكسر فسكون، الطريق بين جبلين.

ص: ٣٩٠

نصيبي منها فلئك). فأعادها الأنصارى الى مستودع الغنائم، بل أعاد عقيل ابن أبى طالب إبره كانت معه الى مستودع غنائم المسلمين.

ان السيطرة على جمع الغنائم ضروريه جدا، و قد نصت التعاليم العسكريه الحديثه على ضروره السيطرة على جمع الغنائم لثلا تذهب بددا بين الأجناد، و لكن لم تصل الدقه بتاتا فى أى وقت من الأوقات و فى أى حال من الأحوال الى ما وصلت إليه الدقه و الأمانه التى وصل اليها المسلمون فى جمع غنائمهم قبل أربعه عشر قرنا!

ب- الخسائر:

كانت خسائر المسلمين فى الأرواح كبيره عند انهزامهم فى الصفحه الأولى من معركة حنين، و لو لا ثبات النبى صَلَّى الله عليه و سلم مع عشره من أصحابه، لكانت خسائر المسلمين فى الأرواح أضعافا مضاعفه لخسائرهم يومذاك.

و كانت خسائر المشركين بعد هزيمتهم كبيره جدا، فى الأرواح و الأموال، خاصه و أنهم لم يؤمنوا ساقه لحمايه هزيمتهم.

و الدرس المهم من هذا الموقف هو تأمين ساقه قويه للقطعات المنسحبه لحمايه الانسحاب، و إلا فالانسحاب ينقلب حتما الى هزيمه، و ما أعظم كارثه الانسحاب الذى ينقلب الى هزيمه!

ج- الإعاشه:

كانت تدابير الإعاشه عند المسلمين جيده، كما كانت تدابير إعاشه المشركين جيده أيضا، خاصه فى حصار الطائف، فقد كدّست ثقيف مواد الإعاشه داخل الطائف، بحيث تكفيها لحصار طويل، لذلك كان من عوامل عوده المسلمين الى مكه قبل استسلام الطائف، هو اعتقادهم بأن ثقيفا لن تستسلم لنقص أرزاقها.

ص: ٣٩١

د- النقليه:

كانت النقليه متيسره بكميات كافيه لدى المسلمين و المشركين على حد سواء، و يكفى أن تطلع على عدد الغنائم من الإبل التى خلفها المشركون وراءهم لتعرف مقدار النقليه المتيسره عند المشركين حينذاك.

هـ- التسليح:

كان تسليح المسلمين متميزا بالدروع و الأسلحه الأخرى، و برز لنا فى هذه الغزوه سلاحان جديداً استخدمهما المسلمون هما: المنجنيق و الدبابه. كما برز لنا أسلوب جديد فى مكافحه الدبابه استخدمه المشركون، هو حرق الدبابه بالحديد المنصهر.

ص: ٣٩٢

الملحق (م) شهداء حنين و الطائف

شهداء حنين

١- أبو عامر الأشعري عم أبي موسى الأشعري.

٢- أيمن بن عبيد و هو ابن أم أيمن أخو أسامه بن زيد من الرضاعه.

٣- يزيد بن زمعه بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى.

٤- سراقه بن الحارث بن عدى بن العجلان من الأنصار.

شهداء غزوه الطائف

١- سعيد بن سعيد بن العاصى بن أميه.

٢- عرفطه بن جنّاب حليف لبني أميه من الأزد.

٣- عبد الله بن أبي بكر الصديق، أصابه سهم فاستمر منه مريضا حتى مات منه بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ فِي خِلافِهِ أَيْهِ.

٤- عبد الله بن أمية بن المغيرة المخزومي أخو أم سلمة أم المؤمنين.

٥- عبد الله بن عامر بن ربيعة العنزي حليف بني عدى بن كعب.

٦- السائب بن الحارث بن قيس بن عدى.

٧- أخوه: عبد الله بن الحارث السهمي.

٨- جليحه بن عبد الله من بني سعد بن ليث.

٩- ثابت بن الجذع من بني سلمة من الأنصار.

١٠- الحارث بن سهل بن أبي صعصعة من بني مازن بن النجار.

١١- المنذر بن عبد الله من بني ساعده.

١٢- رقيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لوزان بن معاوية.

ص: ٣٩٣

دوله الاسلام

اشاره

(وَلِلّٰهِ الْعِزَّةُ وَ لِرَسُوْلِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِيْنَ).

(القرآن الكريم)

ص: ٣٩٤

ص: ٣٩٥

غزوه تبوك

اشاره

غزوه تبوك (١)

١- المسلمون:

سيطر المسلمون بعد فتح مكة وإخضاع هوازن و ثقيف على شبه جزيره العرب كلها حتى حدود الشام و العراق، و أصبح المسلمون مسئولين عن إداره هذه البلاد و تنظيم حياتها العسكريه و الاجتماعيه، و لم تبق في البلاد العربيه كلها قوه تجرؤ على مناهضه المسلمين و إعلانهم بالعداء.

و لكن الإسلام ليس دين العرب وحدهم، بل هو للناس كافه، فلا بد من تأمين حريه نشر تعاليمه بين العرب و غيرهم.

و إذا كان الإسلام قد انتشر في شبه الجزيره العربيه، فقد آن الأوان لنشره خارجها، بعد أن أصبح المسلمون بدرجه من القوه و التنظيم تساعداهم على حمايه حريه انتشاره بين الناس كافه.

٢- المنافقون:

استمر المنافقون في المدينه على الرغم من قتلهم و تظاهرهم بالإسلام على تشييط الهمم و نشر الروح الانهزاميه و خلق الفتن و المشاكل للمسلمين، و لكنهم لم يكونوا بدرجه من الأهميه و القوه بحيث يحسب لهم المسلمون أي حساب.

و قد أصبحوا على مّر الزمن معروفين لأهل المدينه لا تخفى أعمالهم على أحد.

و كان باستطاعه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ تطهير المدينه منهم، لو لا رغبته في أن يثوبوا الى رشداهم، و لو بعد حين.

١- تبوك: موضع بين وادي القرى و الشام، و هو حصن به عين و نخل. انظر التفاصيل في معجم البلدان ٢ / ٣٦٥.

ص: ٣٩٦

٣- المشركون:

لم يبق للمشركين في شبه الجزيره العربيه أيه قيمه عسكريه، خاصه بعد إسلام قريش زعيمه القبائل العربيه و عميده المشركين، فقد انتشر الإسلام في القبائل العربيه انتشارا ساحقا، و أصبح إسلام المتخلفين من المشركين أمرا لا شك فيه.

و فعلا بدأت وفود المشركين تتسابق الى المدينه لإعلان إسلامها، و أخذ العرب يدخلون في دين الله أفواجا.

لقد أصبح خطر المشركين على المسلمين لا قيمه له من الناحيه العسكريه.

٤- الروم:

كانت أحوال امبراطوريه الروم مضطربه خاصه فى بلاد الشام، فقد كثر تدمّر الناس من ظلم حكام الروم و إرهابهم بالضرائب، لذلك أقبل كثير من القبائل العربيه الخاضعه لحكم الروم على اعتناق الإسلام.

أسلم فروه بن عمرو الجذامى قائد إحدى فرق الروم العسكريه التى قاتلت المسلمين فى غزوه (مؤته)، فقبض عليه بأمر من هرقل بتهمة الخيانه؛ و كان هرقل على استعداد للإفراج عنه اذا هو عاد الى المسيحيه، و لكن فروه أصرّ على إسلامه، فقتل.

إنّ انتشار الإسلام بين نصارى العرب أفضّ مضاجع الروم، و جعلهم يفكرون فى القضاء على الدين الجديد قبل أن يستفحل أمره، فقاموا بحشد قواتهم على حدود الشام الجنوبيه استعدادا لمهاجمه المسلمين، و استخدموا الأنباط الذين كانوا يتاجرون مع المدينه لنقل المعلومات اليهم عن المسلمين، تلك المعلومات التى أكدت لهم تزايد قوه المسلمين ماديا و معنويا، بحيث أصبحت تلك القوه خطرا داهما يهدد الروم فى بلاد الشام خاصه.

ص: ٣٩٧

اسباب غزوه تبوك

١- اسباب مباشره:

حشدت قوات الروم لغزو حدود العرب الشماليه و القضاء على سلطه الإسلام هناك، فقد بلغ رسول الله صلّى الله عليه و سلم، أن الروم قد جمعت جموعا كثيره بالشام و أن القيصر هرقل قد رزق أصحابه لسنه، و أجلبت معه لخم و جذام و عامله و غسان و قدّموا مقدماتهم الى البلقاء.

٢- اسباب غير مباشره:

أ- حمايه حريه نشر الإسلام خارج شبه الجزيره العربيه بعد انتشاره داخلها، و الدفاع عن الإسلام داخل الجزيره العربيه.

ب- تقويه معنويات القبائل العربيه الخاضعه لسلطان الروم، تلك القبائل التى أخذت تقبل على اعتناق الإسلام، على الرغم من مكافحه الروم لهذا الاتجاه.

ج- محو آثار انسحاب المسلمين من (مؤته) من النفوس.

د- استطلاع قوه الروم و حلفائهم فى أرض الشام استعدادا للفتح القريب.

أهداف الطرفين

١- المسلمون:

حمايه حريه نشر الإسلام فى بلاد الشام، إذ هى المنفذ المهم لنشره خارج شبه الجزيره العربيه، كما أنها المتنفس الحيوى للتجاره

٢- الروم:

القضاء على منافسه المسلمين فى سلطانهم على العرب الخاضعين للروم، و تحديد انتشار الدعوه الإسلاميه فى بلاد الشام، و ضرب الدين الجديد فى عقر داره.

ص: ٣٩٨

قوات الطرفين

١- المسلمون:

ثلاثون ألفا بقيادة النبى صلى الله عليه و سلم معهم عشره آلاف فرس.

٢- الروم:

قوات نظاميه كبيره من الروم يساندها العرب من لخم و جذام و عامله و غسان.

الاستعدادات

١- المسلمون:

أمر النبى صلى الله عليه و سلم بانجاز استعدادات الحركه لقتال الروم، و لم يكتف نياته فى هذه الغزوه كما كان يفعل فى الغزوات السابقه لباغت بهذا الكتمان عدوه قبل أن يستطيع التهيؤ للقتال. فقد كان رسول الله صلى الله عليه و سلم قلما يريد غزوه إلا ورى بغيرها، حتى كانت غزوه تبوك، فغزاها رسول الله صلى الله عليه و سلم فى حر شديد و استقبل سفرا بعيدها و غزو عدو كثير، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبه عدوهم و أخبرهم بوجهه الذى يريده ليتأهبوا لذلك.

لم يكتف نياته فى غزوه تبوك، لأن المسافه طويله يجب قطعها صيفا، فلا بد من إكمال المئونه و النقليه للمجاهدين قبل الحركه، حتى لا يؤدى نقص القضايا الإداريه الى إخفاق المسلمين فى تحقيق هدفهم المنشود.

و ليس من السهل تجهيز قوات المسلمين الكبيره بما تحتاجه من مئونه و نقليه و أسلحه، ما لم يشارك أغنياء المسلمين فى تجهيز هذا الجيش مشاركته فعاله، فأقبل هؤلاء الأغنياء على بذل أموالهم بسخاء و عن طيبه خاطر، كما أقبل المسلمون من كل فج تلبيه لداعى الجهاد.

ص: ٣٩٩

و انتهب المنافقون فرصه شدّه الحر و نضوج الثمار و طول المسافه و قوه العدو، فأخذوا يثبّطون العزائم و ينشرون الروح الانهزاميه بين المسلمين، و لكنهم أخفقوا فى محاولاتهم إذ لم يتخلف من المسلمين أحد عن الجهاد غير ثلاثه رجال؛ و لم يقبل النبي صلّى الله عليه و سلم أن يستعين بالقوات التى جمّعها عبد الله بن أبى، لأنه لم يكن يثق باخلاص تلك القوات، فبقى ابن أبى و أصحابه من المنافقين فى المدينه (١).

و بقى فى المدينه قسم من المسلمين الذين لم يجد الرسول صلّى الله عليه و سلم ما يحملهم عليه، فتولوا و أعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون (٢).

و أنجز جيش العسره (٣) استعداداته، و تحشد خارج المدينه، و أصبح مستعدا للحركه من كل الوجوه.

٢- الروم:

و زع هرقل مرتبات سنه كامله على قواته النظاميه، كما وزّع كثيرا من المال على القبائل العربيه الخاضعه لسيطرته، تشجيعا لهم على معاونه جيشه فى الصراع الوشيك.

و بعد إنجاز استعدادات قواته، أرسل طلائعها الى (البلقاء) (٤) لستر التحشّد الذى تمّ بعد ذلك فى منطقه تبوك.

١- عسكر عبد الله بن أبى فى ثنيه الوداع فى حلفائه من يهود و المنافقين، فلما سار رسول الله (ص)، تخلف عبد الله بن أبى و من كان معه.

٢- هم البكاءون و هم سبعة: سالم بن عمير، و سالم بن هرمى بن عمرو، و علبه بن زيد، و أبو ليلى المازنى، و عمرو بن غنمه و سلمه بن صخر، و العرياض بن ساريه. انظر طبقات ابن سعد ٢/ ١٦٥.

٣- قال الله تعالى: (الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ) فكانت عسره من الماء و من الحر و من الثقفه.

٤- البلقاء: كوره من أعمال دمشق بين الشام و وادى القرى قصبتهما عمان، و فيها قرى كثيره و مزارع واسععه. انظر التفاصيل فى معجم البلدان ٢/ ٢٧٦. و هى مقاطعه أردنيه تشمل لواء عمان و لواء السلط، و الأخير يشمل قضاء السلط و قضاء مأدبا و يحدها نهر الزرقاء شمالا و نهر الموجب جنوبا.

ص: ٤٠٠

ص: ٤٠١

الحركه

١- المسلمون:

ترك جيش المسلمين المدينه فى رجب من السنه التاسعه الهجرية و أخذ يقطع الصحراء القاحله فى موسم الحر الشديد، فلما

وصل منازل ثمود في (الحجر) (١) تلك المنطقه التي تهبّ فيها العواصف الرملية بين حين و آخر فتطمّر قافله بكاملها، أوصى النبي صَلَّى الله عليه و سلم أصحابه ألّا يخرج أحدهم إلا- و معه صاحبه؛ و هناك عطش المسلمون عطشا شديدا حتى جعلوا ينحرون إبلهم فيعصرون أكراشها و يشربون ماءها، و لو لا سقوط المطر عليهم يومذاك، لهلك كثير من المسلمين عطشا.

و استمرّ الجيش على المسير حتى وصل تبوك، و كانت المراحل تقطع ليلا للتخلص من الحر الشديد. و عند تبوك، لم يجدوا قوات الروم هناك، فقزّر النبي صَلَّى الله عليه و سلم البقاء في تبوك بقواته الرئيسه بعد أن علم بانسحاب الروم الى الشمال.

٢- الروم:

ثم حشد قوات الروم المؤلفه من جنودها النظاميين و من القبائل العربيه المواليه لها في تبوك قبل وصول المسلمين إليها، و لكنّ المعلومات التي وصلتهم عن ضخامه جيش المسلمين و ارتفاع معنوياتهم اضطرت الروم الى الانسحاب من تبوك شمالا.

السيطره على المنطقه

١- مصالحه صاحب أيله:

١- مصالحه صاحب أيله (٢):

وجّه النبي صَلَّى الله عليه و سلم الى يوحنا بن رؤبه صاحب(أيله)، رساله يطلب فيها

١- الحجر: اسم ديار ثمود بوادى القرى بين المدينه و الشام، و هى قريه صغيره قليله السكان. أنظر التفاصيل فى معجم البلدان ٣/ ٢٢٠.

٢- أيله: مدينه على ساحل بحر القلزم(البحر الأحمر) مما يلى الشام، و هى آخر الحجاز و أول الشام. أنظر معجم البلدان ١/ ٣٩١. و هى مدينه العقبه على رأس خليج العقبه فى شمال البحر الأحمر، و هى أقصى مدينه فى جنوب الأردن.

ص: ٤٠٢

منه أن يدعن للمسلمين أو يغزوه؛ فأقبل يوحنا بنفسه الى النبي صَلَّى الله عليه و سلم و قدّم له الهدايا و الطاعه، و كان نص وثيقه الصلح بين المسلمين و يوحنا ما يلى:(بسم الله الرحمن الرحيم، هذه أمنه من الله و محمد النبي رسول الله ليوحنا بن رؤبه و أهل أيله سفنهم و سياراتهم فى البر و البحر لهم ذمه الله و محمد النبي و من كان معهم من أهل الشام و أهل اليمن و أهل البحر، فمن أحدث منهم حدثا فانه لا- يحول ماله دون نفسه و إنه طيب لمحمد أخذه من الناس. و إنه لا يحل أن يمنعوا ما يريدونه و لا طريقا يريدونه من بر أو بحر). و اتفق الطرفان على أن تدفع أيله جزيه قدرها ثلاثمائه دينار فى كل عام للمسلمين.

٢- مصالحه أهل الجرباء و أذرح:

٢- مصالحه أهل الجرباء (١) و أذرح (٢):

تمّ الصلح بين المسلمين و أهل (الجرباء) - و هي قرية في منطقه عمان بالبقاء من أرض الشام، و بين المسلمين و أهل (أذرح) و هي بلده قريبه من (الجرباء) - على الجزيه أيضا.

٣- مصالحه أهل دومه الجندل:

بعث النبي صَلَّى الله عليه و سلم خالد بن الوليد في أربعمائه و عشرين فارسا الى (دومه الجندل)، فباغت خالد الأكيدر الكندي مليكها و أخاه حسان و هما يطاردان

١- الجرباء: موضع من أعمال عمان بالبلقاء من أرض الشام. أنظر معجم البلدان ٣ / ٧٢. و هي موقع الى الشمال الغربي من مدينه معان الأردنيه بعد أذرح، و عليه عيون ماء منها الجرباء الكبيره و الجرباء الصغيره، و يشرف عليها جبل الأشعري حيث جرى التحكيم بين أبي موسى الأشعري و عمرو بن العاص في خلاف على بن أبي طالب رضی الله عنه و معاويه بن أبي سفيان بعد معركة صفين. و تعتبر من منازل قبائل الحويطات.

٢- أذرح: اسم بلد في أطراف الشام من نواحي البلقاء و عمان. أنظر معجم البلدان ١ / ١٦١. و هي قرية أذرع الأردنيه، و تقع الى الشمال الغربي من بلده معان، و تعتبر من قرى الشراه.

ص: ٤٠٣

بقر الوحش، فقتل حسان و أسر الأكيدر، فهده خالد بالقتل إن لم تفتح (دومه الجندل) أبوابها للمسلمين.

فتحت المدينه أبوابها فداء لمليكها، فدخلها المسلمون و غنموا منها ألفى بعير و ثمانمائه شاه و أربعمائه وسق من بر و أربعمائه درع، و ذهب بها خالد و معه الأكيدر حتى لحق بالنبي صَلَّى الله عليه و سلم في المدينه فحقت الرسول صَلَّى الله عليه و سلم دم الأكيدر و صالحه على الجزيه، و تركه يعود الى قومه في (دومه الجندل).

عوده المسلمين

أقام المسلمون حوالي عشرين يوما في منطقه تبوك، انتظارا لعوده جيوش الروم، و تأمينا للحدود الشماليه من بلاد العرب بعقد المعاهدات مع سكانها، و دعما لهيبه المسلمين في نفوس القبائل، و العمل لحمايه حريه نشر الدعوه في تلك الأرجاء؛ فلما أنجزوا كل ذلك تحركوا عائدين الى المدينه المنوره.

وصل المسلمون الى المدينه، فجاء المتخلفون عن الخروج يعتذرون، و كان هؤلاء المتخلفون قسمين: القسم الأول من المنافقين المتظاهرين بالإسلام، و هؤلاء أعرض عنهم النبي صَلَّى الله عليه و سلم تاركا لله حسابهم؛ و القسم الثاني من المسلمين الذين لا شائبه في إسلامهم، و هم ثلاثه: كعب بن مالك، و مراره بن الربيع، و هلال ابن ربيع، و هؤلاء اعترفوا بذنبهم، فأمر النبي صَلَّى الله عليه و سلم المسلمين أن يعرضوا عنهم حتى يأتي أمر الله.

سرايا الدعوه و بعث أسامه

بعث رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم فى ربيع الأول سنه عشر الهجرية خالد بن الوليد الى

١- نجران: من مخاليف اليمن من ناحيه مكه. راجع معجم البلدان ٨ / ٢٥٨، و آثار البلاد و أخبار العباد ص ١٢٦.

ص: ٤٠٤

بنى الحارث بن كعب بن مذحج بنجران فى أربعمائه من المسلمين، و أمره أن يدعوهم الى الاسلام ثلاثا فان استجابوا له قبل منهم و أقام فيهم و علمهم كتاب الله و سنه نبيه و معالم الإسلام، و إن لم يستجيبوا قاتلهم.

و خرج خالد حتى قدم عليهم، و بعث الركبان يضربون فى كل وجه و يدعون الى الإسلام و يقولون: (أيها الناس! أسلموا تسلموا)، فأسلم الناس و دخلوا فيما دعوا إليه، فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام و كتاب الله و سنه نبيه، و كتب بذلك الى رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، فكتب إليه أن يقبل الى المدينة و معه وفد، فأقبل خالد الى رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و معه بلحارث، فأسلموا.

و سألهم النبى صَلَّى الله عليه و سلم: (بم كنتم تغلبون من قاتلكم فى الجاهليه)؟ قالوا:

(كنا نغلب من قاتلنا يا رسول الله، أنا كنا نجتمع و لا نتفرق، و لا نبدأ أحدا بظلم)؛ قال: (صدقتم) (١).

سريه خالد بن الوليد الى اليمن

بعث النبى صَلَّى الله عليه و سلم خالد بن الوليد الى اليمن يدعوهم الى الإسلام، ثم بعث على ابن أبى طالب رضى الله عنه الى خالد ليقبض الخمس، و قال رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم لعلى: (مر أصحاب خالد، من شاء منهم أن يعقب معك فليعقب و من شاء فليقبل) (٢)، أى أن الرسول القائد عليه أفضل الصلاه و السلام بدّل جماعه من الجند بآخرين غيرهم و سمح للذين يريدون البقاء مع الجند الثانى من الجند الأول دون استكراه و عن طيبه خاطر أن يبقوا مع إخوانهم فى اليمن. أى أن النبى صَلَّى الله عليه و سلم أرسل جندا بإمره خالد الى اليمن، فلما انقضت مدتهم أرسل غيرهم لتبديلهم على أن يبقى مع العسكر الثانى من العسكر الأول من شاء (٣).

١- سيره ابن هشام ٤ / ٢٦٢-٢٦٦، و الطبرى ٢ / ٣٨٥-٣٨٨، و ابن الأثير ٢ / ١١٢.

٢- فتح البارى بشرح البخارى ٨ / ٥٢.

٣- أنظر شرح البخارى فى ٨ / ٥٢.

ص: ٤٠٥

سريه على بن أبي طالب الى اليمن

بعث رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم فى رمضان سنه عشر الهجرية على بن أبى طالب رضى الله عنه الى اليمن يدعوهم الى الإسلام، فعقد له النبى صَلَّى الله عليه و سلم لواء و عممه بيده و قال:(امض و لا- تلتفت، فاذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك)؛ فخرج فى ثلاثمائه فارس، ففرّق أصحابه فأتوا بنهب و غنائم، ثم لقي جمعهم فدعاهم الى الإسلام، فأبوا و رموا بالنبل و الحجارة، فصفّ أصحابه ثم حمل عليهم فقتل منهم عشرين رجلا ففرقوا و انهزموا، فكفّ عن طلبهم. ثم دعاهم الى الإسلام فأسرعوا و أجابوا و بايعه نفر من رؤسائهم على الإسلام و قالوا:(نحن على من وراءنا من قومنا، و هذه صدقاتنا فخذ منها حق الله)، و كان هؤلاء من مذحج.

و قفل على بن أبى طالب رضى الله عنه فوافى النبى صَلَّى الله عليه و سلم بمكة قد قدمها للحج (١).

و قيل إن النبى صَلَّى الله عليه و سلم بعث عليا مرتين، و عند ذاك تكون المره الثانيه هى التى قسم فيها الخمس و أسلمت على يديه(همدان) فكتب الى رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم بإسلامهم، فخر ساجدا ثم رفع رأسه و قال:(السلام على همدان) (٢).

سريه أسامه بن زيد بن حارثه

لما كان يوم الاثنين لأربع ليال بقين من صفر سنه إحدى عشره الهجرية، أمر رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم الناس بالتهيؤ لغزوه الروم. ثم دعا أسامه بن زيد فقال له:

(سر الى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل، فقد وليتك هذا الجيش، فأغر

١- طبقات ابن سعد ٢ / ١٦٩ - ١٧٠.

٢- فتح البارى بشرح البخارى ٨ / ٥٢.

ص: ٤٠٦

صباحا على أهل(أبنى) (١) و حرق عليهم، و أسرع فى السير تسبق الأخبار، فإن ظفرك الله فأقلل اللبث فيهم و خذ معك الأذلاء و قدم العيون و الطلائع أمامك). فلما كان يوم الأربعاء مرض رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، فلما أصبح يوم الخميس عقد لأسامه لواء بيده ثم قال:(أغز بسم الله فى سبيل الله، فقاتل من كفر بالله)، فخرج بلوائه معقودا و عسكر ب(الجرف) (٢)، فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين الأولين و الأنصار إلا انضمّ الى جيش أسامه فيهم أبو بكر الصديق و عمر بن الخطاب و أبو عبيده بن الجراح و سعد بن أبى وقاص و سعيد ابن زيد و قتاده بن النعمان و سلمه بن أسلم بن حريشى رضى الله عنهم.

و تكلم قوم فقالوا:(يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين)! فغضب رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم غضبا شديدا، فخرج و قد عصب على رأسه عصابه، فصعد المنبر و قال:(ما مقاله بلغتنى عن بعضكم فى تأميرى أسامه؟! و لئن طعنتم فى إمارتى أسامه لقد طعنتم فى إمارتى أباه من قبله! و أيم الله إن كان للإماره لخليقا و إن ابنه من بعده لخليق للإماره، و إن كان لمن أحب الناس

إلى، و إنهما لمخيلان لكل خير، و استوصوا به خيرا فانه من خياركم).

و ثقل رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم فجعل يقول:(أنفذوا بعث أسامه). و فى يوم الاثنين قال لأسامه:(أعد على بركة الله!) فودعه أسامه و خرج الى معسكره فأمر الناس بالرحيل، فبينما هو يريد الركوب جاءه من يخبره بالتحاق رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم بالرفيق الأعلى، فعاد المسلمون من الجرف الى المدينة المنوره.

فلما بويح لأبى بكر الصديق رضى الله عنه أمر جيش أسامه بالحركه الى

١- أبى: موضع بالشام فى جهه البلقاء، و هى قريه بمؤته. أنظر معجم البلدان ١ / ٩٢. و هذه القريه غير موجوده فى الوقت الحاضر، و كانت من قرى مآب أى الكرك.

٢- الجرف: موضع على ثلاثه أميال من المدينة نحو الشام. أنظر التفاصيل فى معجم البلدان ٣ / ٨٧.

ص: ٤٠٧

هدفه، فكلم المسلمون أبى بكر بإبقاء جيش أسامه للدفاع عن المدينة بعد أن ارتدت العرب، فأبى أبو بكر الصديق رضى الله عنه.

و لما كان هلال ربيع الآخر سنه إحدى عشره الهجرية، خرج أسامه فسار حتى وصل تبوك فلم يجد أحدا فقرر العوده بعد أن حقق الغايه من بعثه ثم أخذ السير فوردوا(وادي القري) فى تسع ليال، ثم بعث بشيرا الى المدينة المنوره يخبرهم بسلامتهم، فوصل المدينة بعد ستة أيام، فخرج أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى المهاجرين و الأنصار يتلقونهم سرورا بسلامتهم.

و بلغ هرقل و هو بحمص ما صنع أسامه، فبعث رابطة(حاميه) يكونون بالبقاء، فلم تزل هناك حتى قدمت البعوث الى الشام فى خلافه أبى بكر و عمر رضى الله عنهما.

دروس من تبوك و سرايا الدعوه

١- الحرب الإجماعيه:

الحرب الإجماعيه أو الحرب الاعتصاميه أو الحرب المطلقه أو الحرب الشامله معناها: حشد كل قوى الأمم- لا الجيش وحده- الماديه و المعنويه و العقلية للأغراض الحربيه.

و قد نشر لودندروف آراءه عن الحرب الإجماعيه فى كتابه:(الأمه فى الحرب)، و مجمل آراء هذا القائد:(إن الحرب الحديثه لم تبق حرب جيوش و قوى عسكريه فقط، و إنما هى حرب إجماعيه تقوم على حرب الأمم ضد الأمم؛ و لهذا يجب أن تضع الأمم كل قواها العقلية و الأدبيه و الماديه فى خدمه الحرب، و أن تكون هذه القوه مخصصه للحرب التاليه).

و يرى لودندروف بالاضافه الى ذلك، أن الحرب وسيله لا غايه، و لهذا

ص: ٤٠٨

ص: ٤٠٩

يجب أن تعد الأمة كلها للحرب، و أن تكون دائما على قدم الاستعداد:

(واجب النساء ينحصر فى إنتاج أبناء أقوياء للأمة يحملون أعباء الحرب الإجماعية، و واجب الرجال ينحصر فى حشد كل قواهم لهذه الغايه).

هذه مجمل آراء لودندروف فى الحرب الاجماعية التى اعتبرها العسكريون آراء جديده، وراحوا يفسّرونها و ينشرون مبادئها و يحنّون على الأخذ بها.

و ليس فى ذلك غرابه، و لكن الغريب أن يعتبرها العسكريون المحدثون آراء جديده فى الحرب الحديثه لم يسبق إليها الألمان أحد من الناس! ...

إن الحرب الاجماعية التى طبقتها ألمانيا و إيطاليا و روسيا فى الحرب العالميه الثانيه، ليست جديده ... فقد طبقها المسلمون قبل أربعه عشر قرنا خلت.

و لكن هناك فرقا واحدا بين حرب الأمم الحديثه و حرب المسلمين قديما، هذا الفرق هو أن حرب المسلمين حرب دفاعيه غايتها نشر السلام و توطيد أركانه، لا تعتدى على أحد، و تحترم العهود و الموائيق، فهى حرب الفروسية بكل ما فى الكلمه من معان: يسالم المسلمون من يسالمهم، و لكنهم لا يقبلون الاعتداء عليهم، و يدافعون عن عقيدتهم و عن حريه نشرها بين الناس لتكون كلمه الله هى العليا.

يقول القرآن الكريم: (انْفِرُوا خِفَافًا وَ ثِقَالًا، وَ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) (١)، لذلك فقد كان المسلمون كلهم جنودا و كانت أموالهم كلها لإمداد هؤلاء الجنود.

كان عدد المسلمين ثلاثين ألفا فى غزوه (تبوك) بينهم عشره آلاف فارس، و قد تحرّكوا صيفا فى موسم قحط شديد لمسافه طويله فى الصحراء، فليس من السهل إمداد مثل هذا الجيش الكبير فى مثل تلك الظروف القاسيه بمواد

١- الآية الكريمه من سوره التوبه ٩: ٤١، و انظر تفسير هذه الآية فى تفسير (الكشاف) للامام الزمخشري لتجد أن المسلمين سبقوا العالم الى مفهوم الحرب الاجماعيه.

ص: ٤١٠

الإعاشه و الماء و النقليه و السلاح، لذلك سمى هذا الجيش بجيش العسره: اشترك فيه المسلمون كلهم عدا ثلاثه تخلفوا عنهم، و اشترك المسلمون كلهم فى تجهيزه.

أنفق أبو بكر الصديق رضى الله عنه جميع ما بقى عنده من مال، و كان له يوم أسلم أربعون ألف دينار أنفقها كلها فى سبيل الله، حتى تخلل بالعباءه.

و أنفق عثمان بن عفان رضى الله عنه ثلاثمائة بعير و ألف دينار و أنفق عمر بن الخطاب رضى الله عنه نصف ماله، كما أنفق العباس عم النبى صلى الله عليه و سلم و طلحه و عاصم بن عدى كثيرا من المال، و بهذا الإنفاق السخى أمكن تجهيز هذا العدد العظيم من جيش العسره.

إن المسلمين عرفوا الحرب الإجماعيه قبل أن يعرفها العالم بأربعه عشر قرنا؛ و لكن شتان بين حرب الفروسيه التى عرفها المسلمون، و حرب العدوان التى عرفها العصر الحديث.

٢- عقاب المتخلفين:

يتخلف عن الاشتراك بالقتال فى كل حرب قديمه أو حديثه قسم من العسكريين لأسباب شتى، و فى كل أمه قوانين معينه، يعاقب بموجبها المتخلفون.

و يهمننا أن نعرف أن كثيرا من عوائل المتخلفين أبيدت عن بكره أبيها فى الدول التى طبقت الحرب الإجماعيه خلال الحرب العالميه الثانيه فى القرن العشرين.

بمثل هذه القسوه الفظيعة فى حرب حديثه فى دول قويه راقيه أخذ بها البرىء بذنب الجانى، استطاعت تلك الأمم بمثل هذه القسوه الوحشيه التقليل من التخلف بين صفوف جنودها عندما كانت فى أوج قوتها؛ فلما تداعت قواتها تحت مطارق الحرب، تكاثر المتخلفون فى صفوفها برغم قوانينها الرادعه.

ص: ٤١١

و يهمنى بعد ذلك أن نعرف كيف عالج الاسلام قضيه التخلف بالعقاب النفسى الذى أخذ المسمىء وحده بذنبه، دون أن يلحق بغيره من الأبرياء أى عقاب.

اسمع قصه تخلف كعب بن مالك كما يرويها بنفسه، لتر كيف كان عقاب المتخلفين فى الاسلام!

قال كعب: (جئت فسلمت عليه (يقصد على النبى صلى الله عليه و سلم)، فتبسم تبسم المغضب، ثم قال: تعاله. فجئت أمشى حتى جلست بين يديه، فقال لى: ما خلفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟

(قلت: بلى! و الله إنى لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن أخرج من سخطه بعذر، و لقد أعطيت جدلا؛ و لكن و الله لقد علمت إن حدثتك حديث كذب ترضى به على، ليوشكن الله أن يسخطك على، و لئن حدثتك حديث صدق تجد على فيه، إنى لأرجو فيه عفو الله عنى ... و الله ما كان لى من عذر، و الله ما كنت أقوى و لا أيسر منى حين تخلفت عنك.

(فقال النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم:(أما هذا فقد صدقت فيه، فقم حتى يقضى الله فيك)، فقامت ...

(و ثار رجال من بنى سلمه، فأتبعوني يؤنبونني، فقالوا لي: و الله ما علمناك كنت قد أذنبت ذنبا قبل هذا، و لقد عجزت ألا تكون اعتذرت الى رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلم بما اعتذر إليه المخلفون، فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلم.

(قال كعب: فو الله ما زالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع فأكدب نفسي، ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا: نعم مراره بن الربيع العمري من بنى عمرو بن عوف و هلال بن أميه الواقفي، فذكروا لي رجلين صالحين شهدا(بدرا) فيهما أسوه ... فصمّت حين ذكروهما لي ...

ص: ٤١٢

(و نهى رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلم المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس و تغيروا لنا، حتى تنكرت لي الأرض فما هي بالتي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة.

(أما صاحباي، فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان؛ و أما أنا فكننت أشب القوم و أجلدهم، فكنت أخرج و أشهد الصلوات مع المسلمين، و أطوف في الأسواق و لا يكلمني أحد؛ و أتى رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلم فأسلم عليه و هو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام أم لا؟ ثم أصلى قريبا منه، فأسارقه النظر، فاذا أقبلت على صلاتي أقبل إلي، و إذا التفت نحوه أعرض عني ...

(حتى إذا طال عليّ ذلك من جفوه المسلمين، مشيت حتى تسوّرت (١) جدار أبي قتاده، و هو ابن عمي و أحب الناس إليّ، فسلمت عليه فو الله ما ردّ عليّ السلام! ...

(فقلت: يا أبا قتاده! أنشدك الله هل تعلمني أحب الله و رسوله؟

فسكت! .. فعدت له فنشدته، فسكت ... فعدت له فنشدته فقال: الله و رسوله أعلم ... ففاضت عيناي و تولّيت حتى تسوّرت الجدار ... ثم غدوت الى السوق ...

(فبينما أنا أمشي بسوق المدينة، و إذا نبطي من نبط الشام ممن قدم بالطعام يبيعه في المدينة يقول: من يدلّ على كعب بن مالك؟ ففطق الناس يشيرون له إلى حتى إذا جاءني، دفع إليّ كتابا من ملك غسان و كتب كتابا في سرقة (٢) من حرير، فاذا فيه: أما بعد، فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، و لم يجعلك الله بدار هوان و لا مضيعه، فالحق بنا نواسك. فقلت لما قرأتها: و هذا

١- تسوّرت: علوت. و في كتاب الله:(إذ تسوّروا المحراب).

٢- سرقة: شقه من الحرير، و يقال: السرقة، أحسن الحرير و أجوده.

من البلاء أيضا! قد بلغ ما وقعت فيه أن طمع في رجل من أهل الشرك، فعدت بها الى تنور، فسجرت به (١).

(فأقمنا على ذلك حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين، و إذا رسول الله يأتيني فقال: إن رسول الله صلى الله عليه و سلم يأمرك أن تعتزل امرأتك، قلت: أطلقها أم ماذا؟ قال: لا، ولكن اعتزلها و لا تقربها ...

(و أرسل الى صاحبي مثل ذلك، فقلت لامرأتي: الحقى بأهلك فكوني عندهم حتى يقضى الله في هذا الأمر ما هو قاض ...

(فجاءت امرأه هلال بن أميه، فقالت: يا رسول الله! إن هلال بن أميه شيخ ضائع ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه؟ فقال: لا، و لكن لا يقربك.

(قالت: إنه و الله ما به حركة الى شىء، و الله ما زال يبكى منذ كان أمره ما كان الى يومه هذا، و لقد تخوّفت على بصره! ...

(قال كعب: فقال لى بعض أهلى لو استأذنت رسول الله لامرأتك فقد أذن لامرأه هلال بن أميه أن تخدمه، فقلت: و الله لا استأذن فيها رسول الله صلى الله عليه و سلم، و ما يدرينى ما يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا استأذنته فيها، و أنا رجل شاب ...

(و لبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه و سلم عن كلامنا، فلما صليت صلاه الفجر صبح خمسين ليلة على سطح بيت من بيوتنا على الحال التى ذكر الله منا: قد ضاقت علينا الأرض بما رحبت و ضاقت على نفسى، و كنت قد ابنتيت خيمه فى ظهر (سبع) فكنت أكون

١- سجرت به: أى احرقتها و ألهمت بها التنور.

ص: ٤١٤

فيها، إذ سمعت صوت صارخ أو فى على ظهر (سبع) يقول بأعلى صوته:

يا كعب بن مالك، أبشر ... فخررت ساجدا، و عرفت أن قد جاء الفرج.

و آذن رسول الله صلى الله عليه و سلم بتوبه الله علينا حين صلى الفجر: (وَ عَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا، حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، وَ ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ، وَ ظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ، ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا، إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (١).

(فلما جلست إليه قلت: يا رسول الله! إن من توبتى الى الله عز و جل أن أنخلع من مالى صدقه الى الله و الى رسوله. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك. قلت: إنى ممسك سهمى الذى بخير. و قلت: يا رسول الله! إن الله قد نجانى بالصدق، و إن من توبتى الى الله ألا أحدث إلا صدقا ما حييت ...).

أى عقاب نفسى هذا الذى جعل المتخلف يقدّم بين يدي توبته شرطين ما أصعبهما و ما أشقهما: التنازل عن المال، و الصدق فى القول. ليس من السهل أن يتنازل المرء عن ماله، و أصعب من ذلك الثبات على الصدق فى جميع الأحوال و الظروف.

فأى أثر عظيم تركه هذا العقاب النفسى الصارم، و أين هذا العقاب الذى طبّقه المسلمون على المتخلفين فى القرن السابع الميلادى من هذا العقاب الذى طبّقه أرقى الدول على المتخلفين فى القرن العشرين؟

إن الدرس العظيم الذى يمكن أخذه من هذه المقاطعه، هو لزوم مقاطعه كل من أساء الى عقيدته و مقدساته خاصه فى أوقات الشدائد و المحن.

٣- التدريب العنيف:

تعمل الجيوش الحديثه على تدريب جنودها تدريبا عنيفا: اجتياز موانع

١- الآيه الكريمة من سوره التوبه ٩: ١١٨.

ص: ٤١٥

و عراقيل صعبه جدا، و قطع مسافات طويله فى ظروف جويه مختلفه، و حرمان من الطعام و الماء بعض الوقت، و ذلك لإعداد هؤلاء الجنود لتحمل أصعب المواقف المحتمل مصادفتها فى الحرب ...

لقد تحمل جيش العسره مشقات لا تقل صعوبه عن مشقات هذا التدريب العنيف إن لم تكن أصعب منها بكثير: تركوا المدينه فى موسم نضج ثمارها، و قطعوا مسافات طويله شاقه فى صحراء شبه الجزيره العربيه صيفا، و تحملوا الجوع و العطش مده طويله.

يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه: (خرجنا الى (تبوك) فى قيظ شديد، فنزلنا منزلا- أصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستقطع، حتى إن الرجل لينحر بعيره فيعتصر فرثه فيشربه، ثم يجعل ما بقى من الماء على كبده).

إن غزوه تبوك تدريب عنيف للمسلمين، كان غرض النبى صلى الله عليه و سلم منه إعدادهم لتحمل رساله حمايه حريه نشر الاسلام خارج شبه الجزيره العربيه و تكوين الدوله الاسلاميه المتراميه الاطراف؛ فقد كانت هذه الغزوه آخر غزوات الرسول صلى الله عليه و سلم، فلا بدّ من الاطمئنان الى كفايه جنوده قبل أن يلتحق بالرفيق الأعلى.

٤- المسير الليلي (السرى):

قطع المسلمون أكثر المراحل بين المدينه و تبوك ليلا، ليتخلصوا من الحر الشديد.

إن الحركه ليلا فى موسم الحر ضروريه جدا خاصه فى الصحراء؛ و هذا ما تطبقه الجيوش الحديثه فى العصر الحاضر.

٥- المعنويات:

يمكن اعتبار غزوه تبوك معركة معنويات لا معركة ميدان.

ص: ٤١٦

لم يستطع المسلمون الاضطدام بجيوش الروم و حلفائهم، لانسحاب جيوشهم من منطقته تحشدها فى تبوك، بعد أن وصلتهم معلومات وثيقه عن قوه المسلمين ماديا و معنويا؛ و مع ذلك فقد انتصر المسلمون فى غزوه تبوك على الروم انتصارا معنويا لا يقل أهميه عن الانتصار المادى فى القتال.

لقد أدى اندحار الروم معنويا فى غزوه تبوك، الى تفكير القبائل العربيه الخاضعه لهم بعدم جدوى اعتمادهم عليهم لينالوا حمايتهم، و لا- بدّ لهم من التحالف مع المسلمين الأقوياء ليضمنوا لهم الحمايه و الاستقرار، لذلك أقبلت تلك القبائل على مصالحه المسلمين و موالاتهم، و ازداد انتشار الاسلام فيها عما كان عليه بعد غزوه (مؤته).

٦- المعلومات:

لقد كانت استخبارات الروم عن حركات المسلمين و نياتهم قويه جدا، و كانوا يستخدمون(النبط) الذين يتاجرون مع المدينه و قسم من أفراد القبائل العربيه المواليه لهم، فى نقل المعلومات إليهم عن المسلمين.

لقد رأيت كيف عرف ملك غسان الموالى للروم أمر غضب الرسول صلّى الله عليه و سلم و غضب المسلمين على كعب بن مالك لتخلّفه عنهم يوم تبوك، و كيف أرسل إليه رساله يعرض عليه فيها الالتحاق بالغساسنه؛ فاذا استطاع الروم و أحلافهم الاطلاع على مثل هذه القضيّه الشخصيه، فمن المؤكد أنهم استطاعوا الاطلاع على القضايا المهمه خاصه القضايا التى لها تأثير على الموقف العسكرى حينذاك ...

لقد كانت عيون الروم منتشره فى المدينه لإحصاء حركات المسلمين و سكناتهم و تزويد الروم بكل ذلك.

و لم يكن المسلمون غافلين عن حركات الروم العسكريه و عن نياتهم، فقد استطاعوا معرفه تحشّدت قواتهم و مواضع تلك التحشّدت و نياتهم مبكرا

ص: ٤١٧

و بصوره مفصله، مما جعلهم يتحركون الى تبوك للقضاء على قوات الروم قبل أن يستفحل أمرها و تتعرض بالحدود الاسلاميه.

لقد كانت محاولات المسلمين و الروم للحصول على المعلومات متميزه جدا.

٧- الضبط:

إن إقبال المسلمين على الانخراط بجيش العسره و تحمّلهم المشقات بنفس رضيه قانعه يدل على مبلغ الضبط العالى الذى وصلوا

إليه.

إن الضبط أساس الجندي، و لا ينجح جيش لا يتحلى بالضبط المتين فى أية معركة مهما يكن عدده كثيرا و سلاحه مؤثرا، و إذا كان هناك فرق واضح بين العسكريين و المدنيين فهو الضبط الذى يتمسك به العسكريون قبل كل شىء ...

إن إطاعه المسلمين لأمر الرسول صَلَّى الله عليه و سلم الذى هو قائدهم فى هجر المتخلفين دليل على ضبطهم المتين، و أى ضبط هذا الذى جعل أمر القائد ينفذه أهل المتخلف حتى زوجه و أولاده بشكل أدق و أعنف مما ينفذه الغرباء عنه، و هو فى محنته القاسية التى تستدرّ العطف و الإشفاق من الناس جميعا.

و لكنّ هذه الأوامر كانت للمصلحة العامه، و المسلمون كلهم جنود مخلصون لهذه المصلحه.

النتائج

يمكن إجمال نتائج غزوه تبوك بما يلى:

١- رفع معنويات المسلمين تجاه الروم و حلفائهم و عند العرب فى شبه الجزيره العربيه كلها، و بذلك استطاع النبى صَلَّى الله عليه و سلم أن يجعل المسلمين يعتقدون بأن فى إمكانهم محاربه الروم و التغلب عليهم.

ص: ٤١٨

لم يكن العرب (يحلّمون) قبل الرسول صَلَّى الله عليه و سلم بأنهم يستطيعون صدّ اعتداء الروم عليهم فى عقر بلادهم، فأصبحوا (يعتقدون) بعد تبوك بأن فى مقدورهم محاربه الروم فى بلاد الروم نفسها و القضاء على جيوشهم هناك.

٢- قضى انتصار المسلمين المعنوى على الروم قضاء حاسما على تردّد المتخلفين عن الإسلام من العرب، فاذا كانت قوات المسلمين تهدد الروم فى عقر ديارهم، فكيف تستطيع قوات القبائل العربيه الثبات تجاه تلك القوات؟

لذلك أقبلت وفود أكثر تلك القبائل الى المدينه بعد عوده الرسول صَلَّى الله عليه و سلم من تبوك إليها معلنه إسلامها، و أقبل الناس يدخلون فى دين الله أفواجا، و لهذا سمي هذا العام بعام الوفود.

٣- استطاع الرسول صَلَّى الله عليه و سلم تنظيم نقاط ارتكاز على الحدود الشماليه التى تربط شبه الجزيره العربيه ببلاد الشام الخاضعه للروم، و ذلك بعقد المحالفات مع سكان تلك المنطقه و إقبال بعضهم على الإسلام.

إن نقاط الارتكاز هذه سهّلت مهمّه الفتح الإسلامى على عهد الخلفاء الراشدين، فمنها انطلقت قوات المسلمين الى الشمال و عليها ارتكزت لتحقيق هدفها العظيم فى فتح أرض الشام.

ص: ٤١٩

ص: ٤٢٠

ص: ٤٢١

ص: ٤٢٢

ص: ٤٢٣

ص: ٤٢٤

ص: ٤٢٥

ص: ٤٢٦

ص: ٤٢٧

التطبيق العملي

اشاره

(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)

(القرآن الكريم)

ص: ٤٢٨

ص: ٤٢٩

الخاتمه

بحث مقارن

تطرقنا فى بحث القتال فى الإسلام الى المبادئ ء المثاليه التى جاء بها القرآن الكريم الخاصه بأغراض و أهداف و تنظيم الحرب العادله فى الإسلام.

كما أوردنا بعض المصطلحات العسكريه و القانونيه استنادا الى أوثق المصادر العسكريه الحديثه و قوانين الحرب و الحياد من القانون الدولى.

و كان الهدف من ذلك، هو إعطاء فكره واضحه عن المبادئ ء النظرية فى أحدث الكتب العسكريه و أوثقها و فى أحدث

مصادر القانون الدولي، ثم مقارنتها بالمبادئ المثاليه التي جاء بها الإسلام عن الحرب في الإسلام.

و تطرقنا في الفصول التاليه الى أعمال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العسكريه التي طُبِقَها (فعلا) في القتال، حتى نفتح المجال لمقارنه هذه الغزوات (العمليه) بالمعلومات النظرية التي أوردناها عند بحث موضوع القتال في الإسلام و المصطلحات العسكريه و القانونيه سالفه الذكر.

و الحق أن أكثر المعلومات العسكريه النظرية و قوانين الحرب و الحياد، هذه المعلومات و هذه القوانين هي حبر على ورق في هذا العصر الذي بلغت فيه المدنيه درجه عاليه من التقدم و الرقي، و مع ذلك فقد طبقت الإسلام نصًا و روحًا (عمليا) أو طبق أفضل منها قبل أربعة عشر قرنا بشكل لم يسبق له مثل في التاريخ.

و الذين استطاعوا أن يستوعبوا تلك المعلومات النظرية المثاليه و يقارنوا بينها و بين أعمال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العسكريه، لا بدّ و أن يخرجوا بالنتيجه المتوقعه، مهما تكن أهواؤهم و مبادئهم، و هي أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طبق النظريات

ص: ٤٣٠

المثاليه (فعلا) في أعماله العسكريه و لم يخرج عن تعاليمها أبدا في غزواته و معاركه.

و في هذه الخاتمه، سأتطرق الى التطبيق العملي لنظريات الحرب المثاليه بصوره موجزه و بشكل لا يدع مجالاً للشك، ذلك التطبيق الذي استطاع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ينجزه قبل بضعه عشر قرنا بينما عجز عن تطبيقه العسكريون في القرن العشرين.

و من السهل جدا أن يسمو الإنسان بتفكيره الى درجه مثاليه عاليه، و لكنه من الصعب جدا أن يطبق تلك المثاليات (فعلا) و بخاصه في الأعمال العسكريه التي تتوقف عليها مصائر الأمم و الشعوب، لأن حاله الحرب ليست من الحالات الاعتياديه التي يستطيع فيها الإنسان أن يسيطر على أعماله في أغلب الأحيان.

و كم أتمنى أن يقرأ هذا البحث غير المسلمين مهما تبلغ درجه عداوتهم للإسلام ليطمئنوا مع المسلمين مهما تبلغ درجه حبههم للإسلام الى أن أعمال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العسكريه تنطبق على أرقى و أحدث النظريات العسكريه المثاليه و قوانين الحرب و الحياد الإنسانيه، و ليتأكدوا بأنفسهم من الأخطاء الفاحشه التي وقع فيها المتعصبون على الإسلام و المتعصبون للإسلام على حد سواء.

فقد غمز المتعصبون على الإسلام أعمال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العسكريه، فقالوا:

إن الإسلام دين قتال يعتمد على الحرب في نشر دعوته، و إن حياه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العسكريه لا تخلو من عدوان؛ و لكنّ هذا الغمز خطأ فاحش لا يدل إلا على جهل مطبق أو تعصب ذميم.

و قد ادعى بعض المتعصبين للإسلام، أن انتصار الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان بالخوارق والمعجزات فحسب، و لكنّ هذا الادعاء خطأ فاحش أيضا لا يقل خطوره عن غمز المتعصبين على الإسلام، و لا يدل إلا على جهل بروح الاسلام الصحيح: تلك الروح العمليه الواقعيه التي تركز على الحق الواضح و العقل السليم من جهه و على الأمور الروحيه من جهه أخرى.

ص: ٤٣١

الى هؤلاء و أولئك أسوق هذا البحث عن الأسباب الحقيقيه لانتصار الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، و عن المقارنه بين النظريات التي جاء بها الاسلام في القتال و الأعمال التي طبقها الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فعلا)، مع مقارنه أعماله بأحدث قوانين الحرب و الحياد الإنسانيه، تلك القوانين التي تطابق مبادئ القتال في الإسلام في بعض تعاليمها و تعجز عن السمو الى مبادئ القتال في الاسلام في تعاليمها الأخرى.

مجلد أسباب النصر

اشاره

قاد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثمانيا و عشرين غزوه (١) خلال سبع سنين بعد هجرته الى المدينه راجع الملحق(م) فقد خرج الى غزوه(ودان) و هي أول غزوه قادها الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنفسه في صفر من السنه الثانيه الهجريه، و كانت غزوه تبوك آخر غزواته في رجب من السنه الثامنه الهجريه، و قد نشب القتال بين المسلمين الذين بقيادته، و بين المشركين أو يهود بتسع غزوات من تلك الغزوات و هي:

بدر، و أحد، و الخندق، و قريظه، و المصطلق، و خيبر، و فتح مكه، و حنين، و الطائف، بينما فر المشركون في تسع عشره غزوه منها بدون قتال.

و مع ذلك لم يخفق الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أيه معركة خاضها المسلمون بقيادته، حتى غزوه(أحد) لم تكن اندحارا للمسلمين من الناحيه العسكريه كما أسلفنا سابقا.

و لو لم يكن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو القائد في معركة(أحد) فهل كانت تكون نتائجه خلاص المسلمين من الموقف الخطير الذي أحاط بهم من كل مكان؟

بل لو لم يكن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو القائد في معركة(بدر) و(الخندق) و(حنين)، فهل كان ينتصر المسلمون في كل تلك الغزوات؟

١- في سيره ابن هشام ٢٨٠ / ٤، أنه قاد سبعا و عشرين غزوه، و لم يدرج غزوه بنى قينقاع مع غزواته.

ص: ٤٣٢

إن الذى يدرس يامعان غزوات (بدر) و(أحد) و(الخدق) و(حنين) و يطلع على موقف الطرفين: المسلمين و المشركين، و يدقق فى تطور المعركه، يجد بوضوح الأثر الشخصى الفعّال لقياده النّبى صلّى الله عليه و سلم للمسلمين، ذلك الأثر الشخصى الحاسم الذى لو لم يكن المسيطر الأول على سير القتال، لتبدل وجه التاريخ الإسلامى عما هو معروف به الآن!

فما هى أسباب انتصار الرسول صلّى الله عليه و سلم فى كل معركه خاضها؟

إن انتصار الرسول صلّى الله عليه و سلم يرجع الى عاملين: العامل الأول هو: تأييد الله تعالى له بنصره المبين. و العامل الثانى هو: أسباب عسكريه فنيه، و هذه الأسباب العسكريه تتلخص فى أربعة أسباب:

١- قياده عبقرية هى قياده الرسول صلّى الله عليه و سلم.

٢- و جنود متميزون هم المسلمون الأولون.

٣- و حرب عادله هى حرب المسلمين لأعدائهم.

٤- و أخيرا تردى الحاله العسكريه لأعداء المسلمين من العرب المشركين و الروم و الفرس.

ص: ٤٣٣

السبب الأول قياده عبقرية هى قياده النّبى صلى الله عليه و سلم

١- مجمل صفات القائد:

مزايا القائد الشخصيه المثاليه، كما ينص عليها كتاب: (نظامات الخدمه السفريه)، و هو من أوثق المصادر العسكريه الحديثه: (ينحصر أهم واجب للقائد فى إصدار القرارات.

(و لكى تكون قراراته صحيحه، لا تكفيه الشجاعه الشخصيه، و لا الاراده القويه الثابته و لا تحمّل المسئوليّه بلا تردد، بل فضلا عن ذلك عليه أن يكون واقفا و قوفا تماما على مبادئ الحرب، و قادرا على إبداء الحكم السريع الواضح، و ذا مخيله مقرونه بمزاج لا تأخذه نشوه الفوز و لا تثبط عزيمته كارثه الخيبه، و أن يكون سابرا غور الطبع البشرى.

(و يتمكن القائد من المحافظه على معنويات قوته و تنفيذ أوامره، بالثقه و الولاء اللذين يبعثهما فى نفوس رجاله بقدر ما يتمكن من ذلك بوساطه الضبط.

(فالشخصيه القويه، و معرفه الطبع البشرى، و أصاله الرأى الموزون، و التفاهم مع المرؤوسين، عوامل أدبيه جوهريه فى تنشئه الكفايه العسكريه، فعلى القائد أن يغتنم كل فرصه سانحه للاتصال بمرؤوسيه الأمرين و قطعاته، للوقوف على صفاتهم و ما فيهم من جداره).

هذه هي الصفات المثاليه للقائد التي ينص عليها كتاب:(نظامات الخدمه السفريه).

ص: ٤٣٤

و تضيف الى كل ذلك بعض المصادر العسكريه الحديثه، ضروره تحلى القائد بالقابليه البدنيه ليستطيع مشاركه قواته فى تحمّل مشاق القتال.

و هناك من يضيف الى كل تلك المزايا: الماضى الناصع المجيد.

إن الصفات المثاليه للقائد إذن، هي:

القابليه على إعطاء القرار السريع الصحيح- الشجاعه الشخصيه- الإراده القويه الثابته- تحمّل المسئوليه بلا تردد- معرفه مبادئ الحرب- نفسيه لا- تتبدل فى حالتى النصر و الاندحار- سبق النظر- معرفه نفسيات مرؤوسيه و قابلياتهم- ثقته قطعاته به و ثقته بقطعاته- المحبه المتبادله بينه و بين قواته- شخصيه قويه نافذه- قابليه بدنيه- ماض ناصع مجيد.

هذه هي الصفات المثاليه للقائد المتميز، هي نتيجته لدراسه شخصيات أبرز القاده فى التاريخ؛ لذلك فهي مجموعه من مزايا شخصيات كثيره لا شخصيه واحده، فليس من الممكن أن تتوفر فى شخص واحد، كاهو معروف.

و لكن كل هذه الصفات المثاليه قليله جدا بالنسبه لصفات الرسول صلّى الله عليه و سلم، إذ هناك صفات أخرى يتحلى بها رسول الله صلّى الله عليه و سلم لم تتطرق إليها الكتب العسكريه، لأنها صفات يصعب على القاده الاعتياديين التحلى بها، بل هي فوق طاقه البشر بصوره عامه و ذوى السلطان منهم بصوره خاصه.

و سنطبق كل هذه الصفات العسكريه على قياده رسول الله صلوات الله و تسليمه عليه استنادا الى تاريخه العسكري الذى تحدّثنا عنه فى الفصول السابقه، لنرى بصوره جازمه، أن هذه الصفات كلها بل أكثر من هذه الصفات كلها كانت من مزايا قياده الرسول القائد عليه أفضل الصلاه و السلام.

ص: ٤٣٥

٢- تفصيل الصفات:

أ- قرار سريع صحيح:

لا بدّ للقائد أن يصدر قرارا سريعا صحيحا، ليبنى خطته العسكريه استنادا الى قراره هذا، و يعمل بموجب تلك الخطه فى إداره رحى القتال.

فكيف يكون القرار سريعا صحيحا؟

يستند إصدار القرار الصحيح السريع الى عاملين: القابليه العقلية للقائد، و الحصول على المعلومات عن العدو و عن الأرض التي ستدور عليها المعركة.

و ليس هناك من ينكر القابليه العقلية التي كان يتميز بها الرسول صَلَّى الله عليه و سلم، تلك القابليه التي لا- يختلف فيها المسلمون و غير المسلمين، فهو الذي بشر و أندر و خاطب و ناقش عقليات كبيره و وَّحد أمه، فهل يمكن أن يتم ذلك إلا لعقلية راجحه و منطق سليم؟

أما الحصول على المعلومات عن العدو و عن الأرض، فيكون بوساطه دوريات القتال و الاستطلاع و بالعيون و الارصاد و استنطاق الأسرى و الاستطلاع الشخصى و باستشاره ذوى الرأى.

لقد كان هدف الرسول صَلَّى الله عليه و سلم من غزواته و سراياه التي أرسلها قبل غزوه(بدر) الكبرى، هو الحصول على المعلومات عن المنطقه المحيطة بالمدينه و الطرق المؤديه الى مكه و التعرف على سكانها، و عقد الأحلاف معهم.

و فى معركة(بدر) الكبرى، أرسل دوريه استطلاعيه لمراقبه عوده قافله أبى سفيان بن حرب، و أرسل دوريات استطلاعيه أمام قواته المتقدمه باتجاه(بدر)، و أرسل دوريتى استطلاع قبيل وصول قواته الى(بدر)، بل قام الرسول صَلَّى الله عليه و سلم بالاستطلاع الشخصى ليتأكد من قوه قريش و المواضع التي وصلت اليها.

ص: ٤٣٦

كما استفاد الرسول صَلَّى الله عليه و سلم من استنطاق الأسرى الذين اسرتهم إحدى دوريات استطلاعه قبيل معركة(بدر)، فعلم منهم بأسلوبه الرائع فى الاستنطاق:

الموضع الذى وصلته قريش، و عدد قواتها من الرجال.

و استفاد من خبره أحد أصحابه بخواص مياه آبار(بدر) و أسلوب السيطرة على مياهها، فبدل معسكره الأول ليلا الى معسكر مناسب يهيبى ء له السيطرة الكامله على مياه الآبار.

هذه أمثله تشبث النبي صَلَّى الله عليه و سلم بالحصول على المعلومات من غزوه(بدر) وحدها، و كل غزواته أمثله على تشبثه بالحصول على المعلومات.

لقد عرف الرسول صَلَّى الله عليه و سلم كل نيات أعدائه قبل وقت مبكر، و استطاع أن يقضى على تلك النيات العدوانيه قبل أن يستفحل أمرها، فلم يبرم يهود و لا القبائل أمرا إلا و عرف ما أبرموا فورا، و اتخذ التدابير الحاسمه للقضاء على نياتهم العدوانيه فى عقر دارهم، و استطاع فى كل مره أن يفرق شمل أعدائه قبل أن ينجزوا حشد قواتهم للتعرض بالمسلمين.

لقد كان الرسول صَلَّى الله عليه و سلم منتبها كل الانتباه لكل حركه داخلية و خارجيه، و لم يتهاون لحظه عن جمع المعلومات، فلا عجب إذا كانت قراراته سريعه صحيحه، و لا عجب إذا كانت خططه التي يرسمها استنادا الى تلك القرارات ناجحه الى أبعد

حدود النجاح.

ب- شجاعه شخصيه:

شجاعه الرسول صَلَّى الله عليه و سلم الشخصيه بارزه للعيان فى كل معاركه التى خاضها، و هى بارزه فى كل أعماله العسكريه و غير العسكريه على حد سواء.

قراره قبول معركة (بدر) الكبرى، و هى أول معركة حاسمه خاضها المسلمون، شجاعه نادره؛ لأن موجود قواته ثلث موجود قوات قريش، و لأن إخفاق المسلمين فى هذه المعركة قد يقضى على مستقبل الاسلام.

ص: ٤٣٧

و ثباته تجاه عشره آلاف من قوات الأحزاب فى غزوه (الخندق) شجاعه نادره أيضا، خاصه بعد أن نكث يهود عهدهم، فأصبح الخطر يهدد قوات المسلمين من خارج المدينه و من داخلها.

و قد نزل فى غزوه (بدر) الكبرى لياشر القتال بنفسه، و فى ذلك يقول على بن أبى طالب رضى الله عنه: (إننا كنا إذا اشتد الخطب و احمرت الحديق، إتقينا برسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، فما يكون أحد أقرب الى العدو منه؛ و لقد رأيتنى يوم (بدر) و نحن نلوذ برسول الله، و هو أقربنا الى العدو).

و فرع أهل المدينه ليله، فانطلق الناس قبل الصوت، فتلقاهم رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم راجعا على فرس لأبى طلحه عرى و السيف فى عنقه و هو يقول: (لم تراعوا)!

و فى (أحد) كافح مع جماعه قليله من أصحابه للخروج من الطوق الذى طوّقهم به المشركون، فاستطاع أن ينقذ المسلمين من فناء أكيد، و لم يكتف بذلك بل قام بمطارده قريش الى موضع (حمراء الأسد).

و لو لم يثبت الرسول صَلَّى الله عليه و سلم مع عشره فقط من أصحابه يوم (حنين)، لاستطاعت هوازن و ثقيف أن تبيد المسلمين.

تلك مواقف يتصدع منها قلب أشجع الشجعان، و مع ذلك فقد ثبت الرسول صَلَّى الله عليه و سلم فيها غير مكترث بما يحقدق به من أخطار.

و لو لا شجاعه الرسول صَلَّى الله عليه و سلم الشخصيه التى أظهرها فى هذه المواقف و فى غيرها لما انتصر المسلمون أبدا (١).

١- من أمثله شجاعته النادره فى غير ساحات القتال، حادثه ذهاب رجالات المشركين الى عمه أبى طالب مهددين متوعدين، فقال له عمه: (يا ابن أخى! إن قومك قد جاءونى فقالوا: كذا و كذا، فابق على و على نفسك و لا تحملنى من الأمر ما لا أطيق). فأجابه الرسول (ص): (و الله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى و القمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر، ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك) فيا لها من شجاعه نادره لا تتيسر عند اشجع الشجعان!

ج- إرادته قويه ثابتة:

إن صمود النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحده تجاه التيار الجارف من المشركين منذ نزول الوحي عليه حتى التحاقه بالرفيق الأعلى، دليل على إرادته القويه الثابته التي لا تتزعزع.

لقد تحمّل الإعراض والتكذيب والأذى والأخطار صابرا محتسبا، وهاجر من بلده الى بلد آخر، واستمر يكافح حتى كَوّن له قوه تسانده وتؤمن بالاسلام.

ثم جاهد بهذه القوه أعداءه فى الداخل والخارج: فى داخل المدينه ضد يهود والمنافقين، وفى خارج المدينه ضد المشركين وعلى رأسهم قريش.

ولكنه صمد لكل هذا العناء مصرّا على مكافحه من حوله من الناس جميعا، حتى يظهر الله دينه، غير مكترث بتفوق أعدائه على قواته فواقا ساحقا.

إن حياه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلها مثال رائع للإرادته القويه الثابته.

د- تحمّل المسئوليه:

لم يكن هناك من يشارك الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى تحمّل المسئوليه الضخمه فى كل أعماله العسكريه، و غير العسكريه، و ما أعظمها من أعمال غيّرت وجه التاريخ.

و أيه مسئوليه أخطر و أعظم من المسئوليه التى كان يتحملها الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منذ بعثه حتى التحاقه بالرفيق الأعلى!

إن أصحابه كانوا يعاونونه فى كل شىء، ولكنه كان يتحمل وحده مسئوليه كل شىء.

ه- نفسه لا تتبدل:

لم تتبدل نفسه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى حالته النصر والإخفاق. لقد كان

مسيطرًا على أعصابه سيطره أقرب الى الخيال منها الى الحقيقه فى أشد المواقف حرجا و فى أحلك الظروف.

لم يكن سهلا السيطرة على الأعصاب عند تطويق المشركين له و لقسم من أصحابه فى (أحد) من كل جانب، و مع ذلك سيطر على أعصابه و قاد سفينه المسلمين الى ساحل الأمان.

و لم يكن سهلا السيطرة على الأعصاب يوم(الأحزاب) خاصة بعد غدر يهود؛ و مع ذلك سيطر على أعصابه فصداً(الأحزاب) و قضى على يهود.

و لم يكن سهلا السيطرة على الأعصاب يوم(حنين)، عند انهزام المسلمين، و لكنه ثبت مع عشره فقط من أصحابه تجاه التيار الجارف من مطارده المشركين، و سيطر على أعصابه حتى هزم أعداءه، فعاد أصحابه ليروا أسرى المشركين مكبلين بالأصفاد.

تلك أمثله من سيطرته على أعصابه فى وقت الشده، أما فى وقت الرخاء، فقد كانت سيطرته أروع بكثير مما هى عليه فى وقت الشده.

و من أمثله ذلك يوم فتح مكه، فقد رآه المسلمون يومذاك و قد أحنى رأسه على رحله و بدا عليه التواضع الجم، حتى كادت لحيته تمسّ واسطه راحلته؛ و كلما استشعر بأهميه نصره ازداد تواضعا و ازداد على راحلته خشوعا.

إن قيمه سيطره الرسول صلّى الله عليه و سلم على أعصابه فى مثل هذا الموقف الذى يعدّ أكبر نصر للمسلمين، تتضاعف إذا قارناها بمواقف العظمه و الجبروت التى أظهرها غيره من القاده عند انتصارهم، فذهب بهم الطيش مذاهب أدت الى كوارث من نتائجها هلاك و دمار كثير من الناس و الأموال ...

لقد بقى رسول الله صلّى الله عليه و سلم بعد وصوله الى أعلى مراتب السيطرة و السلطان بسيطا فى مأكله و مشربه و ملبسه و فى حياته كلها كما كان فى أول أيامه يوم كان

ص: ٤٤٠

يتيما معدما: استمر يأكل نفس النوع البسيط من الطعام و يلبس نفس الرداء الساذج و يسلك فى كل تفاصيل حياته نفس البساطه التى اعتادها فى أيامه الأولى.

حقا إنه كان يمتلك نفسه لا تتبدل!

و- سبق النظر:

المخيله التى تحسب حساب كل شىء أو سبق النظر أو بعد النظر كلها تعنى ضروره تفكير القائد فى كل الاحتمالات القريبه و البعيده، و إدخال أسوأ الاحتمالات فى حسابه، و إعداد الخطط لكل موقف محتمل، حتى يمكن تطبيق تلك الخطط عند الحاجه دون تردد و لا ارتباك.

لقد كان رسول الله صلّى الله عليه و سلم يتحلى بمزيه سبق النظر فى كل أعماله العسكريه و غير العسكريه، و الأمثله على ذلك أكثر من أن تحصى.

أصّر الرسول صلّى الله عليه و سلم على قبول شروط هدنه(الحديبيه)، لأنه فكّر و سبق النظر، فعرف بفكره الثاقب أن قبول هذه

الشروط نصر للمسلمين؛ فهي تهيىء لهم الاستقرار، وقد رأينا أنّ هذا الاستقرار جعل جيش المسلمين يصبح عشرة آلاف مقاتل في فتح مكة، و كان ألفا و أربعمائة في غزوه (الحديبيه) قبل سنتين.

و كانت كل الدلائل تبشّر باستسلام قريش يوم الفتح، و مع ذلك اتخذ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ كل التدابير الممكنه لمعالجه أسوأ الاحتمالات، فقسّم قواته الى أربعة أرتال، و دخل مكة من جهاتها الأربع بتشكيلات (1) القتال، حتى تستطيع قواته القضاء على كل مقاومه بكل سهوله دون أن تباغت من جهه غير متوقعه، فتكون العاقبه شرا على المسلمين و إحباطا لمحاولات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ السليمه.

١- تشكيلات القتال: التدابير التعبويه للقتال.

ص: ٤٤١

لقد كان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ يفكر في كل كبيره و صغيره، و يعدّ لكل أمر عدّته، و يتخذ كل متطلبات الحذر و الحيظه و اليقظه؛ لذلك لم يستطع أعداؤه مباغتته في أى موقف في المواقف في غزواته كلها، و استطاع هو أن يباغت أعداءه في أكثر غزواته ...

ز- معرفه النفسيات و القابليات:

عرف الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ نفسيات و قابليات أصحابه، لأنه ولد بينهم و عاش و ترعرع بينهم و كان يعيش بينهم فردا منهم يشاركهم في السراء و الضراء.

عرف مزايا الجميع، و كلف كل واحد منهم بواجب يتفق مع قابليته البدنيه و العقليه، لذلك استطاع أكثر أصحابه إنجاز مهمتهم بكفايه و إتقان.

استمال قلوب المؤلّفه قلوبهم بالمال بعد (حنين)، لأنّ الماده كانت تطغى على جوانب تفكيرهم، إذ لم يستشعروا بعد حلاوه الإيمان. قال صفوان بن أميه: (ما زال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ يعطينى من غنائم (حنين) و هو أبغض الخلق إليّ، حتى ما خلق الله شيئا أحب إليّ منه!) ...

و لكنه حرم الأنصار من غنائم يوم (حنين) لأنهم كانوا أغنياء بإيمانهم العظيم، و قد بكوا حتى أخضلوا لحاهم بالدموع حين قال لهم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: ...

(أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس الى رحالهم بالشاه و البعير، و تذهبون برسول الله الى رحالكم)؟ ...

قال الأنصار: (رضينا بالله و برسوله قسما) ...

و أمسك الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ يوم (أحد) بسيف، و قال: (من يأخذ هذا السيف بحقه)؟ فقام إليه رجال، فأمسكه عنهم،

حتى قام أبو دجانة، فقال: (و ما حقه يا رسول الله)؟ ...

قال الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم: (أن تضرب به العدو حتى ينحني).

ص: ٤٤٢

قاتل أبو دجانة بهذا السيف قتالا شديدا، فلما دارت الدائرة على المسلمين ترس (١) بنفسه دون رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلم، فحنى ظهره عليه و النبل يقع فيه.

لقد كان الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم يعرف أن بين أصحابه شجعانا مغاوير فكلفهم بواجبات تحتاج الى الشجاعه كأبي دجانة، و كان يعرف أن بين أصحابه من لا يقوى قلبه على الحرب كحسان بن ثابت، فتركه مع النساء يوم (أحد) و الخندق و استفاد من شعره البليغ؛ و كان يعرف أن من بينهم صاحب الرأي و المشوره، و من بينهم من يستطيع قياده غيره، و من بينهم من لا يستطيع أن يكون أكثر من جندى بسيط، فكلّف كل واحد من هؤلاء بواجب يستطيع إنجازه.

إنه لم يحتمل شخصا فوق ما يطيق، و هذا دليل على معرفته نفسيات و خواص و قابليات أصحابه جميعا.

و لعلّ أهم ميزه يمتاز بها الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم على غيره من القاده و الرسل، هى أنه كان قديرا على اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب. إنه كان يعرف النفسية البشرية و يقدرها حق قدرها، و يعرف كيف يوجهها الى ما يناسبها.

و المهم فى الأمر أنه صلوات الله و تسليمه عليه، كان يذكر أصحابه بأفضل ما فيهم من صفات، و يغض النظر عما يعانونه من نواقص بشريه، و يأمر أصحابه بذكر أصحابه بأفضل ما فيهم.

و بذلك كان عليه الصلاه و السلام بينى الرجال و لا يحطم الرجال.

ح- الثقة المتبادله:

كانت ثقة أصحاب الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم به عظيمه جدا، كما كانت ثقته بأصحابه

١- كان له بنفسه ترسا، أى وقاه بنفسه.

ص: ٤٤٣

عظيمه أيضا؛ يكفى أن نذكر موقف المسلمين من صلح (الحديبيه)، إذ لو لا ثقتهم العظيمه به، لرفضوا هذا الصلح.

أما ثقته بأصحابه فيكفى للدلاله عليها أنه قبل زجّ قواته فى معركة (بدر)، بينما كانت قوات المشركين ثلاثه أمثال قوته؛ كما زجّ بهم فى معركة (أحد)، بينما كانت قوات المشركين خمسهم أمثال قواته ... الخ.

و لا يمكن أن يقبل القائد الاشتباك في معركة لا يعرف مصيرها ضد أعدائه المتفوقين على قواته فواقا ساحقا، إلا إذا كان ذلك القائد يثق بقواته ثقة عظيمه جدا ...

ط- المحبه المتبادله:

ظهرت محبه الرسول صَلَّى الله عليه و سلم لأصحابه، و محبه أصحابه له في كل غزواته، بل في كل موقف له في السلم و الحرب.

حسبنا أن نذكر موقف أصحابه منه في معركة (أحد)، حين أحرق به المشركون من كل جانب و صوبوا عليه نبالهم؛ فأخذ المسلمون يصدون عنه النبال المصوبه عليه بأجسادهم. و لم يقتصر ذلك على الرجال، بل شمل النساء أيضا، فقد ألفت نسيبه الخزرجيه سقاءها، و استلّت سيفا و أخذت تذود به عن رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، حتى خلصت الجراح إليها، فأصيبت يومذاك بثلاثة عشر جرحا، و أغمى عليها من النزيف؛ فلما أفاقت لم تسأل عن زوجها الذي شهد (أحدا) و لا عن ولديها اللذين كانا يقاتلان مع الرسول صَلَّى الله عليه و سلم، بل سألت أول ما سألت بعد أن عاد إليها و عيها: (و كيف حال الرسول)؟ ...

و لما مرض مرضه الذي توفاه الله فيه، اعتكف في بيت عائشه أم المؤمنين رضى الله عنها، فرفع الرسول صَلَّى الله عليه و سلم الستر المضروب على منزل عائشه و فتح الباب و برز للناس، فكاد المسلمون يفتنون في صلاتهم ابتهاجا برؤيته.

و لما قبض الرسول صَلَّى الله عليه و سلم و تسرب النبا الفادح، شعر المسلمون أن آفاق المدينه أظلمت عليهم، فتركتهم لوعه الشكل حيارى لا يدرون ما يفعلون.

ص: ٤٤٤

لقد كان أصحاب الرسول صَلَّى الله عليه و سلم يحبونه أكثر من حبه أنفسهم، لأن حبه لهم دين؛ و لو لم يكن دينا لأحبه أيضا، لأنه يستحق الحب و التقدير.

أما حب الرسول صَلَّى الله عليه و سلم لأصحابه، فيكفى أن نذكر كيف نعى شهداء (مؤته) و عيناه تذرغان، و كيف أنه رفض ما اقترحه عمر بن الخطاب حول قتل حاطب بن أبى بلتعه، لأنه أرسل كتابا الى قريش يخبرهم فيه بحركه المسلمين لفتح مكه، بل على العكس، أمر الرسول صَلَّى الله عليه و سلم أن يذكر المسلمون حاطبا، بأفضل ما فيه.

لقد كان يجب أصحابه حبا لا مزيه عليه، فاذا سلم عليهم لا يكون البادى ء أبدا بسحب يده عن السلام، و كان يلقي الناس بوجهه باسم متهمل حقا، و كان يمقت الغيبه و كان البادى ء دائما أصحابه بالتحية.

ما أعظم هذا الحب المتبادل بين القائد و جنوده! (يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ، أَذَلَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ، يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ) (١).

ى- الشخصيه:

أرسلت قريش عروه بن مسعود الثقفي لمفاوضه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم (الحديبيه)، فعاد الى قريش يقول: (يا معشر قريش! إني جئت كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه، و النجاشى فى ملكه، و إنى و الله ما رأيت ملكا فى قوم قط مثل محمد: لا يتوضأ إلا ابتدروا و ضوءه، و لا يسقط من شعره شىء إلا أخذوه، و إنهم لن يسلموه لشىء أبدا).

بهذا الوصف الرائع يصف مشرك من أعداء الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شخصيه النبى الكريم عليه أفضل الصلاه و السلام.

فما هى أسباب هذه الشخصيه القويه النافذه التى كان يتحلّى بها الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

١- الآيه الكريمه من سوره المائده ٥: ٥٤.

ص: ٤٤٥

لقد كان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متواضعا حلّيما، رءوفا، رحيفا؛ و مع ذلك لا يستطيع أحد أن يرفع صوته فوق صوت النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، و لا يستطيع أحد أن يديم النظر الى وجهه المنير، و لا يستطيع أحد أن يرد له أمرا أو يتردد فى تنفيذه.

إن أسباب قوه شخصيه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هى محبته للناس جميعا، و رغبته الشديده فى خيرهم و هدايتهم، و خلقه العظيم.

تقول كتب علم النفس الحديث: (إن الذين يعملون على إفاده أكبر جزء ممكن من المجتمع الانسانى، يعتبرون أرقى الشخصيات جميعا، و هم فى الغالب أقربها الى درجات التكامل.

(إن درجه تكامل الشخصيه تناسب تناسبا (طرديا) مع اتساع دائره المجتمع الذى يرمى الفرد الى إسعاده، فأقلها تكاملا التى يسعى صاحبها فقط لإسعاد ذاته، إذ لا بدّ من أن تتعارض نزعاته الذاتيه مع نزعاته الاجتماعيه فى تحقيق غايته الذاتيه.

(و يليها من يسعى صاحبها لإسعاد أسرته و أولاده، ثم يليها من يعمل صاحبها على إسعاد أقاربه و يليها من يعمل على إسعاد هؤلاء و أصدقائه، و يليها من يعمل لإسعاد أهل بلده أجمعين.

(و هكذا الى أن تصل الى من همّه الأول و الأخير إسعاد المجتمع بأوسع معانيه، و هنا قد نصل الى مرحله ربما تبدو (مجزّده) كالبحث عن الحقيقه و مناصره العدل و خدمه المجتمع).

هذا نص ما تقوله كتب علم النفس الحديث. رأيت كيف أنها تقرّر استبعاد إمكان أن يكون هناك إنسان همّه الأول و الأخير إسعاد البشر؟

إن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعل ذلك، بل فعل أكثر من ذلك، و من حق هؤلاء العلماء أن يستبعدوا إمكان وجود إنسان مثالى، كان همّه إسعاد الناس بل إسعاد

العالمين لأنهم يجهلون سيره الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم الذى يقول: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه).

فلا عجب أن تكون له كل هذه الشخصيه الفذه بكل هذا النور و الجلال.

ك- القابليه البدنيه:

كانت للرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم قابليه بدنيه فائقه، و قد رأيت كيف كان يلجأ إليه أصحابه عند حفر الخندق كلما استعصت عليهم صخره فيسرع إليها لتحطيمها، حيث تنفتت تحت و طأه مطرقته التى يهوى بها ساعده القوى.

شارك أصحابه فى حراستهم و فى استطلاعاتهم و فى مسيراتهم الطويله الشاقه فى كل فصول السنه، و أظهر فى كل ذلك تحملاً و جلدا يعجز عنه أقوى أصحابه.

لقد كان أروع مثال شخصى لأصحابه فى تحمل الصعاب و المشقات.

ل- الماضى الناصع المجيد:

كانت العرب تعتدّ بالنسب، و الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم من قريش أشرف العرب و من بنى هاشم أشرف قريش؛ و كذلك هو أشرف العرب حسبا و أفضلهم نسبا من قبل أمه آمنه بنت وهب بن عبد مناف بن زهره، و من قبل أبيه عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف (١).

أما سيرته الشخصيه قبل بعثته صلوات الله عليه، فلأترك سير وليم موير (riUM mailliW riS) يتحدث عن ذلك، و قد أوردت هذا الحديث عمدا- على اعتبار أن كاتبه ليس مسلما- حتى استبعد اتهام كاتبه بالتعصب و المغالاه ... يقول موير: (تجمع كل مراجعنا و أسانيدنا- فيما ينسب الى محمد

١- أبوه من بنى هاشم و أمه من بنى زهره، و قريش عشره أبطن انتهى إليها الشرف على رأسها بنو هاشم و بنو زهره التى كان منها سعد بن أبى وقاص الزهرى فاتح العراق و بانى الكوفه و أحد العشره المبشره بالجنه.

فى شبابه من سيره التواضع و الاحتشام و طهاره الخلق- على صورته نادره الوجود بين المكين). ثم يعود فيقول: (و بما وهب له من عقل راجح و ذوق رفيع و حرص دقيق و عمق فى التأمل، عاش منطويا على نفسه طويلا، متخذا من تأملاته العقليه- دون ريب- شاغلا لوقت الفراغ الذى كان يقتله غيره- من ذوى الطابع الخسيس- باللهو السميع و الفجور الماجن و السلوك الخليع. و قد وقع خلق ذلك الشاب القويم و مسلكه الورع و العفّ موقع الحمد و الثناء من قلوب قومه جميعا و بإجماعهم عن طيب خاطر نال لقب: (الصادق الأمين).

و يقول:(و لم يولع محمد بالثراء أبدا و لم تبد منه هذه الظاهره فى آيه فتره من فترات حياته الرتيبه الهادئه الوادعه على جلبيه الرحله وضوضاء التجاره و هموم السفر، و لم يكن محمد ليفكر أبدا من تلقاء نفسه فى مثل هذه الرحله، و لكن ما أن اقترح عليه ذلك حتى استشعر نفسه الكريمه على الفور ضروره البذل لما فى وسعه من جهد مساعده لعمه).

و يقول و اشنجنون آرفنج (1) عنه:(كانت طباع الرسول هادئه متلائمه، و كان يمرح أحيانا و لكنه كان فى معظم الأحوال جادا، و إن كانت له ابتسامه خلايه. كانت جميع تصرفات الرسول تدل على رحمه عظيمه، و كان سريع البديهه، قوى الذاكره، واسع الأفق، عظيم الذكاء. كان الرسول عادلا فكان يعامل الأصدقاء و الغرباء و الأغنياء و الفقراء و الأقوياء و الضعفاء على قدم المساواه، و كانت عامه الناس تحب الرسول، إذ كان يحسن استقبالهم و يستمع الى شكواهم، كان حسن الطباع حليما رحيفا صبورا).

كانت حياته لا سيما فى فجرها المبكر، تتميز بالحنو و العطف على اليتيم و الفقير و الأرملة و البائس و الضعيف و الرقيق، و لم يذق الخمر أبدا و لم يلعب الميسر ...

1- الحق هو اننى لا أحب أن أستشهد بأقوال المستشرقين و غيرهم لإثبات عظمه النبى(ص)، و لكننى اضطررت الى إيراد هذين المثالين، لأن هذين الكاتبين غير مسلمين، و الفضل ما شهدت به الأعداء.

ص: ٤٤٨

يقول موير:(إن أوثق برهان على صدق محمد و إخلاصه، أن كان أسبق الداخلين فى الاسلام من ذوى الاستقامه فى خاصه أصفياه و أهل بيته، الذين لا- يستطيعون- مع معرفتهم الوثيقه بدقائق حياته الخاصه تفصيلا- أن يفوتهم بحال من الأحوال إدراك ما تنطوى عليه أساليب الأفاكين فى نفاقهم، من إسدال السِّجف و الأستار على ما يأتون من أعمال تتناقض حقائقها فى سريرتهم مع ما يدعون إليه جهرا).

و اسمع الى زوجه خديجه أم المؤمنين رضى الله عنها تقول له مشجعه عندما جاءه الوحي:(ابشر يا ابن العم و اثبت! فو الذى نفس خديجه بيده، إنى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمه. و الله لا يخزيك الله أبدا. إنك لتصل الرحم، و تصدق الحديث، و تحمل الكل، و تقرى الضيف و تعين على نوائب الحق).

و اسمع قول الله تعالى فيه:(وَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) (1).

لقد كان ماضى الرسول صَلَّى الله عليه و سلم مجيدا مشرفا بإجماع أقوال أصحابه و أعدائه على حد سواء.

م- معرفه و تطبيق مبادئ الحرب (2):

كان الرسول صَلَّى الله عليه و سلم يعرف مبادئ الحرب بالفطره السليمه التى تدل على استعداد الفطرى الممتاز للقياده.

و قد طبق الرسول صَلَّى الله عليه و سلم هذه المبادئ فى معاركه كلها، مما كان له أثر حاسم فى انتصاراته.

لقد تطرقنا عند بحث أعمال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ العسكريه الى أمثله كثيره من

١- الآيه الكريمه من سوره القلم ٦٨: ٤.

٢- مبادئ الحرب: هي الجوهر الذي ينشئ في القائد (السياسي) الصحيحه في تصرفاته في الحرب، و هي العنصر الذي يتكون منه مسلك القائد في أعماله بصوره طبيعيه و غير متكلفه. و مبادئ الحرب: هي مبادئ ثابتة لا تتغير أبدا، و هي الأسس القديمه التي تركز عليها الحروب في كل زمان و مكان.

ص: ٤٤٩

تطبيقه العملي لمبادئ الحرب العشره: اختيار المقصد و إدامته، و التعرض، و المباغتة، و حشد القوه، و الاقتصاد بالمجهود، و الأمن، و المرونه، و إدامه المعنويات، و الأمور الاداريه.

و سنذكر بعض هذه الأمثله، للدلاله على تطبيق هذه المبادئ بكفايه نادره فذه تدعوان الى الاعجاب و التقدير الشديدين.

أولا- اختيار المقصد و إدامته (١):

كان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ يهتم بمقصد الضبط، و يفكر في أقوم طريقه للوصول إليه، ثم يقرّر خطه مناسبه للحصول عليه.

لقد ظهر مبدأ: (اختيار المقصد) في أول معاهده عقدها الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ عليه و سلم بعد هجرته الى المدينه، تلك المعاهده المعقوده بين المسلمين من جهه و المشركين و يهود من أهل المدينه من جهه أخرى، فنصت على أنه لا يجير مشرك مالا لقريش و لا نفسا و لا يحول دونه على مؤمن.

إن قریشا أخرجت الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ عليه و سلم و أخرجت أصحابه من مكه ظلما و عدوانا، فمن حقه أن تكون قریش (مقصده) الحيوى الذي يختاره.

و لعل من أبرز أمثله: (اختيار المقصد) ما فعله الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ عليه و سلم في غزوه الحديبيه.

لقد كان (مقصده) من تلك الغزوه التأثير في معنويات قریش من غير قتال، فخرج محرما و استصحب أسلحه الراكب، فلما علم باقتراب قوات قریش من قواته، ترك الطريق العام الى طريق فرعيه و عره للتملص من القتال، حتى

١- اختيار المقصد و إدامته: في كل حركة حربيه من اللانزم اختيار المقصد و تعريفه بوضوح. إن المقصد النهائي هو تحطيم إرادته العدو على القتال. يجب أن توجه كل صفحه من الحرب و كل صفحه منفرده نحو هذا المقصد الأعلى، و لكن لكل منها مقصد محدود يجب أن يعرف بوضوح.

ص: ٤٥٠

وصل بقواته الى (الحديبيه)، وبقى هناك مصرا على (مقصده) هذا، فأفسح المجال للمفاوضات. و عندما هاجم قسم من المشركين معسكر قواته و ألقى المسلمون القبض على المهاجمين، أطلق سراحهم دون أن يلحق بهم أذى.

و بقی مصرا على (مقصده) فى عدم محاربه قريش، و فى إظهار نيته السلميه، حتى تم له عقد صلح الحديبيه، على الرغم من تدمر قسم من أصحابه من هذا الصلح.

إن الرسول صَلَّى الله عليه و سلم كان (يختار مقصده) بدقه تامه و لا ينسأه أبدا فى كل أعماله العسكريه و غير العسكريه.

ثانيا- التعرّض (1):

يمكن اعتبار كل غزوات الرسول صَلَّى الله عليه و سلم تعرضيه ما عدا غزوتى (أحد) و (الخنديق)، إذ أن المشركين هم الذين حشدوا قواتهم فى منطقه المدينه و تعرضوا بالمسلمين.

لقد استطاع الرسول صَلَّى الله عليه و سلم بشتى الأساليب الحصول على المعلومات عن نيات أعدائه قبل وقت مناسب، و بذلك استطاع أن يتعرض بأعدائه و يقضى على نياتهم العدوانيه.

إن التعرض ليس معناه التحرّش، بل معناه: الروح الهجوميه التى يتحلى بها القائد، لأن الدفاع وحده لا يؤدى الى النصر الحقيقى بل الى نصر موضعى فقط فى حاله نجاحه، أما التعرض فيؤدى فى حاله نجاحه الى النصر.

و من المهم أن نذكر هنا، أن مبدأ (التعرض) التى طبقه الرسول صَلَّى الله عليه و سلم، كان دفاعا عن الإسلام، و حمايه للدين الحنيف، و حرصا على حريه نشره، و لغرض إقرار السلام، و بذلك طبق المبدأ التعبوى القائل: إن التعرض هو أفضل وسيله للدفاع.

1- التعرض: هو الهجوم على العدو لسحقه، و لا يتم الحصول على النصر إلا بالتعرض وحده.

ص: ٤٥١

ثالثا- المباغته (1):

المباغته هى إحداث موقف لا يكون العدو مستعدا له، و الكتمان من أهم الوسائل المهمه التى تؤدى للمباغته.

إن الكتمان يتم إما بإخفاء استعداداتنا أو بإخفاء نياتنا، أو باستعمال أسلحه جديده أو باستعمال الأسلحه الموجوده بطريقه جديده.

و المباغته إما أن تكون فى المكان أو فى الزمان أو فى الأسلوب، و لقد طبق الرسول صَلَّى الله عليه و سلم مبدأ (المباغته) بكل هذه الحالات، حتى يمكن اعتبار غزواته نماذج رائعه لتطبيق أساليب المباغته.

كانت المدينة هي (القاعده الأمينه) للمسلمين، و لكنها كانت تعج ب (الرتل الخامس) (٢) الذين لا يريدون خير المسلمين، و يعملون على إحباط جهودهم بشتى الطرق و الأساليب.

من هؤلاء (الرتل الخامس) يهود و المنافقون و عيون قريش من الأعراب و عيون الروم من الأنباط، و كان كل هؤلاء ينقلون أخبار المسلمين الى أعدائهم كلما استطاعوا الى ذلك سبيلا.

١- المباغته: المباغته أقوى العوامل و أبعدها أثرا في الحرب، و تأثيرها المعنوى عظيم جدا، و تأثيرها من الناحيه النفسيه يكمن فيما تحدثه من شلل متوقع في تفكير القائد الخصم. و فيما يلي بعض الوسائل التي يمكن الحصول بها على المباغته: (١) بكتمان الاستعدادات للخطط الحربيه و بكتمان جسامه القوات الاحتياطيه. (٢) بالتنقل السريع للقطعات من نقطه الى أخرى تمهيدا للإنزال الضربه على موضع لا- يتوقعه العدو. (٣) باستخدام الأرض الوعره أو الصعبه أو بعبور الموانع التي تعتبر غير قابله للعبور. (٤) باستخدام أسلحه جديده غير متوقعه أو أساليب تعبويه جديده.

٢- الرتل الخامس: كنايه عن الجواسيس و الوكلاء و العيون و الأرصاد.

ص: ٤٥٢

و لكنّ الرسول صلّى الله عليه و سلم حرص على كتمان نياته حرصا شديدا، فكان إذا أراد غزوه ورّى بغيرها، فينقل (الرتل الخامس) تلك المعلومات الخاطئه الى أعدائه، مما يؤدي الى بلبله أفكار أعداء المسلمين.

و من أمثله الكتمان الشديد، تلك (الرساله المكتومه) التي أرسل بها مع عبد الله بن جحش.

لقد أمر الرسول صلّى الله عليه و سلم عبد الله بن جحش ألّا يفتح تلك الرساله إلا عند وصوله موضع (نخله) بعد يومين من مسيره، فإذا فتحها و فهم مضمونها مضى في تنفيذها؛ و بهذه الطريقه لم يستطع أحد من أهل المدينة على اختلاف أهوائهم و ميولهم، أن يعرف نيات الرسول صلّى الله عليه و سلم و لا واجب سريه عبد الله و هدفها.

و قد أخفى نيته في غزوه الفتح حتى عن أهله الأقربين و صديقه الحميم أبي بكر الصديق رضى الله عنه، و قد دخل أبو بكر الصديق على ابنته عائشه زوج النبي صلّى الله عليه و سلم و هي تهيبه جهاز الرسول صلّى الله عليه و سلم، فقال لها: (أى بيتيه! أمركم رسول الله صلّى الله عليه و سلم أن تجهّروه؟) قالت: (نعم، فتجهّز). قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه: (فأين ترينه يريد؟) قالت: (و الله لا أدري).

بهذا الكتمان الشديد، استطاع الرسول صلّى الله عليه و سلم أن يحرك جيشا كبيرا قوامه عشره آلاف مسلم لفتح مکه دون أن تستطيع قريش معرفه وقت حركته و لا نيته حتى وصل الجيش الى ضواحي مکه، فاضطرت قريش على الاستسلام.

و من أمثله المباغته في المكان غروه بني لحيان، فقد تحرّك الرسول صلّى الله عليه و سلم بقواته شمالا باتجاه الشام حتى لا تعرف قريش و بنو لحيان اتجاه حركته الحقيقي، فلما انتشرت أخبار حركه المسلمين الى الشمال، عاد الرسول صلّى الله عليه و سلم بقواته فجأه باتجاه بني لحيان، و بذلك باغتهم في المكان.

و فى غزوه (خيبر) تحرّك الرسول صلّى الله عليه و سلم إلى (الرجيع) قريبا من ديار غطفان، و بعد أن أرسل مفرزه صغيره من قواته الى معسكر غطفان، عاد

ص: ٤٥٣

بقواته الرئيسه الى خيبر، و بهذه الحركه أوهم غطفان بأنه يريدهم و أوهم يهود خيبر بأنه لا- يريدهم، فباغت الطرفين و منع تعاونهما فى قتال المسلمين.

و من أمثله المباغته فى الزمان غزوه بنى قريظه، إذ تحرّك الرسول صلّى الله عليه و سلم إليهم فى وقت لا- يتوقعونه، فشلّ معنوياتهم و احتفظ هو بالمبادأه حتى نهايه المعركه.

كما أن مسير الاقتراب الذى أجراه الرسول صلّى الله عليه و سلم فى غزوه خيبر بهدوء و سكينه حتى وصل موضع خيبر ليلا و أكمل تطويقها فى نفس الليله دون أن يستطيع يهود معرفه وقت وصوله و تطويقه لقصبتهم، و هذا المسير يعتبر مباغته فى الزمان.

و من أمثله المباغته فى الأسلوب، قتال الرسول صلّى الله عليه و سلم بأسلوب (الصف) فى غزوه (بدر) الكبرى تجاه قريش التى قاتلته بأسلوب (الكرّ و الفرّ)، و من الطبيعى أن أسلوب (الصف) له الأرجحيه على أسلوب (الكر و الفرّ) من الناحيه العسكريه.

كما أن حفر الخندق فى غزوه الأحزاب كان مباغته فى الأسلوب أيضا، لأنّ العرب لم تكن تعرف إنشاء الخنادق لغرض الحمايه فى الحصار.

و قد استخدم المنجنيقات و الدبابات فى غزوه حصار الطائف، و هذا مباغته فى الأسلوب أيضا.

إن القائد العبقري هو الذى يطبق مبدأ المباغته فى معاركه، و الرسول صلّى الله عليه و سلم قد طبّق هذا المبدأ فى كل معاركه، مما كان له أعظم الأثر على نتائجها الحاسمه.

رابعا- حشد القوه (١):

منذ نزل الوحي على رسول الله صلّى الله عليه و سلم فأصبح رسول الله، و هو يعمل جاهدا، فى سبيل نشر الدعوه بالحكمه و الموعظه الحسنه؛ و انتشار الدعوه معناه ازدياد قوه المسلمين و إكمال حشدهم لاستخدام قواتهم فى المكان و الزمان المناسبين.

١- حشد القوه: هو حشد أعظم قوه أدبيه و بدنيه و ماديه و استخدامها فى الزمان و المكان الجازمين.

ص: ٤٥٤

و هجرته الى المدينه من الناحيه العسكريه، معناها حشد المسلمين فى منطقه واحده ليكونوا تحت قياده واحده.

و لم يبدأ الجهاد فى الإسلام، إلا بعد إنجاز حشد المسلمين، إذ أصبح المسلمون بدرجه من القوه يستطيعون معها الدفاع عن

الاسلام.

لقد رأينا في بيعه (العقبه الثانيه) كيف انكشف للمشركين أمر هذه البيعه، و كيف أظهر الأنصار في حينه عدم اكترائهم بخطر انكشاف بيعتهم.

قال سعد بن عباده: (يا رسول الله، و الله الذي بعثك بالحق إن شئت، لنحملنّ على أهل (منى) غدا بأسيا فنا).

و لكنّ الرسول صلّى الله عليه و سلم كان أبعد نظرا و أعمق من أن تؤثر فيه العاطفه، فقال له: (لم تؤمر بذلك، و لكن ارجعوا الى رحالكم) ...

فلما أنجز الرسول صلّى الله عليه و سلم كل استعدادات حشد المسلمين في المدينه، و عاهد أهلها من يهود و المشركين، بدأ القتال (فعلا)، لأن قوات المسلمين حينذاك أصبحت من الناحيتين الماديه و المعنويه قادره على حمايه المدعوه و صيانته حريه الرأى.

إنّ الرسول صلّى الله عليه و سلم طبّق مبدأ (الحشد) في كل غزواته، و لم يتردّد أبدا في حشد أكبر قوه ماديه و معنويه في كل معركة خاضها.

خامسا- الاقتصاد بالمجهود (1):

راعى الرسول صلّى الله عليه و سلم مبدأ (الاقتصاد بالمجهود) في كل غزواته، و لم يندب قوه لواجب ما إلّا و هى كافيه لذلك الواجب من كل الوجوه.

١- الاقتصاد بالمجهود: هو استخدام أصغر القوات للأمن أو لتحويل انتباه العدو الى محل آخر او صد قوه معاديه اكبر منها مع بلوغ الغايه المتوخاه. إن الاقتصاد بالمجهود يدل على الاستخدام المتوازن للقوى و التصرف الحكيم بجميع المواد لغرض الحصول على حشد القوى المؤثر في الزمان و المكان الحاسمين.

ص: ٤٥٥

إنّ نظره بسيطه إلى الملحق (ن) و مقارنه قوات المسلمين بقوات أعدائهم، تظهر بوضوح مقدار حرص الرسول صلّى الله عليه و سلم على تطبيق مبدأ الاقتصاد بالقوه.

سادسا- الأمن (1):

لقد أمّن الرسول صلّى الله عليه و سلم حمايه قواته في كل غزواته، و بذل غايه جهده لمنع العدو من الحصول على المعلومات، و بذلك طبق مبدأ الأمن.

إن دوريات الإستطلاع و الطلائع و الساقات التي كان يؤمنها الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ و سلم في مسير الاقتراب و عند العوده من غزواته، كان لغرض حمايه قواته من مباغته العدو لها.

كما أنّ تأمين الحراسات و العسس هو لحمايه قواته أيضا من مباغته العدو لها.

و كما حرص الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ و سلم على الحصول على المعلومات من أعدائه بشتى الوسائل كما رأينا سابقا، فقد حرص على منع العدو من الحصول على المعلومات عن المسلمين بشتى الوسائل أيضا ...

لقد طبّق مبدأ الكتمان في كل أعماله، و حثّ المسلمين على حفظ الأسرار و عدم إباحتها، و أمر أن يسارع المسلمون بإخباره عن كل حادث مهم.

و الحق أن المتتبع لحياه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ و سلم يعجب أشد الإعجاب بمعرفته فورا بكل المعلومات التي تهمة و تؤثر على المصلحه العامه للمسلمين.

كيف عرف برساله حاطب بن أبي بلتعنه تلك الرساله التي حاول أن يخبر بها قريشا عن حركه المسلمين لفتح مكه؟

كيف عرف بإزماع أبي سفيان بن حرب القدوم الى المدينه لتمديد فتره الهدنه؟

١- الأمن: هو توفير الحمايه للقوه و لمواصلاتها لوقايتها من المباغته و منع العدو من الحصول على المعلومات.

ص: ٤٥٦

كيف عرف كل حركات المنافقين و كل مؤامرات يهود و قضي عليها؟

كيف أحبط كل هذه المؤامرات و منع افتضاح نيات المسلمين؟

كل ذلك يدل على حرصه الشديد على كتمان نيات المسلمين، و حرمان العدو من الحصول على المعلومات عن أهداف و مقاصد حركات المسلمين.

سابعا- المرونه (١):

كانت قوات المسلمين تتحرك الى أهدافها بكفايه و سرعه.

لقد استطاعت قوات المسلمين أن تصل الى أهدافها في الوقت المناسب، فتقوم بإحباط نيات العدو العدواني، قبل أن يكمل العدو استعداداته التي تساعد على النجاح.

وصلت قوات المسلمين الى (دومه الجندل)، و إلى (تبوك)، و إلى ربوع فلسطين و إلى الطائف، و كل هذه الأماكن بعيدة عن

قاعده المسلمين - المدينة، و قد قطعت أكثر هذه المسافات ليلا، و في ظروف قاسيه من ناحيه المشاكل الإداريه و الطقس، كما استطاع المسلمون أن يستمروا في الحركة ثلاثين ساعه متتابعه عند عودتهم من غزوه بنى المصطلق.

و قد رأيت كيف كان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ مرنا في وضع خططه و في تنفيذها و كيف أنه يعدّل تلك الخطط عند الحاجة حسب الظروف الراهنه.

١- المرونه: إن المبدأ الذي كان يسمى قبل الحرب العالميه الثانيه بمبدأ: (قابليه الحركة)، أصبح يسمى الآن مبدأ: (المرونه)، ذلك لأن (قابليه الحركة) تدل على الحركة الماديه و هي صنعه نسبيه لا يعبر عنها تعبيراً صحيحاً إلا بالمقارنه مع قابليه حركة العدو. إن (المرونه) تعنى أكثر من ذلك، إنها لا تتضمن قوه الحركة فحسب بل قوه العمل السريع كذلك؛ فعلى القائد أن يكون مرناً الفكر و عليه أن يطبق تلك المرونه عند وضع الخطط لحملته و أن تكون خططه يشكل يمكنه من أن يعدل سريعاً حركات قواته حين تضطره الظروف غير المنظوره و غير المتوقعه.

ص: ٤٥٧

كل ذلك يدل على تطبيق الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ مبدأ (المرونه) و تحريك قواته بسرعه لا تقل سرعه و إتقانا عن أقوى جيش حديث في هذا العصر، لأن المسيرات الليليه و قطع المسافات الطويله و الاستمرار في المسير ثلاثين ساعه كامله دون استراحه يدل على تدريب راق و كفايه متميزه.

ثامناً - التعاون (١):

لقد رأينا كيف تعاون الرماه مع السيافه و الرماحه في غزوه (بدر) الكبرى، فقد نضح الرماه المشركين بنبالهم و أوقعوا فيهم خسائر فادحه سهّلت مهمه هجوم السيافه و الرماحه للقضاء نهائياً على مقاومه قريش.

كما رأينا تعاون الفرسان مع المشاه في الغزوات الأخرى.

لقد أمّن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ مبدأ: (التعاون) في غزواته كلها، و ذلك بإعطاء كل سلاح (٢) واجبا يناسبه، كما أن تعاون (الصفوف) فيما بينها تمّ في الوقت و المكان الملائمين، و بذلك أمّن تسهيل مهمه الجميع للوصول الى النجاح المطلوب.

كما أمّن تعاون المسلمين من مختلف القبائل بشكل لم يسبق له مثيل في شبه الجزيره العربيه من قبل: (وَ اذْكَرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ...) (٣).

١- التعاون: هو توحيد جهود كل الأسلحه و القطعات العسكريه لبلوغ الغرض المنشود، و هو النصر في الحرب.

٢- السلاح: هو الصنف الذي كان يستعمل في قسم من الجيوش العربيه سابقاً، فيقال: صنف المشاه، و صنف المدفعيه ... الخ. و بعد توحيد المصطلحات العسكريه في الجيوش العربيه من لجنه توحيد المصطلحات العسكريه للجيوش العربيه الذي بدأت عملها في القايره من يوم ٣٠ / ٥ / ١٩٦٨، أصبح يستعمل تعبير: سلاح، بدلا عن: صنف، فيقال: سلاح المشاه، و سلاح المدفعيه ... الخ.

تاسعا- إدامه المعنويات:

يمكن تعريف المعنويات: بأنها الصفات التي تميز الجيش المدرب عن العصابات: بها تظهر الطاعه القائمه على الحب، و تبرز الشجاعه فى القتال و الصبر على تحمل المشاق، و تبرز كل المزايا التي تجعل الجندى مطيعا باسلا صبورا.

و لست بحاجة الى التحدث عن طاعه جنود رسول الله صلى الله عليه و سلم له، تلك الطاعه القائمه على الحب المتبادل و الثقه المتبادله، و لا عن شجاعتهم و جلدتهم فى القتال و صبرهم على تحمل المشاق بعزم لا يعرف التخاذل و الانهزام.

حسبى أن أذكر فقط بقصه الحداث الصغيرين اللذين قتلا أبا جهل فى معركة (بدر) الكبرى و التي رواها عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه، و حسبى أن أذكر أيضا بقصه نسيه الخزرجيه (أم عماره) فى معركة (أحد)، و هاتان القصتان معروفتان ورد ذكرهما فى محلهما من هذا الكتاب.

فإذا كانت معنويات الفتیان الأحداث من المسلمين و النساء من المسلمات بهذا المستوى الرفيع، فكيف تكون معنويات الرجال؟

إن مما يديم المعنويات هو وجود أهداف يؤمن بها الجنود بصوره خاصه و الشعب بصوره عامه، و قد كانت أهداف المسلمين جميعا حينذاك هى إعلاء كلمه الله و العمل على حريه نشر الدعوه الإسلاميه بدون تدخّل أحد و نشر لواء العدل و السلام بين الناس كافه، تلك الأهداف التي آمن بها المسلمون إيمانا عميقا و جاهدوا فى سبيلها بكل ما يمتلكونه من غال و رخيص.

كما أن صفات القيادة الحقه هى التي تخلق المعنويات و تديمها، فإذا كانت الأمه محظوظه تهيأ لها قائد عظيم حكيم شجاع يبعث الثقه الحقيقه فى الأمه.

و لست أعرف قائدا لأمه قديما أو حديثا تمتلك صفات القيادة الحقه كما امتلكها الرسول صلى الله عليه و سلم، إذ كان فى صفاته و مزاياه رجلا يعادل أمه أو هو أمه تعادل رجلا كما يقولون.

فلا- عجب أن يتحلى المسلمون بالمعنويات العاليه عندما كانوا ضعفاء يتخطفهم الناس من كل جانب فى مكه عقر دارهم، و عندما أصبحوا أقوياء يسيطرون على شبه الجزيره العربيه كلها دون منازع.

عاشرا- الأمور الاداريه:

مهما تكن خطه العمليات دقيقه مرنه معقوله، فلا- تؤتى ثمراتها المتوقعه إذا تعذر تنفيذها من الوجهه الإداريه، بل يمكن أن نذهب الى أبعد من ذلك بالقول: إن كل خطه مرهونه بإمكاناتها الإداريه.

لقد اهتم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ بِالْأُمُورِ الْإِدَارِيَّةِ كَثِيرًا فِي مَعَارِكِهِ، فَتَعَاوَنَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى تَرْوِيدِ الْمُجَاهِدِينَ بِالْأَرْزَاقِ وَ الْمَاءِ وَ النَّقْلِيَّةِ وَ السَّلَاحِ.

قرن الإسلام دائما الجهاد بالأرواح بالجهاد بالمال: (الَّذِينَ آمَنُوا وَ هَاجَرُوا وَ جَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ أَكْبَرًا دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَ أُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) (١)... (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ، فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ، وَ اللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ، وَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (٢)... (وَ مَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَ لِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ) (٣)... (تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ) (٤)... (لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَ الْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ، فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً) (٥).

١- الآيه الكريمة من سوره التوبه ٩: ٢٠.

٢- الآيه الكريمة من سوره البقره ٢: ٢٦١.

٣- الآيه الكريمة من سوره الحديد ٥٧: ١٠.

٤- الآيه الكريمة من سوره الصف ٦١: ١١.

٥- الآيه الكريمة من سوره النساء ٤: ٩٥.

ص: ٤٦٠

بل يلاحظ من تلك الآيات الكريمة، أن المال يقدم على النفس دائما، مما يدل على اهتمام الإسلام بالأموال الإداريه.

و يقول القرآن الكريم عن الخيل: (وَ اعْتَدُوا لَهُمْ مِمَّا اسْبَغْتُمْ مِنْ قُوَّهِ وَ مِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ) (١)... و يقول: (وَ الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا، فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا، فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا، فَأَنْزَلَ بِهِ نَجْعًا، فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا) (٢)...

و يقول القرآن الكريم في الحديد الذي يعمل منه السلاح: (وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَ مَنَافِعُ لِلنَّاسِ، وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَ رَسُولَهُ بِالْغَيْبِ، إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) (٣).

لقد أنفق المسلمون الأولون أموالهم في سبيل الله: مات الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ و درعه مرهونه عند يهودى فى ثلاثين صاعا من شعير، و أنفق أبو بكر الصديق رضى الله عنه جميع ماله فى سبيل الله و كان يوم أسلم من أغنياء قريش المعدودين، فمات متخللا بعباءته. و أنفق عمر بن الخطاب رضى الله عنه نصف ماله، كما جهز عثمان ابن عفان رضى الله عنه جيش العسره فى غزوه (تبوك) بالإضافة الى الأموال الطائله التى أنفقها على غيرها من الغزوات. أما آل محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ فقد روى الحسن عنهم قال: (خطب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ فى آل محمد صاع من طعام و إنها لتسعه أبيات). و الله ما قالها استقلالاً، و لكن أراد أن تتأسى به أمتة!

لقد أتعب الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ و أصحابه من يريد التأسى بهم من المسلمين بعدهم.

لقد ضحوا بكل شىء حتى أبسط ضروريات الحياه فى سبيل الله و المصلحه العامه قبل أربعة عشر قرنا، فأين منها تضحيات

زعماء الشرق و الغرب فى القرن العشرين، أولئك الذين يتاجرون بالدفاع عن الفقير و العامل و الفلاح بالظاهر

١- الآيه الكريمة من سوره الأنفال ٨: ٦٠.

٢- الآيات الكريمت من سوره العاديات ١٠٠: ١- ٥.

٣- الآيه الكريمة من سوره الحديد ٥٧: ٢٥.

ص: ٤٦١

و بالكلام فحسب، على حين يعيشون فى الحقيقه مترفين فى رخاء عظيم على حساب الفقير و العامل و الفلاح!!

٣- مزايا اخرى اضافيه:

أ- المساواه:

ساوى الرسول صلّى الله عليه و سلم نفسه بأصحابه فى كل شىء، بل استأثر لنفسه دونهم بالخطر و مضاعفه الجهد و تحمّل المسئوليه و الحرمان الشديد.

حمل الحجاره و التراب و الجريد و اللبن كأى فرد من المسلمين عند بناء المسجد فى المدينه المنوره.

و فى مسير الاقتراب الى (بدر)، قسّم الإبل المتيسّره و عددها سبعون بعيرا بين أصحابه، و كان من نصيبه مع على بن أبى طالب و مرثد بن أبى مرثد الغنوى رضى الله عنهما بعير يعتقبونه، تماما كما يفعل أى فرد من أفراد قواته.

قال شريكا الرسول صلوات الله و تسليمه عليه فى البعير: (نحن نمشى عنك)، قال: (ما أنتما بأقوى منى، و لا أنا بأغنى عن الأجر منكما).

و فى غزوه (الخنديق)، حفر بيده و حمل الأحجار و الأتربه على عاتقه.

قال البراء بن عازب: (كان رسول الله ينقل التراب يوم الخندق، حتى اغبرّ بطنه).

لقد وارى التراب جلده بطنه و كان كثير الشعر.

و شارك أصحابه فى طعامهم و شرابهم و لباسهم، بل آثرهم بالنفيس من كل ذلك و استأثر دونهم بالخشن.

و تحمل أخطر المواقع بنفسه، و لم يترك أصحابه يتعرّضون للخطر وحدهم.

لقد سخر نفسه لخدمه أصحابه، بينما سخر القاده قواتهم لخدمتهم ...

ب- الاستشارة:

كان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستشير أصحابه في كل المواقف التي لها أثر في مصالح المسلمين عسكريه و غير عسكريه. استشارهم في غزواته كافة عدا غزوه (الحديبيه)، و أخذ بآرائهم حتى و لو كانت تخالف رأيه كما حدث (فعلا) في غزوه (أحد)، فقد كان يرى البقاء في المدينة المنوره بينما رأى أكثره أصحابه الخروج.

أما أسباب عدم استشارتهم في غزوه (الحديبيه)، فلأنه- كما ذكرنا سابقا- كان يصبر على نيته السلميه التي تؤمن له الاستقرار الضروري لانتشار الإسلام، و كان لبعده نظره المذهل حقا يعرف أن نتائج الصلح ستكون خيرا شاملا للدعوه الاسلاميه، بينما كان أصحابه يريدون النصر العاجل قبل أوانه.

ج- أساليب جديده:

طبّق الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أساليب جديده في القتال.

طبّق أسلوب القتال ب(الصفوف) في (بدر)، فتغلّب بهذا الأسلوب على قوات قريش التي بلغت ثلاثه أمثال قوّته، لأنهم قاتلوا بأسلوب (الكرّ و الفرّ).

و حفر (الخندق) في غزوه (الأحزاب)، و لم تكن العرب تعرف هذا الأسلوب.

و طبّق أسلوب قتال المدن و الأعراس في غزوه بنى النضير و بنى قريظه و خيبر، و من المدهش أن يطبّق الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفس الأسلوب الذي يطبّق في الحرب الحديثه في مثل هذا القتال.

و استخدم المنجنيقات و الدبابات في غزوه حصار (الطائف)، و كان استعمال هذين السلاحين نادرا عند العرب حينذاك.

و انتخب (مقرّا) له في غزوه (بدر)، مراعيًا شروط انتخاب (المقر)، و أمّن حراسته كما يجرى في الحرب الحديثه.

و قسّم الأعمال و أمّن السيطره على إنجازها، كما حدث في حفر الخندق.

و قام بالهجوم فجرا، ذلك الهجوم الذي يحتاج الى كفايه و تدريب متميزين كما حدث في غزوه بنى المصطلق.

و ابتكر أسلوب (الرسائل المكتومه)، على حين يفاخر الألمان في العصر الحاضر بأنهم أول من ابتكر هذا الأسلوب.

بل إنه طبّق الحرب الإجماعيه بحذافيرها، فحشد كل القوى الماديه و المعنويه للأغراض العسكريه، و ذلك ليؤمن حمايه الدعوه

من أعدائها الكثيرين، بينما لم تعرف هذه الحرب إلا في الحرب العالميه الثانيه فقط، و استأثر الألمان بالمفاخره فى ابتكارها.

٤- قياده مثاليه:

رأينا كيف كان الرسول صلى الله عليه و سلم يتحلى بكل صفات القائد المثالى، كما تنصّ عليها أوثق المصادر العسكريه الحديثه.

و رأينا كيف طبّق كل مبادئ الحرب بكل كفايه، و رأينا كيف أنه تحلّى بمزايا أخرى لم تنص عليها المصادر العسكريه لاستبعاد المفكرين العسكريين إمكان توفرها فى القاده و هم بشر!

و رأينا كيف طبّق أساليب جديده مبتكره، و استخدم أسلحه جديده فى القتال.

فأى قائد تحلى بكل هذه المزايا و طبّق كل مبادئ الحرب و ابتكر كل هذه الأساليب الحربيه!؟

ذلك هو السبب الأول لانتصار المسلمين على أعدائهم، و قديما قالوا: (لم يغلب الرومان الغال و لكن قيصر).

ص: ٤٦٤

ص: ٤٦٥

السبب الثانى جنود متميزون

١- مزايا الجند المتميز:

تتلخص مزايا الجندى المتميز بما يلى:

عقيده راسخه، و معنويات عاليه، و ضبط متين، و تدريب جيّد، و تنظيم سليم، و تسليح جيد.

تلك هى مزايا الجندى المتميز فى كل زمان و مكان، فهل كان جنود النبى صلى الله عليه و سلم يتحلون بهذه المزايا العاليه التى تجعلهم جيشا قويا رصينا، و هل كانوا يختلفون فى شىء من ذلك عن العرب الذين يتتمون إليهم؟

و الحق أن الرسول صلى الله عليه و سلم هو الذى جعل جيش المسلمين يتحلى بكل هذه المزايا الرفيعه، فقد بذل غايه الجهد ليغرس كل هذه المزايا فى نفوس المسلمين، و بذلك كوّن منهم قوه لا تغلب، و كانوا قبل حين كغيرهم من القبائل الأخرى، تطفى عليهم الأنانيه الفرديه، و لا يعرفون معنى الضبط و النظام، و ليست لديهم عقيده بالمعنى الصحيح.

ليس من السهل أبدا، أن ينجح انسان فى تبديل نفسه رجاله من حال الى حال إلا بعون الله، و نجاحه هذا هو معجزه واقعيه أكبر

و أعظم من معجزات الخيال.

٢- تفصيل المزايا:

أ- عقيدته راسخه:

آمن المسلمون برسالة النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم، فهم يقاتلون لحمايه ما آمنوا به من العدوان،

ص: ٤٦٦

حتى تكون كلمه الله هي العليا؛ و في سبيل الدفاع عن عقيدتهم التي آمنوا بها كل الإيمان، تركوا أوطانهم و أموالهم و عرّضوا أنفسهم للخطر، و قاتلوا حتى أولادهم و أهليهم و عشيرتهم.

لقد بذلوا كل شيء رخيصة في سبيل الدين الذي اعتنقوه.

التقى الآباء بالأبناء و الإخوة بالإخوة و الأهل بالأهل: خالفت بينهم المبادئ ففصلت بينهم السيوف.

كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه مع المسلمين، و كان ابنه عبد الرحمن مع المشركين. و كان عتبه بن ربيعة مع قريش، و كان ابنه حذيفه مع المسلمين.

و عندما استشار النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مصير أسرى (بدر)، قال عمر: (أرى أن تمكني من فلان، قريب عمر، فأضرب عنقه، و تمكّن عليا من أخيه عقيل بن أبي طالب فيضرب عنقه، و تمكّن الحمزه من فلان أخيه فيضرب عنقه، حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هواده للمشركين).

و لما سحبا جثته عتبه بن ربيعة الذي قتل يوم (بدر) لتدفن في القليب، نظر الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم الى ابنه حذيفه بن عتبه فاذا هو كئيب قد تغير لونه. فقال له: (يا حذيفه! لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيء؟) ...

قال حذيفه رضي الله عنه: (لا و الله يا رسول الله فما شككت في أبي و لا في مصرعه، و لكني كنت أعرف من أبي رأيا و حلما و فضلا، فكنت أرجو أن يهديه ذلك للإسلام؛ فلما رأيت ما أصابه، و ذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنت أرجو له، أحزنتني ذلك).

و في غزوه بني المصطلق، حاول عبد الله بن أبي رأس المنافقين أن يثير الفتنة بين المهاجرين و الأنصار، فأصدر الرسول صَلَّى اللهُ عليه و سلم أمره بالحركة فورا حتى

ص: ٤٦٧

لا يستفحل أمر الفتنة. و عند وصول المسلمين الى المدينة، تقدّم عبد الله بن عبد الله بن أبي يطلب من الرسول صلّى الله عليه و سلم أن يأمره بقتل أبيه لأنه حاول إشعال نار الفتنة، و لكنّ الرسول صلّى الله عليه و سلم عفا عنه قائلاً لولده المؤمن: (إنا لا نقتله، بل نترقّق به و نحسن صحبته ما بقى معنا).

و فى غزوه بنى قريظه طلب يهود حضور أبى لبابه لاستشارته، فسمح الرسول صلّى الله عليه و سلم له بالذهاب إليهم. و سأله يهود: هل ينزلون على حكم محمّد؟ قال لهم: (نعم)، و أشار الى حلقة كأنه ينبههم الى أن مصيرهم الذبح.

لم يعرف أحد من المسلمين بإشاره أبى لبابه هذه الى حلقة حين استشاره يهود، و لكنه أدرك لفوره بأنه خان الله و رسوله بإشارته تلك، فمضى هائماً على وجهه حتى ربط نفسه الى ساريه فى مسجد الرسول صلّى الله عليه و سلم، و بقى على حاله هذا حتى تاب الله عليه.

و قبيل غزوه الفتح جاء أبو سفيان بن حرب الى المدينة، فقصد دار أم حبيبه ابنته و زوج الرسول صلّى الله عليه و سلم، لكنها طوت الفراش عن والدها، لأنها رغبت بالفراش عن مشرك نجس و لو كان هذا المشرك أباه الحبيب.

لقد أنفق المسلمون أموالهم فى سبيل الله، حتى تخلّل أبو بكر الصديق رضى الله عنه بالعباءه، و كان يملك أربعين ألف دينار قبل الاسلام.

فما الذى يدفع لمتل هذه الأعمال الرائعه غير العقيدة الراسخه و الإيمان العظيم؟

و هل يقاتل أصحاب مثل هذه العقيدة كما يقاتل الذين لا عقيدة لهم إلا أهواء الجاهليه و عصبية الأنانيه و حب الفخر و الظهور؟ إن عقيدة المسلمين بسمو أهدافهم جعلتهم يستميتون فى القتال دفاعاً عن تلك الأهداف.

ص: ٤٦٨

ب- معنويات عاليه:

لا قيمه لأى جيش مهما يكن ضخماً فى عدده، دقيقاً فى تنظيمه، متميزاً فى تسليحه ما لم تكن معنوياته عاليه.

كان الجيش الإيطالى فى الحرب العالميه الثانيه مجهزاً بأحدث الأسلحه و أشدها فتكاً، و كان تنظيمه دقيقاً و عدده كبيراً، و لكن معنوياته كانت منهارة؛ فأصبح عبئاً ثقيلاً على الألمان، فكان الحلفاء يطلقون على المواضع التى يحتلها الإيطاليون تعبير: (الفراغ العسكرى)، لأنهم كانوا يستسلمون دون قتال، كلما حاق بهم الخطر الحقيقى أو الوهمى ... فكان وجودهم و عدم وجودهم سواء.

شجّع الرسول صلّى الله عليه و سلم أصحابه قبل معركة (بدر) و فى أثنائها و قوّى معنوياتهم، حتى لا يكثرثوا بتفوق قريش عليهم فى العدد، فكانت معنويات المسلمين عاليه فى تلك المعركة.

حتى معنويات الأحداث الصغار منهم كانت عالية للغاية كما رأيت في تسابق ابني عفراء لقتل أبي جهل.

هل كان بإمكان المسلمين الانتصار في غزوه (بدر)، و القيام بمطارده المشركين بعد يوم من غزوه (أحد)، و الصمود في غزوه الأحزاب، و الإقدام على غزوه (تبوك)، لو لم تكن معنوياتهم عالية جدا؟

و كما عمل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على رفع معنويات أصحابه بشتى الطرق و المناسبات، عمل على تحطيم معنويات أعدائه بشتى الطرق و المناسبات أيضا؛ و ما كانت غزوه (الحديبية) و (عمره القضاء) و غزوه (تبوك) إلا - معارك معنويات لا معارك ميدان.

إن (عمره القضاء) فتحت قلوب أهل مكة، لأنها حطمت معنوياتهم، و غزوه الفتح فتحت أبواب مكة.

ص: ٤٦٩

كما أن نتيجة غزوه (تبوك) اندحار معنوى للروم، و بذلك اطمأن العرب الى أن بإمكانهم مقاتله الروم، و كانوا سابقا يظنون أن ذلك من المستحيلات.

لقد استهدف الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل غزواته تحطيم معنويات أعدائه، بل إنه كان يستهدف تحطيم المعنويات أكثر مما كان يستهدف تحطيم القوى المادية، لأنه كان يطمح دائما في عوده أعدائه الى الصراط المستقيم و الهدايه، فيحرص على بقائهم أحياء طمعا في هدايتهم: (اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون).

إن أكثر غزوات الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانت معارك معنويات تؤثر في النفوس و القلوب لا معارك خسائر تؤثر على الأرواح و الممتلكات.

و يجب ألا ننسى هنا أثر اعتقاد المسلمين بالقضاء و القدر في رفع معنوياتهم لاقتحام الأخطار بشجاعه خارقه، لأن المقدر سيكون حتما و الشهيد في الجنه، و إنما هي إحدى الحسينين، النصر أو الشهاده: (قُلْ هَلْ تَرَبُّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ، وَ نَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا) (١).

ج- ضبط متين:

كان المسلمون يطيعون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إطاعه لا حدود لها، و ينفذون أوامره حرفيا بدون تردد و بكل حرص و أمانه مهما تكن ظروفهم صعبه و واجباتهم شاقه.

و ليس هناك ما يبزر ذكر أمثله على قوه ضبط المسلمين، لأن الأمثله على ذلك أكثر من أن تحصى، و لأن الإطاعه في الإسلام دين: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) (٢).

ص: ٤٧٠

د- تدريب راق:

اهتم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ بتدريب أصحابه على الرمي و ركوب الخيل، فقال عليه أفضل الصلاه و السلام:(من ترك الرمي بعد ما علمه، فإنما هي نعمه كفرها).

و لم يقتصر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ على حث أصحابه للتدريب المستمر على الرمي و ركوب الخيل و هو ما نسميه في الوقت الحاضر: بالتدريب الفردي ... بل درّبهم على تشكيلات مسير الاقتراب و أساليب القتال و واجبات الحراسات و الخفراء، و هو ما نسميه في الوقت الحاضر: بالتدريب الإجمالي.

اتخذ التشكيلات التعبويه المناسبه في مسير الاقتراب في كل غزواته، فأمن بذلك الحمايه اللانزمه لقواته و حرم العدو من مباغتتها.

و قاتل بأسلوب(الصفوف) في معركة(بدر) و معركة(أحد) و في أكثر غزواته الأخرى و نظّم المواضع الدفاعيه وراء الخندق في غزوه الأحزاب و أمن حراسه النقاط الخطيره من الخندق.

و قام بقتال المدن و الأحرش في قتاله ضد يهود، كما قامت سريه أبي سلمه رضى الله عنه بالهجوم فجرا على بني أسد، و النجاح في هذين القتالين يدلّ على تدريب راق.

كما قام بمسيرات طويله شاقه في مختلف الظروف و الأحوال ليلا و نهارا، مما يمكن اعتباره تدريبا عنيفا.

كل هذا التدريب الفردي و الإجمالي و التدريب العنيف جعل تدريب المسلمين راقيا، و جعلهم قادرين على القتال بكفايه في مختلف الظروف و الأحوال.

ه- تنظيم سليم:

كان جيش المسلمين مؤلفا من المهاجرين و الأنصار و مسلمي أكثر القبائل

ص: ٤٧١

المعروفه حينذاك، و معنى ذلك: أن جيش المسلمين كان مؤلفا من كل القبائل العربيه لا من قبيله واحده، لهذا فإن انتصاره لا يعدّ فخرا لقبيله دون أخرى، كما أن إخفاق أيه قبيله في التغلّب عليه لا يعدّ عارا عليها، لأن هذا الجيش لم يكن لقبيله دون أخرى، بل لم يكن للعرب دون غيرهم، إنما كان للاسلام و لمعتنقى هذا الدين من العرب و غيرهم.

إننى أعتقد أن هذا التنظيم الذى لا يخضع إلا للعقيدته الموحده فقط دون غيرها من المؤثرات، جعل القبائل كلها لا تحرص على مقاومه جيش المسلمين حرصها على مقاومه قبيله خاصه، و هذا سهّل مهمه المسلمين فى القتال.

و- تسليح جيد:

أصبح تسليح المسلمين بالتدريج جيدا، بعد أن كان المشركون متفوقين على المسلمين بالتسليح حتى انتهاء غزوه الخندق.

يكفى أن نسمع وصف الكتيبه الخضراء التى كان على رأسها النبى صلى الله عليه و سلم فى غزوه الفتح، فقد كان أفرادها لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد.

و قد شجع الرسول صلى الله عليه و سلم على صناعه السلاح فقال: (إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثه نفر الجنة: صانعه المحتسب فى عمله الخير، و الرامى به، و المعد له؛ فارموا و اركبوا، و أن ترموا أحب إلى من أن تركبوا).

ص: ٤٧٢

ص: ٤٧٣

السبب الثالث حرب عادله

١- معنى الحرب العادله:

السبب الثالث حرب عادله (١)

١- معنى الحرب العادله:

(هى حرب توجه ضد شعب ارتكب ظلما نحو شعب آخر و لم يشأ رفعه.

و يشترط فيها أن تكون مطابقه للقواعد الإنسانيه، و تكون لغرض تحقيق سلم دائم، و وجوب احترام حياه و أملاك الأبرياء و حسن معامله الأسرى و الرهائن).

هذا هو معنى الحرب العادله كما تنص عليه مصادر قوانين الحرب و الحياد من القانون الدولى.

الحرب العادله إذا، حرب دفاعيه لا عدوانيه، تستهدف تحقيق سلم دائم، أغراضها إنسانيه، تحترم حياه و أملاك الأبرياء، و تعامل الأسرى و الرهائن بالحسنى.

إن شروط الحرب فى الإسلام قبل أربعه عشر قرنا كانت أكثر عدلا مما تنص عليه مصادر القانون الدولى فى القرن العشرين؛ فهى بالاضافه الى ذلك لا تثيرها العنصريات و لا حب الأمجاد، و ليست لأغراض ماديه أو استعماريه، و تدافع عن حريه الرأى و

و سترى التطبيق العملى لكل هذه الشروط فى أعمال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ العسكرىه.

١- لم تعرف التفرقه بين الحرب العادله و هى مباحه و الحرب غير العادله و هى محرمة إلا فى إبان العصور الوسطى، إلا ان هذه الفكره الساميه لم تلبث ان انهارت.

ص: ٤٧٤

٢- تفصيل معنى الحرب العادله:

أ- حرب دفاعيه:

ارتكبت قريش كل الظلم و العدوان ضد المسلمين عندما كانوا فى مكه، فلم يبق هناك مجال للمسلمين غير ترك أموالهم و أهليهم و الهجره من مكه الى الحبشه أولا و إلى المدينه أخيرا تخلصا من هذا الظلم و العدوان.

هاجر أكثر المسلمين من مكه فرارا بعقيدتهم فقط، تاركين فيها كل ما يملكونه من أهل و مال، و كان أكثر هؤلاء المهاجرين من الذين حمتهم عصبتهم من أن يصيبهم ما أصاب المستضعفين فى الأرض من المسلمين الذين عذبتهم قريش و لقوا مصارعهم من جراء هذا التعذيب.

حتى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ نفسه، لاقى التكذيب و الإهانه، و استمع بصبر عجيب الى دعايات قريش الكاذبه ضده و مكافحتها العنيفه للدين الجديد.

و قد نجا الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ من مؤامره قريش المحكمه التى دبرتها لاغتياله، كما نجا من مطارده قريش له فى هجرته من مكه الى المدينه متحملا المشاق و الأهوال.

فأى ظلم و عدوان أكبر من هذا الظلم و العدوان الذى أصاب المسلمين؟

و لكن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ عندما فتح مكه قال لقريش: (اذهبوا فأنتم الطلقاء)!!

لم يقاتل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ عدوا إلا مضطرا لقتاله، و كل غزواته كانت لرد اعتداء خارجى أو داخلى أو لإحباط نيه اعتداء، و لم يجد من عدو ميلا للسلام إلا بادر الى تشجيع هذا الميل، و الارتباط بهذا العدو بالمحالفات.

إن دراسه أسباب غزوات الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ و سلم بروح محايد بهيده عن الهوى، تثبت أن المسلمين لم يعتدوا على أحد، لأن الله لا يحب المعتدين.

كما أن تلك الدراسة تثبت أن المسلمين لم يريدوا بقتالهم إكراه الناس على الدخول في الإسلام، فقد بقي كثير من رجالات قريش على الشرك بعد الفتح

ص: ٤٧٥

و شهدوا مع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ في غزوه (حنين)، و كان المسلمون يعرفون أن هؤلاء لا يزالون على عقيدتهم الأولى، و مع ذلك لم يجبرهم أحد على تبديل دينهم:

(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) (١)... (أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) (٢)؟!!

من هؤلاء صفوان بن أمية و أبو سفيان بن حرب و كلده بن الجعيد.

ألم يكن بإمكان المسلمين أن يجبروا هؤلاء على اعتناق الإسلام، بعد أن استسلمت قريش و فتحت مكة أبوابها للمسلمين؟؟

إن القول بأن هدف القتال في الإسلام هو نشر الدعوة هراء لا يستند الى الواقع، و لكنّ هدف القتال هو حمايه حريه نشر الدعوة، و حمايه الدعوة، و إقرار السلام، و شتان بين الهدفين!

و مع أن الحرب الإسلاميه دفاعيه لأنها بعينه عن الظلم و العدوان، إلا أن هذا الدفاع غير مستكن (٣)، بل هو دفاع تعرّضى كما يسمى في المصطلحات العسكريه الحديثه، و معناه أن المسلمين لا يبدأون بالاعتداء، و لكنهم يدافعون عن أنفسهم ضد كل اعتداء بالهجوم المضاد لسحق قوات المعتدين.

ب- حرب لتوطيد السلام:

أظهر مشركو المدينه و يهودها بعيد هجره النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ من مكة الى المدينه ميلا الى السلم، فشجع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ هذا الميل السلمى و عقد معهم معاهده أمّنت لجميع سكان المدينه حريه الرأى و الأمن.

و قد حالف الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ و سلم كل قبيله أظهرت رغبتها في السلام كما فعل مع بنى ضميره في غزوه (ودان) و مع بنى مدلج في غزوه (العشيره) و مع قريش في غزوه (الحديبيه).

١- الآيه الكريمه من سوره البقره ٢: ٢٥٦.

٢- الآيه الكريمه من سوره يونس ١٠: ٩٩.

٣- الدفاع المستكن: الدفاع الثابت المحروم من قابليه الحركه للقيام بالهجوم المضاد.

ص: ٤٧٦

بل كان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ و سلم يبذل كل جهده لتحقيق أهدافه السلميه، حتى لو أدّى ذلك الى تدمير قسم من أصحابه،

كما حدث في غزوه (الحديبيه).

إن السلام يضمن الاستقرار، وقد انتشر الإسلام في فتره صلح (الحديبيه) - و هي فتره سلام - انتشارا عظيما بين الناس لم ينتشره في أيام الحرب، بل إن انتشاره في أيام السلام كان أضعافا مضاعفه لانتشاره في أيام القتال.

إن الجنوح الى السلم دين: (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا) (١)، فلا عجب إذا رأينا الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقبل بل يشجع كل العروض السلميه التي تقدم بها أعداؤه في كل مكان و زمان.

إن السلم في الإسلام هي القاعده الثابته، و الحرب هي الاستثناء.

و لكنّ الإسلام يدعو للسلام لا للاستسلام: يسالم من يسالمه و يعادى من يعاديه، و لكنه لا يعتدى على أحد و لا يظلم أحدا، و لا يرتضى للمسلمين الظلم و العدوان.

ج- حرب إنسانيه:

أولا- احترام الأبرياء:

لم يتعرض الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بغير المقاتلين في غزواته، و حرص على صيانه و احترام أرواح و أموال الأبرياء.

لما استسلم بنو قريظه، قتل المسلمون الرجال الذين قاتلوهم (فعلا)، لأنهم خانوا عهودهم و عرّضوا المسلمين للفناء. أما الأطفال و النساء من بنى قريظه فلم يصابوا بأذى، كما أن الذين ثبتوا على عهودهم من يهود لم يصابوا بسوء أيضا.

و المرأه الوحيدة التي قتلت من بنى قريظه، هي التي قتلت مسلما بقذفه

١- الآيه الكريمه من سوره الأنفال ٨ : ٦١.

ص: ٤٧٧

بالرحى من فوق سطحها، و إنما كان قتلها عقابا لها على جنائتها هذه، كما هو واضح و معروف.

و لما خرج المسلمون لغزوه (مؤته) أوصاهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بألّا يقتلوا النساء و الأطفال و المكفوفين و لا يهدّموا المنازل و لا يقطعوا الأشجار.

إن البرىء لا يؤخذ بجريه المذنب: (وَ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) (١)، هذا هو مبدأ الإسلام الذي لن يحيد عنه.

ثانيا- الأسرى و الرهائن:

أسر المسلمون سبعين أسيرا من قريش في غزوه (بدر)، فقسّم ثمانيه و ستين أسيرا من هؤلاء على أصحابه قائلان: (استوصوا

بالأسارى خيرا).

ثم فادى أغنياء الأسرى بالمال، أما الفقراء فأطلق سراح قسم منهم دون مقابل، و كلف المتعلمين منهم بتعليم أطفال المسلمين القراءه و الكتابه، ثم أطلق سراحهم بعد تعليمهم هؤلاء الأطفال.

و لكنّ الرسول صَلَّى الله عليه و سلم أمر بقتل أسيرين من السبعين أسيرا، لأنهما أجزما فى حق المسلمين و عذبا المستضعفين منهم و شنعا على الإسلام، فكان قتلهما لجرائمهما لا لأنهما أسيران.

إن هذين الأسيرين كانا(مجرمى حرب) كما يطلق عليهما فى التعابير العسكريه الحديثه و عقابهما كان جزاء لما جنت أيديهما من ذنوب و آثام.

كما فادى الرسول صَلَّى الله عليه و سلم الأسيرين اللذين وقعا بأيدي سريه عبد الله بن جحش، فأسلم أحدهما و عاد الثانى أدراجه الى مكه آمنا.

١- الآيه الكريمه فى سوره من سوره الأنعام ٦: ١٦٤، و الإسراء ١٧: ١٥، و سوره فاطر ٣٥: ١٨، و الزمر ٣٩: ٧.

ص: ٤٧٨

ذلك ما طبقه المسلمون بحق الأسرى، و هو ما ينطبق على أحدث قوانين معامله الأسرى فى العصر الحاضر.

أما الرهائن، فلم يرو التاريخ أن المسلمين اعتدوا عليهم لأن الرهائن أمانه و القرآن الكريم يقول: (لا تَخُونُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ وَ تَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (١).

ثالثا- الجرحى و القتلى:

كان قسم من أسرى المشركين فى غزوه(بدر) الكبرى جرحى، و قد اعتنى المسلمون بتمريضهم و عنايتهم بجرحاهم سواء بسواء.

و لم يهمل المسلمون أمر الاعتناء بجرحى أعدائهم فى كل غزواتهم، لأن هذا الاعتناء قضيه إنسانيه، و الإسلام دين الإنسانيه جمعاء.

و قد دفن المسلمون قتلى المشركين فى(بدر) كما دفنوا شهداءهم و لم يتركوهم فى العراء.

أما المشركون فقد مثّلوا بشهداء المسلمين فى(أحد) أفضع تمثيل.

٣- حرب عقيدته:

أ- لا أغراض شخصيه:

لم تعلن الحرب في الإسلام لأغراض شخصيه، لأن الإسلام في حقيقته دعوه للمصلحه العامه و تقديم للصالح العام، و لو أدى ذلك الى تناسي مصالح الأشخاص.

و لم تعلن هذه الحرب لأطماع شخصيه وحب السيطره و الأمجاد، فقد بعثت قريش عتبه بن ربيعه و هو رجل رزين هادى ء، فذهب الى رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم يقول له: (يا ابن أخي! إنك منّا حيث علمت من المكان و النسب، و قد أتيت

١- الآية الكريمة من سوره الأنفال ٨: ٢٧.

ص: ٤٧٩

قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم؛ فاسمع منى أعرض عليك أمورا لعلك تقبل بعضها. إن كنت إنما تريد بهذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، و إن كنت تريد شرفا سوّدناك علينا فلا نقطع أمرا دونك، و إن كنت تريد ملكا ملكناك علينا). و لكن الرسول صَلَّى الله عليه و سلم لم يكثر بكل هذا الاغراء.

و اشتدت عدواه قريش، و عظم على أبي طالب فراق قومه و عداوتهم له فقال للنبي صَلَّى الله عليه و سلم: (ابق على نفسك و على، و لا تحمّلنى من الأمر ما لا أطيق).

قال الرسول صَلَّى الله عليه و سلم: (يا عماه! و الله لو وضعوا الشمس في يمينى و القمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه، ما تركته).

لقد كان الرسول صَلَّى الله عليه و سلم يردد دائما قوله تعالى: (قُلْ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ) (١). و لم يترفع أبدا عن الفقراء و الضعفاء و المساكين و الخدم، و سيرته في كل ذلك مضرب الأمثال.

إن حمايه حريه نشر العقيده هى التى أثارت الحرب في الإسلام، و لم يكن من أسباب إثارتها الأغراض الشخصيه من بعيد أو قريب.

ب- حرب لا عنصريه:

ليس الإسلام ديناً لقبيله دون قبيله، و لا- لأمه دون أمه، و لا- للعرب دون العجم. و لكنه للناس جميعاً، للعالمين!... (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً) (٢)، فالإسلام يعمل لفكره جليله، فكره وحده الإنسانيه تحت لواء الإسلام.

إنه دين يقاوم العصبيه و التعصب، و يكافح العناصر و الأجناس، لأنه يريد أن يجمع العالم كله على صعيد واحد: لتوحيد كلمتهم و توحيد الله.

١- الآيه الكريمة من سورة الكهف ١٨: ١١٠، و سورة فصلت ٤١: ٦.

٢- الآيه الكريمة من سورة الأعراف ٧: ١٥٨.

ص: ٤٨٠

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) (١)، و(ليس لعربي فضل على أعجمي إلا- بالتقوى)، و(سلمان منا آل البيت)، كلها معناها: إن الإسلام قوميته و دين تنصهر فيه كل قوميته و كل دين، هو دنيا و دين ... سيف و كتاب ... مذهب فى الحياه (٢).

لقد رأينا أن الحرب الإجماعية التي دعا إليها الألمان تركز على العنصريه الجermanيه، و رأينا سيطره التفريق العنصرى البغيض بين البيض و السود فى الولايات المتحده الامريكيه و فى جنوب إفريقيا و غيرها من البلاد، كل هذا يجرى فى القرن العشرين عصر النور و المدنيه و الذره و الصواريخ عابره القاره.

أما الاسلام قبل أربعة عشر قرنا، فقد قاوم العنصريات و الاجناس، و دعا الى توحيد الأهداف، فمن آمن بالاسلام كان دمه و عرضه و ماله حراما على المسلمين:(المسلم أخو المسلم).

كان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ و سلم من قريش، و لكنه قاتل قريشا حين اعتدت على المسلمين؛ و كان عربيا، و لكنه قاتل قومه العرب دفاعا عن الإسلام.

و لما تصدى الروم لعرقله دعوته، قاتلهم. و عندما التحق بالرفيق الأعلى، قاتل خلفاؤه الفرس و الروم و غيرهم من الأقوام و الأجناس.

و الذين كانوا أعداء المسلمين على اختلاف قومياتهم و أجناسهم قبل إسلامهم، انصهروا بعد إسلامهم بالمسلمين، فأصبح عليهم ما على المسلمين و لهم ما للمسلمين.

إن الاسلام ساوى بين الناس فى الدنيا و فى الآخرة ... أمام الناس و أمام الله:(إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) (٣).

١- الآيه الكريمة من سورة الحجرات ٤٩: ١٠.

٢- I a si malsI (a ton dna(efil fo yaw) a noigiler). فهو: مذهب فى الحياه يشمل القضايا الروحيه و الماديه و ليس دينا يشمل القضايا الروحيه فقط، فلينتبه الى ذلك الذين يترجمون كتب الغرب الى العربيه عند ترجمتهم كلمه (noigiler) التي قد تنطبق على المسيحيه كدين و لكنها لا تنطبق على الاسلام كدين و دوله و روح و ماده و سيف و كتاب.

٣- الآيه الكريمة من سورة الحجرات ٤٩: ١٣.

ص: ٤٨١

ج- حرب لا ماديه:

لم يكن من أغراض القتال في الاسلام الاستحواذ على الماده و البحث عن الاسواق و الخامات و استرقاق المرافق و فرض الاستعمار.

خرج المسلمون للتصدى لقافلة ابي سفيان بن حرب العائده من الشام فى غزوه (بدر) الكبرى، لأنهم أرادوا أن يحرموا قريشا من طريق مكه- الشام التجاريه فيؤثرون بذلك على حالتها الاقتصادية حتى يخففوا من غلواء عدوانهم على المسلمين.

و لكنّ تلك القافله أفلتت من أيديهم، و مع ذلك اصطدمت قواتهم بالمشركين، و كان بإمكانهم العوده الى المدينه بأمن و سلام بكل يسر و سهوله.

و لو كانت القضايا الماديه هى التى دعتهم للخروج الى (بدر)، لعادوا أدراجهم عندما علموا بوصول قافله قريش سالمه الى مكه.

و بعد غزوه (حنين)، انتظر الرسول صلى الله عليه و سلم حوالى شهر قدوم و فد هوازن إليه، ليعيد إليهم ما غنمه المسلمون من أموالهم، و لكنهم لم يحضروا، فاضطر الى تقسيم الغنائم، و أعاد السبى الى و فد هوازن الذى وصل بعد تقسيم الغنائم على الناس.

و لكن ما هو نصيب الرسول صلى الله عليه و سلم من الغنائم؟ إنه الخمس، و هذا الخمس مردود عليهم، لأنه يصرف فى مصالحهم العسكريه و غير العسكريه، فهل أبقى الرسول صلى الله عليه و سلم لنفسه شيئاً من المال؟

قالت عائشه أم المؤمنين رضى الله عنها: (لم يمتلىء جوف النبى صلى الله عليه و سلم شبعاً قط، و إنه كان فى أهله لا يسألهم طعاماً و لا يتشهاه، إن أطعموه أكل، و ما أطعموه قبل، و ما سقوه شرب).

و قالت: (ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين، حتى قبض رسول الله صلى الله عليه و سلم).

ص: ٤٨٢

و قالت: (كنا آل محمد نمكث شهراً ما نستوقد بنار، إن هو إلا التمر و الماء).

و قالت: (توفى رسول الله صلى الله عليه و سلم و ليس عندى شىء يأكله ذو كبد، إلا شطر شعير فى رف لى. و توفى و درعه مرهونه عند يهودى فى ثلاثين صاعاً من شعير).

ذلك ما أبقاه الرسول صلى الله عليه و سلم لنفسه و لأهل من متاع الدنيا، و لو كانت له رغبه فى الماده، لأبقى لنفسه مال زوجه خديجه، و هو مال كثير!!

إن الأهداف الرفيعه تتعب الأجساد و النفوس فى الحصول عليها، و قد أتعب الرسول صلى الله عليه و سلم نفسه و أهله و أصحابه فى سبيل أهداف الإسلام، ليكون أسوه حسنه للمسلمين فى كل زمان و مكان.

إن تعريف الحرب العادله كما تنصّ عليه مصادر القانون الدولى، بالرغم من أنه حبر على ورق بالنسبه لكل الحروب قديما و حديثا، إلا أنه قاصر عن الوفاء بحق تعريف القتال فى الإسلام.

إنّ أصحّ تعبير يمكن إطلاقه على تلك الحرب هو: الحرب المثاليه.

مثاليه: لأن أهدافها الدفاع عن حريه الرأى و توطيد أركان السلام:

تصون أرواح و أموال الأبرياء و الضعفاء، و تعطف على الأسرى و الرهائن، و تواسى المرضى و الجرحى، و لا تمثّل بالقتلى بل تدفنههم كقتلاها، و لا تثيرها الأغراض الشخصيه و لا العصبيه و لا المنافع الماديه و لا الاستغلال و الاستعمار.

فاذا لم تكن هذه الحرب مثاليه، فأى حرب فى التاريخ كله يمكن أن يطلق عليها هذا التعبير؟

لا- عجب إذن إذا استطاعت هذه الحرب أن تسيطر على العقول بالمثل العليا قبل أن تسيطر على الحصون و القلاع بالسلاح و الرجال.

ص: ٤٨٣

إن هذه الحرب المثاليه، جعلت جراح المغلوبين تلتئم بسرعه، فينضمّون ضائعين الى الغالبيين، ليكون الغالبون و المغلوبون جميعا تحت رايه واحده، هى رايه الإسلام.

و لو كانت حربا ظالمه لما دام الظلم، لأن الظلم لا يدوم، و إن دام دمرّ الغالب و المغلوب؛ فهل يفقه الظالمون ذلك، أم على قلوبهم أفعالها؟!

و لكنها كانت حربا عادله الى حدود المثاليه، فاستجاب العرب لأهدافها العاليه، ثم حملوا رساله تلك الأهداف الى العالم؛ و استجاب لها الفرس و الروم و كثير من الأمم و القوميات الأخرى، ثم حملوا بدورهم مشعل هدايتها شرقا و غربا، فاستنار الشرق بنور الإسلام على حين كان الغرب فى دياجير الجهل و الظلام.

ص: ٤٨٤

ص: ٤٨٥

السبب الرابع ضعف الاعداء

كان أعداء المسلمين ضعفاء على الرغم من كثرتهم، لأن العدد الضخم من الجنود لا- قيمه له إذا لم يتحلّل أولئك الجنود بالمعنويات العاليه و العقيدته الساميه و المثل العليا.

لقد رأينا فى بحث الموقف العسكري العام للطرفين: المسلمين و أعدائهم، أن العرب كانوا متفرقين لا يخضعون إلا لسيطره

رؤسائهم الذين تسيطر عليهم الأهواء والعصبيات.

كما كان النظام العسكري عند الروم و الفرس فاسدا، و لم يكن لكل هؤلاء الأعداء أهداف معيَّنه يؤمنون بها و يضحون بأرواحهم و أموالهم فى سبيلها، كما كان يفعل المسلمون.

و لم تكن قياده أعداء المسلمين تتحلى بكفايه عسكريه عاليه، لأن قياده القبائل العربيه كانت بيد رؤسائها، و قياده الفرس و الروم بيد نبلائها الاقطاعيين، حتى و لو كان أولئك الرؤساء و هؤلاء النبلاء لا كفايه لهم و لا مؤهلات.

إن أسباب ضعف أعداء المسلمين إذن هي: ضعف القيادة التي كانت وراثيه على الأغلب، و نظام عسكري فاسد لا يقبل الجنود فيه على القتال إلا بدافع الارتزاق أو بدافع خوف الرؤساء و النبلاء البعيدين عن مشاركه جنودهم فى شعورهم و إحساسهم، و عدم وجود أهداف مثاليه تؤمن بها قوات العرب و الفرس و الروم على حدّ سواء.

و لن ينتصر جيش مهما يكن ضخما، إذا كانت كل أسباب الضعف هذه تنخر قيادته و نظامه و معنوياته.

ص: ٤٨٦

الأرض للصالحين

إن النتائج العسكريه لجهاد المسلمين بقياده النبي صلّى الله عليه و سلم، كانت متوقعه منذ بدأ هذا الجهاد، لأن الرسول صلّى الله عليه و سلم أعدّ كل وسائل النصر على أعدائه الكثيرين، و لهذا كان واثقا من النصر، فبشّر به أصحابه فى كل مناسبة.

اصطدمت قوتان غير متكافئتين: كان للمسلمين قياده موحده مثاليه هي قياده الرسول صلّى الله عليه و سلم، رشحته لها كفايه قياديه عاليه و عبقرية إداريه فذه، و كان لأعداء المسلمين قواد لا يتحلون بالكفايه العسكريه رشحتهم لها وراثه الآباء و الأجداد. و كان قتال المسلمين دفاعا عن عقيدتهم و لتوطيد أركان السلام، فحربهم عادله مثاليه، بينما كان قتال أعدائهم لتوطيد أركان الظلم و العدوان، فحربهم غير عادله.

و كان للمسلمين عقيدته راسخه و أهداف ساميه معلومه، و لم يكن لأعدائهم عقيدته و لا أهداف تستحق التضحيه و الإقدام.

تلك هي أسباب انتصار الفئه القليله على الفئه الكثيره، و تلك هي أسباب انتصار كل قوه فى كل زمان و مكان.

إن الأرض يرثها العباد الصالحون، و قد كان المسلمون حينذاك هم العباد الصالحين، فورثوا الأرض و من عليها و بقوا يحكمونها حتى غيروا ما بأنفسهم، فتبدّلت الحال غير الحال.

و سيعيدون سيرتهم الأولى بإذن الله، إذا عادوا الى الإسلام بما فيه من تكاليف البذل و التضحيه و الفداء.

لقد قمنا بدراسه حيايه سيدنا محمد صلوات الله و تسليمه عليه من الناحيه

العسكريه البحته، فإن أصبنا فى بعض نواحيها فتوفيق من الله؛ و إن أخطأنا فى بعض نواحيها فان الكمال لله وحده. و حسبنا أن تكون هذه الدراسه أول دراسه فنيه لحياء الرسول صلى الله عليه و سلم العسكريه، هذه الحياه التى تستحق دراسه أوسع و أدق، و فيها كل ما يستحق الإكبار و الإعجاب.

و أحمد الله توفيقه، و أشكره على تسديده، و الله أكبر كبيراً، و الحمد لله كثيراً، و صلى الله على سيدى و مولاي رسول الله صلى الله عليه و سلم و على آله و أصحابه أجمعين.

الفهارس العامه

اشاره

١- فهرس الأعلام

٢- فهرس الأماكن

٣- المصادر

٤- المراجع العربيه و الأجنبيه

٥- محتويات الكتاب

٦- محتويات الخرائط و المخططات

فهرس الاعلام

(أ)

ابن أبي العوجاء ٣٠٢

ابن سعد (محمد) ٦٧، ٧٠، ٨٦، ٢٣١

أبو أسيد مالك بن ربيعة ١٤٠

أبو الأعور ١٤٦

أبو أيمن ١٩٨

أبو أيوب الأنصاري ١٤٤

أبو بردة بن تيار ١٣٤

أبو بصير بن عتبة ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٩١

أبو بكر الصديق ١٩، ٦٩، ١٠٥، ١١٩، ١٣٠، ١٨٣، ٢٠٦، ٢١٤، ٢٧٥، ٢٨٨، ٣٠٠، ٣١٠، ٣٣٣، ٣٤٧، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤١٠، ٤٥٢، ٤٦٠،
٤٦٦، ٤٦٧

أبو جندل بن سهيل بن عمرو ٢٨٣

أبو جهل (عمرو بن هشام) ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١٥، ١١٨، ١٢٠، ٤٥٨

أبو حبه بن عمرو ١٩٦

أبو حذيفة بن عتبة ١١٩، ١٢٩، ٤٦٦

أبو حيه بن ثابت ١٣٦

أبو خالد (الحارث بن قيس) ١٤٣

ص: ٤٩٢

أبو خزيمة بن أوس ١٤٤

أبو خميصه ١٣٨

أبو داود (عمير بن عامر) ١٤٦

أبو دجانة(سماك بن خرشه) ١٤٠، ١٧٧، ١٨٠، ١٨٢، ٤٤١، ٤٤٢

أبو ذر الغفاري ٢٤٩

أبو زيد(قيس بن سكين) ١٤٦

أبو سبره بن أبي رهم ١٣٢

أبو سعيد بن أبي طلحة ١٨٠

أبو سفيان بن الحارث ١٩٥

أبو سفيان(صخر بن حرب) ٢٢، ٨٧، ١٠١، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١٥٨، ١٦٦، ١٧٢، ١٧٤، ١٨٣، ١٨٥، ١٨٩، ٢١١، ٢٢٢،

٢٢٦، ٢٣٣، ٢٥٦، ٣١٤، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٢، ٣٥٦، ٣٦٥، ٣٧٠، ٤٣٥، ٤٥٥، ٤٦٧، ٤٧٥، ٤٨١

أبو سلمه بن عبد الأسد ١٣١، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢١٧، ٢٢٢، ٤٧٠

أبو سنان بن محصن ١٢٩

أبو سليط ١٤٦

أبو شيخ أبي بن ثابت ١٤٦

أبو شيخ بن أبي ١٤٥

أبو ضياع بن ثابت بن النعمان ١٣٦، ٣٢٠

أبو طلحة الأنصاري(زيد بن سهل) ١٤٥، ٤٣٧.

أبو طالب(عبد مناف بن عبد المطلب) ٤٧٩.

أبو عامر الأشعري ٣٩٢

أبو عامر(عبد عمرو بن صيفي) ١٣٣، ١٧٨

أبو عبادة(سعد بن عثمان) ١٤٣

ص: ٤٩٣

أبو عبس (جبر بن عمرو) ١٣٤

أبو عبيده (عامر بن الجراح) ٤٤، ١٣٣، ٢٠٣، ٢٥١، ٣١٠، ٣١١، ٣٣٩، ٤٠٦

أبو عفك اليهودى ١٥١

أبو عقيل بن عبد الله ١٣٦

أبو قتاده الأنصارى ٣١١، ٣٣٤، ٤١٢

أبو قتاده بن ربعى ٣١١

أبو كبشه ١٢٨

أبو كليب ٣٢٤

أبو لبابه بن عبد المنذر ١٣٥، ١٤٨، ٢٦١، ٤٦٧

أبو لهب (عبد العزى بن عبد المطلب) ١٠٨

أبو مخشن سويد ١٢٩

أبو مرثد ١٢٨

أبو مليل بن الأزعر ١٣٤

أبو المنذر (يزيد بن عامر) ١٤٢

أبو هبيرة بن الحارث ١٩٦

أبو الهيثم بن التيهان ١٣٤

أبو اليسر (كعب بن عمرو) ١٤٢

أبو يوسف (يعقوب بن ابراهيم) ٤٤

أبى بن خلف ١٨٣

أبى بن كعب ١٤٥

الأخنس بن شريق ٢٨٥

الأرقم بن أبي الأرقم ١٣١، ٤٦

أزهر بن عوف ٢٨٥

أسامه بن زيد ٣٠٣، ٤٠٣، ٤٠٥، ٤٠٧

ص: ٤٩٤

أسعد بن يزيد ١٤٣

أسماء بنت عمرو ٤٧

الأسود الراعي ٣٢٠

الأسود بن عبد الأسد ١١١

الأسود بن عبد المطلب ١٤١

أسيد بن الحضير ٢٥٤

أسير بن رزام ٢٥٥

الأصبغ الكندي ٢٥٤

الأصيد بن سلمه ٣٧٤

الأقرع بن حابس ٣٧١

أكيدر بن عبد الملك ٤٠٢، ٤٠٣

أم حبيبه ٣٣٣، ٣٤٨، ٣٥٦، ٤٦٧

أم سليم ٥٥

أم قرفه ٢٥٤

أنس بن مالك ٥٥

أنس بن النضر ١٩٧

أنسه ١٢٨

أنيس بن قتاده ١٣٥، ١٩٥

أنيف بن حبيب ٣٢٠

أوس بن أرقم ١٩٧

أوس بن ثابت بن المنذر ١٩٧

أوس بن القائد ٣٢٠

أوس بن قتاده ٣٢٠

إياس بن أوس ١٩٥

إياس بن البكير ١٣٢

أيمن بن عبيد ٣٩٢

ص: ٤٩٥

(ب)

بجير بن أبي بجير ١٤٧

البخارى (الإمام محمد بن اسماعيل) ٥٥، ٦٦، ٦٧، ٣٤٦

بسبس بن عمرو ١٤٠

بشر بن البراء ١٤١، ٣١٩

بشير بن سعد ١٣٧، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣

بلال بن رباح ١٣١

(ت)

تميم (مولى خراش بن الصمه) ١٤١

تميم (مولى سعد بن خيثمه) ١٣٦

تميم بن يعار بن قيس ١٣٨

(ث)

ثابت بن أثله ٣٢٠

ثابت بن أقرم ١٣٥، ٣٠٨

ثابت بن الجذع ١٤١، ٣٩٢

ثابت بن خالد ١٤٤

ثابت بن عمرو بن زيد ١٤٥، ١٩٦

ثابت بن وقش ١٩٥

ثابت بن هزال ١٣٩

ثعلبه بن حاطب ١٣٥

ثعلبه بن سعد ١٩٧

ثعلبه بن عمرو ١٤٥

ثقف ١٢٩، ١٩٧، ٣١٩

ص: ٤٩٦

(ج)

جابر بن خالد ١٤٧

جابر بن عبد الله ١٤٢، ١٩٨

جابر بن عمرو ٣٢٤

جبر بن عتيك ١٣٥

جبار بن أميه ١٤١

جبير بن إياس ١٤٣

جبير بن مطعم ١٨٠

جعفر بن أبي طالب ٣٠٥، ٣٠٨، ٣٢٤

جليحه بن عبد الله ٣٩٢

(ح)

الحارث بن أنس ١٣٣، ١٩٤

الحارث بن أوس ١٣٣

الحارث بن أبي زينب ٢٩٥

الحارث بن أبي ضرار ٢١٣

الحارث بن حاطب ١٤٨، ٣٢٠

الحارث بن خزيمة ١٣٣

الحارث بن سهل ١٩٥، ٣٩٢

الحارث بن الصمه ١٤٥، ١٤٨، ١٨٣

الحارث بن عدى ١٩٦

الحارث بن عرفجه ١٣٦

الحارث بن النعمان ١٣٦، ٣٢٤

الحارث بن هشام ٢٢، ٢٣

حارثه بن سراقه ١٤٦

ص: ٤٩٧

حباب بن قيطى ١٩٥

الحباب بن المنذر ١٠٦، ١٠٧، ١١٥، ١٤١

حاتم الطائى ٣٧٨

حاطب بن أبى بلتعنه ١٣٠، ٣٣٤، ٣٤٧، ٤٤٤، ٤٥٥.

حاطب بن عمرو ١٣٢

حبيب بن أسود ١٤١

حبيب بن زيد ١٩٥

حذيفه بن اليمان ٢٣٣

حرام بن ملحان ١٤٦

حرب بن أميه ٢٢٦

حريث بن زيد ١٣٨

حسان بن عبد الملك ٤٠٢، ٤٠٣

الحسن البصرى ٤٦٠

حسيل بن جابر ١٩٥

الحصين بن الحارث بن عبد المطلب ١٢٨

الحكم بن كيسان ٩٢، ٩٣

حكيم بن حزام ١٠٩، ١١٠، ٣٣٦

الحليس بن علقمه ٢٧٤

حماس بن قيس ٣٥١

حمزه بن عبد المطلب ٨٥ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٩ ، ١٢٨ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٩٤ ، ٤٦٦

حنظله الغسيل ١٩٥

حبي بن أخطب ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٤٤

(خ)

خالد بن البكير ١٣٢

ص: ٤٩٨

خالد بن سفیان ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٢٢

خالد بن قيس ١٤٤

خالد بن الوليد ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٩ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ١٧٣ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ٣٠٨ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤٣ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٦٣ ، ٣٨٣ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤

خارجة بن حمير ١٤١

خارجة بن زيد ١٣٧ ، ١٩٧

خباب بن الأرت ١٣٠

خباب (مولى عتبة بن غزوان) ١٣٠

خبيب بن إساف ١٣٧

خديجة (أم المؤمنين) ٤٤٨ ، ٤٨٢

خراش بن أميه ٢٧٦

خراش بن الصمه ١٤٠

خلاد بن رافع ١٤٣

خلاد بن سويد ١٣٧

خلّاد بن عمرو بن الجموح ١٩٨، ١٤١

خليده بن قيس ١٤٢

خليفة بن عدى ١٤٤

الخنساء (تماضر بنت عمرو) ٢٣، ٢٤

خنيس بن حذافه ١٣٢

خوّات بن جبير ١٣٦، ١٤٨

خيثمه (والد سعد) ١٩٦

خولى بن أبى خولى ١٣١

(د)

دحيه بن خليفة الكلبي ٢٥٣

دريد بن الصمه ٣٤٤

ص: ٤٩٩

(ذ)

ذكوان بن عبد قيس ١٤٣، ١٩٨

ذو الشمالين (عمير بن عمرو) ١٣٠

ذو الكفين ٣٧٢

(ر)

رافع بن الحارث ١٤٤

رافع بن عنجده ١٣٥

رافع بن المعلّى ١٤٤

رافع بن يزيد بن كرز ١٣٣

ربيع بن رافع ١٣٥

الربيع بن إياس ١٣٩

الربيع بنت معوذ ٥٥

ربيعه بن أكنم ١٢٩، ٣١٩

رجيله بن ثعلبه ١٤٣

رفاعه بن رافع ١٤٣

رفاعه بن عبد المنذر ١٣٥

رفاعه بن عمرو ١٣٨

رفاعه بن مسروح ٣١٩

رفاعه بن وقش ١٩٥

رقيم بن ثابت ٣٩٢

(ز)

الزبير بن العوام ١٠٥، ١٣٠، ٣٣٤، ٣٣٩

الزمخشري (محمود بن عمر) ٢٦

زياد بن أسلم ١٣٥

زياد بن لييد ١٤٤

ص: ٥٠٠

زياد بن عمرو ١٤٠

زيد بن حارثه ١٢٨، ١٦١، ١٦٢، ١٦٧، ١٧١، ١٧٣، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٣٠٥، ٣٠٧، ٣٢٤

زيد بن الخطاب ١٣١

زيد بن رفاعه ٢٥٣

زيد بن عاصم ٦٧

زيد بن المرث ١٣٨

زيد بن وديعه ١٣٨

(س)

السائب بن الحارث ٣٩٢

السائب بن عثمان بن مظعون ١٣٢

سالم بن عمير ١٣٦

سالم مولى أبى حذيفه ١٢٩

سبيع بن حاطب ١٩٦

سبيع بن قيس ١٣٧

سراقه بن الحارث ٣٩٢

شراقه بن عمرو ١٤٧، ٣٢٤

شراقه بن كعب ١٤٤

سعد بن أبى وقاص ٨٧، ٩٢، ١٠٥، ١٣٠، ١٨٠، ١٨٢، ٢٠٣، ٤٠٦

سعد بن حوله ١٣٢

سعد بن خيثمه ١٣٦

سعد بن الربيع ٧٠، ٧١، ١٣٧، ١٩٧

سعد بن زيد الأشهلى ١٣٣، ٣٤٤

سعد بن سهيل ١٤٧

سعد بن عبادہ ١٩٨، ٢١٤، ٣٣٩، ٣٨٧، ٣٨٨

ص: ٥٠١

سعد بن عبيد ١٣٥

سعد بن معاذ ١٠٣، ١٠٥، ١٣٣، ٢٤٦، ٢٦٢، ٤٥٤

سعد الكلبي ١٣٠

سعيد بن زيد ١٠٢، ١٣١، ١٤٨، ٤٠٦

سعيد بن سعيد بن العاصي ٣٩٢

سعيد بن سويد ١٩٧

سفيان بشير ١٩٨

سفيان بن عبد شمس ٢٢٦

سلمان الفارسي ٢٢٨، ٢٣٨

سلمه بن أسلم ١٣٤، ٤٠٦

سلمه بن أميه الضمري ٢٥٧

سلمه بن ثابت ١٣٣، ١٩٤

سلمه بن خويلد ٢٠٣، ٢٢٢

سلمه بن سلامه ١٣٣

سلمه بن عمرو بن الأكوع ٢٥٠

سلمه بن قرط ٣٧٤

سلام بن أبي الحقيق ٢٢٩، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥٥

سلام بن مشكم ٢٩٥، ١٥٨

سليط بن قيس ١٤٦

سليم بن الحارث ١٩٧، ١٤٧

سليم بن عمرو بن حديده ١٩٨، ١٤٢

سليم بن ملحان ١٤٦

سماك بن سعد ١٣٧

سنان بن أبي سنان ١٢٩، ١٤١

سنان بن محصن ١٢٨

ص: ٥٠٢

سهل بن حنيف ١٣٥

سهل بن عتيك ١٤٥

سهل بن قيس ١٩٨، ١٤٢

سهيل بن رافع ١٤٤

سهيل بن عمرو ٢٢، ٢٣، ١٣٣، ٢٧٧، ٢٧٨، ٣٤٠

سواد بن رزن ١٤٢

سواد بن غزيه ١٤٦

سواع ٣٤٤

سوييق بن الحارث ١٩٦

سوييط بن سعد بن حرمله ١٣٣

سويد بن الصامت ٦٥

(ش)

الشافعي (الإمام محمد بن إدريس) ٤٤

شجاع بن وهب الأسدي ٣٠٣

شرحبيل بن عمرو الغساني ٣٠٤، ٣٠٥

شليغن ٣٠٨

شماس (عثمان بن عثمان) ١٣١، ١٩٤

شبيه بن ربيعه ١١٢

شبيه بن عثمان بن طلحه ٣٦٦

(ص)

صالح بن شقرات ١٤٧

صبيح ١٢٩

صخر بن عمرو السلمى ٢٣

الصعب بن معاذ ٢٩٥

ص: ٥٠٣

صفوان بن أميه ١٦١، ١٦٢، ١٦٧، ٣٤٠، ٣٦٤، ٤٧٧

صفوان بن وهب ١٣٣

صيفى بن قيطى ١٩٥

صهيب بن سنان ١٣١

(ض)

الضحاك بن حارثه ١٤٢

الضحاك بن سفيان الكلابي ٣٧٤

الضحاك بن عبد عمرو ١٤٧

ضميره (حليف لبني طريف) ١٤٠، ١٩٨

ضمضم بن عمرو الغفاري ١٠٨

(ط)

الطفيل بن الحارث بن عبد المطلب ١٢٨

الطفيل بن عمرو الدوسي ٣٧٢

الطفيل بن النعمان ١٤١

طلحه بن أبي طلحه ١٧٣، ١٧٨

طلحه بن عبيد الله ١٠٢، ١٤٨، ١٨٢، ٤١٠

طلحه بن يحيى بن مليل ٣٢٠

طليحة بن خويلد ٢٠٣، ٢٢٢، ٢٢٦

(ع)

عائذ بن ماعص ١٤٣

عائشه (أم المؤمنين) ٥٥، ٣٤٧، ٤٤٣، ٤٥٢، ٤٨١

عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ١٣٤

عاصم بن عدى ١٣٥، ١٤٨، ٤١٠

ص: ٥٠٤

عاصم بن قيس ١٣٦

عاقل بن البكير ١٣٢

عامر بن الأكوع ٣٢٠

عامر بن أميه ١٤٦

عامر بن البكير ١٣٢

عامر بن الحضرمي ١١٠

عامر بن ربيعة العنزي ١٣٢، ١٣٩

عامر بن سعد ٣٢٤

عامر بن سلمه ١٣٨

عامر بن الطفيل ٢٢٠

عامر بن فهيره ١٣١

عامر بن مخلد ١٩٦

عارض بن هند ٢٥٣

عباد بن سهل ١٩٥

عباد بن قيس ١٣٧، ١٤٣

عباده بن الحسحاس ١٩٨

عباده بن الخشخاش ١٣٩

عباده بن الصامت ٥٥، ١٣٩

عباس بن عباد ١٩٨

عباس بن مرداس ٣٧١

العباس بن عبد المطلب ٦٧، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٦٦، ٤١٠

عبد الفتاح حسن ٢٩، ٤١

عبد الرحمن بن أبي بكر ١١٩، ٤٤٦

عبد الرحمن بن عوف ٧٠، ٧١، ١٢٠، ١٣٠، ٢٥٣، ٢٥٤، ٤٥٨

ص: ٥٠٥

عبد الله بن أبي بكر الصديق ٣٩٢

عبد الله بن أبي حدرد ٣٦٤

عبد الله بن أبي ١٥٤، ١٥٥، ١٧٥، ١٧٦، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٤، ٢١٦، ٢١٩، ٣٩٩، ٤٦٦

عبد الله بن أميه ٣٩٢

عبد الله بن أنيس ٢٠٤، ٢٠٥، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٢

عبد الله بن جبير ١٣٦، ١٧٦، ١٨١، ١٩٦

عبد الله بن ثعلبه ١٤٠، ٣٨٧

عبد الله بن جحش ٩١، ١٢٩، ١٩٤، ٤٥٢، ٤٧٧

عبد الله بن الجد ١٤١

عبد الله بن الحارث ٣٩٢

عبد الله بن حذافه ٣٧٥

عبد الله بن حمير ١٤١

عبد الله بن ربيع ١٣٨

عبد الله بن رواحه ١٣٧، ٢٥٥، ٣٠٥، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٢٤

عبد الله بن زيد ١٣٨

عبد الله بن سراقه ١٣١

عبد الله بن سلمه ١٩٦

عبد الله بن سهل ١٣٤

عبد الله بن سهيل بن عمرو ١٣٢

عبد الله بن طارق ١٣٤

عبد الله بن عامر ١٤٠، ٣٩٢

عبد الله بن عبس ١٣٧

عبد الله بن عبد مناف ١٤٢

عبد الله بن عبد الله بن أبي ١٣٨، ٢١٦، ٤٦٧

ص: ٥٠٦

عبد الله بن عتيك ٢٤٧

عبد الله بن عرفطه ١٣٨

عبد الله بن عمرو بن حرام ١٤١، ١٩٨

عبد الله بن عمرو بن وهب ١٩٨

عبد الله بن عمير ١٣٨

عبد الله بن قيس ١٤٢، ١٤٥

عبد الله بن كعب ١٤٦

عبد الله بن مخرمه ١٣٢

عبد الله بن مسعود ١٣٠

عبد الله بن مظعون ١٣٢

عبد الله بن النعمان ١٤٢

عبد الله بن الهيب ١٣٩

عبس بن عامر بن عدى ١٤٢

عبيد بن أوس ١٣٤

عبيد بن التيهان ١٣٤، ١٩٥

عبيد بن المعلّى ١٩٨

عبيد بن يزيد ١٤٤

عبيده بن أبي عبيده ١٣٥

عبيده بن الحارث ٨٦، ١١٢، ١٢٨

عتبان بن مالك ١٣٨، ١٤٧

عتبه بن ربيع ١٩٧

عتبه بن ربيعه ١٠٩، ١١٢، ١١٥، ١١٩، ٤٦٦، ٤٧٨

عتبه بن ربيعه البهراني ١٤٠

عتبه بن عبد الله ١٤١

عتبه بن غزوان ٩٢، ١٣٢

ص: ٥٠٧

عتيك بن التيهان ١٩٥

عثمان بن أبي طلحة ١٨٠، ٣١٥، ٣٥٥

عثمان بن عبد الله بن المغيرة ٩٢

عثمان بن عفان ٢٢، ٢٤، ١٢٩، ١٤٨، ٢٧٦، ٤١٠، ٤٦٠

عثمان بن مظعون ١٣٢

عدى بن أبي الزغباء ١٤٤

عدى بن حاتم ٣٧٥

العزى ٨١، ١٨٤، ٣٤٥

عرفطه بن جنّاب ٣٩٢

عروه بن مسعود ٢٧٤، ٤٤٤

عصماء بنت مروان ١٥١

عصمه الأسدى ١٤٦

عصمه الأشجعى ١٤٥

عصمه بن الحصين ١٤٧

عطيه بن نويره ١٤٤

عفراء ١٢٠

عقبه بن عامر ١٤١

عقبه بن عثمان ١٤٣

عقبه بن وهب ١٠٩، ١١٠، ١٣٨

عقيل بن أبى طالب ١١٩، ٤٦٦

عكاشه بن محصن ١٢٩، ٢٥٠

عكرمه بن أبى جهل ٢٢، ٢٤، ٨٧، ١٧٣، ١٧٨، ٢٣١، ٢٣٣، ٣١٤، ٣٣١، ٣٣٤

علقمه بن محرز ٣٧٥

على بن أبى طالب ١٠٣، ١٠٥، ١١٢، ١١٤، ١٢٨، ١٧٨، ١٨٠،

ص: ٥٠٨

١٨٢، ٢٠٦، ٢٣١، ٢٥٤، ٢٧٧، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٤٦، ٣٥٥، ٣٧٥، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٦٦

عمر بن الخطاب ٢٣، ٥٥، ٧٠، ١١٩، ١٣١، ١٨٣، ١٨٤، ٢٠٦، ٢١٤، ٢٧٧، ٣١٠، ٣١١، ٣١٥، ٣٣٣، ٣٣٦، ٣٥٧، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤١٠،
٤١٥، ٤٤٤، ٤٦٠

عمرو بن أبي سرح ١٣٣

عمرو بن أمية الضمري ٢٠٦، ٢٥٦، ٢٥٧

عمرو بن إياس ١٣٩

عمرو بن ثابت بن وقش ١٩٤

عمرو بن ثعلبه ١٤٦

عمرو بن جحاش ٢٠٦

عمرو بن الجموح ١٩٨

عمرو بن الحارث ١٣٣

عمرو بن الحضرمي ٩٢، ٩٩، ١٠٢، ١٠٨

عمرو بن حممه الدوسي ٣٧٢

عمرو بن سالم ٣٣٢

عمرو بن سعد ٣٢٤

عمرو بن طلق ١٤٣

عمرو بن العاص ٣١٠، ٣١٥، ٣٤٤

عمرو بن عبدود ٢٣١

عمرو بن قيس ١٩٦

عمرو بن مطرف ١٩٦

عمرو بن معاذ ١٣٣، ١٩٤

عمير بن أبي وقاص ١٣٠

عمير بن الحارث ١٤١

ص: ٥٠٩

عمير بن الحمام ١٤١

عمير بن عدى ١٩٦

عمير بن عوف ٢٣٢

عمير بن معبد ١٣٤

عمير بن هاشم ١٠٣

عمير بن وهب ١٠٩، ١١٠

عمار بن ياسر ١٣١

عمار بن حزم ١٤٤

عمار بن زياد ١٩٤

عمار بن عقبه ٣٢٠

عنتره (مولى سليم بن عمرو) ١٩٨

عنتره (مولى قطبه بن عامر) ١٤٢

عوف بن الحارث ١٢٠، ١٤٥

عويم بن سعد ١٣٥

عيينه بن حصن ٢٢٦، ٢٥٠، ٣٠١، ٣٧١، ٣٧٢

(غ)

غالب بن عبد الله ٣٠١، ٣٠٢

(ف)

الفاكه بن بشر ١٤٣

فراٲ بن حيان ١٤٢

فروه بن عمرو الجذامى ٣٩٤

فضاله بن عمير ٣٥٤

فضيل بن النعمان ٣١٩

ص: ٥١٠

(ق)

قاسم (عبد الكريم) ١٥

قتاده بن النعمان ١٣٤، ٤٠٤

قدامه بن مظعون ١٣٢

قطبه بن عامر ١٤٢، ٣٧٣، ٣٧٤

قيس بن أبى صعصعه ١٠٣، ١٤٤

قيس بن زيد بن ضبيعه ١٩٥

قيس بن سعد ٣١١، ٣٣٩

قيس بن عمرو بن قيس ١٩٤

قيس بن محصن ١٤٣

قيس بن مخلد ١٤٧، ١٩٧

قيصر (يوليوس) ٤

(ك)

كرز بن جابر الفهري ٢٥٥، ٢٥٦

كعب بن أسد القرظي ٢٤٤

كعب بن الأشرف ١٥١، ١٧٢، ٢٠٢، ٢٠٦

كعب بن حمار ١٤٠

كعب بن زيد ١٤٧

كعب بن عمير ٣٠٤

كعب بن مالك ١٨٣، ٤٠٣، ٤١١، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٦

كلده بن الجنيد ٤٧٥

كيسان ١٩٧

(ل)

لورندورف (المشير) ٢٦، ٤٠٧، ٤٠٩

ص: ٥١١

(م)

مالك بن أبي خولي ١٣١

مالك بن أمه بن ضبيعه ١٩٥

مالك بن الحضرمي ١٠٨

مالك بن جشعم ١٠٨

مالك بن الدخشم ١٣٩

مالك بن سنان ١٩٧

مالك بن عميله ١٣٥، ١٩٦

مالك بن عوف ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٧، ٣٧٠، ٣٨٣، ٣٨٦

مالك بن مسعود ١٤٠

مبشر بن عبد المنذر ١٣٥، ٣٢٠

مجدى بن عمرو الجهنى ٨٦، ١٠٩

المجدد بن زياد ١٣٩، ١٩٨

محرز بن عامر ١٤٦

محرز بن نضله ١٢٩

محمد رسول الله (النبى، الرسول) صلى الله عليه وسلم ٢، ٤ الى ١٣، ١٦ الى ٢٣، ٣٥، ٣٩، ٤٠، ٤٢، ٤٧، ٤٩، ٥٤، ٥٥، ٥٨، ٦٣ الى ٧٦، ٨٣، ٨٥، ٨٦، ٨٨ الى ٩٤، ٩٨، ١٠١ الى ١١٤، ١١٦ الى ١١٩، ١٢١، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٨، ١٤٧، ١٥١ الى ١٦٧، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٨، ١٨١ الى ١٨٥، ١٩٠ الى ١٩٣، ٢٠٣، ٢٠٥ الى ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٢، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣١ الى ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٥، ٢٥٧ الى ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٣ الى ٢٨٨، ٢٩١ الى ٢٩٤، ٢٩٨، ٣٠٠ الى ٣٠٤، ٣٠٧، ٣٠٩ الى ٣١٣، ٣١٥، ٣١٧ الى ٣١٩، ٣٣٢ الى ٣٤١، ٣٤٤ الى ٣٥٨، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٦ الى ٣٧٣، ٣٧٥، ٣٧٨، ٣٨٠، ٣٨١ الى ٣٨٤، ٣٩٠، ٣٩٥، ٣٩٧ الى ٣٩٩، ٤٠١

ص: ٥١٢

الى ٤٠٦، ٤١١ الى ٤١٤، ٤١٦، ٤١٧، ٤٢٩ الى ٤٣٦، ٤٣٨ الى ٤٧١، ٤٧٣ الى ٤٨٢، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧

محمد عبده ٤١

محمد بن مسلمه ١٣٤، ٢٠٦، ٢٥١

محمود بن مسلمه ٣١٩

مخشى بن عمرو الضمرى ٨٩

مدلج ١٢٩

مراه بن الربيع ٤٠٣، ٤١١

مرثد بن أبى مرثد ١٠٣، ١٢٨

مسطح بن أثاثه ١٢٩

مسعود بن الأسود ٣٢٤

مسعود بن أوس ١٤٤

مسعود بن رخیله ٢٢٦

مسعود بن ربیعہ ٣١٩، ١٣٠

مسعود بن سعد ٣١٩، ١٣٤

مسعود بن قیس ١٤٣

مسيلمه الكذاب ٦٧

مصعب بن عمير ١٩٤، ١٣٠، ١٠٣، ٦٦

معاذ بن جبل ١٤٣

معاذ بن الحارث ١٤٥

معاذ بن ماعص ١٤٣

معاويه بن أبي سفیان ٣٧٠، ٢٥٦

معبد بن قيس ١٤٢

معتب بن عبید ١٣٤

معتب بن عدی ١٣٥

ص: ٥١٣

معتب بن عوف ١٣١

معتب بن قشير ١٣٤

معقل بن المنذر ١٤٢

معمر بن الحارث ١٣٢

معن الخزاعي ١٨٥

معوذ بن الحارث ١٢٠، ١٤٥

المغيره بن شعبه ٢٧٥

المقداد بن عمرو ١٣٠

مكرز بن حفص ٢٧٤

ملحان ٥٥

مناه ٣٤٤

المنذر بن عبد الله ٣٩٢

المنذر بن عمرو ١٤٠

المنذر بن قدامه ١٣٦

المنذر بن محمد ١٣٦

(ن)

نابليون ٧٩، ٤

نحّاب بن ثعلبه ١٤٠

نسيبه بنت كعب ٤٧، ١٨٢، ٤٤٣، ٤٥٨

نصر بن الحارث ١٣٤

نعمان بن عبد عمرو ١٤٧، ١٩٧

نعمان بن عصر ١٣٦

نعمان بن عمرو ١٤٥

نعمان بن مالك ١٣٩، ١٩٨

النعمان بن يسار ١٤٢

ص: ٥١٤

نعيم بن مسعود ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٨

نوفل بن عبد الله ٩٢، ١٣٩، ١٩٨

(هـ)

هاك ٥٩

هبل ١٨١، ١٨٤

هنبال ٤

هند بنت عتبه ١٧٤، ١٨٠، ٣٣٨

هلال بن أميه ٤٠٣، ٤١١

هلال بن المعلّى ١٤٧

الهنيد بن عارض ٢٥٣

(و)

و اشنجتن ارفنج ٤٤٧

وحشى الحبشى ١٨٠

وديعه بن عمرو ١٤٥

ورقه بن إياس ١٣٩

الوليد بن عتبه ١١٢

الوليد بن عقبه ٣٧٣

وليم موير ٤٤٦، ٤٤٨

وهب بن سعد بن أبي السرح ١٣٢، ٣٢٤

(ى)

يزيد بن أبي سفيان ٣٧٠

يزيد بن الحارث ١٣٧

ص: ٥١٥

يزيد بن حاطب ١٩٥

يزيد بن رقيش ١٢٩

يزيد بن زمعه ٣٩٢

يزيد بن المنذر ١٤٢

يسار(مولى الرسول) ٢٥٦

يوحنا بن رؤبه ٤٠١، ٤٠٢

ص: ٥١٦

فهرس الاماكن

(أ)

أبنى ٤٠٦

أحد(مكان، معركة) ٦، ٧، ٥٥، ٦٧، ٧١، ١٧١، ١٧٣، ١٧٦، ١٧٨، ١٨٣، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣،

٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢١١، ٢١٢، ٢٢٥، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٤٨، ٢٤٢، ٢٤٨، ٢٤٧، ٢٧٨

الأردن ٢٣

أذرح ٤٠٢

(ت)

تبوك (غزوه) ٧، ٩، ٣٩٥، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٩، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤٣١، ٤٥٦، ٤٦٠، ٤٦٨، ٤٦٩

تربه (موضع) ٣٧٤، ٣٠٠

تيماء ٢٩٩

(ج)

جبار ٣٠٢، ٣٠١

الجزيره العربيه ١٩، ٢٩١، ٢٩٩، ٣١٦، ٣١٨، ٣٣٥، ٣٦١، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٤١٥، ٤٥٧، ٤٥٩

الجزيره الفراتيه ٨٧

الجموم ٢٥٢

الجناب ٣٠٢، ٣٠١

جبل هند ٣٤٠

الجعرانه ٣٧٠، ٣٨٩

جدّه ٣٧٥

الجرباء ٤٠٢

ص: ٥١٨

الجرف ٤٠٦

جنوب افريقيا ٤٨٠

(ح)

حنين (مكان، معركة) ٦، ٩، ١٨، ٣١، ٣٥٩، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٧، ٣٧٠، ٣٨٠، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٩٢، ٤٣٢، ٤٣٧، ٤٣٨

٤٤١، ٤٨١

حمراء الأسد ١٨٥، ٤٣٧

حمص ٤٤

الحبشه ٧٠، ١٦١، ١٦٣، ١٧١، ٣١٦، ٣١٨، ٣٧٥

الحديبيه ٢٦٩، ٢٧٣، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٧، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٣٣١، ٤٤٠، ٤٥٠، ٤٦٢، ٤٦٨، ٤٧٦

الحجر ٧٥، ٤٠١

حضر موت ٧٥

الحجاز ١٠٢، ٢١٣

الحوراء ١٠٢

حسمى ٢٥٣

(خ)

الخذق(غزوه) ٦، ٩، ١٨، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٧، ٤٤٢، ٤٥٣، ٤٦١، ٤٦٢

الخرار ٨٨

خيبر ١٦٣، ٢٠٩، ٢٤٧، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٩، ٢٧٠، ٢٨٤، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٩، ٣١٢، ٣١٥، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٤١٤

٤٣١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٦٢

الخدمه ٣٤٠

ص: ٥١٩

(د)

دمشق ٤٤

دومه الجندل ٧٠، ٢١٢، ٢١٣، ٢٢٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٤٠٢، ٤٥٦

(ذ)

ذو العشيره (مكان) ٩٠

ذفران (وادي) ١٠٤

ذو أمر ١٥٩، ١٦٧

ذنب نقي ٢٣٠

ذو قرد ٢٤٩

ذو القصه ٢٥١

ذو الحليفه ٢٧١، ٢٨٥

ذات أطلاق ٣٠٤

ذات السلاسل ٣١٠

ذو خشب ٣١٢

ذو المروه ٣١٢

(ر)

رضوى ٨٩

الروحاء ١٨٤

راتج ١٩٥

الرجيع ٢١٩، ٢٤٨، ٢٩٤، ٣١٢، ٤٥٢

ركبه ٣٠٣

(ز)

زغابه ٢٣٠

الزبير (حصن) ٢٩٨

(ط)

الطائف ٩٢، ٣٦١، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٨، ٣٨٦، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩٢، ٤٣١، ٤٥٦

الطرف ٢٥٢

الطفيله ٣٠٧

ص: ٥٢١

(ع)

العراق ٨٧، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ٣٩٥

عرنه ٢٠٤، ٢٠٥

العريض ١٥٨

الغزى ٣٤١

عسفان ٢٤٩، ٢٧٣، ٢٨٠، ٣٣٢

العشيره ١٠٢

العقيق ١٧٣

عمان ٢٠

العيص ٨٦، ٢٥٢

(غ)

غزان ٢٤٩

الغمر ٢٥٠، ٢٥١

(ف)

فذك ٢٥٤، ٢٩٩، ٣٠١

فرنسا ١٩، ٨٠

فلسطين ٢٠، ٢٣، ٢٦٩، ٤٥٦

الفلس ٣٧٥

(ق)

قبا ١٧٤، ٢٥٦

قرقره الكدر ١٥٦، ١٥٨، ١٦٦

قرقره ثبار ٢٥٥

قس الناطف ٤٤

قتبان ٧٥

القرده ١٦٢، ١٦٧

ص: ٥٢٢

قطر (موضع) ٢٠٤

القدس ٢٦٩

القموص (حصن) ٢٩٥

القسطنطينيه ٣٠٤

القبليه ٣١١

(ك)

كر كوك ١٥

الكديد ٣٠٢، ٣٠٣

الكرك ٣٠٧

(ل)

لبنان ٢٣

لاهور ٥٩

(م)

المدينه المنوره (يثرى) ١٧، ١٨، ١٩، ٣٩، ٤٠، ٤٥، ٤٦، ٤٩، ٧٠، ٧٣، ٩٣، ٩٩، ١٠٢، ١١٣، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٩، ١٦٠،
١٦٣، ١٦٦، ١٦٧، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٨، ١٨٥، ١٨٩، ١٩٥، ٢٠١، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٨، ٢٢٢،
٢٢٥، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤٥، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦١، ٢٧٩، ٢٨٤، ٢٨٦، ٢٩١،
٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١٤، ٣١٦، ٣١٨، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٤٠، ٣٤٧، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٩، ٤١٢، ٤١٥،
٤٥١، ٤٥٥، ٤٧٥

الموصل ١٥

مكه ١٧، ٢٢، ٣٩، ٤٣، ٤٦، ٤٧، ٧٦، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ١٠٢، ١٥١، ١٥٢، ١٥٨، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٦،

ص: ٥٢٣

١٦٧، ١٧١، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٨، ١٨٤، ١٨٥، ٢٣٤، ٢٤٩، ٢٥٦، ٢٦٩، ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٧٧، ٢٨١، ٢٨٣، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩١،
٢٩٢، ٣١١، ٣١٢، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣٣١، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٧، ٣٤٨،
٣٤٩، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٦١، ٣٦٣، ٣٨٩، ٣٩٥، ٤٠٥، ٤٣١، ٤٣٩، ٤٤٤، ٤٤٨، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٧، ٤٨١

المحيط الهندي ١٩، ٨٠

معان ٣٠٥

مآب ٣٠٧

مصر ٥٥، ١٠٢

معين ٧٥

المريسيه ٢١٤

مجمع الأسيال ٢٣٠

المسجد الحرام (الكعبة) البيت العتيق المقدس ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٩، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٣١٤، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٥٢، ٣٥٥

الميفعه ٣٠١

مشارف ٣٠٧

مؤته ٣٠٧، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١٣، ٣٢٤، ٢٩٦، ٣٩٧، ٤٧٧

مر الظهران ٣٣٥

المشلل ٣٤٤

(ن)

نخله ٩٢، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٨١، ٤٥٢

نجد ١٦٢، ١٦٤، ١٦٧، ٣٠٠

ص: ٥٢٤

نخل ٢١٠

ناعم (حصن) ٢٩٥

نجران ٤٠٣، ٤٠٤

(ه)

الهند ١٦٥

الهجج ٢٥٤

(و)

وادي رايغ ٨٧

وَدان (غزوه) ٨٨، ٤٣١، ٤٧٥

وادی سفوان ۹۱

وادی القرى ۱۵۵، ۱۶۳، ۲۵۴، ۲۹۹، ۴۰۷

الوطیح (حصن) ۲۹۵

الولايات المتحده ۴۸۰

(ی)

الیرموک (معركه، نهر) ۲۲، ۲۳

الیمامه ۶۷

ینبع ۹۰

الیمن ۱۶۳، ۳۱۷، ۴۰۲، ۴۰۴

یمن ۳۰۱، ۳۰۲

یللم ۳۴۵

ص: ۵۲۵

المصادر

القرآن و التفسیر ۱- القرآن الکریم.

۲- تفسیر الطبری، (جامع البیان فی تفسیر القرآن)، للإمام الطبری، مطبعه البابى الحلبي بمصر.

۳- تفسیر ابن کثیر، الإمام الحافظ عماد الدین أبو الفداء إسماعیل بن کثیر، مطبعه المنار بمصر، سنه ۱۳۴۷ هـ.

۴- تفسیر البغوی، الإمام البغوی، مطبعه المنار بمصر، سنه ۱۳۴۷ هـ.

۵- تفسیر الکشاف، الإمام أبو القاسم جاد الله محمود بن عمر الزمخشري، المطبعه الأميریه ببولاق مصر، سنه ۱۳۱۹ هـ، الطبعه الثانيه.

۶- تفسیر البیضاوی، للبیضاوی، مطبعه دار الکتب العربیه الکبری بمصر، ۱۳۳۰ هـ.

٧- تفسير المنار، السيد محمد رشيد رضا، مطبعة المنار بمصر، ١٣٢٥ هـ.

الطبعة الأولى.

٨- تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي و جلال الدين السيوطي، مطبعة حجازي بالقاهرة، مطبوع على هامش القرآن الكريم.

٩- في ظلال القرآن، سيد قطب، مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الثانية.

١٠- تفسير القرآن الكريم، محمود شلتوت، مطبعة دار القلم بمصر، ١٣٧٩ هـ. الطبعة الثانية.

ص: ٥٢٦

١١- التفسير الواضح، محمد محمود حجازي، مطبعة دار الكتاب العربي بمصر، ١٣٧٣ هـ. الطبعة الثانية.

١٢- التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن، حنفي أحمد، دار المعارف بمصر، ١٩٦٠ م.

١٣- تفسير سورة النور، أبو الأعلى المودودي، دار الفكر بدمشق، ١٣٧٩ هـ.

١٤- فضائل القرآن، لابن كثير، مطبعة المنار بمصر، سنة ١٣٤٧ هـ. في نهاية الجزء الثامن من تفسير ابن كثير.

١٥- القرآن و القتال، محمود شلتوت، مطبعة دار الكتاب العربي، ١٩٥١ م.

١٦- تفصيل آيات القرآن الكريم، جول لا بوم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٤٢ هـ. الطبعة الأولى.

الحديث الشريف ١٧- فتح الباري بشرح البخاري، ابن حجر العسقلاني، مطبعة بولاق بمصر، ١٣٠١ هـ.

١٨- شرح النووي على مسلم، الإمام النووي، المطبعة الكستلية بمصر، ١٢٨٣ هـ.

١٩- مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، المطبعة الميمنية بمصر، ١٣١٣ هـ.

٢٠- مفتاح كنوز السنه، الدكتور فنسك، مطبعة مصر، ١٣٥٢ هـ.

ص: ٥٢٧

٢١- المنتقى من أخبار المصطفى، الإمام ابن تيميه، مطبعة حجازي بمصر، ١٣٥١ هـ.

٢٢- تيسير الوصول، للإمام ابن ديع الشيباني، المطبعة السلفية بمصر، ١٣٤٦ هـ.

السير ٢٣- سيره النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، ابن هشام، مطبعة حجازى بمصر، ١٣٥٦ هـ.

٢٤- جوامع السيره، ابن حزم، مطبعة دار المعارف بمصر.

٢٥- عيون الأثر فى فنون المغازى و الشمائل و السير، ابن سيد الناس، مطبعة القدسى و مطبعة السعاده بمصر، ١٣٥٦ هـ.

٢٦- إنسان العيون فى سيره الأمين و المأمون المعروفه بالسيره الحلبيه، على بن برهان الدين الحلبى الشافعى، مطبعة مصطفى محمد بمصر.

٢٧- الطبقات الكبرى، ابن سعد، دار بيروت و دار صادر فى بيروت، ١٣٧٦ هـ.

٢٨- الإصابه فى تمييز الصحابه، أحمد بن على الكنانى العسقلانى، مطبعة دار السعاده بمصر، ١٣٢٣ هـ.

٢٩- أسد الغابه فى معرفه الصحابه، عز الدين بن الأثير، المطبعة الإسلاميه بطهران، ١٣٧٧ هـ.

٣٠- الاستيعاب فى معرفه الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر، مطبعة نهضه مصر.

٣١- أسماء الصحابه الرواه و ما لكل واحد من العدد، لابن حزم، ملحق بجوامع السيره، مطبعة دار المعارف بمصر.

ص: ٥٢٨

التاريخ ٣٢- تاريخ الأمم و الملوك، الإمام الطبرى، مطبعة الاستقامه بمصر، ١٣٥٧ هـ.

٣٣- تاريخ الكامل، ابن الأثير، مطبعة ذات التحرير بمصر، ١٣٠٣ هـ.

٣٤- تاريخ مروج الذهب، المسعودى، طبع على هامش الكامل لابن الأثير، مطبعة ذات التحرير بمصر، ١٣٠٣ هـ.

٣٥- فتوح البلدان، أبو الحسن البلاذرى، مطبعة السعاده بمصر، ١٩٥٩ م.

٣٦- المختصر من تاريخ البشر، أبو الفداء، المطبعة الحسينيه بمصر، ١٣٢٥ هـ.

٣٧- تاريخ اليعقوبى، أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب، مطبعة الغرى بالنجف، ١٣٥٨ هـ.

٣٨- البدايه و النهايه، أبو الفداء، مطبعة السعاده بمصر.

٣٩- تهذيب تاريخ ابن عساكر، طبع المطبعة العربيه بدمشق، ١٣٥١ هـ.

٤٠- تاريخ الإسلام و طبقات المشاهير و الأعلام، الإمام الذهبى، مطبعة السعاده بمصر، ١٣٦٨ هـ.

٤١- دول الإسلام، الإمام الذهبي، حيدر آباد الدهن بالهند، الطبعة الأولى.

٤٢- مقدمه ابن خلدون، ابن خلدون، مطبعة مصطفى محمد بمصر.

٤٣- الإمامه و السياسه، ابن قتيبه الدينوري، مطبعة البابي الحلبي بمصر، ١٣٧٧ هـ.

ص: ٥٢٩

الجغرافيا ٤٤- معجم البلدان، ياقوت الحموي، مطبعة دار السعاده بمصر، ١٣٢٣ هـ.

٤٥- المسالك و المالك، للاصطخري، مطابع دار القلم بالقاهره، ١٣٨١ هـ.

٤٦- آثار البلاد و أخبار العباد، زكريا القزويني، مطبعة دار صادر و دار بيروت، ١٣٨٠ هـ.

٤٧- أطلس التاريخ الاسلامي، هاري هازار، مطبعة مصر.

الفقه و علوم الدين و النظم ٤٨- الخراج، أبو يوسف، المطبعة السلفيه، ١٣٤٦ هـ.

٤٩- زاد المعاد في هدى خير العباد، ابن القيم الجوزيه، مطبعة البابي الحلبي، ١٣٦٩.

٥٠- المحلى، ابن حزم، المطبعة المنيره بمصر، ١٣٤٨ هـ.

٥١- سفره الزاد لسفره الجهاد، أبو الثناء شهاب الدين محمود الألويسي، مطبعة دار السلام، ١٣٣٣ هـ.

٥٢- الأم، للإمام الشافعي، طبعه بولاق بمصر، ١٣٢٢ هـ.

٥٣- اختلاف الفقهاء، للإمام الطبري، كتاب الجهاد و كتاب الجزيه و أحكام المحاربين، طبع في ليدن، ١٩٣٣ م.

متفرقه ٥٤- أنساب الأشراف، أبو الحسن البلاذري، مطبعة دار المعارف بمصر.

٥٥- نسب قریش، أبو عبد الله المصعب الزبيری، دار المعارف بمصر، ١٩٥٣ م.

٥٦- الأضنام، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي، المطبعة الأميريه بالقاهره.

ص: ٥٣٠

المراجع العربيه

المسلسل / اسم المرجع / اسم المؤلف

- ١/ حياه محمد/ محمد حسين هيكل
- ٢/ الوحى المحمدى/ محمد رشيد رضا
- ٣/ محمد المثل الكامل/ محمد أحمد جاد المولى
- ٤/ عصر الانطلاق/ محمد أسعد طلس
- ٥/ الفكر الخوالد للنبي صلي الله عليه و سلم/ محمد على
- ٦/ المثل الأعلى للأنبياء/ خ. كمال
- ٧/ خاتم النبيين/ محمد خالد
- ٨/ سيره الرسول/ محمد عزه دروزه
- ٩/ فقه السيره/ محمد الغزالي
- ١٠/ عبقرية محمد/ عباس محمود العقاد
- ١١/ نفسه الرسول العربى/ لبيب الرياشى
- ١٢/ محمد الثائر الأعظم/ فتحى رضوان
- ١٣/ الأبطال/ توماس كارليل
- ١٤/ صورته من حياه الرسول/ أمين دويدار
- ١٥/ محمد فى طفولته و صباه/ محمد شوكت التونى
- ١٦/ أخلاق النبي صلي الله عليه و سلم و آدابه/ أبو محمد عبد الله بن محمد الأصبهاني
- ١٧/ الرساله المحمديه/ سليمان الندوى
- ١٨/ بطل الأبطال/ عبد الرحمن عزام
- ١٩/ محمد رسول الله/ انبين دينيه و سليمان إبراهيم
- ٢٠/ محمد و القرآن/ جان ديون بورت

(ترجمه عباس الخليلي)

٢١/ على هامش السيره / طه حسين

ص: ٥٣١

المسلسل / اسم المرجع / اسم المؤلف

٢٢/ الوعد الحق / طه حسين

٢٣/ من أخلاق الرسول / محمد محمد يوسف

٢٤/ حياه محمد / و اشنجتون آرفنج (ترجمه على حسنى)

٢٥/ هدى الرسول «مختصر زاد المعاد» / محمد أبو زيد

٢٦/ مجموعه الوثائق السياسيه للعهد النبوى و الخلافه الراشده / محمد حميد الله الحيدر آبادى

٢٧/ فى منزل الوحي / محمد حسين هيكل

٢٨/ فجر الإسلام / أحمد أمين

٢٩/ تاريخ الإسلام السياسى / حسن إبراهيم حسن

٣٠/ تاريخ التمدن الإسلامى / جرجى زيدان

٣١/ شهداء الإسلام فى عهد النبوه / على سامى النشار

٣٢/ سيف الله خالد بن الوليد / أبو زيد شلبى

٣٣/ قصص الأنبياء / عبد الوهاب النجار

٣٤/ الإسلام الصحيح / محمد إسعاف النشاشيبي

٣٥/ الإسلام و النصرانيه / محمد عبده

٣٦/ الإسلام دين الفطره / عبد العزيز جاويش

٣٧/ السياسه الشرعيه / ابن تيميه

٣٨ / حقائق الإسلام / عباس محمود العقاد

٣٩ / الإسلام عقيدته و شريعته / محمود شلتوت

٤٠ / الإسلام نظام إنسانى / مصطفى الرافعى

٤١ / من توجيهات الإسلام / محمود شلتوت

٤٢ / الخراج فى الدوله الإسلاميه / محمد ضياء الدين الرئيس

٤٣ / الجزية و الإسلام / دانييل ديدبت

ص: ٥٣٢

المسلسل / اسم المرجع / اسم المؤلف

٤٤ / اشتراكيه الإسلام / مصطفى السباعى

٤٥ / نظم الحرب فى الإسلام / جمال الدين عياد

٤٦ / النظم الاسلاميه / حسن و على ابراهيم حسن

٤٧ / منهاج الاسلام فى الحكم / محمد أسد

٤٨ / الشرع الدولى فى الاسلام / نجيب الأرمنازى

٤٩ / شريعته الحرب فى الاسلام / محمد المعراوى

٥٠ / نظام السلم و الحرب فى الاسلام / مصطفى السباعى

٥١ / السلام العالمى و الاسلام / سيد قطب

٥٢ / السلام فى الاسلام / حسن البنا

٥٣ / السلام و الحرب فى الاسلام / المقدم محمد فرج

٥٤ / الجنديه و السلم / أمين الخولى

٥٥ / القاده الرسل / أمين الخولى

٥٦/ الجهاد فى الاسلام/ محمد شديد

٥٧/ الجنديه فى الدوله العباسيه/ المرحوم الرئيس الركن نعمان ثابت

٥٨/ العرب و الامبراطوريه العربيه/ كارل بروكلمن

٥٩/ دائره معارف القرن العشرين/ محمد فريد وجدى

٦٠/ العبقريه العسكريه فى غزوات الرسول/ محمد فرج

٦١/ معارك الاسلام الكبرى/ جمال الدين حماد

٦٢/ معارك الاسلام الأولى/ محمد جمال الدين محفوظ

٦٣/ الحضاره العربيه/ ي. هل

٦٤/ حضاره الاسلام/ جوستاف جرونيباوم

٦٥/ وحى القلم/ مصطفى صادق الرافعى

٦٦/ قانون الحرب و الحياد/ سامى جنيته

ص: ٥٣٣

المسلسل/ اسم المرجع/ اسم المؤلف

٦٧/ مبادئ القانون الدولى العام/ محمد حافظ غانم

٦٨/ أسس الصحه النفسيه/ عبد العزيز القوصى

٦٩/ الجغرافيا العسكريه، الجزء الأول(الأسس)/ طه الهاشمى

٧٠/ مجله المجمع العلمى العراقى المجلد الرابع الجزء الثانى(جيش المسلمين فى عهد بنى أميه)/ محمود شيت خطاب

٧١/ مجله المجمع العلمى العراقى المجلد الخامس موضوع(القتال فى الاسلام)/ محمود شيت خطاب

٧٢/ المجله المصريه للقانون الدولى، المجلد الخامس ١٩٤٩ موضوع(القانون الدولى العام و الاسلام)/ محمد عبد الله دراز

٧٣/ المجله المصريه للقانون الدولى، المجلد الرابع عشر ١٩٥٨، نظريه الحرب فى الاسلام/ محمد أبو زهره

٧٤/ لسان العرب/ ابن منظور

٧٥/ القاموس المحيط/ الفيروز آبادى

٧٦/ نظامات الخدمه السفريه/ كتاب عسكرى رسمى

٧٧/ إداره الحرب/ كتاب عسكرى رسمى

٧٨/ الفرقه فى المعركه/ كتاب عسكرى رسمى

٧٩/ فوج مشاه فى المعركه/ كتاب عسكرى رسمى

٨٠/ محاضرات كليه الأركان العراقيه/ كتاب عسكرى رسمى

٨١/ مجله مجلس الدوله الصادره سنه ١٩٦٠ فى مقال: ميثاق الأمم و الشعوب فى الاسلام/ الدكتور عبد الفتاح حسن

ص: ٥٣٤

المراجع الاجنبيه

١- .ilA rimA deyaS yb malsI fo tirips eht

٢- .riuM mailliW riS yb temohaM fo efiL

٣- .htuoilagraM yb dammahoM

٤- .niD- du- rdaS viluaM yb raw dna naruQ

٥- .llahtkciP ekudamraM dammahuM yb noigiler dna raW

٦-

.The Battelfields of The Prophet Muhammad by Muhammad Hamidullah

٧- .aidepolcycnE srebmahG

٨- .acinnatirB aidepolcycnE

٩- .euqaH. A yb dlrow eht fo ecaep eht oT noitubirtnoc smalsI

محتويات الكتاب

المقدمه صفحه

مقدمه الطبعه الثانيه ٣

مقدمه الطبعه الثالثه ١٣

مقدمه الطبعه الرابعه ٢٢

الحرب العادله ٣٧

القتال فى الاسلام. معنى القتال فى الاسلام. متى شرع القتال فى الاسلام.

أهداف القتال فى الاسلام: ١- حمايه حريه نشر الدعوه. ٢- توطيد أركان السلام. أنواع القتال فى الاسلام: ١- قتال المسلمين للمسلمين. ٢- قتال المسلمين لغير المسلمين. تنظيم القتال فى الاسلام: ١- تقويه المعنويات.

٢- إعداد القوه الماديه. ٣- التنظيم العملى للقتال. شروط القبول للجنديه:

١- البلوغ. ٢- الاسلام. ٣- السلامه. ٤- الإقدام. النفير: ١- فى حاله الدفاع. ٢- فى حاله التعرض. الخلاصه.

قبل نشوب القتال ٦١

الموقف العسكرى العام. المسلمون: ١- الدعوه سرا. ٢- الدعوه علنا.

٣- بيعه العقبه الأولى. ٤- بيعه العقبه الثانيه. ٥- التحشد فى المدينه.

٦- إنجاز التحشد. ٧- النتائج. العرب و الروم و الفرس: ١- العرب.

٢- الروم. ٣- الفرس. ٤- النتائج. مناقشه الموقف العسكرى للطرفين.

الدفاع عن العقيد ٨١

دوريات القتال و الاستطلاع الأولى. الموقف العام: ١- المسلمون.

٢- المشركون و اليهود. الهدف الحيوى من الدوريات. سير الحوادث:

١- سريه حمزه. ٢- سريه عبيده بن الحارث. ٣- سريه سعد. ٤- غزوه

ص: ٥٣٦

ودان. ٥- غزوه بواط. ٦- غزوه ذى العشيره. ٧- غزوه بدر الأولى.

٨- سريه عبد الله بن جحش. دروس من الدوريات: ١- الاستطلاع.

٢- القتال. ٣- الكتمان. ٤- الحصار الاقتصادي. الملحق (أ) مجمل بيان دوريات القتال و الاستطلاع الأولى.

الصراع الحاسم بين عقيدتين ٩٧

غزوه بدر الكبرى. المعركة الحاسمه الأولى للإسلام. الموقف العام:

١- المسلمون. ٢- المشركون و اليهود. قوات الطرفين: ١- المسلمون.

٢- المشركون. أهداف الطرفين: ١- المسلمون. ٢- المشركون. قبل المعركة: ١- المسلمون. ٢- المشركون. سير القتال. خسائر الطرفين:

١- المسلمون. ٢- المشركون. أسباب انتصار المسلمين: ١- قياده موحده. ٢- تعبئه جديده. ٣- عقيدته راسخه. ٤- معنويات عاليه.

دروس من بدر: ١- الاستطلاع. ٢- القيادة. ٣- الضبط و المعنويات و العقيدته. ٤- القضايا التعبويه. ٥- القضايا الإداريه الملحق (ب) شهداء المسلمين فى بدر.

القاعده الامينه ١٤٩

تطهير المدينه و فرض الحصار الاقتصادي على قريش. الموقف العام:

١- المسلمون. ٢- المشركون و اليهود. الهدف الحيوى. حصار بنى قينقاع:

١- أسباب الحصار. ٢- قوات الطرفين. ٣- الهدف. ٤- الحوادث.

فرض الحصار الاقتصادي على قريش: ١- غزوه بنى سليم. ٢- غزوه السويق. ٣- غزوه ذى أمر. ٤- غزوه بحران. ٥- سريه زيد بن حارثه.

دروس من حركات التطهير: ١- القاعده الامينه. ٢- الحصار الاقتصادي.

الملحق (ج) الغزوات و السرايا بين بدر و أحد.

غزوه أحد. الموقف العام: ١- المسلمون. ٢- المشركون و اليهود.

ص: ٥٣٧

قوات الطرفين: ١- المسلمون. ٢- المشركون. أهداف الطرفين:

١- المشركون. ٢- المسلمون. قبل المعركة: ١- المشركون. ٢- المسلمون.

سير القتال: ١- بدء المناوشات. ٢- اشتداد القتال. ٣- هجوم المشركين المقابل. عوده الطرفين: ١- المشركون. ٢- المسلمون. خسائر الطرفين:

١- المشركون. ٢- المسلمون. أسباب النكبه: ١- أنصر أم اندحار.

٢- أسباب خسائر المسلمين. دروس من أحد: ١- الحصول على المعلومات.

٢- القيادة. ٣- القضايا التعبويه. ٤- القضايا الإداريه. أحد فى التاريخ.

الملحق (د) شهداء المسلمين فى أحد.

إعاده النظام ١٩٩ التطهير بعد أحد. الموقف العام: ١- المسلمون. ٢- المشركون.

٣- اليهود. أهداف الطرفين: ١- المسلمون. ٢- المشركون و اليهود. سير الحوادث: ١- سريه أبى سلمه. ٢- دوريه عبد الله بن أنيس. ٣- غزوه بنى النظير. ٤- غزوه ذات الرقاع. ٥- غزوه بدر الآخره. ٦- غزوه دومه الجندل. ٧- غزوه بنى المصطلق. دروس من غزوات التطهير:

١- المسير الليلي. ٢- الهجوم فجرا. ٣- قتال المدن و الشوارع.

٤- الإبداع. ٥- المعنويات. الملحق (د) غزوات التطهير.

هازم الاحزاب ٢٢٣

غزوه الخندق. الموقف العام: ١- المسلمون. ٢- المشركون و اليهود.

قوات الطرفين: ١- المسلمون. ٢- المشركون و اليهود. أهداف الطرفين:

١- المسلمون. ٢- المشركون و اليهود. التوقيت. قبل المعركة:

١- المسلمون. ٢- المشركون و اليهود. سير القتال. خسائر الطرفين:

- ١- المسلمون. ٢- المشركون. أسباب فشل الأحزاب: ١- قياده غير موحد. ٢- المباغته بالخندق. ٣- الطقس. ٤- انعدام الثقه. ٥- الصبر على الحصار. دروس من غزوه الخندق: ١- القيادة. ٢- تعبئه جديده.
- ٣- الحرب خدعه. ٤- المبادأه.

ص: ٥٣٨

القصاص العادل ٢٤١

- محاسبه الغادرين. الموقف العام: ١- المسلمون. ٢- المشركون.
- ٣- اليهود. الهدف الحيوى. غزوه بنى قريظه: ١- أسباب الغزوه.
- ٢- قوات الطرفين. ٣- الهدف. ٤- الحوادث. سريه عبد الله بن عتيك:
- ١- الهدف. ٢- الحوادث. غزوه بنى لحيان: ١- الهدف. ٢- الحوادث.
- غزوه ذى قرد: ١- الهدف. سرايا توطيد الأمن و تشديد الحصار الاقتصادى:
- ١- الهدف. ٢- الحوادث. دروس من غزوات محاسبه الغادرين:
- ١- الوقت. ٢- المباغته. ٣- القصاص. ٤- العقيد. ٥- القضايا الإداريه. الملحق (د) غزوات عقاب الغادرين.

الفتح القريب ٢٦٧

- غزوه الحديبيه. الموقف العام: ١- المسلمون. ٢- المشركون و اليهود.
- قوات الطرفين: ١- المسلمون. ٢- المشركون. أهداف الطرفين:
- ١- المسلمون. ٢- قريش. الأعمال التمهيديه: ١- الحصول على المعلومات.
- ٢- المناوشات. ٣- المفاوضات الابتدائيه. ٤- المفاوضات النهائيه.
- الهدنه: ١- نص وثيقه الهدنه. ٢- أهم بنود الهدنه. دروس من الحديبيه:
- ١- توخى الهدف. ٢- الضبط. ٣- الحياض المسلح. ٤- حرب الدعايه.

نتائج الحديبيه.

فتره الهدنه ٢٨٩

ثمرات الحديبيه. الموقف العام: ١- المسلمون. ٢- المشركون.

٣- اليهود. الهدف الحيوى. غزوه خيبر: ١- أسباب الغزوه. ٢- قوات الطرفين. ٣- الهدف. ٤- سير الحوادث. ٥- خسائر الطرفين. نهايه اليهود فى الجزيره: ١- يهود فذك. ٢- يهود وادى القرى. ٣- يهود تيماء.

٤- النتائج. سرايا تأديب الأعراب: ١- الهدف. ٢- الحوادث.

٣- النتائج. غزوه مؤته: ١- أسباب الغزوه. ٢- قوات الطرفين.

ص: ٥٣٩

٣- الهدف. ٤- سير الحوادث. ٥- خسائر الطرفين. ٦- النتيجة. غزوه ذات السلاسل: ١- أسباب الغزوه. ٢- سير الحوادث. سريه الخبط.

سريتا أبى قتاده. دروس من ثمرات الهدنه: ١- القضايا التعبويه.

٢- المعنويات. ٣- الأمانه. ٤- إكمال التحشد. ٥- نشر الاسلام.

٦- القضايا الإداريه. ٧- النتائج. الملحق (و) شهداء المسلمين فى غزوه خيبر. الملحق (ط) شهداء المسلمين فى غزوه مؤته. الملحق (ح) سرايا السيطره على الأعراب. الملحق (د) مكاتبه الرسول للملوك و الرؤساء و الأمراء من النصارى. الملحق (ك) مكاتبه الرسول للملوك و الأمراء و الرؤساء المجوس و المشركين و أتباع كسرى.

عوده المستضعفين ٣٢٩

فتح مكه. الموقف العام: ١- المسلمون. ٢- المشركون. إعلان الحرب:

١- المسلمون. ٢- قريش. الاستعدادات. قوات الطرفين: ١- المسلمون.

٢- المشركون. فى الطريق إلى مكه. قبل دخول مكه. خطه الفتح. الفتح الى التوحيد. فى مكه. خسائر الطرفين: ١- المسلمون. ٢- المشركون.

سرايا الدعوه. دروس من الفتح: ١- المباغته. ٢- المعلومات. ٣- بعد النظر. ٤- التنظيم. ٥- المعنويات. ٦- السلم. ٧- الوفاء. ٨- التواضع.

٩- العقيدة. ١٠- تحطيم الأصنام. ١١- القضايا الإدارية.

استثمار الفوز ٣٥٩

غزوه حنين و حصار الطائف. الموقف العام: ١- المسلمون.

٢- المشركون. قوات الطرفين: ١- المسلمون. ٢- المشركون. أهداف الطرفين: ١- المسلمون. ٢- المشركون. قبل المعركة: ١- المسلمون.

٢- المشركون. القتال: ١- هجوم المشركين. ٢- هجوم المسلمين المقابل.

٣- المطاردة. حصار الطائف. خسائر الطرفين: ١- المسلمون.

٢- المشركون أسباب ترك الحصار. الغنائم: ١- التكريس. ٢- التوزيع.

ص: ٥٤٠

٣- إعادته السبي. سرايا الدعوه. دروس من حنين و الطائف و سرايا الدعوه:

١- المباغته. ٢- القيادة. ٣- المطاردة. ٤- المعلومات. ٥- المعنويات.

٦- العقيدة. ٧- حرب الفروسيه. ٨- القضايا الإدارية الملحق (ل) شهداء حنين و الطائف.

مولد دوله الاسلام ٣٩٣

غزوه تبوك. الموقف العام: ١- المسلمون. ٢- المنافقون.

٣- المشركون. ٤- الرومان. أسباب غزوه تبوك: ١- أسباب مباشره.

٢- أسباب غير مباشره. أهداف الطرفين: ١- المسلمون. ٢- الروم.

قوات الطرفين: ١- المسلمون. ٢- الروم. الاستعدادات: ١- المسلمون.

٢- الروم. الحركة: ١- المسلمون. ٢- الروم. السيطره على المنطقه:

١- مصالحه صاحب أيله. ٢- مصالحه أهل الجرباء و أذرح. ٣- مصالحه أهل دومه الجندل. عوده المسلمين. سرايا الدعوه و بعث

أسامه. دروس من تبوك و سرايا الدعوه: ١- الحرب الإجماعيه. ٢- عقاب المتخلفين. ٣- التدريب العنيف. ٤- المسير الليلي. ٥-

المعنويات. ٦- المعلومات. ٧- الضبط.

النتائج. الملحق (ل) الغزوات التي قادها الرسول بنفسه.

التطبيق العملي: ٤٢٧

الخاتمه. بحث مقارن. مجمل أسباب النصر. قياده عبقرية «السبب الاول»:

١- مجمل صفات القائد. ٢- تفصيل الصفات. (أ) قرار صحيح (ب) شجاعه شخصيه (ج) إرادته قويه ثابتة (د) تحمل المسئوليه (ه) نفسه لا تتبدل (و) سبق النظر (ز) معرفه النفسيات و القابليات (ح) الثقه المتبادله (ط) المحبه المتبادله (ي) الشخصيه (ك) القابليه البدنيه (ل) الماضى الناصع المجيد (م) معرفه و تطبيق مبادئ الحرب. ٣- مزايا أخرى. (أ) المساواه (ب) الاستشاره (ج) أساليب جديده. ٤- قياده مثاليه. جنود ممتازون «السبب الثانى»: ١- مزايا الجندى الممتاز. ٢- تفصيل المزايا: (أ) عقيدته راسخه

ص: ٥٤١

(ب) معنويات عاليه (ج) ضبط قوى (د) تدريب جيد (ه) تنظيم صحيح (و) تسليح ممتاز. حرب عادله «السبب الثالث»: ١- معنى الحرب العادله.

٢- تفصيل معنى الحرب العادله: (أ) حرب دفاعيه (ب) حرب لتوطيد السلام (ج) حرب إنسانيه. ٣- حرب عقيدته: (أ) لا أغراض شخصيه (ب) حرب لا عنصريه (ج) حرب لا ماديه. ٤- حرب مثاليه. ضعف الأعداء «السبب الرابع».

الأرض للصالحين ٤٨٦

فهرس الاعلام ٤٩١

فهرس الأماكن ٥١٦

المصادر ٥٢٥

المراجع العربيه و الأجنبيه ٥٣٠

محتويات الكتاب ٥٣٥

محتويات الخرائط و المخططات ٥٤٢

ص: ٥٤٢

محتويات الكتاب من الخرائط و المخططات صفحه خريطه البلاد العربيه عند ظهور الإسلام ٥٧

خريطه الطرق بين مكه و المدينه ٨٤

خريطه مواضع بعض الغزوات ١٠٠

خريطه ميدان أحد ١٧٩

خريطه غزوه بنى المصطلق ٢١٥

خريطه ميدان الخندق ٢٢٧

خريطه غزوه الحديبيه ٢٧٢

خريطه الغزوات و السرايا ٢٩٦، ٢٩٧

خريطه غزوه مؤته ٣٠٦

خريطه فتح مكه ٣٤٢

خريطه غزوه حنين ٣٦٢

الدعوه الى التوحيد ٣٧٦، ٣٧٧

منجنيق لرمى النفط ٣٧٩

منجنيق لرمى السهام الثقيله ٣٨٢

خريطه غزوه تبوك ٤٠٠

انتشار الاسلام فى عهد النبى صلى الله عليه و سلم ٤٠٨

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامى عام ١٤٢٦ الهجرى فى المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائين والمثقفين فى الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمة بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمة للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوي تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوازي العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات
الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات
إقامة المسابقات في مطالعة الكتب
إقامة المعارض الإلكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية
إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية
افتتاح موقع القائمة الانترنتي بعنوان : www.ghaemiyeh.com
إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمي لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها
تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبه، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)
إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس
إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين
إنتاج آلاف برامج في البحث والدراسة وتطبيقها في أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

1.JAVA

2.ANDROID

3.EPUB

4.CHM

5.PDF

6.HTML

7.CHM

8.GHB

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

1.ANDROID

2.IOS

3.WINDOWS PHONE

4.WINDOWS

وتقدّم مجاناً في الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدّم لنا
المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
الغامدية

WWW

للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩